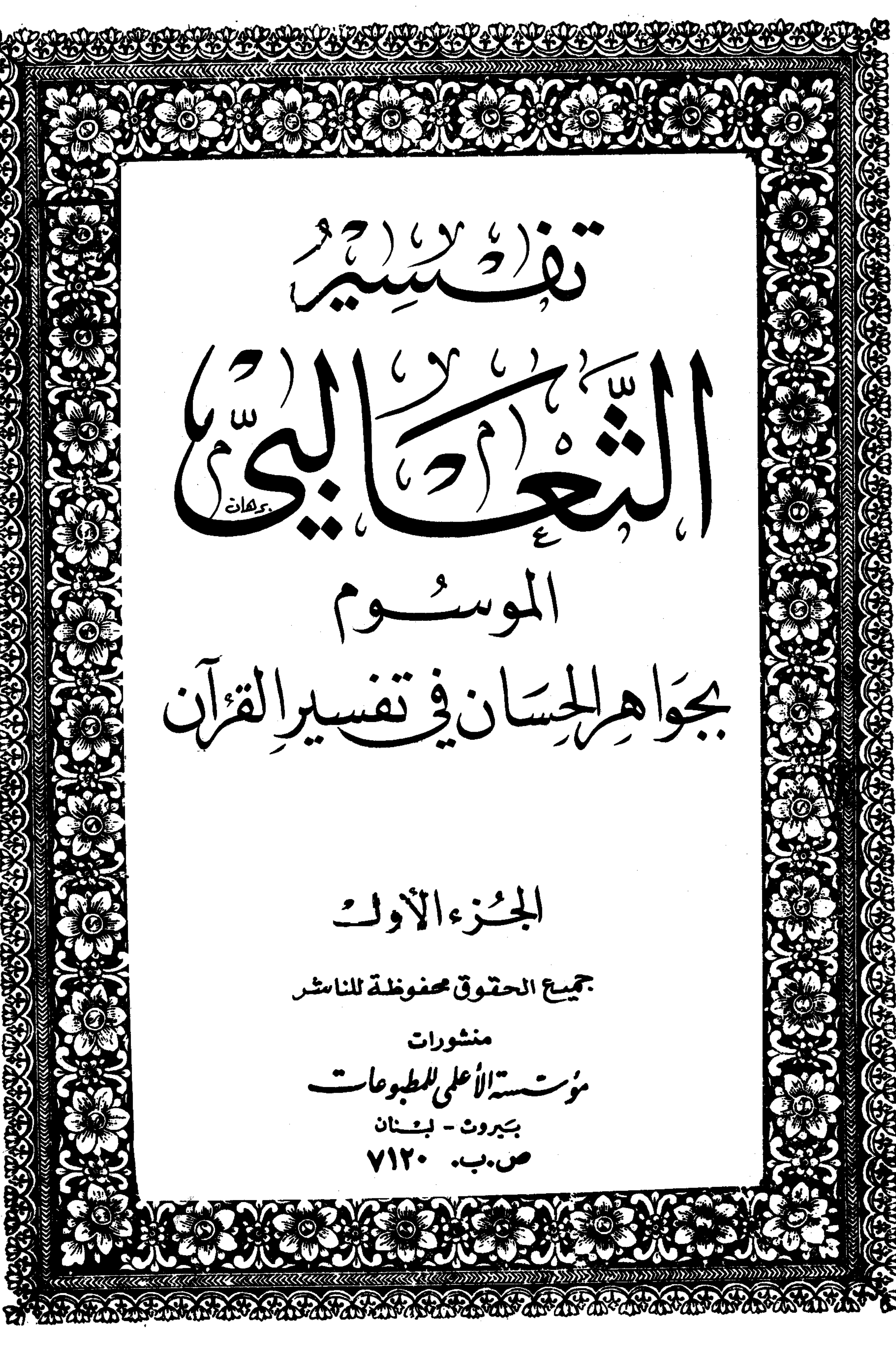


تفسير الثعالبي

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الأول

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠



يقول العبد الفقير الى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي رحمة ربه عبد الرحمن ابن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به في الدارين وبسائر المومنين

الحمد لله رب العالمين * وصلوات ربنا وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيئين * وعلى ءاله وصحبه السادة المكرمين * والحمد لله الذي من علينا بالايمان * وشرفنا بتلاوة القرءان * فاشرقت علينا بحمد الله انواره * وبدت لذوي المعارف عند التلاوة اسراره * وفاضت على العارفين عند التدبر والتأمل بحاره * فسبحان من انزل على عبده الكتاب * وجعله لاهل الفهم المتمسكين به من اعظم الاسباب * كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا ءاياته وليتذكر اولوا الالباب *

اما بعد ايها الاخ اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين * وجعلني واياك من اوليائه المتقين * الذين شرفهم بنزل

قدسه * واوحشهم من الخليقة بانسه * وخصّهم من معرفته * ومشاهدة عجائب ملكوته * وءاثار قدرته * بما ملأ قلوبهم حَبرة * وولّه عقولهم فى عظمته حَيرة * فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا فى الدارين غيره * فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون * وبين ءاثار قدرته وعجائب عظمته يترددون * وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون * لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * فانى جمعت لنفسى ولك فى هذا المختصر ما ارجو ان يقر الله به عينى وعينك فى الدارين فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمه * من غيره من كتب الائمه * وثقات اعلام هذه الامه * حسبما رأيته او رويته عن الاثبات وذلك قريب من مائة تاليف وما منها تاليف الا وهو منسوب لامام مشهور بالدين * ومعدود فى المحققين * وكل من نقلت عنه من المفسرين شيأ فمن تاليفه نقلت * وعلى لفظ صاحبه عولت * ولم انقل شيأ من ذلك بالمعنى خوف الوقوع فى الزلل وانما هي عبارات والفاظ لمن أعزوها اليه وما انفردت بنقله عن الطبرى فمن اختصار الشيخ ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد اللخمي النحوي لتفسير الطبرى نقلت لانه اعتنى بتهذيبه وقد اطنب ابو بكر بن الخطيب فى حسن الثناء على الطبرى ومدح تفسيره واثنى عليه غاية نسأل الله تعالى ان يعاملنا واياهم برحمته وكل ما فى ءاخره انتهى فليس هو من كلام ابن عطية بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره ومن اشكل عليه لفظ فى هذا المختصر فليراجع الامهات المنقول منها فليصلحه منها ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع فى الزلل من حيث لا يشعر وجعلت علامة

الثناء لنفسي بدلا من قلت ومن شاء كتبها قلت واما العين فلابن عطية وما نقلته من الاعراب عن غير ابن عطية فمن الصفاقسي مختصر ابى حيان غالبا وجعلت الصاد علامة عليه وربما نقلت عن غيره معزوا لمن عنه نقلت وكل ما نقلته عن ابى حيان فانما نقلى له بواسطة الصفاقسي غالبا قال الصفاقسي وجعلت علامة ما زدته على ابى حيان * م * وما يتفق لى ان امكن فعلامته * قلت * وبالجملة فحيث اطلق فالكلام لابى حيان وما نقلته من الاحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وابى داوود والترمذى فى باب الاذكار والدعوات فاكثره من النووى وسلاح المومن وفى الترغيب والترهيب واحوال الآخرة فمعظمه من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق وربما زدت زيادات كثيرة من مصابيح البغوى وغيره كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى كل ذلك معزو لمحاله وبالجملة فكتابى هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان الماثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب التقصّي وَأَوْلَى الامور بمن نصح نفسه والهم رشده معرفة السنن التى هي البيان لمجمل القران بها يوصل الى مراد الله تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذى به الابتلاء * وعليه الجزاء * فى دار الخلود والبقاء * التى لها يسعى الالباء العقلاء * والعلماء الحكماء * فمن منّ الله عليه بحفظ السنن والقران * فقد جعل بيده لواء الايمان * فان فقه وفهم * واستعمل ما علم * دعي فى ملكوت السموات عظيما * ونال فضلا جسيما * انتهى والله اسأل ان يجعل هذا السعي خالصا لوجهه وعملا صالحا يقربنا الى مرضاته وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيـــــــــم

۞(وسميته بالجواهر الحسان فى تفسير القرءان)۞

اسأل الله ان ينفع به كل من حصله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما كثيرا عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وها انا ان شاء الله اشرع فى المقصود والتقط من كلام ابن عطية رحمه الله ما ستقف عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقربه العين واذا نقلت شيأ من غيره عزوته لصاحبه كما تقدم قال * ع * رحمه الله بعد كلام فى اثناء خطبته ولما اردت ان اختار لنفسى وانظر فى علم لاعد انواره لظلم رمسى سبرت العلوم بالتنويع والتقسيم وعلمت ان شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت امتنها حبالا وارسخها جبالا واجملها ءاثارا واسطعها انوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست اسماؤه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذى استقل بالسنة والفرض ونزل به امين السماء الى امين الارض وايقنت انه اعظم العلوم تقريبا الى الله تعالى وتخليصا للنيات ونهيا عن الباطل وحضا على الصالحات اذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا ويمشى فى التلطف لها رويدا ورجوت ان الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته اكثر عمره معانيه ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه ثم قال قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا قال المفسرون اى علم معانيه والعمل بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتب ففزعت الى تعليق ما ينتخل لى فى المناظرة من علم التفسير قال ولنقدم بين يدي القول فى التفسير اشياء قد قدم اكثرها المفسرون واشياء ينبغى ان تكون راسخة فى حفظ الناظر فى هذا العلم مجتمعة لذهنه

بـــاب فى فضل الـقــرءان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكـون فتن كقطع الليل المظلم قيـل فما النجاة منـها يا رسول الله قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبـأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبـرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبيـن والـذكـر الحكيم والصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تنشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء من علم علمه سبق ومن عمل به اجـر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد علم الاولين والآخرين فلْيُثَوِّرِ القـرءان وقال صلى الله عليه وسلم ان الذى يتعاهـد القرءان ويشتد عليه له اجران والذى يقرأه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة وقال صلى الله عليه وسلم اتلـوا هذا القرءان فان الله ياجركم بالحرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال صلى الله عليه وسلم ما من شـفيع افضل عـند الله من القرءان لا نبي ولا ملك وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتى القرءان وحدث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ مائة اية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي اية لم يكتب من الغافلين ومن قـرأ ثلاثمائة اية لم يحاجه القرءان قال الشيخ يحي بن شرف النووى اعلم ان قراءة القرءان اكد الاذكار وافضلها فينبغى المداومة عليها فلا يخلو عنها يوما وليلة ويحصل له اصل القراءة بقراءة الآيات القليلة والمطلوب القـراءة بالتـدبـر والخشـوع والخضوع وقد روينـا فى كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من قرأ خمسين اية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة اية
كتب من القانتين ومن قرأ مائتي اية لم يحاجه القران يوم القيامة ومن قرأ
خمسمائة اية كتب له قنطار من الاجر وفى رواية من قرأ اربعين اية بدل
خمسين وفى رواية عشرين اية وفى رواية عن ابى هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ عشر ايات لم يكتب من الغافلين وجاء فى الباب احاديث
كثيرة بنحو هذا انتهى من الحلية و روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اشراف امتى حملة القران و روى انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال القران شافع مشفع وماحل مصدق ومن شفع له القران
نجا ومن محل به القران يوم القيامة كبه الله لوجهه فى النار واحق من شفع له
القران اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه وقال قوم من الانصار
للنبي صلى الله عليه وسلم الم تر يا رسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة
يزهر فيها وحولها امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرأ سورة البقرة فسئل ثابت
ابن قيس فقال نعم قرأت سورة البقرة وفى هذا المعنى حديث صحيح عن اسيد
ابن حضير فى تنزل الملائكة فى الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة قلت وفى
رواية سورة الكهف وهذا الحديث خرجه البخاري ومسلم والترمذى والنساءى
انتهى وقال عقبة بن عامر عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع
فقال عليكم بالقران وقال عبد الله بن عمرو بن العاصى ان من اشراط الساعة ان
يبسط القول ويخزن الفعل ويرفع الاشرار ويوضع الاخيار وان تقرأ المثناة على
رءوس الناس لا تغير قيل وما المثناة قال ما إستكتب من غير كتاب الله قيل له
فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اخذتموه عن
من تامنونه على نفسه ودينه فاعقلوه وعليكم بالقران فتعلموه وعلموه ابناءكم

فانكم عنه تسألون وبه تجزون وكفى به واعظا لمن عقل وقال رجل لعبد الله
ابن مسعود اوصني فقال اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين ءامنوا فارعها
سمعك فانه خير يامر به او شر ينهى عنه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن احسن الناس قراءة او صوتا بالقرءان فقال الذى اذا سمعته
رأيته يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اقرءوا القرءان قبل ان يجيء
قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون اجره ولا يتأجلونه
وروي ان اهل اليمن لما قدموا ايام ابى بكر الصديق رضي الله عنه سمعوا القرءان
فجعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وروي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قرأ مرة ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فأنّ أنّةً
عِيدَ منها عشرين يوما قال القرطبي فى التذكرة وما تقرب المتقربون الى الله تعالى
بشيء مثل القرءان قال صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله
قراءة القرءان عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين رواه الترمذى انتهى
قلت ولفظ الترمذى عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الرب عزوجل من شغله القرءان وذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى
السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه قال ابو عيسى
هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لم يفقه من قرأ القرءان فى اقل من ثلاث قال ابو عيسى هذا حديث حسن
صحيح انتهى وعماد الامر التدبر والتفهم فقلة القراءة مع التفهم افضل من كثرتها
من غير تفهم وهذا الذى عليه المحققون وهو الذى يدل عليه القرءان وصحيح
الآثار ولولا الاطالة لاتينا من ذلك بما يثلج له الصدر وقد ذكر بعض شراح
الرسالة فى الذى يقرأ القرءان من غير تأمل ولا تفهم هل له اجر أمْ لا قولان وهذا

الخلاف والله اعلم فى غير المتعلم والقول بعدم الاجر على ضعفه هو ظاهر ما حكاه عياض فى المدارك عن الشبلي فى قصته مع الامام المقرئ وبالجملة فالتدبر والتفهم هو الذى يحصل معه الانابة والخشوع وكل خير ونقل الباجى فى سنن الصالحين عن محمد بن كعب القرظي قال لان اقرأ فى ليلى حتى اصبح باذا زلزلت وبالقارعة لا ازيد عليهما واتردد فيهما واتفكر احب الي من ان اهذ القرءان ليلى هذًّا او قال انثره نثرا ونحوه عن مجاهد وغيره وعن ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه انتهى قال ابن ابى جمرة والمرغب فيه التدبر فى القراءة وان قلت وهو خير من كثرة القراءة بلا تدبر وفائدة التدبر هو ان تعرف معنى ما تتلوه من الآي انتهى وقال الحسن بن ابى الحسن انكم اتخذتم قراءة القرءان مراحل وجعلتم الليل جملا تركبونه فتقطعون به المراحل وان من كان قبلكم رأوه رسائل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونه بالليل وينفذونه بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول انزل عليهم القرءان ليعملوا به فاتخذوا درسه عملا ان احدهم ليتلو القرءان من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به قال * ع * قال الله تعالى ولقد يسرنا القرءان للذكر وقال تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا اي علم معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل فمال الناس الى الميسر وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم وقيل ليوسف بن اسباط باي شيء تدعو اذا ختمت القرءان فقال استغفر الله من تلاوتى لانى اذا ختمته ثم تركت ما فيه من الاعمال خشيت المقت فاعدل الى الاستغفار والتسبيح وقرأ رجل القرءان على بعض العلماء قال فلما ختمته اردت الرجوع من اوله فقال لى اتخذت القراءة علي عملا اذهب فاقرأه على الله تعالى فى ليلك وانظر ما ذا يفهمك منه قال الغزالى فى كتاب

التفكر واما طريق الفكر الذى تطلب به العلوم التى تثمر اجتلاب احوال محمودة او التنزه عن صفات مذمومة فلا يوجد فيه انفع من تلاوة القرءان بالفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال المحمودة وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغى ان يقرأه العبد ويردد الآية التى هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو ليلة كاملة فقراءة اية بتفكر وفهم خير من ختمة من غير تدبر وفهم فان تحت كل كلمة منه اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك حكم مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقداوتي عليه السلام جوامع الكلم فكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح ءاحاد الآيات والاخبار يطول وانظر قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية انتهى من الاحيـــــــــــاء

باب فى فضل تفسير القرءان واعرابه

قال النبي صلى الله عليه وسلم اعربوا القرءان والتمسوا غرائبه فان الله تعالى يحب ان يعرب قال ابو العالية فى تفسير قوله عزوجل ومن يوت الحكمة فقداوتي خيرا كثيرا قال الحكمة الفهم فى القرءان وقال قتادة الحكمة القرءان والفقه

فيه وقال غيره الحكمة تفسير القرءان وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة
فى تفسير ءاية فقيل له ان الذى يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل اليه حتى
علم تفسيرها وذكر علي بن ابى طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم
فقال له رجل جعلت فِدَاكَ تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف
تفسير قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرءان لرادك الى معاد وقال اياس
ابن معاوية مثل الذين يقرءون القرءان وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم
كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما فى
الكتاب ومثل الذى يعلم التفسير كرجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما فى الكتاب
وقال ابن عباس الذى يقرأ ولا يفسر كالاعرابي الذى يهذ الشعر وقال مجاهد
احب الخلق الى الله اعلمهم بما انزل الله وقال الحسن والله ما انزل الله ءاية الا
احب ان يعلم فيمن انزلت وما يعنى بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفقه
الرجل كل الفقه حتى يرى للقرءان وجوها كثيرة

فصل فيما قيل فى الكلام فى تفسير القرءان والجرءة عليه ومراتب المفسرين

روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفسر من كتاب الله تعالى الا ءايا بعدد علمهن اياه جبريل عليه السلام قال
* ع * ومعنى هذا الحديثُ فى مغيبات القرءان وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا
سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به عباده
كوقت قيام الساعة ونحوها ومنها ما يستقرأ من الفاظه كعدد النفخات فى الصور
وكرتبة خلق السموات والارض وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من

تكلم فى القرءان برايه فاصاب فقد اخطأ ومعنى هذا ان يسأل الرجل عن معنى فى كتاب الله فيتسور عليه برايه دون نظر فيما قال العلماء او اقتضته قوانين العلوم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رايه وكان جلة من السلف كسعيد ابن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرءان ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين فى ذلك رضي الله عن جميعهم * ت *
وخرج ابو عيسى الترمذى فى جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرءان بغير علم فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرج ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحديث عنى الا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن قال فى القرءان برايه فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن وخرج عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرءان برايه فاصاب فقد اخطأ قال ابو عيسى هكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم انهم شددوا فى هذا فى ان يفسر القرءان بغير علم واما الذى روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من اهل العلم انهم فسروا القرءان فليس الظن بهم انهم قالوا فى القرءان او فسروه بغير علم او من قبل انفسهم وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل انفسهم بغير علم حدثنا الحسين بن مهدي البصرى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما فى القرءان ءاية الا وقد سمعت فيها بشيء وحدثنا ابن

ابى عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال مجاهد لوكنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج الى ان اسأل ابن عباس عن كثير من القوان مما سألت انتهى ما نقلته من الترمذى ثم قال * ع * فاما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن ابى طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو تجرد للامر وكمله وتتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عنه فى ذلك اكثر من المحفوظ عن علي بن ابى طالب وقال ابن عباس ما اخذت من تفسير القرءان فعن علي بن ابى طالب وكان علي بن ابى طالب يثنى على تفسير ابن عباس ويحض على الاخذ عنه وكان عبد الله ابن مسعود يقول نعم ترجمان القرءان عبد الله بن عباس وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل وحسبك بهذه الدعوة ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاصى وكل ما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين فى التابعين الحسن بن ابى الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة وقد قرا مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل ءاية ويتلوهم عكرمة والضحاك بن مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدى رحمه الله تعالى فكان عامر الشعبى يطعن عليه وعلى ابى صالح لانه كان يراهما مقصرين فى النظر ثم حمل تفسير كتاب الله عزوجل عدول كل خلف والف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابى طلحة والبخارى وغيرهم ثم ان محمد بن جرير الطبرى رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد وشفى فى الاسناد ومن المبرزين فى المتأخرين ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسى فان كَلامَهما منخول واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس رحمهما الله فكثيرا ما

استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن ابى طالب رحمه الله وابو العباس المهدوى رحمه الله متقن التاليف وكلهم مجتهد ماجور رحمهم الله ونضر وجوههم
(فصل) واختلف الناس فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم انزل القرءان على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه ثم قال * ع * بعد كلام والذى مال اليه كثير من اهل العلم كابى عبيد وغيره ان معنى الحديث انه انزل على سبع لغات لسبع قبائل ثم اختلفوا فى تعيينهم وانا الخص الغرض جهدى بحول الله فاصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم قرشي واسترضع فى بنى سعد ونشأ فيهم ثم ترعرع وشب وهو يخالط فى اللسان كنانة وهذيلا وثقيفا وخزاعة واسدا وضبة والفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها ثم بعد هذه تميما وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه امر الاحرف انزل عليه القرءان بلغة هذه الجملة المذكورة وهي التى قسمها على سبعة لها السبعة الاحرف وهي اختلافاتها فى العبارة قال ثابت بن قاسم لو قلنا من هذه الاحرف لقريش ومنها لكنانة ومنها لاسد ومنها لهذيل ومنها لتميم ومنها لضبة والفافها ومنها لقيس لكان قداتى على قبائل مضر فى مراتب سبعة تستوعب اللغات التى نزل بها القرءان وهذا نحو ما ذكرناه وهذه الجملة هي التى انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل ويسرها الله لذلك ليظهر ءاية نبيه بعجزها عن معارضة ما انزل عليه وسبب سلامتها انها فى وسط جزيرة العرب فى الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الامم فاما اليمن وهو جنوبي الجزيرة فافسدت كلام عربه خالطة الحبشة والهنود على ان ابا عبيد القاسم بن سلام وابا العباس المبرد قد ذكرا ان عرب اليمن من القبائل التى نزل القرءان بلغاتها قال * ع * وذلك عندى انما هو فيما استعملته

عرب الحجاز من لغة اليمن كالعرم والفتاح فاما ما انفردوا به كالزخيخ والقِلَّوْب
فليس فى كتاب الله منه شيء . واما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد
ربيعة وشرقي الجزيرة فافسدت لغتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة
وغير ذلك واما الذى يلى الشام وهو شمالي الجزيرة وهى بلاد آل جفنة وغيرهم
فافسدها مخالطة الروم وكثير من بنى اسرائل واما غربي الجزيرة فهي جبال تسكن
بعضها هذيل وغيرهم واكثرها غير معمور فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات
لم تكدر صفو كلامها امة من العجم ويقوى هذا المنزع انه لما اتسع نطاق الاسلام
وداخلت الامم العرب وتجرد اهل المصرين البصرة والكوفة لحفظ لسان
العرب وكتب لغتها لم ياخذوا الا من هذه القبائل الوسيطة المذكورة
ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم حرف واحد
وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة والمدينة والطائف لان السبي والتجار
من الامم كثروا فيها فافسدوا اللغة وكانت هذه الحواضر فى مدة النبي
صلى الله عليه وسلم سليمة لقلة المخالطة فمعنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم انزل القرءان على سبعة احرف اي فيه عبارات سبع قبائل بلغة
جملتها نزل القرءان فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ومرة
بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز فى اللفظة الا ترى ان فطر معناها عند غير
قريش ابتداء خلق الشيء وعمله فجاءت فى القرءان فلم تتجه لابن عباس حتى
اختصم اليه اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت
حينئذ موقع قوله سبحانه فاطر السماوات والارض وقال ايضا ما كنت ادرى
معنى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا حتى سمعت بنت ذى جدن تقول
لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله

عنه وكان لا يفهم معنى قوله تعالى او ياخذهم على تخوف فوقف به فتى فقال ان ابى يتخوفنى حقى فقال عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف اي على تنقص لهم وكذلك اتفق لقطبة بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلاة والنخل باسقات ذكره مسلم فى باب القراءة فى صلاة الفجر الى غير هذا من الامثلة فاباح الله تعالى لنبيه عليه السلام هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل فى عرضاته على الوجه الذى فيه الاعجاز وجودة الرصف ولم تقع الاباحة فى قوله فاقروا ما تيسر منه بان يكون كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ولوكان هذا لذهب اعجاز القرءان وكان معرضا ان يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذى نزل من عند الله وانما وقعت الاباحة فى الحروف السبعة للنبي صلى الله عليه وسلم ليوسع بها على امته فقرأ مرة لابي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه به ايضا وفى صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف

فصل فى ذكر الالفاظ التى فى القرءان مما للغات العجم بها تعلق

اختلف الناس فى هذه المسألة فقال ابو عبيدة وغيره ان فى كتاب الله تعالى من كل لغة وذهب الطبرى وغيره الى ان القرءان ليس فيه لفظة الا وهي عربية صريحة وان الامثلة والحروف التى تنسب الى سائر اللغات انما اتفق فيها توارد اللغتين فتكلمت العرب والفرس او الحبشة بلفظ واحد وذلك مثل قوله

تعالى ان ناشئة الليل قال ابن عباس نشأ بلغة الحبشة قام من الليل ومنه قوله تعالى يوتكم كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعرى كفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس فى القسورة انه الاسد بلغة الحبشة الى غير هذا من الامثلة قال * ع * والذى اقوله ان القاعدة والعقيدة هي ان القرءان بلسان عربي مبين وليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها الا من لسان ءاخر فاما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة التى نزل القرءان بلسانها بعض مخالطة لسائر الالسنة بتجارات وسفر الى الشام وارض الحبشة فعلقت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها فى اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الصريح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرءان فان جهلها عربي ما فكجهله الصريح مما فى لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ انها فى الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه الطبرى من ان اللغتين اتفقتا فى لفظة لفظة فذلك بعيد بل احداهما أصل والاخرى فرع فى الاكثر لانا لا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شاذا

باب تفسير اسماء القرءان وذكر السورة والآية

هو القرءان وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقرءان مصدر من قولك قرأ الرجل اذا تلا يقرأ قرءانا وقراءة وقال قتادة القرءان معناه التاليف قرأ الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا فسر قتادة قوله تعالى ان علينا جمعه وقرءانه اي تاليفه

والقول الاول اقوى ان القروان مصدر من قرأ اذا تلا ومنه قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضي الله عنه

ضحوا باشمط عنوان السجود بـه * يقطع الليل تسبيحا وقرانـا

اي وقراءة واما الكتاب فهو مصدر من كتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها ومنه قول الشاعر * واكتبها باسيار * اي اجمعها واما الفرقان فهو ايضا مصدر لانه فرق بين الحق والباطل والمومن والكافر فِرقانا وفُرقانا واما الذكر فسمي بذلك لانه ذكر به الناس آخرتهم وَإِلَاهَهُمْ وما كانوا فى غفلة عنه فهو ذكر لهم وقيل سمي بذلك لان فيه ذكر الامم الماضية والانبياء وقيل سمي بذلك لانه ذكر وشرف لمحمد صلى الله عليه وسلم وقومه وسائر العلماء به واما السورة فان قريشا كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة يقولون سورة بغير همز وتميم كلها وغيرهم يهمزون فاما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التى هي سؤر وسؤرة من اسأر اذا ابقى ومنه سؤر الشراب واما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء اي القطعة منه لان كل بناء فانما بني قطعة بعد قطعة فكل قطعة منها سورة فكان سور القروان هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القروان ويقال ايضا للرتبة الرفيعة من المجد والملك سورة ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر

الم تـر ان الله اعطاك سـورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكأن الرتبة انبنت حتى كملت واما الآية فهي العلامة فى كلام العرب ولما كانت الجملة التامة من القروان علامة على صدق الآتى بها وعلى عجز المتحدّى بها سميت آية هذا قول بعضهم وقيل سميت آية لما كانت جملةً وجماعةَ كلامٍ كما تقول العرب جئنا بآيتنا اي بجماعتنا وقيل لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها

وما بعدها سميت ءاية * ت * وقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح ءاية المنافق ثلاث اذا حدث كذب الحديث وءاية الايمان حب الانصار وءاية ما بيننا وبين المنافقين شهود العشاء يقوى القول الاول والله اعلم وهذا هو الراجح فى مختصر الطبرى قال والآية العلامة وذلك اظهر فى العربية والقرءان واصح القول ان ءايات القرءان علاماتٌ للايمان وطاعة الله تعالى ودلالات على وحدانيته وارسال رسله وعلى البعث والنشور وامور الآخرة وغير ذلك مما تضمنته علوم القرءان انتهى

باب فى الاستعاذة

قال الله عزوجل فاذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت ان تقرأ فاوقع الماضى موقع المستقبل لثبوته واجمع العلماء على ان قول القارئ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس بآية من كتاب الله واجمعوا على استحسان ذلك والتزامه عند كل قراءة فى غير صلاة واختلفوا فى التعوذ فى الصلاة فابن سيرين والنخعى وقوم يتعوذون فى كل ركعة ويمتثلون امر الله سبحانه بالاستعاذة على العموم فى كل قراءة وابو حنيفة والشافعى يتعوذان فى الركعة الاولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءةٍ واحدة ومالك رحمه الله لا يرى التعوذ فى الصلاة المفروضة ويراه فى قيام رمضان ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعوذ فى صلاة واما لفظ الاستعاذة فالذى عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واما المقرءون فاكثروا فى هذا من تبديل الصفة فى اسم الله وفى الجهة الاخرى كقول بعضهم اعوذ بالله المجيد من الشيطان المَريد ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه لا يجوز

ومعنى الاستعاذة الاستجارة والتحيز الى الشيء على وجه الامتناع به من المكروه واما الشيطان فاختلف فى اشتقاقه فقال الحذاق هو فيعال من شطن اذا بعد لانه بعد عن الخير والرحمة واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح ومعناه انه رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة

باب فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان رجلا قال بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم تعس الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل من الذباب والبسملة تسعة عشر حرفا قال بعض الناس ان رواية بلغتهم ان ملائكة النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون فى كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك هي قوتهم وباسم الله استضلعوا قال * ع * وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم * ت * ولا يخفى عليك لين ما بلغ هؤلاء ولقد اغنى الله تعالى بصحيح الاحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين فجزى الله نقاد الامة عنا خيرا وما جاء من الاثر عن جابر وابى هريرة مما يقتضى بظاهره ان البسملة ءاية من الفاتحة يرده صحيح الاحاديث كحديث انس وابي بن كعب وحديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ونحوها ولم يحفظ قط عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء بعده انهم يبسملون فى الصلاة * ع * والباء فى بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتداءى مستقر او ثابت بسم الله وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت بسم الله واسم اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها وهو عند

البصريين مشتق من السُّمُوِّ * ت * وهو العلو والارتفاع قال * ص *
والاسم هو الدال بالوضع على موجود فى العيان ان كان محسوسا و فى الاذهان ان
كان معقولا من غير تعرض ببنيته للزمان ومدلوله هو المسمى والتسمية جعل ذلك
اللفظ دليلا على المعنى فهي امور ثلاثة متباينة فاذا اسندت حكما الى لفظ اسم
فتارة يكون حقيقة نحو زيد اسم ابنك وتارة يكون مجازا وهو حيث يطلق
الاسم ويراد به المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك وتأول
السهيلي سبح اسم ربك على اقحام الاسم اي سبح ربك وانما ذكر الاسم حتى
لا يخلو التسبيح من اللفظ باللسان لان الذكر بالقلب متعلقه المسمى والذكر
باللسان متعلقه اللفظ وتأول قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء بانها اسماء كاذبة
غير واقعة على الحقيقة فكانهم لم يعبدوا الا الاسماء التى اخترعوها انتهى وقال
الكوفيون اصل اسم وسم من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لمن وضع له
والمكتوبة التى لفظها الله ابهر اسمائه تعالى واكثرها استعمالا وهو المتقدم لسائرها
فى الاغلب وانما تجيء الأُخَرُ اوصافا وحذفت الالف الاخيرة من الله ليلا يشكل
بخط اللَّاتِ وقيل طرحت تخفيفا والرحمن صفة مبالغة من الرحمة معناها انه
انتهى الى غاية الرحمة وهي صفة تختص بالله تعالى ولا تطلق على البشر وهي
ابلغ من فعيل وفعيل ابلغ من فاعل لان راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة ورحيما
يقال لمن كثر منه ذلك والرحمن النهاية فى الرحمـــــــة

تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالى وقوته

قال ابن عباس وغيره انها مكية ويؤيد هذا ان فى سورة الحجر ولقد ءاتيناك سبعا
من المثانى والحجر مكية باجماع وفى حديث ابي بن كعب انها السبع المثانى

ولا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انه كانت قط فى الاسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين وروي عن عطاء بن يسار وغيره انها مدنية واما اسماؤها فلا خلاف انه يقال لها فاتحة الكتاب واختلف هل يقال لها ام الكتاب فكره ذلك الحسن بن ابى الحسن واجازه ابن عباس وغيره وفى تسميتها بام الكتاب حديث رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها ام القران فكره ذلك ابن سيرين وجوزه جمهور العلماء وسميت المثانى لانها تثنى فى كل ركعة وقيل لانها استثنيت لهذه الامة واما فضل هذه السورة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث ابي بن كعب انها لم ينزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الفرقان مثلها وروي انها تعدل ثلثي القران وهذا العدل اما ان يكون فى المعانى واما ان يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلل وكذلك يجيء عدل قل هو الله احد وعدل اذا زلزلت وغيره * ت * ونحو حديث ابي حديث ابي سعيد بن المعلى اذ قال له صلى الله عليه وسلم الا اعلمك اعظم سورة فى القران الحمد لله رب العالمين هي السبع المثانى والقران العظيم الذى اوتيته رواه البخارى وابو داود والنساءى وابن ماجة انتهى من سلاح المومن تاليف الشيخ المحدث ابى الفتح تقي الدين محمد بن علي بن همام رحمه الله * الحمد * معناه الثناء الكامل والالف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد وهو اعم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى الى الشاكر والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود قال * ص * وهل الحمد بمعنى الشكر او الحمد اعم او الشكر ثناء على الله بافعاله والحمد ثناء عليه باوصافه ثلاثة اقوال انتهى قال الطبرى الحمد لله ثناء اثنى به على نفسه تعالى وفى ضمنه امر عباده ان يثنوا به عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجيء قولوا اياك واهدنا قال وهذا

من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه وهو كثير * والرب * فى اللغة المعبود والسيد المالك والقائم بالامور المصلح لما يفسد منها فالرب على الاطلاق هو رب الارباب على كل جهة وهو الله تعالى * وَالعالمون * جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى يقال لجملته عالم ولاجزائه من الانس والجن وغير ذلك عالم عالم وبحسب ذلك يجمع على العالمين ومن حيث عالم الزمان متبدل فى زمان ءاخر حسن جمعها ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه وهو ماخوذ من العلم والعلامة لانه يدل على موجده كذا قال الزجاج قال ابو حيان الالف واللام فى العالمين للاستغراق وهو جمع سلامة مفرده عالم اسم جمع وقياسه الا يجمع وشذ جمعه ايضا جمع سلامة لانه ليس بعلم ولا صفة * م * وذهب ابن مالك فى شرح التسهيل الى ان عالمين اسم جمع لمن يعقل وليس جمع عالم لان العالم عام وعالمين خاص قلت وفيه نظر انتهى وقد تقدم القول فى الرحمن الرحيم * ملك يوم الدين * الدين فى كلام العرب على انحاء وهو هنا الجزاء يوم الدين اي يوم الجزاء على الاعمال والحساب بها قاله ابن عباس وغيره مدينين محاسبين وحكى اهل اللغة دنته بفعله دينا بفتح الدال ودينا بكسرها جزيته ومنه قول الشاعر

واعلم يقينا ان ملكك زائل * واعلم بان كما تدين تدان

* اياك نعبد * نطق المومن به اقرار بالربوبية وتذلل وتحقيق لعبادة الله وقدم اياك على الفعل اهتماما وشان العرب تقديم الاهم واختلف النحويون فى اياك فقال الخليل ايا اسم مضمر اضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف وحكى عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وقال المبرد ايا اسم مبهم اضيف للتخصيص لا للتعريف وحكى ابن كيسان عن بعض الكوفيين ان

اياك بكماله اسم مضمر ولا يعرف اسم مضمر يتغير آخره غيره وحكي عن بعضهم
انه قال الكاف والهاء والياء هو الاسم المضمر لكنها لا تقوم بانفسها ولا تكون
الا متصلات فاذا تقدمت الافعال جعل ايا عمادا لها فيقال اياك واياه واياي
فاذا تأخرت اتصلت بالافعال واستغني عن ايا * ونعبد * معناه نقيم الشرع
والاوامر مع تذلل واستكانة والطريق المذلل يقال له معبّد وكذلك البعير
* ونستعين * معناه نطلب العون منك فى جميع امورنا وهذا كله تبر من
الاصنام * وقوله تعالى اهدنا * رغبة لانها من المربوب الى الرب وهكذا صيغ
الامر كلها فاذا كانت من الاعلى فهي امر * وَالهداية * فى اللغة الارشاد
لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الارشاد وكلها اذا تأملت
راجعة الى الارشاد فالهدى يجيء بمعنى خلق الايمان فى القلب ومنه قوله تعالى
اولئك على هدى من ربهم ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم وانك لا
تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء فمن يرد الله ان يهديه الآية قال
ابو المعالى فهذه الآيات لا يتجه حملها الا على خلق الايمان فى القلب وهو محض
الارشاد وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء كقوله تعالى ولكل قوم هاد اي داع وانك
لتهدى الى صراط مستقيم وقد جاء الهدى بمعنى الالهام من ذلك قوله تعالى
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال المفسرون الهم الحيوانات كلها الى منافعها
وقد جاء الهدى بمعنى البيان من ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم قال
المفسرون معناه بينالهم قال ابو المعالى معناه دعوناهم وقوله تعالى ان علينا للهدى
اي علينا ان نبين وفى هذا كله معنى الارشاد قال ابو المعالى وقد ترد الهداية
والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها كقوله
تعالى فى صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومنه قوله

تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها قال * ع * وهذه الهداية بعينها هي التى تقال فى طرق الدنيا وهي ضد الضلال وهي الواقعة فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم على صحيح التاويلات وذلك بين من لفظ الصراط والصراط فى اللغة الطريق الواضح ومن ذلك قول جرير

امير المومنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

واختلف المفسرون فى المعنى الذى استعير له الصراط فى هذا الموضع فقال علي بن ابى طالب رضي الله عنه الصراط المستقيم هنا القران وقال جابر هو الاسلام يعنى الحنيفية وقال محمد بن الحنفية هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره وقال ابو العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر اي الصراط المستقيم طريق محمد صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وهذا قوي فى المعنى إلّا أنّ تسمية اشخاصهم طريقا فيه تجوز ويجتمع من هذه الاقوال كلها ان الدعوة هي ان يكون الداعى على سنن المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين فى معتقداته وفى التزامه لاحكام شرعه وذلك هو مقتضى القران والاسلام وهو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وهذا الدعاء انما امر به المومنون وعندهم المعتقدات وعند كل واحد بعض الاعمال فمعنى قوله اهدنا فيما هو حاصل عندهم التثبيت والدوام وفيما ليس بحاصل اما من جهة الجهل به او التقصير فى المحافظة عليه طلب الارشاد اليه فكل داع به انما يريد الصراط بكماله فى اقواله وافعاله ومعتقداته واختلف فى المشار اليهم بانه سبحانه انعم عليهم وقول ابن عباس وجمهور من المفسرين انه اراد صراط النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك من قوله تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم الآية الى قوله

رفيقا * وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين * اعلم ان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما وذلك اذا قلت رأيت غيرك فكل شيء سوى المخاطب فهو غيره وكذلك ان قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة والمغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد وروى ذلك عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بين من كتاب الله لان ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله وباءو بغضب من الله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية وغضب الله تعالى عبارة عن اظهاره عليهم محنا وعقوبات وذلة ونحو ذلك مما يدل على انه قد ابعدهم عن رحمته بعدا مؤكدا مبالغا فيه والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد ضلوا واما غير متحققيهم فضلالتهم متقررة منذ تفرقت اقوالهم في عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى فيهم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

واجمع الناس على ان عدد اي سورة الحمد سبع ءايات * العالمين ءاية * الرحيم ءاية * الدين ءاية * نستعين ءاية * المستقيم ءاية * انعمت عليهم ءاية * ولا الضالين ءاية * وقد ذكرنا عند تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ان ما ورد من خلاف في ذلك ضعيف

(القول في ءامين) روى ابو هريرة وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا ءامين فان الملائكة في السماء تقول ءامين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * ت * وخرج مسلم وابو داود والنسائي من طريق ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اذا صليتم فاقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم احدكم فاذا كبر فكبروا واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا ءامين يجبكم الله الحديث انتهى ومعنى ءامين عند اكثر اهل العلم اللهم استجب اواجب يا رب ومقتضى الآثار ان كل داع ينبغي له فى ءاخر دعائه ان يقول ءامين وكذلك كل قارئ للحمد فى غير صلاة واما فى الصلاة فيقولها الماموم والفذ وفى الامام فى الجهر اختلاف واختلف فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فقيل فى الاجابة وقيل فى خلوص النية وقيل فى الوقت والذى يترجح ان المعنى فمن وافق فى الوقت مع خلوص النية والاقبال على الرغبة الى الله بقلب سليم والاجابة تتبع حينئذ لان من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم وفى صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدى واذا قال ملك يوم الدين قال مجدنى عبدى فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل انتهى وعند مالك فهؤلاء لعبدى واسند ابو بكر بن الخطيب عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان له امام فقراءة الامام له قراءة انتهى من تاريخ بغداد ولم يذكر فى سنده مطعنا وقال ابن العربى فى احكامه والصحيح عندى وجوب قراءتها على الماموم فيما اسر فيه وتحريمها فيما جهر فيه اذا سمع الامام لما عليه من وجوب الانصات والاستماع فان بعد عن الامام فهو بمنزلة صلاة السر انتهى نجز تفسير سورة الحمد والحمد

لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلـــــــــــــم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة البقرة بحول الله ومعونته

هذه السورة مدنية نزلت فى مدد شتى وفيها ءاخر ءاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ويقال لسورة البقرة فسطاط القروان وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من الاحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش * ت * وها انا ان شاء الله اذكر اصل الحديث بكماله لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة خرج الحاكم ابو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا بالقرءان احلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه الى الله والى اولى العلم من بعدى كي ما يخبرونكم وءامنوا بالتوراة والانجيل والزبور وما اوتي النبيئون من ربهم وليسعكم القرءان وما فيه من البيان فانه شافع مشفع وماحل مصدق وانى اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين والحواميم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش ماحل بالمهملة اي ساع وقيل خصم انتهى من السلاح وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تجيء

البقرة وءال عمران يوم القيامة كانهما غيايتان بينهما شرق او غمامتان سوداوان او كانهما ظلة من طير صواف تجادلان عن صاحبهما * ت * اصل الحديث فى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القرءان فانه ياتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وءال عمران فانهما ياتيان كانهما غمامتان او كأنهما غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اصحابهما اقرءوا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغنى ان البطلة السحرة فقوله صلى الله عليه وسلم غمامتان يعنى سحابتين بيضاوين والغيايتان بالغين المعجمة ابو عبيد الغياية كل شيء اظل الانسان فوق راسه وهو مثل السحابة وفرقان بكسر الفاء اي جملتان انتهى من السلاح وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسنام القرءان سورة البقرة فيها ءاية هي سيدة ءاي القرءان هي ءاية الكرسى وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ بالآيتين من ءاخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان * ت * وعن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فقال له هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وقال ابشر بنورين او تيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته رواه مسلم والنساءى والنقيض بالنون والقاف هو الصوت انتهى من السلاح وعدد ءاي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون ءاية وقيل وست وثمانون ءاية وقيل وسبع وثمانون * قوله تعالى الم * اختلف فى الحروف التى فى اوائل السوَر على قولين فقال الشعبى وسفيان الثورى وجماعة

من المحدثين هي سر الله فى القرءان وهى من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه ولا
يجب ان يتكلم فيها ولكن يومن بها وتمر كما جاءت وقال الجمهور من العلماء بل
يجب ان يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التى تحتها والمعانى التى تتخرج عليها
واختلفوا فى ذلك على اثنيْ عشر قولا فقال علي وابن عباس رضي الله عنهما
الحروف المقطعة فى القرءان هي اسم الله الاعظم الا انا لا نعرف تاليفه منها
وقال ابن عباس ايضا هي اسماء الله اقسم بها وقال ايضا هي حروف تدل على أنا
اللهُ اعلمُ انا الله ارى وقال قوم هي حساب ابى جاد لتدل على مدة ملة محمد
صلى الله عليه وسلم كما ورد فى حديث حيي بن اخطب وهو قول ابى العالية
وغيره * ت * واليه مال السهيلى فى الروض الانف فانظره * قوله تعالى
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الاسم من ذلك الذال والالف واللام
لبعد المشار اليه والكاف للخطاب واختلف فى ذلك هنا فقيل هو بمعنى هذا
وتكون الاشارة الى هذه الحروف من القرءان وذلك انه قد يشار بذلك الى حاضر
تعلق به بعض غيبة وقيل هو على بابه اشارة الى غائب واختلفوا فى ذلك الغائب
فقيل ما قد كان نزل من القرءان وقيل غير ذلك انظره ولا ريب فيه معناه لا شك
فيه وهدى معناه ارشاد وبيان وقوله للمتقين اللفظ ماخوذ من وقى والمعنى الذين
يتقون الله تعالى بامتثال او امره واجتناب معاصيه كان ذلك وقاية بينهم وبين
عذابه * قوله تعالى الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون * يومنون معناه يصدقون وقوله بالغيب قالت طائفة معناه
يصدقون اذا غابوا وخلوا لا كالمنافقين الذين يومنون اذا حضروا ويكفرون اذا
غابوا وقال اخرون معناه يصدقون بما غاب عنهم مما اخبرت به الشرائع وقوله
يقيمون الصلاة معناه يظهرونها ويثبتونها كما يقال اقيمت السوق * ت * وقال

ابو عبد الله النحوي فى اختصاره لتفسير الطبرى اقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها انتهى قال * ص * يقيمون الصلاة من التقويم ومنه اقمت العود او الادامة ومنه قامت السوق او التشمير والنهوض ومنه قام بالامر انتهى وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق عند اهل السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما وينفقون معناه هنا يوتون ما الزمهم الشرع من زكاة وما ندبهم اليه من غير ذلك * قوله تعالى والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون * اختلف المتأولون من المراد بهذه الآية والتى قبلها فقال قوم الآيتان جميعا فى جميع المومنين وقال ءاخرون هما فى مومنى اهل الكتاب وقال ءاخرون الآية الاولى فى مومنى العرب والثانية فى مومنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وفيه نزلت وقوله بما انزل اليك يعنى القرءان وما انزل من قبلك يعنى الكتب السالفة ويوقنون معناه يعلمون علما متمكنا فى نفوسهم واليقين اعلى درجات العلم وقوله تعالى اولئك على هدى من ربهم اشارة الى المذكورين والهدى هنا الارشاد والفلاح الظفر بالبغية وادراك الأمل * قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم الى عظيم * اختلف فيمن نزلت هذه الآية بعد الاتفاق على انها غير عامة لوجود الكفار قد اسلموا بعدها فقال قوم هي فيمن سبق فى علم الله انه لا يومن وقال ابن عباس نزلت فى حيي بن اخطب وابى ياسر بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظرائهم والقول الاول هو المعتمد عليه وقوله سواء عليهم معناه معتدل عندهم والانذار اعلام بتخويف هذا حده وقوله تعالى ختم ماخوذ من الختم وهو الطبع والخاتم الطابع قال فى مختصر الطبرى والصحيح ان هذا الطبع حقيقة لا انه مجاز

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تغلق قلبه فذلك الرّان الذى قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون انتهى والغشاوة الغطاء المغشى الساتر وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم معناه لمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله وعظيم معناه بالاضافة الى عذاب دونه

* قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الى وما يشعرون * هذه الآية نزلت في المنافقين وسمى الله تعالى يوم القيامة اليوم الآخر لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم الا لما تقدمه ليل واختلف المتأولون في قوله يخادعون الله فقال الحسن بن ابى الحسن المعنى يخادعون رسول الله فأضاف الامر الى الله تجوزا لتعلق رسوله به ومخادعتهم هي تحيلهم في ان يفشي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون اليهم اسرارهم * ع * تقول خادعت الرجل بمعنى أعملت التحيل عليه فخدعته بمعنى تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد وقال جماعة بل يخادعون الله والمومنين باظهارهم من الايمان خلاف ما ابطنوا من الكفر وانما خدعوا انفسهم لحصولهم في العذاب وما يشعرون بذلك معناه وما يعلمون علم تفطن وتنبّه وهي لفظة ماخوذة من الشعار كأن الشيء المتفطن له شعار للنفس وقولهم ليت شعرى معناه ليت فطنتى تدرك واختلف ما الذى نفى الله عنهم ان يشعروا له فقالت طائفة وما يشعرون ان ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار وقال اخرون وما يشعرون ان الله يكشف لك سرهم ومخادعتهم في قولهم امنا * قوله تعالى في قلوبهم مرض * اي في عقائدهم فساد وهم المنافقون وذلك اما ان يكون شكا واما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون وقال قوم المرض غمهم

بظهوره صلى الله عليه وسلم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم وقيل هو خبر ان الله قد فعل بهم ذلك وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين * ت * لما تكلم * ع * على تفسير قوله تعالى عليهم دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عزوجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل همزة ويل للمطففين وهي كلها احكام تامة تضمنها خبره تعالى ولهم عذاب اليم اي مولم واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي بالكفر وموالاة الكفرة ولقول المنافقين انما نحن مصلحون ثلاثُ تاويلات احدها جحد انهم يفسدون وهذا استمرار منهم على النفاق والثاني ان يقروا بموالاة الكفار ويدعون انها صلاح من حيث هم قرابة توصل والثالث انهُم يصلحون بين الكفار والمومنين والا استفتاح كلام ولكن حرف استدراك ويحتمل ان يراد هنا لا يشعرون انهم مفسدون ويحتمل ان يراد لا يشعرون ان الله يفضحهم * قوله تعالى واذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس الآية * المعنى صدقوا بمحمد وشرعه كما صدق المهاجرون والمحققون من اهل يثرب قالوا انكون كالذين خفت عقولهم والسفه الخفة والرقة الداعية الى الخفة يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا هلهل النسج وهذا القول انما كانوا يقولونه في خفاء فاطلع الله عليه نبيه عليه السلام والمومنين وقرر ان السفه ورقة الحلوم وفساد البصائر انما هو في حيزهم وصفة لهم واخبر انهم لا يعلمون انهم السفهاء للرين الذى على قلوبهم * وقوله تعالى واذا لقوا الذين ءامنوا الآية * هذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمومنين واظهار الكفر في خلواتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة ان يتحدث الناس عنه انه يقتل اصحابه حسبما وقع في قصة عبد الله بن

ابي بن سلول قال مالك النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة اليوم واختلف المفسرون في المراد بشياطينهم فقال ابن عباس رضي الله عنه هم رؤساء الكفر وقيل الكهان قال البخاري قال مجاهد الى شياطينهم اي اصحابهم من المنافقين والمشركين قال * ص * شياطينهم جمع شيطان وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس وانثاه شيطانة انتهى * ت * ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه رواه ابو داود وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار انتهى من سنن ابي داود * الله يستهزئ بهم * اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيرا وقال قوم ان الله سبحانه يفعل بهم افعالا هي في تأمل البشر هزء روي ان النار تجمد كما تجمد الاهالة فيمشون عليها ويظنون انها منجاة فتخسف بهم وما روي ان ابواب النار تفتح لهم فيذهبون الى الخروج نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن * ت * وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا يقوي هذا المنحى وهكذا نص عليه في اختصار الطبري انتهى وقيل استهزاؤه بهم هو استدراجهم بدرور النعم الدنيوية ويمدهم اي يزيدهم في الطغيان وقال مجاهد معناه يملي لهم والطغيان الغلو وتعدي الحد كما يقال طغى الماء وطغت النار ويعمهون معناه يترددون حيرة والعمه الحيرة من جهة النظر والعامه الذي كانه لا يبصر * قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى قوله يا ايها الناس * قال الفخر اعلم ان المقصود من ضرب المثال انه يؤثر في القلوب

ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه لان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك هو النهاية في الايضاح الا ترى ان الترغيب والترهيب اذا وقع مجردا عن ضرب مثل لم يتأكد وقوعه في القلب كتأكده مع ضرب المثل ولهذا اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه الامثال قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون انتهى والمَثَل والمِثْل والمَثِيل واحد معناه الشبيه قاله اهل اللغة واستوقد قيل معناه اوقد واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذى يشبه فعل الذى استوقد نارا فقالت فرقة هي فيمن كان ءامن ثم كفر بالنفاق فايمانه بمنزلة النار اضاءت وكفره بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور وقالت فرقة منهم قتادة نطقهم بلا اله الا الله والقرءان كاضاءة النار واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها قال جمهور النحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من نورهم على الذى وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد لان بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الخلاف المتقدم وقال قوم جواب لما مضمر وهو طفئت فالضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا هو عن حال لهم تكون في الآخرة وهو قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية وهذا القول غير قوي والاصم الذى لا يسمع والابكم الذى لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد ووصفهم بهذه الصفات اذ اعمالهم من الخطإ وعدم الاجابة كاعمال من هذه صفته وصم رفع على خبر الابتداء اما على تقدير تكرير اولئك او اضمارهم وقوله تعالى فهم لا يرجعون قيل معناه لا يومنون بوجه وهذا انما يصح ان لو كانت الآية في معيّنين وقيل معناه فهم لا يرجعون ما داموا على الحال التى وصفهم بها وهذا هو الصحيح او كصيب او للتخيير معناه مثلوهم بهذا او بهذا والصيب المطر من

صاب يصوب اذا انحط من علو الى سفل وظلمات بالجمع اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الدجن ومن حيث تتراكب وتتزيد جمعت وكون الدجن مظلما هول وغم للنفوس بخلاف السحاب والمطر اذا انجلى دجنه فانه سار جميل واختلف العلماء فى الرعد فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد وقيل الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد اسم الصوت المسموع قاله علي بن ابى طالب واكثر العلماء على ان الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب واختلفوا فى البرق فقال علي بن ابى طالب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم هو مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب وهذا اصح ما روي فيه وقال ابن عباس هو سوط نور بيد الملك يزجي به السحاب وروي عنه ان البرق ملك يتراءى واختلف المتأولون فى المقصد بهذا المثل وكيف تترتب احوال المنافقين الموازنة لما فى المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال جمهور المفسرين مثل الله تعالى القرءان بالصيب فما فيه من الاشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة هو البرق وتخوفهم وروعهم وحذرهم هو جعل اصابعهم فى ءاذانهم وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التى يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه هي الصواعق وهذا كله صحيح بين وقال ابن مسعود ان المنافقين فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجعلون اصابعهم فى ءاذانهم لئلا يسمعوا القرءان فضرب الله المثل لهم وهذا وفاق لقول الجمهور ومحيط بالكافرين معناه بعقابهم يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا حاصرا من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره

ويكاد فعل ينفى المعنى مع ايجابه ويوجبه مع النفي فهنا لم يخطف البرق الابصار والخطف الانتزاع بسرعة ومعنى يكاد البرق يخطف ابصارهم تكاد حجج القرءان وبراهينه وءاياته الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق فى المثل الزجر والوعيد قال يكاد ذلك يصيبهم وكلما ظرف والعامل فيه مشوا وقاموا معناه ثبتوا ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القرءان وظهرت لهم الحجج انسوا ومشوا معه فإذا نَزَلَ من القرءان ما يعمهون فيه ويضلون به او يكلفونه قاموا اي ثبتوا على نفاقهم وروي عن ابن مسعود ان معنى الآية كلما صلحت احوالهم فى زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة او اصابتهم شدة سخطوه وثبتوا فى نفاقهم ووحد السمع لانه مصدر يقع للواحد والجمع وقوله سبحانه على كل شيء قدير لفظه العموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه وقدير بمعنى قادر وفيه مبالغة وخص هنا سبحانه صفته التى هي القدرة بالذكر لانه قد تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والاخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك * قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الآية * يا حرف نداء وفيه تنبيه واىي هو المنادى قال مجاهد يا ايها الناس حيث وقع فى القرءان مكي ويا ايها الذين ءامنوا مدني قال * ع * قد تقدم فى اول السورة انها كلها مدنية وقد يجيء فى المدنى يا ايها الناس واما قوله فى يا ايها الذين ءامنوا فصحيح اعبدوا ربكم معناه وحدوه وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم اذ كانت العرب مقرة بان الله خلقها فذكر ذلك سبحانه حجة عليهم ولعل فى هذه الآية قال فيها كثير من المفسرين هي بمعنى ايجاب التقوى وليست من الله تعالى بمعنى ترج وتوقع وفى مختصر الطبرى لعلكم تتقون عن مجاهد اي لعلكم تطيعون والتقوى التوقي من عذاب الله

بعبادته وهي من الوقاية واما لعل هنا فهي بمعنى كي اولام كي اي لتتقوا اولكي تتقوا وليست هنا من الله تعالى بمعنى الترجى وانما هي بمعنى كي وقد تجيء بمعنى كي في اللغة قال الشاعر

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا * نكف ووثقتم لنا كل موثق

انتهى قال * ع * وقال سيبويه ورؤساء اللسان هي على بابها والترجى والتوقع انما هو في حيز البشر اي اذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لانفسكم التقوى ولعل متعلقة بقوله اعبدوا ويتجه تعلقها بخلقكم اي لمّا وُلِدَ كل مولود على الفطرة فهو ان تأمله متأمل توقع له ورجا ان يكون متقيا وتتقون ماخوذ من الوقاية وجعل بمعنى صير في هذه الآية لتعديها الى مفعولين وفراشا معناه تفترشونها والسماء قيل هو اسم مفرد جمعه سماوات وقيل هو جمع واحده سماوة وكل ما ارتفع عليك في الهواء فهو سماء وانزل من السماء يريد السحاب سمي بذلك تجوزا لمّا كان يلي السماء وقد سموا المطر سماء للمجاورة ومنه قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فتجوز ايضا في رعيناه وواحد الانداد ند وهو المقاوم والمضاهي واختلف المتأولون من المخاطب بهذه الآية فقالت جماعة من المفسرين المخاطب جميع المشركين فقوله سبحانه على هذا وانتم تعلمون يريد العلم الخاص في انه تعالى خلق وانزل الماء واخرج الرزق وقيل المراد كفار بني اسرايل فالمعنى وأنتم تعلمون من الكتب التي عندكم ان الله لا ند له وقال ابن فورك يحتمل ان تتناول الآية المومنين * قوله تعالى * وان كنتم في ريب اي في شك فاتوا بسورة من مثله الضمير في مثله عند الجمهور عائد على القران وادعوا شهداءكم اي من شهدكم وحضركم من عون ونصير قاله ابن عباس ان كنتم صادقين اي فيما قلتم من انكم

تقدرون على معارضته ويؤيد هذا القول ما حكي عنهم فى ءاية اخرى لو نشاء لقلنا مثل هذا وفى قوله جل وعلا ولن تفعلوا اثارة لِهِمَمِهِمْ وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابدع وهو ايضا من الغيوب التى اخبر بها القرءان * وقوله تعالى * فاتقوا النار امر بالايمان وطاعة الله قال الفخر ولما ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار واتقاء النار يوجب ترك العناد فاقيم قوله فاتقوا النار مقام قوله واتركوا العناد ووصف النار بانها تتقد بالناس والحجارة وذلك يدل على قوتها نجانا الله منها برحمته الواسعة وقرن الله سبحانه الناسَ بالحجارة لانهم اتخذوها فى الدنيا اصناما يعبدونها قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فاحدى الآيتين مفسرة للأخرى وهذا كتعذيب مانعى الزكاة بنوع ما منعوا انتهى * قوله تعالى وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات الآية * بشر ماخوذ من البشرة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنه اثرٌ فى بشرة الوجه والا غلب استعمال البشارة فى الخير وقد تستعمل فى الشر مقيدة به كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ البشارة فانما يحمل على الخير وفى قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان لفظة الايمان بمجردها تقتضى الطاعات لانه لوكان كذلك ما اعادها وجنات جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له الفردوس وروى النساءي عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ثياب الجنة تشقق عنها ثمر الجنة وروى الترمذى عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما فى الجنة شجرة الاوساقها من ذهب قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة * ت * وفى الباب عن ابن عباس وجرير بن عبد الله وغيرهما وسميت الجنة جنة

لانها تجن من دخلها اي تستره ومنه الْمِجَنّ وَالْجَنَنُ وجن الليل ومن تحتها معناه من تحت الاشجار التي يتضمنها ذكر الجنة * ت * ومن اعظم البشارات ان هذه الامة هم ثلثا اهل الجنة وقد خرج ابو بكر بن ابي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتي يوم القيامة ثلثا اهل الجنة ان اهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك ثمانون صفا. وخرج ابن ماجه والترمذي عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة للقرطبي والانهار المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة ماخوذة من انهرت اي وسعت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح حتى جرى الدم كالنهر ونسب الجري الى النهر وانما يجري الماء تجوزا كما قال سبحانه واسأل القرية وروي ان انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح ارض الجنة منضبطة وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذى رزقنا منه من قبل والكلام يحتمل ان يكون تعجبا منهم وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يكون خبرا من بعضهم لبعض قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضا وقال ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات فمتباينة وقال بعض المتأولين المعنى انهم يرون الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره ما كان في الدنيا فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل في الدنيا وقال قوم ان ثمر الجنة اذا قطف منه شيء خرج في الحين في موضعه مثله فهذا اشارة الى الخارج في موضع المجنى

* وقوله تعالى * متشابها قال ابن عباس وغيره معناه يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى الطعم وازواج جمع زوج ويقال فى المرأة زوجة والاول اشهر ومطهرة ابلغ من طاهرة اي مطهرة من الحيض والبزاق وسائر اقذار الادميات والخلود الدوام وخرج ابن ماجة عن اسامة بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه الا مشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها هي ورب الكعبة نور تتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة فى مقام ابد فى حبرة ونضرة فى دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه انتهى من التذكرة وقوله لا خطر لها بفتح الطاء قيل معناه لاعوض لها * قوله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها * لما كان الجليل القدر فى الشاهد لا يمنعه من الخوض فى نازل القول الا الحياء من ذلك رد الله بقوله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما على القائلين كيف يضرب الله مثلا بالذباب ونحوه واختلف فى قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا هل هو من قول الكافرين او خبر من الله تعالى ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين من قول الله تعالى والفسق الخروج عن الشيء يقال فسقت الفارة اذا خرجت من جحرها والرطبة اذا خرجت من قشرها والفسق فى عرف استعمال الشرع الخروج من طاعة الله عزوجل بكفر اوعصيان * قوله تعالى * الذين ينقضون عهد الله النقض رد ما ابرم على اوله غير مبرم والعهد فى هذه الآية التقدم فى الشيء والوصاة به وظاهر مما قبل وبعد انه فى جميع الكفار * ع * وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الآية والخاسر الذى نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز والخسران النقص كان فى ميزان او غيره * قوله تعالى كيف

تكفرون بالله * هو تقرير وتوبيخ اي كيف تكفرون ونعمه عليكم وقدرته هذه والواو فى قوله وكنتم واو الحال واختلف فى قوله تعالى وكنتم امواتا الآية فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقكم واخرجكم الى الدنيا فاحياكم ثم يميتكم الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وهذا التأويل هو اولى ما قيل لانه هو الذي لا محيد للكفار عن الاقرار به والضمير فى اليه عائد على الله تعالى اي الى ثوابه او عقابه وخلق معناه اخترع واوجد بعد العدم ولكم معناه للاعتبار ويدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العِبر الاحياء والاماتة والاستواء الى السماء وتسويتها * وقوله تعالى ثم استوى الى السماء * ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر فى نفسه واستوى قال قوم معناه علا دون كيف ولا تحديد هذا اختيار الطبري والتقدير علا امره وقدرته وسلطانه وقال ابن كيسان معناه قصد الى السماء * ع * اي بخلقه واختراعه والقاعدة فى هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان وسواهن قيل جعلهن سواء وقيل سوى سطوحهن بالاملاس وقال الثعلبي فسواهن اي خلقهن انتهى وهذه الآية تقتضي ان الارض وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت الارض بعد خلق السماء وبهذا تتفق معانى الآيات هذه والتى فى صورة المومن وفى النازعات * وقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة * اذ ليست بزائدة عند الجمهور وانما هي معلقة بفعل مقدر تقديره واذكر اذ قال واضافة رب الى محمد صلى الله عليه وسلم ومخاطبته بالكاف تشريف منه سبحانه لنبيه واظهار لاختصاصه به والملائكة واحدها ملك والهاء فى ملائكة لتأنيث الجُموع غير حقيقى وقيل هي للمبالغة كعلّامة ونسّابة والاول ابين وجاعل

فى هذه الآية بمعنى خالق وقال الحسن وقتادة جاعل بمعنى فاعل وقال ابن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الارض هنا هي مكة لان الارض دحيت من تحتها ولانها مقر من هلك قومه من الانبياء وان قبر نوح وهود وصالح بين المقام والركن وخليفة معناه من يخلف قال ابن عباس كانت الجن قبل بنى ءادم فى الارض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله اليهم قبيلا من الملائكة قتلهم والحق فلّهم بجزائر البحار وروس الجبال وجعل ءادم وذريته خليفة وقال ابن مسعود انما معناه خليفة منى فى الحكم * وقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها الآية * قد علمنا قطعا ان الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول وذلك عام فى جميع الملائكة لان قوله تعالى لا يسبقونه بالقول خرج على جهة المدح لهم قال القاضى ابن الطيب فهذه قرينة العموم فلا يصح مع هذين الشرطين الا ان يكون عندهم من افساد الخليفة نبأ ومقدمة قال ابن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم ان الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه او من عصيان من يستخلفه الله فى ارضه وينعم عليه بذلك واما على طريق الاستعظام والاكبار للفصلين جميعا الاستخلاف والعصيان وقال احمد بن يحي ثعلب وغيره انما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من افساد الجن وسفكهم الدماء فى الارض فجاء قولهم اتجعل فيها الآية على جهة الاستفهام المحض هل هذا الخليفة يا ربنا على طريقة من تقدم من الجن ام لا وقال ءاخرون كان الله تعالى قد اعلم الملائكة انه يخلق فى الارض خلقا يفسدون ويسفكون الدماء فلما قال لهم سبحانه بعد ذلك انى جاعل قالوا ربنا اتجعل فيها الآية على جهة الاسترشاد والاستعلام هل هذا الخليفة هو الذى كان اعلمهم به سبحانه قبل او

غيره ونحو هذا فى مختصر الطبرى قال وقولهم اتجعل فيها ليس بانكار لفعاد عز وجل وحكمه بل استخبار هل يكون الامر هكذا وقد وجهد بعضهم بانهم استعظموا لافساد وسفك الدماء فكانهم سألوا عن وجه الحكمة فى ذلك اذ علموا انه عز وجل لا يفعل الا حكمة انتهى * ت * والعقيدة ان الملائكة معصومون فلا يقع منهم ما يوجب نقصانا من رتبتهم وشريف منزلتهم صلوات الله وسلامه على جميعهم والسفك صب الدم هذا عرفه وقولهم ونحن نسبح بحمدك قال بعض المتأولين هو على جهة الاستفهام كانهم ارادوا ونحن نسبح بحمدك الآية ام نتغير عن هذه الحال قال * ع * وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض فى قولهم اتجعل وقال اخرون معناه التمدح ووصف حالهم وذلك جائز لهم كما قال يوسف انى حفيظ عليم وهذا يحسن مع التعجب والاستعظام لان يستخلف الله من يعصيه فى قولهم اتجعل وعلى هذا ادبهم بقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون ومعنى نسبح بحمدك ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود تسبيح الملائكة صلاتهم لله سبحانه وقال قتادة تسبيحهم قولهم سبحان الله على عرفه فى اللغة وبحمدك معناه نصل التسبيح بالحمد ويحتمل ان يكون قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين كانهم قالوا ونحن نسبح ونقدس وانت المحمود فى الهداية الى ذلك وخرج مسلم فى صحيحه عن ابى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى ان احب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده وفى رواية سئل صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده وفى صحيحي البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان

الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث به ختم البخاري رحمه الله انتهى ونقدس لك قال الضحاك وغيره معناه نطهو انفسنا لك ابتغاء مرضاتك والتقديس التطهير بلا خلاف ومنه الارض المقدسة اي المطهرة وقال ءاخرون ونقدس لك معناه نقدسك اي نعظمك ونطهر ذكرك مما لا يليق به قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون * قال ابن عباس كان ابليس لعنه الله قد اعجب بنفسه ودخله الكبر لما جعله الله خازن السماء الدنيا واعتقد ان ذلك لمزية له فلما قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهى لا تعلم ان فى نفس ابليس خلاف ذلك قال الله سبحانه انى اعلم ما لا تعلمون يعنى ما فى نفس ابليس وقال قتادة لما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقد علم الله ان فى من يستخلف فى الارض انبياء وفضلاء واهل طاعة قال لهم انى اعلم ما لا تعلمون يعنى افعال الفضلاء * وقوله تعالى وعلم ءادم الاسماء كلها * معناه عرف وتعليم ءادم هنا عند قوم الهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم بقول اما بواسطة ملك او بتكليم قبل هبوطه الارض فلا يشارك موسى عليه السلام فى خاصته * ت * قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابى جمرة تعليمه سبحانه لادم الاسماء كلها انما كان بالعلم اللدني بلا واسطة انتهى من كتابه الذى شرح فيه بعض احاديث البخاري وكل ما انقله عنه فمنه واختلف المتأولون فى قوله الاسماء فقال جمهور الامة علمه التسميات وقال قوم عرض عليه الاشخاص والاول ابين ولفظة علم تعطى ذلك ثم اختلف الجمهور فى اي الاسماء علمه فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد علمه اسم كل شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها وقال الطبري علمه اسماء ذريته والملائكة ورجحه بقوله تعالى ثم عرضهم وقال اكثر

العلماء ءمه تعالى منافع كل شيء ولما يصلح وقيل غير هذا واختلف المتأولون هل عرض على الملائكة اشخاص الاسماء او الاسماء دون الاشخاص وانبئونى معناه اخبرونى والنبأ الخبر وقال قوم يخرج من هذا الامر بالانباء تكليف ما لا يطاق ويتقرر جوازه لانه سبحانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون من اهل التأويل ليس هذا على جهة التكليف انما هو على جهة التقرير والتوقيف * وقوله تعالى هؤلاء ظاهره حضور اشخاص وذلك عند العرض على الملائكة وليس فى هذه الآية ما يدل ان الاسم هو المسمى كما ذهب اليه مكي والمهدوي والذى يظهر ان الله تعالى علم ءادم الاسماء وعرض مع ذلك عليه الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التى قد تعلمها ءادم ثم ان ءادم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وهؤلاء مبني على الكسر وكنتم فى موضع الجزم بالشرط والجواب عند سيبويه فيما قبله وعند المبرد محذوف تقديره ان كنتم صادقين فانبئونى وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معنى الآية ان كنتم صادقين فى ان الخليفة يفسد ويسفك * ت * وفى النفس من هذا القول شيء والملائكة منزهون معصومون كما تقدم والصواب ما تقدم من التفسير عند قوله تعالى اتجعل فيها الآية وقال ءاخرون ان كنتم صادقين فى انى ان استخلفتكم سبحتم بحمدى وقدستم لى وقال قوم معناه ان كنتم صادقين فى جواب السؤال عالمين بالاسماء وسبحانك معناه تنزيها لك وتبرئة ان يعلم احد من علمك الا ما علمته والعليم معناه العالم ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير فى المعلومات والحكيم معناه الحاكم وبينهما مزية المبالغة وقيل معناه المُحْكِم وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه حَكَمة الفرس مانعته * وقوله تعالى قال يا ءادم انبئهم باسمائهم انبئهم معناه اخبرهم

والضمير فى انبئهم عائد على الملائكة باجماع والضمير فى اسمائهم مختلف فيه حسب الاختلاف فى الاسماء التى علمها ءادم قال بعض العلماء ان فى قوله تعالى فلما انبأهم نبوءة ءلادم عليه السلام اذ امره الله سبحانه ان ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عز وجل * وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه ما غاب عنكم لان الله تعالى لا يغيب عنه شيء الكل معلوم له واختلف فى قوله تعالى ما تبدون وماكنتم تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم فى معرفة اسرارهم وظواهرهم وبواطنهم اجمع واذ من قوله واذ قلنا للملائكة معطوفة على اذ المتقدمة وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم فى الازل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب كله فى اوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته * ت * ما ذكره رحمه الله هو عقيدة اهل السنة وها انا انقل من كلام الائمة ان شاء الله ما يتبين به كلامه ويزيده وضوحا قال ابن رشد قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يفهم منه ان لله عز وجل كلمات غير تامات لان كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات ذاته يستحيل عليها النقص وفى الحديث بيان واضح على ان كلماته عز وجل غير مخلوقة اذ لا يستعاذ بمخلوق وهذا هو قول اهل السنة والحق ان كلام الله عز وجل صفة من صفات ذاته قديم غير مخلوق لان الكلام هو المعنى القائم فى النفس والنطق به عبارة عنه قال الله عز وجل ويقولون فى انفسهم فاخبر ان القول معنى يقوم فى النفس وتقول فى نفسى كلام اريد ان اعلمك به فحقيقة كلام الرجل هو المفهوم من كلامه واما الذى تسمعه منه فهو عبارة عنه وكذلك كلام الله عز وجل القديم الذى هو صفة من صفات ذاته هو المفهوم من قراءة القارئ لا نفس قراءته التى تسمعها لان نفس قراءته التى تسمعها محدثة لم تكن حتى قرأ بها فكانت وهذا كله بين الا لمن

اعمى الله بصيرته انتهى بلفظه من البيان وقال الغزالي بعد كلام له نحو ما تقدم لابن رشد وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله سبحانه له علما بما فى قلب ابيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل فاخلع نعليك بذات الله تعالى ومصير موسى عليه السلام سامعا لذلك الكلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ومعرفة بذلك الكلام القديم انتهى بلفظه من الاحياء * وقوله للملائكة عموم فيهم والسجود فى كلام العرب الخضوع والتذلل وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور على ان سجود الملائكة لادم ايماء وخضوع ولا تدفع الآية ان يكونوا بلغوا غاية السجود وقوله تعالى فقعوا له ساجدين لا دليل فيه لان الجاثي على ركبتيه واقع واختلف فى حال السجود لادم فقال ابن عباس تعبدهم الله بالسجود لادم والعبادة فى ذلك لله وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس ايضا كان سجود تحية كسجود ابوي يوسف عليه السلام له لا سجود عبادة وقال الشعبي انما كان ادم كالقبلة ومعنى لادم الى ادم * ع * وفى هذه الوجوه كلها كرامة لادم عليه السلام * وقوله تعالى الا ابليس نصب على الاستثناء المتصل لانه من الملائكة على قول الجمهور وهو ظاهر الآية وكان خازنا وملكا على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل قاله ابن عباس وقال ابن زيد والحسن هو ابو الجن كما ادم ابو البشر ولم يك قط ملكا وقد روي نحوه عن ابن عباس ايضا قال واسمه الحارث وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين كانوا فى الارض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب معها وحكاه الطبرى عن ابن مسعود والاستثناء على هذه الاقوال منقطع واحتج بعض

اصحاب هذا القول بان الله تعالى قال فى صفة الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ورجح الطبرى قول من قال ان ابليس كان من الملائكة وقال ليس فى خلقه من نار ولا فى تركيب الشهوة والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة وقوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه يتخرج على انه عمل عملهم فكان منهم فى هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا لاستتارها قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى فى ذكر سليمان عليه السلام

وسخر من جن الملائك تسعة * قياما لديه يعملون بلا اجر

او على ان يكون نسبه الى الجنة كما ينسب الى البصرة بصري قال عياض ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورءيسا فيهم ومن خزان الجنة الى ما حكوه وهذا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن انتهى من الشفا وابليس لا ينصرف لانه اسم اعجمي قال الزجاج ووزنه فعليل وقال ابن عباس وغيره هو مشتق من أَبْلِسَ اذا ابعد عن الخير ووزنه على هذا افعيل ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه وقلته ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون اي يائسون من الخير مبعدون منه فيما يرون وابى معناه امتنع من فعل ما امر به واستكبر دخل فى الكبرياء والاباية مقدمة على الاستكبار فى ظهورهما عليه والاستكبار والأَنَفَة مقدمة فى معتقده وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد ابليس ءادم وتكبر وشح ءادم فى اكله من شجرة قد نهي عن قربها * ت * اطلاق الشح على ءادم فيه ما لا يخفى عليك والواجب اعتقاد تنزيه الانبياء عن كل ما يحط من رتبتهم وقد قال الله تعالى فى حق ءادم ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجدله عزما * وقوله تعالى وكان من

الكافرين قالت فِرقة معناه وصار من الكافرين ورده ابن فورك وقال جهور المتأولين معنى وكان من الكافرين اي فى علم الله تعالى وقال ابو العالية معناه من العاصين وذهب الطبري الى ان الله تعالى اراد بقصة ابليس تقريع اشباهه من بنى ءادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم بنبوءته ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم * ت * ولفظ الطبري وفى هذا تقريع لليهود اذ ابوا من الاسلام مع علمهم بنبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة والكتب حسدا له ولبنى اسماعيل كما امتنع ابليس من السجود حسدا ءلادم وتكبرا عن الحق وقبوله فاليهود نظراء ابليس فى كفرهم وكبرهم وحسدهم وتركهم الانقياد لامر الله تعالى انتهى من مختصر الطبري لابى عبد الله اللخمي النحوي واختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنة ولا خلاف انه كان عالما بالله قبل كفره ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال ءلادم اسكن * قوله تعالى وقلنا يا ءادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكن معناه لازم الاقامة ولفظه لفظ الامر ومعناه الاذن واختلف فى الجنة التى اسكنها ءادم عليه السلام هل هي جنة الخلد او جنة اخرى * ت * والاول هو مذهب اهل السنة والجماعة وكلا منها اي من الجنة والرغد العيش الدارّ الهني وحيث مبنية على الضم * وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة معناه لا تقرباها باكل والهاء فى هذه بدل من الياء وتحتمل هذه الاشارة ان تكون الى شجرة معينة واحدة واختلف فى هذه الشجرة ما هي فقال ابن عباس وابن مسعود هي الكرم وقيل هي شجرة التين وقيل السنبلة وقيل غير ذلك وقوله فتكونا من الظالمين الظالم فى اللغة الذى يضع الشيء فى غير موضعه والظلم فى احكام الشرع على مراتب اعلاها الشرك ثم ظلم المعاصى وهي

مراتب وازلهما ماخوذ من الزلل وهو فى الآية مجاز لانه فى الرأي والنظر وانما حقيقة الزلل فى القدم وقرأ حمزة فَأَزَالَهُمَا ماخوذ من الزوال ولا خلاف بين العلماء ان ابليس اللعين هو متولى اغواء ءادم عليه السلام واختلف فى الكيفية فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء اغواهما مشافهة بدليل قوله تعالى وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقالت طائفة ان ابليس لم يدخل الجنة بعد ان اخرج منها وانما اغوى ءادم بشيطانه وسلطانه ووَسَاوِسِهِ التى اعطاه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن ءادم مجرى الدم * ت * والى هذا القول نحا المازرى فى بعض اجوبته ومن ابتلي بشيء من وسوسة هذا اللعين فاعظم الادوية له الثقة بالله والتعوذ به والاعراض عن هذا اللعين وعدم الالتفات اليه ما امكن قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن كان بي وسواس فى الوضوء فقال لى الشيخ ابو العباس المرسي ان كنت لا تترك هذه الوسوسة لا تعد تاتنا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عنى وكان الشيخ ابو العباس يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز انتهى قال عياض فى الشفا واما قصة ءادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ءادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن عباس نسي عداوة ابليس وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف

ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد
روي عذر ءادم مثل هذا فى بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى
غَرَّهُما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم
نجدله عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر
وقال ابن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوءة ودليل ذلك
قوله تعالى وعصى ءادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان
الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها وهو متأول وهو لا يعلم انها
الشجرة التى نهي عنها لانه تأول نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لاعلى
الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول
ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم انتهى بلفظه فجزاه الله خيرا ولقد جعل
الله فى شفاه شفاء والضمير فى عنها يعود على الجنة وهنا محذوف يدل عليه الظاهر
تقديره فاكلا من الشجرة * وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه قيل معناه
من نعمة الجنة الى شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفل مكانة الذنب
* ت * وفى هذا القول ما فيه بل الصواب ما اشار اليه صاحب التنوير بان
اخراج ءادم لم يكن اهانة له بل لما سبق فى علمه سبحانه من اكرام ءادم
وجعله فى الارض خليفة هو واخيار ذريته قائمين فيها بما يجب لله من عبادته
والهبوط النزول من علو الى سفل واختلف من المخاطب بالهبوط فقال السدي
وغيره ءادم وحواء وابليس والحية التى ادخلت ابليس فى فمها وقال الحسن ءادم
وحواء والوسوسة و بعضكم لبعض عدو جملة فى موضع الحال ولكم فى الارض مستقر اي
موضع استقرار وقيل المراد الاستقرار فى القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل
ولبس وحديث وانس وغير ذلك واختلف فى الحين هنا فقالت فرقة الى

الموت وهذا قول من يقول المستقر هو المقام فى الدنيا وقالت فرقة الى حين الى يوم القيامة وهذا هو قول من يقول المستقر هو فى القبور والحين المدة الطويلة من الدهر اقصرها فى الأيمان والالتزامات سَنَةٌ قال الله تعالى توتى اكلها كل حين وقيل اقصرها ستة اشهر لان من النخل ما يطعم فى كل ستة اشهر وفى قوله تعالى الى حين فائدة ءلادم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التى وعد بالرجوع اليها وهي لغير ءادم دالة على المعاد وروي ان ءادم نزل على جبل من جبال سرنديب وان حواء نزلت بجُدة وان الحية نزلت باصبهان وقيل بميسان وان ابليس نزل عند الابلة * قوله تعالى فتلقى ءادم من ربه كلمات المعنى فقال الكلمات فتاب الله عليه عند ذلك وقرأ ابن كثير ءادم بالنصب من ربه كلمات بالرفع واختلف المتأولون فى الكلمات فقال الحسن بن ابى الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقالت طائفة ان ءادم رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به فهي الكلمات وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغى ان يقوله المذنب فقال يقول ما قاله ابواه ربنا ظلمنا انفسنا وما قاله موسى رب انى ظلمت نفسي فاغفر لى وما قال يونس لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وتاب عليه معناه راجع به والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستانف * ت * يعنى مع العزم على تركه فيما يستقبل وانما خص الله تعالى ءادم بالذكر فى التلقى والتوبة وحواء مشاركة له فى ذلك باجماع لانه المخاطب فى أول القصة فكملت القصة بذكره وحده وايضا فلان المرأة حرمة ومستورة فاراد الله تعالى الستر لها ولذلك لم يذكرها فى المعصية فى قوله وعصى ءادم ربه وبنية التوّاب

للمبالغة والتكثير وفى قوله تعالى هو التوّاب تأكيد فائدته ان التوبة على العبد
انما هي نعمة من الله تعالى لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب بل الواجب
عليه شكر الله تعالى فى توبته عليه وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما
حكما غير حكم الآخر فعلق بالاول العداوة وبالثانى اتيان الهدى * ت *
وهذه الآية تبين ان هبوط ءادم كان هبوط تكرمة لما ينشأ عن ذلك من انواع
الخيرات وفنون العبادات وجميعا حال من الضمير فى اهبطوا واختلف فى المقصود
بهذا الخطاب فقيل ءادم وحواء وابليس وذريتهم وقيل ظاهره العموم ومعناه
الخصوص فى ءادم وحواء لان ابليس لا ياتيه هدى والاول اصح لان ابليس
مخاطب بالايمان باجماع وان فى قوله فاما هي للشرط دخلت ما عليها مؤكدة
ليصح دخول النون المشددة واختلف فى معنى قوله هدى فقيل بيان وارشاد
والصواب ان يقال بيان ودعاء وقالت فرقة الهدى الرسُل وهي الى ءادم من
الملائكة والى بنيه من البشر هو فمن بعده * وقوله تعالى فمن تَبِع هداي
شرط جوابه فلا خوف عليهم قال سيبويه والشرط الثانى وجوابه
هما جواب الاول فى قوله فاما ياتينكم * وقوله تعالى
فلا خوف عليهم يحتمل فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على
ما فاتهم منها ويحتمل لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون فيه
* ت * وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر فى اختصار الطبري ولفظه عن ابن زيد
فلا خوف عليهم اي لا خوف عليهم امامهم قال وليس شيء اعظم فى صدر من
يموت مما بعد الموت فامنهم سبحانه منه وسلاهم عن الدنيا انتهى * وقوله تعالى
والذين كفروا الآية لما كانت لفظة الكفر يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصى
ولا يجب بهذا خلود بين سبحانه ان الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا بآياتنا

والآيات هنا يحتمل ان يريد بها المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة والصحبة الاقتران بالشيء في حالة ما زَمَنًا * قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي * اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وإسْرًا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله والذكر في كلام العرب على انحاء وهذا منها ذكر القلب الذي هو ضد النسيان والنعمة هنا اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع قال ابن عباس وجمهور العلماء الخطاب لجميع بني اسرائيل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم امر وجوابه وهذا العهد في قول جمهور العلماء عام في جميع اوامره سبحانه ونواهيه ووصاياه لهم فيدخل في ذلك ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الذي في التوراة والرهبة يتضمن الامر بها معنى التهديد واسند الترمذي الحكيم في نوادر الاصول له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم سبحانه لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فمن خافني في الدنيا امنته في الآخرة ومن امنني في الدنيا اخفته في الآخرة انتهى من التذكرة للقرطبي ورواه ابن المبارك في رقائقه من طريق الحسن البصري وفيه قال الله وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة انتهى ورواه ايضا الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية بقدر ما يدخل القلب من التعظيم والحرمة تنبعث الجوارح في الطاعة والخدمة انتهى وءامنوا معناه صدقوا ومصدقا نصب على الحال من الضمير في انزلت وما انزلت كناية عن القرءان ولما معكم يعني التوراة * وقوله ولاتكونوا أول كافر به هذا من مفهوم الخطاب الذي المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد وَحُذِّرُواْ البدار الى الكفر به اذ على الاول كفل

من فعل المقتدى به ونصب اول على خبر كان * ع * وقد كان كفر قبلهم كفار قريش وانما معناه من اهل الكتاب اذهم منظور اليهم فى مثل هذا واختلف فى الضمير فى به فقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل على القرءان وقيل على التوراة واختلف فى الثمن الذى نهوا ان يشتروه بالآيات فقالت طائفة ان الاحبار كانوا يُعلِّمون دينَهم بالاجرة فنهوا عن ذلك وفى كتبهم علم مجانا كما علمت مجانا اي باطلا بغير اجرة وقيل كانت لِلاحبار ماكلة ياكلونها على العِلْم وقال قوم ان الاحبار اخذوا رُشى على تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة فنهوا عن ذلك وقال قوم معنى الآية ولا تشتروا باوامرى ونواهي واياتى ثمنا قليلا يعنى الدنيا ومدتها والعيش الذى هو نزر لا خطر له وقد تقدم نظير قوله واياي فاتقون وبين اتقون وارهبون فرق ان الرهبة مقرون بها وعيد بالغ * وقوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخلطوا قال ابو العالية قالت اليهود محمد نبي مبعوث لكن الى غيرنا فاقرارهم ببعثه حق وقولهم الى غيرنا باطل وتكتموا الحق اي امر محمد صلى الله عليه وسلم وفى هذه الالفاظ دليل على تغليظ الذنب على من وقع فيه مع العلم به وانه اعصى من الجاهل وانتم تعلمون جملة فى موضع الحال قال * ص * وتكتموا مجزوم معطوف على تلبسوا والمعنى النهي عن كل من الفعلين انتهى واقيموا الصلاة معناه اظهروا هيئتها واديموها بشروطها والزكوة فى هذه الآية هي المفروضة وهي ماخوذة من النماء وقيل من التطهير * وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين قيل انما خص الركوع بالذكر لان بنى اسراءيل لم يكن فى صلاتهم ركوع * ت * وفى هذا القول نظر وقد قال تعالى فى مريم اسجدى واركعى وقالت فرقة انما قال مع لان الامر بالصلاة اولا لم يقتض شهود الجماعة فامرهم بقوله مع شهود

الجماعة * ت * وهذا القول هو الذى عول عليه * ع * فى قصة مريم عليها السلام والركوع لا نحناء بالشخص * وقوله تعالى اتامرون خرج مخرج الاستفهام ومعناه التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير والطاعات وتنسون معناه تتركون انفسكم قال ابن عباس كان الاحبار يامرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة وكانوا هم يخالفونها فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة كان الاحبار اذا استرشدهم احد من العرب فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم دلوه على ذلك وهم لا يفعلونه * ت * وخرج الحافظ ابو نعيم احمد ابن عبد الله الاصبهانى فى كتاب رياضة المتعلمين قال حدثنا ابو بكر بن خلاد حدثنا الحارث بن ابى اسامة حدثنا ابو النصر حدثنا محمد بن عبد الله بن علي ابن زيد عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بى رجالا تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الخطباء من امتك الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون انتهى واستعينوا بالصبر والصلاة قال مقاتل معناه على طلب الآخرة وقيل استعينوا بالصبر على الطاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله سبحانه وبالصلاة على نيل رضوان الله وحط الذنوب وعلى مصائب الدهر ايضا ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه ما روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه قُثَمٌ وهو فى سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة وقال مجاهد الصبر فى هذه الآية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما فى ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد فى الدنيا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وتخشع ويقرأ فيها القرءان الذى يذكر بالآخرة وقال قوم الصبر على بابه والصلاة الدعاء وتجىء الآية على هذا القول مشبهة لقوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لان الثبات هو الصبر وذكر الله هو الدعاء وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن صلة بن اشيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يذكر فيها شيأ من امر الدنيا لم يسأل الله شيأ الا اعطاه اياه واسند ابن المبارك عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ فاحسن وضوءه ثم صلى صلاة غير ساه ولالاه كفر عنه ما كان قبلها من شيء انتهى وهذان الحديثان يُبَيِّنَانِ ما جاء فى صحيح البخارى عن عثمان حيث توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوءى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفرله ما تقدم من ذنبه انتهى والضمير فى قوله تعالى وانها قيل يعود على الصلاة وقيل على العبادة التى تضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة قال * ص * وانها الضمير للصلاة وهو القاعدة فى ان ضمير الغائب لايعود على غير الاقرب الا بدليل انتهى ثم ذكر ابو حيان وجوها أخر نحو ما تقدم وكبيرة معناه ثقيلة شاقة والخاشعون المتواضعون المخبتون والخشوع هيئة فى النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع ويظنون فى هذه الآية قال الجمهور معناه يوقنون والظن فى كلام العرب قاعدته الشك مع ميل الى احد معتقديه وقد يقع موقع اليقين لكنه لا يقع فيما قد خرج الى الحِسِّ لا تقول العرب فى رجل مَرْئِيٍّ اظن هذا انسانا وإنّما تجد الاستعمال فيما لم يخرج الى الحس كهذه الآية وكقوله تعالى فظنوا انهم مواقعوها قال * ص * قلت وما ذكره ابن عطية هو معنى ما ذكره الزجاج فى معانيه عن بعض اهل العلم ان

الظن يفع فى معنى العلم الذى لم تشاهده وان كان قد قامت فى نفسك حقيقته
قال وهذا مذهب لا ان اهل اللغة لم يذكروه قال وسمعته من ابى اسحاق
اسماعيل بن اسحاق القاضى رواه عن زيد بن اسلم انتهى والملاقاة هي لِلثواب أَو
العقاب ويصح ان تكون الملاقاة هنا بالرؤية التى عليها اهل السنة وورد بها متواتر
الْحَدِيثِ وراجعون قيل معناه بالموت وقيل بالحشر والخروج الى الحساب
والعرض ويقوى هذا القول الآية المتقدمة قوله تعالى ثم يميتكم ثم يحييكم ثم
اليه ترجعون * قوله تعالى يا بنى اسرايل الآية قد تكرر هذا النداء والتذكير
بالنعمة وفائدة ذلك ان الخطاب الاول يصح ان يكون للمومنين ويصح ان
يكون للكافرين منهم وهذا المتكرر انما هو للكافرين بدلالة ما بعده وايضا فان فيه
تقوية التوقيف وتاكيد الحض على ايادى الله سبحانه وحسن خطابهم بقوله
سبحانه فضلتكم على العالمين لان تفضيل اٰبائهم واسلافهم تفضيل لهم وفى الكلام
اتساع قال قتادة وغيره المعنى على عالم زمانهم الذى كانت فيه النبوءة المتكررة
لان الله تعالى يقول لامة محمد صلى الله عليه وسلم كنتم خير امة اخرجت للناس
واتقوا يوما اي عذاب يوم او هول يوم ويصح ان يكون يوما نصبه على الظرف
ولا تجزى معناه لا تغنى وقال السدي معناه لا تقضى ويقويه قوله شيأ وفى
الكلام حذف التقدير لا تجزى فيه وفى مختصر الطبري اي واتقوا يوما لا
تقضى نفس عن نفس شيأ ولا تغنى غَناء وأَحَدُنَا اليومَ قد يقضى عن
قريبه دينا واما فى الآخرة فيسر المرء ان يترتب له على قريبه حق لان القضاء
هناك من الحسنات والسيآت كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
والشفاعة ماخوذة من الشفع وهما الاثنان لان الشافع والمشفوع له شفع وسبب
هذه الآية ان بنى اسرايل قالوا نحن ابناء انبياء الله وسيشفع لنا اٰباؤنا وهذا انما

هو فى حق الكافرين للاجماع وتواتر الاحاديث بالشفاعة فى المومنين * وقوله تعالى ولا يوخذ منها عدل قال ابو العالية العدل الفدية قال * ع * عدل الشيء هو الذى يساويه قيمة وقدرا وان لم يكن من جنسه والعدل بكسر العين هو الذى يساوى الشيء من جنسه وفى جرمه والضمير فى قوله ولا هم عائد على الكافرين الذين اقتضتهم الآية ويحتمل ان يعود على النفسين المتقدم ذكرهما لان اثنين جمع او لان النفس للجنس وهو جمع وحصرت هذه الآية المعاني التى اعتادها بنو ءادم فى الدنيا فان الواقع فى شدة مع ءادمي لا يتخلص الّا بان يشفع له او ينصر او يفتدى * ت * او يمن عليه الا ان الكافر ليس هو باهل لان يمن عليه * وقوله تعالى واذ نجيناكم من ءال فرعون اي خلصناكم وءال اصله اهل قلبت الهاء الفا ولذلك ردّها التصغير الى الاصل فقيل اهيل وءال الرجل قرابته وشيعته واتباعه وفرعون اسم لكل من ملك من العمالقة بمصر وفرعون موسى قيل اسمه مصعب بن الريان وقال ابن اسحاق اسمه الوليد بن مصعب وروي انه كان من اهل اصْطُخْر وَرَدَ مِصْرَ فاتفق له فيها الملك وكان اصل كون بنى اسراءيل بمصر نزول اسراءيل بها زمن ابنه يوسف عليهما السلام ويسومونكم معناه ياخذونكم به ويلزمونكم اياه والجملة فى موضع نصب على الحال اي سائمين لكم سوء العذاب وسوء العذاب اشده واصعبه وكان فرعون على ما روي قد رأى فى منامه نارا خرجت من بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فأولت له رؤياه ان مولودا من بنى اسراءيل ينشأ فيخرب ملك فرعون على يديه وقال ابن اسحاق وابن عباس وغيرهما ان الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون قد اظلك زمان مولود من بنى اسراءيل يخرب ملكك ويذبحون بدل من يسومون وفى ذلكم اشارة الى جملة الامر وبلاء معناه

امتحان واختبار ويكون البلاء فى الخير والشر وحكى الطبري وغيره فى كيفية نجاتهم
ان موسى عليه السلام اوحي اليه ان يسري من مصر ببنى اسراءيل فامرهم موسى
ان يستعيروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذلك لبنى اسْراءيل ويروى
انهم فعلوا ذلك دون رأي موسىٰ عليه السلام وهو الاشبه به فسرى بهم موسى
من أول الليل فاعلم بهم فرعون فقال لا يتبعهم احد حتى تصيح الديكة فلم يصح
تلك الليلة بمصر ديك حتى اصبح وامات الله تلك الليلة كثيرا من ابناء
القبط فاشتغلوا بالدفن وخرجوا فى الاتباع مشرقين وذهب موسى عليه السلام الى
ناحية البحر حتى بلغه وكانت عدة بنى اسراءيل نيفا على ستمائة الف وكانت
عدة فرعون الف الف ومائتيْ الف وحكي غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته
فلما لحق فرعون موسى ظن بنو اسراءيل انهم غير ناجين فقال يوشع بن نون
لموسى اين امرت فقال هكذا واشار الى البحر فركض يوشع فرسه حتى بلغ الغمر
ثم رجع فقال لموسى اين امرت فوالله ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ فاشار الى البحر
واوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر واوحى الله الى البحر ان انفرق
لموسى اذا ضربك فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين اصبح ضرب
موسى البحر وكناه ابا خالد فانفلق وكان ذلك فى يوم عاشوراء * وقوله تعالى
واذ فرقنا بكم البحر الآية فرقنا معناه جعلناه فرقا ومعنى بكم اي بسببكم
والبحر هو بحر القلزم ولم يفرق البحر عرضا من ضفّة الى ضفّة وانما فرق
من موضع الى موضع ءاخر فى ضفة واحدة وكان ذلك الفرق يُقَرِّبُ
موضع النجاة ولا يلحق فى البر الا فى ايام كثيرة بسبب جبال واوغار حائلة
وقيل انفرق البحر عرضا على اثنَيْ عشر طريقا طريق لكل سبط فلما دخلوها
قالت كل طائفة غرق اصحابنا وجزعوا فقال موسى عليه السلام اللهم

اعنى على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان ادر عصاك على البحر فادارها فصار فى الماء فتوح كالطاق يرى بعضهم بعضا وجازوا وجبريل فى ساقتهم على ما ذِيَانة يحث بنى اسراءيل ويقول ءلال فرعون مهلا حتى يلحق ءاخركم اولكم فلما وصل فرعون الى البحر اراد الدخول فنفر فرسه فتعرض له جبريل بالرمكة فاتبعها الفرس ودخل ءال فرعون وميكائل يحثهم فلما لم يبق الا ميكائل فى ساقتهم على الضفة وحده انطبَق البحر عليهم فغرقوا وتنظرون قيل معناه بابصاركم لقرب بعضهم من بعض وقيل ببصائركم للاعتبار لانهم كانوا فى شغل قال الطبري وفى اخبار القرءان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المغيبات التى لم تكن من علم العرب ولا وقعت الا فى خفي علم بنى اسراءيل دليل واضح عند بنى اسراءيل وقائم عليهم بنبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموسى اسم أعْجمي قال ابن اسحاق هو موسى بن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وخص الليالى بالذكر فى قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة اذ الليلة اقدم من اليوم وقبله فى الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ قال النقاش وفى ذلك اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام لا مكن ان يعتقد انه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالى اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام واصل اربعين ليلة بايامها قال * ع * حدثنى ابى رضي الله عنه قال سمعت الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل بن الجوهرى رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى فى الخلوة بالله سبحانه والدنو منه فى الصلاة ونحوه وان ذلك يشغل عن كل طعام وشراب ويقول اين حال موسى فى القرب من الله ووصال ثمانين من الدهر من قوله حين سار الى الخضر لفتاه فى بعض يوم ءاتنا غداءنا * ت *

وايضا فى الاثـر ان موسى لم يصبه او لم يشك ما شكاه من النصب حتى جاوز الموضع الذى وعد فيه لقاء الخضر عليهما السلام قال * ع * وكل المفسرين على ان الاربعين كلها ميعاد * وقوله تعالى ثم اتخذتم العجل اي الاها والضمير فى بعده يعود على موسى وقيل على انطلاقه للتكليم اذ المواعدة تقتضيه وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما خرج ببنى اسراءيل من مصر قال لهم ان الله تعالى سينجيكم من ءال فرعون وينفلكم حليهم ويروى ان استعارتهم للحلي كانت بغير اذن موسى عليه السلام وهو الاشبه به ويؤيده ما فى سورة طه فى قولهم لموسى ولكنا حملنا اوزارا فظاهرُهُ انهم اخبروه بما لم يتقدم له به شعور ثم قال لهم موسى انه سينزل الله علي كتابا فيه التحليل والتحريم والهدى لكم فلما جازوا البحر طلبوا موسى بما قال لهم من امر الكتاب فخرج لميعاد ربه وحده وقد اعلمهم بالاربعين ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين ليلة وقالوا هذه اربعون من الدهر وقد اخلفنا الموعد وبدا تعنتهم وخلافهم وكان السامري رجلا من بنى اسراءيل يسمى موسى بن ظفر ويقال انه ابْن خال موسى وقيل لم يكن من بنى اسراءيل بل كان غريبا فيهم والاول اصح وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقت عبورهم قالت طائفة انكر هيئته فعرف انه ملك وقالت طائفة كانت ام السامري ولدته عام الذبح فجعلته فى غار واطبقت عليه فكان جبريل عليه السلام يغْذوه باصبع نفسه فيجد فى اصبع لبنا وفى اصبع عسلا وفى اصبع سمنا فلما رءاه وقت جواز البحر عرفه فاخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب والقي فى رُوعه انه لن يلقيها على شيء ويقول له كن كذا الا كان فلما خرج موسى لميعاده قال هارون لبنى اسراءيل ان ذلك الحلي والمتاع الذى استعرتم من القبط لا يحل لكم فَجِيئُوا به حتى تاكله النار التى كانت العادة ان تنزل على القرابين

وقيل بل اوقد لهم نارا وامرهم بطرح جميع ذلك فيها فجعلوا يطرحون وقيل
بل امرهم ان يضعوه فى حفرة دون نار حتى يجيء موسى و روي وهو الاصح
الاكثر انه القى الناس الحلي فى حفرة أوْ نحوها وجاء السامري فطرح القبضة
وقال كن عجلا وقيل ان السامري كان فى اصله من قوم يعبدون البقر وكان يعجبه
ذلك وقيل بل كانت بنو اسرايل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البَقَرَ
* ت * والذى فى القران يعكفون على اصنام لهم قيل كانت على صور البقر
فقالوا يا موسى اجعل لنا الاها كمالهم الهة فوعاها السامري وعلم ان من تلك
الجهة يفتنون ففتنت بنواسرايل بالعجل وظلت منهم طائفة يعبدونه فاعتزلهم
هارون بمن تبعه فجاء موسى من ميعاده فغضب حسبما ياتى قصصه فى مواضعه
ان شاء الله تعالى ثم اوحى الله اليه انه لن يتوب على بنى اسرايل حتى يقتلوا
انفسهم ففعلت بنو اسرايل ذلك فروي انهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن
لم يعبد والقى الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضا يقتل الاب ابنه والاخ اخاه
فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين الفا عفا الله عنهم وجعل من مات شهيدا وتاب
على البقية فذلك قوله سبحانه ثم عفونا عنكم وقال بعض المفسرين وقف الذين
عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقالت طائفة
جلس الذين عبدوا بالافنِية وخرج يوشع بن نون ينادى ملعون مَن حَلَّ حُبْوَته
وجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم وموسى صلى الله عليه وسلم فى خلال ذلك يدعو
لقومه ويرغب فى العفو عنهم وانما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على احد
الاقوال لانهم لم يغيروا المنكر حين عُبِدَ العجلُ وانتم ظالمون ابتداء وخبر فى موضع
الحال والعفو تغطية الاثر واذهاب الحال الاول من الذنب او غيره * ت *
ومنه الحديث فجعلت ام اسماعيل تعفى اثرها قال * ع * ولا يستعمل

العفو بمعنى الصفح الا فى الذنب والكتاب هنا هو التوراة باجماع واختلف فى الفرقان هنا فقال الزجاج وغيره هو التوراة ايضا كرر المعنى لاختلاف اللفظ وقال ءاخرون الكتاب التوراة والفرقان سائر الآيات التى اوتي موسى عليه السلام لانها فرقت بين الحق والباطل واختلف هل بقي العجل من ذهب فقال ذلك الجمهور وقال الحسن بن ابى الحسن صار لحما ودما والاول اصح * ت * وقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم عن ابى العالية الى خالقكم من برأ الله الخلق اي خلقهم فالبريئة فعيلة بمعنى مفعولة انتهى من مختصر ابي عبد الله اللخمي النحوي للطبري * وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى يريد السبعين الذين اختارهم موسى واختلف فى وقت اختيارهم فحكى اكثر المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل فاختارهم ليستغفِروا لبنى اسراءيل وحكى النقاش وغيره انه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد والاول اصح وقصة السبعين ان موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله تعالى ووجد العجل قد عُبِدَ قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل نحن لم نكفر ونحن اصحابك ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين فلم يجد الا ستين فاوحى اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين فتشاحوا فيمن يتأخر فاوحى اليه ان من تأخر له اجر من مضى فتأخر يوشع بن نون وكالوث بن يُوفَنّا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يتجنبوا النساء ثلاثا ويغتسلوا فى اليوم الثالث واستخلف هارون على قومه ومضى حتى اتى الجبل فالقي عليهم الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة وحِيلَ بينهم وبين موسى بالنور فوقعوا سجودا قال السدي وغيره وَسَمِعوا كلام الله

يامر وينهى فلم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع ويعبر لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا بدلت منهم طائفة ما سمعت من كلام الله فذلك قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه واضطرب ايمانهم وامتحنهم الله تعالى بذلك فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة ولم يطلبوا من الرؤية محالا اما انه عند اهل السنة ممتنع فى الدنيا من طريق السمع فاخذتهم حينئذ الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت همود يعتبر به الغير وقال قتادة ماتوا وذهبت ارواحهم ثم ردوا لإستيفاء اجالهم فحين حصلوا فى ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول اي رب كيف ارجع الى بنى اسراءيل دونهم فيهلكون ولا يومنون بى ابدا وقد خرجوا وهم الاخيار قال * ع * يعنى هم بحال الخير وقت الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل فذلك قوله اتهلكنا يعنى السبعين بما فعل السفهاء منا يعنى عَبَدَةَ العجل وقال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبة السبعين لاخراجهم طلب الرؤية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام قال * ع * ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد اخطأ واذهب فضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وجهرة مصدر فى موضع الحال والجهر العلانية ومنه الجهر ضد السر وجهر الرجل الامر كشفه وفى مختصر الطبرى عن ابن عباس جهرة قال علانية وعن الربيع جهرة عيانا انتهى * وقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام واحياهم من ذلك الهمود او الموت ليستوفوا اجالهم وتاب عليهم والبعث هنا الاثارة ولعلكم تشكرون اي على هذه النعمة والترجى إِنَّمَا هو فى حق البشر وذكر المفسرون فى تظليل الغمام ان بنى اسراءيل لما كان من امرهم ما كان

من القتل وبقي منهم من بقي حصلوا في فحص التيه بين مصر والشام فامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص اربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ او ستة روي انهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس فندم موسى على دعائه عليهم فقيل له لا تاس على القوم الفاسقين وروي انهم ماتوا باجمعهم في فحص التيه ونشأ بنوهم على خير طاعة فهم الذين خرجوا من فحص التيه وقاتلوا الجبارين واذ كان جميعهم في التيه قالوا لموسى من لنا بالطعام قال الله فانزل الله عليهم المن والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس فظلل عليهم الغمام قالوا بم نستصبح بالليل فضرب لهم عمود نور في وسط محلتهم وذكر مكي عمود نار قالوا من لنا بالماء فامر موسى بضرب الحجر قالوا من لنا باللباس فاعطوا أن لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا يدْرَن وان تنمو صِغَارُهَا حسب نمو الصبيان والمن صمغة حلوة هذا قول فرقة وقيل هو عسل وقيل شراب حلو وقيل الذى ينزل اليوم على الشجر وروي ان المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالثلج فياخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه الا في يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم السبت فلا يفسد عليهم لان يوم السبت يوم عبادة والسلوى طير باجماع المفسرين فقيل هو السمانا وقيل طائر مثل السُّمَّانَا وقيل طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب * ص * قال ابن عطية وغلط الهذلي في اطلاقه السلوى على العسل حيث قال

وقاسَمَهَا بالله عهدًا لأَنتُم * الذ من السلوى اذا ما نشورهَا

* ت * قد نقل صاحب المختصر انه يطلق على العسل لغة فلا وجه

لتغليطه لان اجماع المفسرين لا يمنع من اطلاقه لغة بمعنى ءاخر فى غير الآية انتهى * وقوله تعالى كلوا الآية معناه وقلنا كلوا فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه والطيبات هنا جمعت الحلال واللذيذ * ص * وقوله وما ظلمونا قدر ابن عطية قبل هذه الجملة محذوفا اي فعصوا وما ظلمونا وقدر غيره فظلموا وما ظلمونا ولا حاجة الى ذلك لان ما تقدم عنهم من القبائح يغنى عنه انتهى * ت * وقول ابى حيان لا حاجة الى هذا التقدير الى ءاخره يُرَدُّ بان المحذوفات فى الكلام الفصيح هذا شانها لا بد من دليل فى اللفظ يدل عليها الا انه يختلف ذلك فى الوضوح والخفاء فاما حذف ما لا دليل عليه فانه لا يجوز * وقوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رَغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون واذ استسقى موسى لقومه القرية المدينة سميت بذلك لانها تقرت اي اجتمعت ومنه قريت الماء فى الحوض اي جمعته والاشارة بهذه الى بيت المقدس فى قول الجمهور وقيل الى اريحاء وهي قريبٌ من بيت المقدس قال عمر بن شبّة كانت قاعدة ومسكن ملوك ولما خرج ذرية بنى اسراءيل من التيه امروا بدخول القرية المشار اليها واما الشيوخ فماتوا فيه وروي ان موسى وهارون عليهما السلام ماتا فى التيه وحكى الزجاج عن بعضهم انهما لم يكونا فى التيه لانه عذاب والاول اكثر * ت * لكن ظاهر قوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يقوى ما حكاهُ الزجاج وهكذا قال الامام الفخر انتهى وكلوا اباحة وتقدم معنى الرغد وهي ارض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا والباب قال مجاهد هو باب فى مدينة بيت المقدس يعرف الى اليوم بباب حطة وسجدا قال ابن

عباس معناه ركوعا وقيل متواضعين خضوعا والسجود يعم هذا كله وحطة فعلة من
حط يحط ورفعه على خبر ابتداء كانهم قالوا سؤالنا حطة لذنوبنا قال عكرمة وغيره
امروا ان يقولوا لا اله الا الله لتحط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا
وقولوا ما يحط ذنوبكم * ت * قال احمد بن نصر الداودي فى تفسيره وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم سار مع اصحابه فى سفر فقال قولوا نستغفر الله
ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التي عرضت على بني اسراءيل فلم
يقولوها انتهى وحكي عن ابن مسعود وغيره انهم امروا بالسجود وان يقولوا حطة
فدخلوا يزحفون على استاههم ويقولون حنطة حبة حمراء فى شعرة ويروى
غير هذا من الالفاظ * وقوله تعالى وسنزيد المحسنين عِدَةٌ المعنى
اذا غفرت الخطايا بدخولكم وقولكم زيد بعد ذلك لمن احسن وكان من بنى
اسراءيل من دخل كما امر وقال لا اله الا الله فقيل هم المراد بالمحسنين هنا
* وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآية روي انهم لما جاءوا الباب دخلوا من
قبل ادبارهم القهقرى وفى الحديث انهم دخلوا يزحفون على استاههم وبدلوا فقالوا
حبة فى شعرة وقيل قالوا حنطة حبة حمراء فى شعرة وقيل شعيرة وحكى الطبري
انهم قالوا هَطِّي شَمْقَاثَا أَزْبَه وتفسيره ما تقدم وفى اختصار الطبري وعن مجاهد
قال امر موسى قومه ان يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطؤطئ لهم الباب
ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على ادبارهم وقالوا حنطة وذكر عز وجل فعل سلفهم
تنبيها ان تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم جار على طريق سلفهم فى
خلافهم على انبيائهم واستخفافهم بهم واستهزائهم بامر ربهم انتهى والرجز العذاب
قال ابن زيد وغيره فبعث الله على الذين بدلوا الطاعون فاذهب منهم سبعين
الفا وقال ابن عباس امات الله منهم فى ساعة واحدة نيفا على عشرين الفا واستسقى

معناه طلب السقيا وَعُرْفُ استفعل طلب الشيء وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى واستغنى الله وكان هذا الاستسقاء في فحص التيه فامره الله تعالى بضرب الحجر اية منه وكان الحجر من جبل الطور على قدر راس الشاة يلقى في كِسر جُوالق ويرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وضربه موسى وذكر انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الآية ولاخلاف انه كان حجرا مربعا منفصلا تطرد من كل جهة منه ثلاث عيون اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون وفي الكلام حذف تقديره فضربه فانفجرت والانفجار انصداع شيء عن شيء ومنه الفجر والانبجاس في الماء اقل من الانفجار واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومعناه هنا كل سبط لان الاسباط في بني اسراييل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولادُ يعقوب عليه السلام * وقوله سبحانه كلوا واشربوا من رزق الله الآية * ت * روينا من طريق انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها رواه مسلم والترمذي والنساءي انتهى والمشرب موضع الشرب وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها ولا تعثوا معناه ولا تُفْرِطُواْ في الْفَسَادِ * ص * مُفْسِدِيَن حال مؤكدة لان لا تعثوا معناه لا تفسدوا انتهى * وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الآية كان هذا القول منهم في التيه حين ملوا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الاول بمصر قال ابن عباس واكثر المفسرين الفوم الحنطة وقال قتادة وعطاء الفوم جميع الحبوب التي يمكن ان تختبز وقال الضحاك الفوم الثوم وهي قراءة عبد الله بن مسعود وروي ذلك عن ابن عباس والثاء تبدل من الفاء كما قالوا

مغاثير ومغافير * ت * قال احمد بن نصر الداودي وهذا القول اشبه لما ذكر معه اي من العدس والبصل انتهى وادنى قال علي بن سليمان الاخفش ماخوذ من الدنيء البين الدناءة بمعنى الاخس الا انه خففت همزته وقال غيره هو ماخوذ من الدون اي الاحط فاصله ادون ومعنى الآية اتستبدلون البقل والقثّاء والفوم والعدس والبصل التى هي ادنى بالمن والسلوى الذى هو خير وجمهور الناس يقرءون مصرا بالتنوين قال مجاهد وغيره اراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرءان من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الروايات انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة اراد مصر فرعون بِعينها واستدلوا بما فى القرءان من ان الله اورث بنى اسراءيل ديار ءال فرعون وءاثارهم قال فى مختصر الطبري وعلى ان المراد مصر التى خرجوا منها فالمعنى ان الذى تطلبون كان فى البلد الذى كان فيه عذابكم واستعبادكم واسركم ثُم قال والاظهر انهم مذ خرجوا من مصر لم يرجعوا اليها والله اعلم انتهى * وقوله تعالى فان لكم ما سألتم يقتضى انه وكلهم الى انفسهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة معناه الزموها كما قالت العرب ضربة لازب وباءوأ بغضب معناه مروا متحملين له قال الطبري باءوا به اي رجعوا به واحتملوه ولا بد ان يوصل باء بخير او بشر انتهى * وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق الاشارة بذلك الى ضرب الذلة وما بعدهُ * وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب ولم يجرم نبيء قط ما يوجب قتله وانما التسليط عليهم بالقتل كرامة لهم وزيادة لهم فى منازلهم صلى الله عليهم كمثل من يقتل فى سبيل الله من المومنين والباء فى بما باء السبب ويعتدون معناه يتجاوزون الحدود والاعتداء هو تجاوز الحد * وقوله تعالى ان الذين

ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابيـن الآية اختلف فى المراد بالذين ءامنوا فى هذه الآية فقالت فرقة الذين ءامنوا هم المومنون حقا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله من ءامن بالله يكون فيهم بمعنى من ثبت ودام وفى سائر الفرق بمعنى من دخل فيه وقال السدي هم اهل الحنيفية ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا ومن عطف عليهم كذلك ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا هم اليهود وسموا بذلك لقولهم هدنا اليك اي تبنا والنصارى لفظة مشتقة من النصر قال * ص * والصابيين قرأ الاكثر بالهمز من صبأ النجم والسن اذا خرج اي خرجوا من دين مشهور الى غيره وقرأ نافع بغير همز فيحتمل ان يكون من المهموز المسهل فيكون بمعنى الاول ويحتمل ان يكون من صَبَا غير مهموز اي مَالَ ومنه

الى هند صبا قلبـــــــــى * وهند مثلها يصبـــــــــى

انتهى قال * ع * والصابى فى اللغة من خرج من دين الى دين واما المشار اليهم فى قوله تعالى والصابيين فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقال مجاهد هم قوم لا دين لهم وقال ابن جريج هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة الموصل وقال الحسن بن ابى الحسن وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الخمس الى القبلة ويقرءون الزبور رَءاهُمْ زياد بن ابى سفيان فاراد وضع الجزية عنهم حتى عُرِّفَ انهم يعبدون الملائكة * وقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور الآية الطور اسم الجبل الذى نوجي موسى عليه السلام عليه قاله ابن عباس وقال مجاهد وغيره الطور اسم لكل جبل وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما جاء الى بنى اسراءيل من عند الله تعالى بالالواح فيها التوراة

قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا الا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ فى مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واخرج الله تعالى البحر من ورائهم واضرم نارا من بين ايديهم فاحاط بهم غضبه وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق ولا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل واغرقكم البحر واحرقتكم النار فسجدوا توبة لله سبحانه واخذوا التوراة بالميثاق قال الطبري عن بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدتهم على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله سبحانه قالوا لا سجدة افضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها فأَمَرُّوا سجودَهم على شق واحد قال * ع * والذى لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان فى قلوبهم لا انهم ءامنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة قال وقد اختصرت ما سرد فى قصص هذه الآية وقصدت اصحه الذى تقتضيه الفاظ الآية وخلط بعض الناس صعقة هذه القصة بصعقة السبعين وبقوة قال ابن عباس معناه بجد واجتهاد وقال ابن زيد معناه بتصديق وتحقيق واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه * وقوله تعالى ثم توليتم الآية تولى اصله الاعراض والادبار عن الشيء بالجسم ثم استعمل فى الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وتَوَلِّيهم من بعد ذلك اما بالمعاصى فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها واما ان يكون تَوَلِّيهم بالكفر فلم يعاجلهم سبحانه بالهلاك ليكون من ذريتهم من يومن * وقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت الآية علمتم معناه عرفتم والسبت ماخوذ من السبوت الذى هو الراحة والدعة واما من السبت وهو القطع لان الاشياء فيه سبتت وتمت خلقتها وقصة اعتدائهم فيه ان الله

عزوجل امر موسى عليه السلام بيوم الجمعة وعرفه فضله كما امر به سائر الانبياء صلوات الله عليهم فذكر موسى ذلك لبنى اسراءيل عن الله سبحانه وامرهم بالتشرع فيه فابوا وتعدوه الى يوم السبت فاوحى الله الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك وامتحنهم بان امرهم بترك العمل فيه وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة بان كانت الحيتان تاتى يوم السبت حتى تخرج الى الافنية قاله الحسن بن ابى الحسن وقيل حتى تخرج خراطيمها من الماء وذلك اما بالهام من الله تعالى او بامر لا يعلل واما بان الهمها معنى الامَنَةِ التى فى اليوم مع تكراره كما فهم حمام مكة الامَنَة وكان امر بنى اسراءيل بايلة على البحر فاذا ذهب السبت ذهبت الحيتان فلم تظهر الى السبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا الحوت فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة وضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء فاخذه فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل بل حفر رجل فى غير السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل فى الحفير فاذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت فجاء بعد السبت فاخذه ففعل قوم مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية و باعوه فى الاسواق فكان هذا من اعظم الاعتداء وكانت من بنى اسراءيل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة وكانت منهم فرقة لم تعص ولم تنه فقيل نجت مع الناهين وقيل هلكت مع العاصين وكونوا لفظة امر وهو امر التكوين كقوله تعالى لكل شيء كن فيكون قال ابن الحاجب فى مختصره الكبير المسمى بمنتهى الوصول صيغة افعل وما فى معناها قد صح اطلاقها بازاء خمسة عشر محملا الوجوب اقم الصلاة والندب فكاتبوهم والارشاد واشهدوا اذا تبايعتم والاباحة فاصطادوا والتاديب كل مما يليك

والامتنان كلوا مما رزقكم الله والاكرام ادخلوها بسلام والتهديد اعملوا ما شئتم والانذار تمتعوا والتسخير كونوا قردة والاهانة كونوا حجارة والتسوية فاصبروا او لا تصبروا والدعاء اغفر لنا والتمنى أَلَا انْجَلِي وكمال القدرة كن فيكون انتهى وزاد غيره كونها للتعجيز اعنى صيغة افعل قال ابن الحاجب وقد اتفق على انها مجاز فيما عدا الوجوب والندب والاباحة والتهديد ثم الجمهور على انها حقيقة فى الوجوب انتهى وخاسئين معناه مبعدين اذلاء صاغرين كما يقال للكلب وللمطرود اخسأ وروي فى قصصهم ان الله تعالى مسخ العاصين قردة فى الليل فاصبح الناجون الى مساجدهم ومجتمعاتهم فلم يروا احدا من الهالكين فقالوا ان للناس لشانا ففتحوا عليهم الابواب لما كانت مغلقة بالليل فوجدوهم قردة يعرفون الرجل والمرأة وقيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين القرية بجِدَارٍ تبريا منهم فاصبحوا ولم تفتح مدينة الهالكين فتسوروا عليهم الجدار فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ان المسوخ لا تنسل ولا تاكل ولا تشرب ولا تعيش اكثر من ثلاثة ايام ووقع فى كتاب مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان امة من الامم فقدت واراها الفار وظاهر هذا ان المسوخ تنسل فان كان اراد هذا فهو ظَنٌّ منه صلى الله عليه وسلم فى امر لا مدخل له فى التبليغ ثم اوحي اليه بعد ذلك ان المسوخ لا تنسل ونظير ما قلناه نزوله صلى الله عليه وسلم على مياه بدر وامره باطراح تذكير النخل وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتكم عن الله تعالى فهو كما اخبرتكم واذا اخبرتكم برأيي فى امور الدنيا فانما انا بشر مثلكم والضمير فى جعلناها يَحتمل عوده على المسخة والعقوبة ويحتمل على الامة التى مسخت ويحتمل على القردة ويحتمل على القرية اذ معنى الكلام يقتضيها والنكال الزجر بالعقاب ولما بين يديها قال السدي

ما بيـن يدي المسخة مَا قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب وقال غيره ما بين يديها من حضرها من الناجين وما خلفها اي لمن يجيء بعدها وقال ابن عباس لما بيـن يديـها وما خلفها من القرى وموعظة من الاتعاظ والازدجار وللمتقين معناه الذين نهوا ونجوا وقالت فرقة معناه لامة محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ يعم كل متق من كل امة * وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم الآية المراد تذكيرهم بنقض سلفهم للميثاق وسبب هذه القصة على ما روي ان رجلا من بني اسرائيل اسن وكان له مال فاستبطأ ابن اخيه موته وقيل اخوه وقيل ابنا عمه وقيل ورثة غير معينين فقتله ليرثه والقاه في سبط آخر غير سبطه لياخذ ديته ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسراءيل في قريتين متجاورتين فألقاهُ الى باب احدى القريتين وهي التي لم يقتل فيها ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجده قتيلا فتعلق بالسبط أوْ بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها فانكروا قتله فوقع بين بني اسراءيل في ذلك لحاء حتى دخلوا في السلاح فقال اهل النُّهَى منهم انقتتل ورسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام فقصوا عليه القصة وسألوهُ البيان فاوحى الله تعالى اليه ان يذبحوا بقرة فيضرب القتيل ببعضها فيحيي ويخبر بقاتله فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فكان جوابهم ان قالوا اتتخذنا هزؤا وهذا القول منهم ظاهره فساد اعتقادِ مِمَّنْ قاله ولا يصح ايمان من يقول لِنبيء قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامرُ بكذا اتتخذنا هزؤا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء وقول موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل مَعْنَيَيْنِ احدهما الاستعاذة من الجهل في ان يخبر عن الله تعالى مستهزئا والآخر من

الجهل كما جهلوا فى قولهم * وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك الآية هذا تعنيت منهم وقلة طواعية ولو امتثلوا الامر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما امروا به ولكن شددوا فشدد الله عليهم قاله ابن عباس وغيره والفارض المسنة الهرمة والبكر من البقر التى لم تلد من الصغر ورفعت عوان على خبر ابتداء مضمر تقديره هى عوان والعوان التى قد ولدت مرّة بعد مرّة قال * م * قال الجوهري والعوان النصف فى سنها من كل شيء والجمع عونٌ انتهى * ت * قال الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقى فى نظمه لغريب القرءان جمع ابى حيان

معنى عوانٌ نصَفٌ بين الصغر * وبين ما قد بلغت سن الكبر

وكل ما نقلته عن العراقي منظوما فمن ارجوزته هذه وقوله فافعلوا ما تومرون تجديد للامر وتأكيد وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه قال ابن زيد وجمهور الناس فى قوله صفراء انها كانت كلها صفراء وفى مختصر الطبري فاقع لونها اي صاف لونها انتهى والفقوع مختص بالصفرة كما خص احمر بقانئ واسود بحالك وابيض بناصع واخضر بناضر قال ابن عباس وغيره الصفرة تسر النفس وسألوا بعد هذا كله عن ما هي سؤال متحيرين قد احسوا مقت المعصية وفى استثنائهم فى هذا السؤال الاخير انابة ما وانقياد ودليل ندم وحرص على موافقة الامر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو لا ما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا وقوله لا ذلول تثير الارض اي غير مذللة بالعمل والرياضة وتثير الارض معناه بالحراثة وهي عند قوم جملة فى موضع رفع على صفة البقرة اي لا ذلول مثيرة وقال قوم تثير فعل مستانف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت تحرث ولا تسقى ومسلمة بناء مبالغة من السلامة قال ابن عباس وغيره معناه من العيوب وقال مجاهد معناه من الشيات والالوان وقيل من العمل ولاشية فيها اي لا خلاف فى لونها هي

صفراء كلها قاله ابن زيد وغيره والموشى المختلط الالوان ومنه وشي الثوب تزينه بالالوان والثور الاشيه الذى فيه بلقة يقال فرس ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة وهذه الاوصاف فى البقرة سببها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق فى سؤال الانبياء مذموم وقصة وجود هذه البقرة على ما روي ان رجلا من بنى اسراءيل ولد له ابن وكانت له عجلة فارسلها فى غيضة وقال اللهم انى قد استودعتك هذه العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك كان قد استودع الله عجلة لك فاذهب فخذها فلما رأته البقرة جاءت اليه حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه فلقيه بنو اسراءيل ووجدوا بقرته على الصفة التى امروا بها فلما وجدت البقرة ساموا صاحبها فاشتط عليهم فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا له ان هذا اشتط علينا فقال لهم ارضوه فى ملكه فاشتروها منه بوزنها مرة قاله عبيدة السلماني وقيل بوزنها مرتين وقيل بوزنها عشر مرات وقال مجاهد كانت لرجل يبر امه واخذت منه بملء جلدها دنانير والآن مبني على الفتح معناه هذا الوقت وهو عبارة عما بين الماضى والمستقبل وجئت بالحق معناه عند من جعلهم عصاة بينت لنا غاية البيان وهذه الآية تعطى ان الذبح اصل فى البقر وان نحرت اجزأ * وقوله تعالى وما كادوا يفعلون عبارة عن تثبطهم فى ذبحها وقلة مبادرتهم الى امر الله تعالى وقال محمد بن كعب القرظي كان ذلك منهم لغلاء البقرة وقيل كان ذلك خوف الفضيحة فى امر القاتل وادارأتم معناه تدافعتم قتل القتيل وفيها اي فى النفس * وقوله تعالى اضربوه ببعضها ءاية من الله تعالى على يدي موسى عليه السلام ان امرهم ان يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحيي ويخبر بقاتله فقيل

ضربوه وقيل ضربوا قبره لان ابن عباس ذكر ان امر القتيل وقع قبل جواز البحر وانهم داموا فى طلب البقرة اربعين سنة * وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الآية فى هذه الآية حض على العبرة ودلالة على البعث فى الآخرة وظاهرها انها خطاب لبنى اسراءيل حينئذ حكي لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر به الى يوم القيامة وذهب الطبري الى انها خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وانها مقطوعة من قوله اضربوه ببعضها وروي ان هذا القتيل لما حيي واخبر بقاتله عاد ميتا كما كان * وقوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية اي صلبت وجفت وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان ءلايات الله تعالى قال قتادة وغيره المراد قلوب بنى اسراءيل جميعا فى معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك واو لا يصح ان تكون هنا للشك فقيل هي بمعنى الواو وقيل للاضراب وقيل للابهام وقيل غير ذلك * وقوله تعالى وان من الحجارة الآية معذرة للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم قال قتادة عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقي بنى ءادم * ت * وروى البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة من الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا انتهى من الكوكب الدري لابى العباس احمد بن سعد التجيبي قال الغزالى فى المنهاج واعلم ان اول الذنب قسوة وءاخره والعياذ بالله شوم وشقوة وسواد القلب يكون من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعات موقعا ولا للموعظة منجعا انتهى وقيل فى هبوط الحجارة تفيؤ ظلالها وقيل ان الله تعالى يخلق فى بعض الاحجار خشية وحياة يهبط بها من علو تواضعا وقال مجاهد ما تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه الا من خشية الله عز وجل نزل بذلك القرءان وقال مثله ابن جريج * وقوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم الآية

الخطاب للمومنين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الانصار كان لهم حرص على اسلام اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير على امر فيه بعد اذ قد سلف لاسلاف هؤلاء اليهود افاعيل سوء وهؤلاء على ذلك السنن وتحريف الشيء امالته من حال الى حال وذهب ابن عباس الى ان تحريفهم وتبديلهم انما هو بالتأويل ولفظ التوراة باق وذهب جماعة من العلماء الى انهم بدلوا الفاظا من تلقائهم وان ذلك ممكن فى التوراة لانهم استحفظوها وغير ممكن فى القرءان لان الله تعالى ضمن حفظه قلت وعن ابن اسحاق ان المراد بالفريق هنا طائفة من السبعين الذين سمعوا كلام الله مع موسى انتهى من مختصر الطبري وهذا يحتاج الى سند صحيح * وقوله تعالى واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا الآية المعنى وهم ايضا اذا لقوا يفعلون هذا فكيف يطمع فى ايمانهم ويحتمل ان يكون هذا الكلام مستأنفا فيه كشف سرائرهم ورد فى التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مومن فقال كعب بن الاشرف واشباهه اذهبوا وتحسسوا اخبار من ءامن بمحمد وقولوا لهم ءامنا واكفروا اذا رجعتم فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس نزلت فى المنافقين من اليهود وروي عنه ايضا انها نزلت فى قوم من اليهود قالوا لبعض المومنين نحن نومن انه نبيء ولكن ليس الينا وانما هو اليكم خاصة فلما خلوا قال بعضهم لم تقرون بنبوءته وقال ابو العالية وقتادة ان بعض اليهود تكلم بما فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم كفرة الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي عرفكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويحاجوكم من الحجة وعند ربكم معناه فى الآخرة * وقوله تعالى أفلا تعقلون قيل هو من قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى للمومنين اي افلا تعقلون ان بنى اسراءيل لا يومنون وهم

بهذه الاحوال واميون هُنا عبارة عن عامة اليهود وجهلتهم اي انهم لا يطمع فى ايمانهم
لما غمرهم من الضلال والامي فى اللغة الذى لا يكتب ولا يقرأ فى كتاب نسب الى
الام اما لانه بحال امه من عدم الكتب لا بحال ابيه اذ النساء ليس من
شغلهن الكَتْبُ قاله الطبري واما لانه بحال ولدته امه فيها ثم ينتقل عنها
والكتاب التوراة والاماني جمع امنية واختلف فى معنى اماني فقالت طائفة
هي هاهنا من تمنى الرجل اذا ترجى فمعناه ان منهم من لا يكتب ولا يقرأ وانما
يقول بظنه شيأ سمعه فيتمنى انه من الكتاب وقال اخرون هي من تمنى
اذا تلا ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة * واخره لاقى حمام المقادر

فمعنى الآية انهم لا يعلمون الكتاب الاسماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته
وقال الطبري هي من تمنى الرجل اذا حدّث بحديث مختلق كذب اي لا
يعلمون الكتاب الاسماع اشياء مختلقة من احبارهم يظنونها من الكتاب
* ص * وان هم الا يظنون ان نافية بمعنى ما انتهى * وقوله تعالى
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله الآية قال
الخليل الويل شِدّةُ الشروهو مصدر لا فعل له ويجمع على ويلات والاحسن فيه
اذا انفصل الرفع لانه يقتضي الوقوع ويصح النصب على معنى الدعاء اي
الزمه الله ويلا وويل وويح وويس تتقارب فى المعنى وقد فرق بينها قوم وروى
سفيان وعطاء بن يسار ان الويل فى هذه الآية واد يجرى بفناء جهنم من صديد
اهل النار وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه واد فى
جهنم بين جبلين يهوى فيه الهاوى اربعين خريفا وروى عثمان بن عفان عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من جبال النار والذين يكتبون هم الاحبار

والرؤساء وبايديهم قال ابن السراج هي كناية عن انه من تلقائهم دون ان ينزل عليهم والذى بدلوه هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليستديموا رياستهم ومكاسبهم وذكر السدي انهم كانوا يكتبون كتبا يبدلون فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من الاعراب ويبثونها فى اتباعهم ويقولون هي من عند الله والثمن قيل عرض الدنيا وقيل الرِّشَى والمآكل التى كانت لهم ويكسبون معناه من المعاصى وقيل من المال الذى تضمنه ذكر الثمن * وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة الآية روى ابن زيد وغيره ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود مَنْ أهلُ النار فقالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال لهم كذبتم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الآية قال اهل التفسير العهد فى هذه الآية الميثاق والموعد وبلى رد بعد النفي بمنزلة نعم بعد الايجاب وقالت طائفة السيئة هنا الشرك كقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار والخطيئات كبائر الذنوب قال الحسن بن ابى الحسن والسدي كل ما توعد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة والخلود فى هذه الآية على الاطلاق والتابيد فى الكفار ومستعار بمعنى الطول فى العصاة وان علم انقطاعه قال محمد بن عبد الله اللخمي فى مختصره للطبري اجمعت الامة على تخليد من مات كافرا وتظاهرت الروايات الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح بانْ عصاة اهل التوحيد لا يخلدون فى النار ونطق القروان بان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لكن من خاف على لحمه ودمه اجْتَنَبَ كل ما جاء فيه الوعيد ولم يتجاسر على المعاصى اتكالا على ما يرى لنفسه من التوحيد فقد كان السلف وخيار الامة يخافون سلب الايمان على انفسهم ويخافون النفاق عليها وقد تظاهرت بذلك عنهم الاخبار انتهى

* وقوله تعالى والذين ءامنوا الآية يدل هذا التقسيم على ان قوله تعالى بلى من كسب سيئة الآية فى الكفار لا فى العصاة ويدل على ذلك ايضا قوله واحاطت لان العاصي مومن فلم تحط به خطيئاته ويدل على ذلك ايضا ان الرد كان على كُفّارٍ ادّعَوْا أنّ النّارَ لا تمسهم الا اياما معدودة فهم المراد بالخلود والله اعلم

* وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسراءيل الآية اخذ الله سبحانه الميثاق عليهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم واخذ الميثاق قول فالمعنى قلنا لهم لا تعبدون الا الله الآية قال سيبويه لا تعبدون متلق لقسم والمعنى واذ استحلفناهم والله لا تعبدون الا الله وفى الاحسان تدخل انواع بر الوالدين كلها واليتم فى بَنِى ءادَمَ فقد الاب وفى البهائم فقد الام وقال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد بلوغ والمسكين الذى لا شيء له وقيل هو الذى له بُلْغة والآية تتضمن الرأفة باليتامى وحيطة اموالهم والحض على الصدقة والمواساة وتفقد المساكين * وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا * امر عطف على ما تضمنه لا تعبدون الا الله وما بعده وقرأ حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين قال الاخفش وهما بمعنى واحد وقال الزجاج وغيره بل المعنى فى القراءة الثانية وقولوا قولا حسنا بفتح الحاء والسين او قولا ذا حسن بضم الحاء وسكون السين فى الاولى قال ابن عباس معنى الكلام قولوا للناس لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج قولوا لهم حسنا فى الاعلام بما فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقال ابو العالية قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم باحسن ما تحبّون ان تحاوروا به وهذا حض على مكارم الاخلاق وزكاتهم هي التى كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تُقُبّلَ منها دون ما لم يتقبل * وقوله تعالى ثم توليتم الآية خطاب لمعاصرى النبي صلى

الله عليه وسلم اسند اليهم تولى اسلافهم اذ هم كلهم بتلك القبيل قال نحوه ابن عباس وغيره والمراد بالقليل المستثنى جميع مومنيهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره والقلة على هذا هي فى عدد الاشخاص ويحتمل أن تكون القلة فى الايمان والاول اقوى * ص * الا قليلا منصوب على الاستثناء وهو الافصح لانه استثناء من موجب وروى عن ابى عَمْرو الا قليل بالرفع ووجهه ابن عطية على بدل قليل من ضمير توليتُمْ على ان معنى توليتم النفي اي لم يف بالميثاق الا قليل ورد بمنع النحويين البدل من الموجب لان البدل يحل محل المبدل منه فلو قلت قام الازيد لم يجز لان الا لا تدخل فى الموجب وتأويله الايجاب بالنفي يلزم فى كل موجب باعتبار نفي ضده او نقيضه فيجوز اذنْ قام القوم الازيد على تأويل لم يجلسوا الازيد ولم تبن العرب على ذلك كلامها وانما اجازوا قام القوم الازيد بالرفع على الصفة وقد عقد سيبويه لذلك بابا فى كتابه انتهى ودماءكم جمع دم وهو اسم منقوص اصله دمي ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه ولا ينفى بعضكم بعضا بالفتنة والبغي وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللفظ فى القول * وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم وقوله وانتم تشهدون قيل الخطاب يُراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهود اي حُضور اخذ الميثاق والاقرار وقيل المراد من كان فى مدة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانتم شهداء اي بيّنة ان الميثاق اخذ على اسلافكم فمنْ بعدهم منكم * وقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الآية هؤلاء دالة على ان المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردا الى الاسلاف قيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات وقال الاستاذ الاجل ابو الحسن ابن احمد شيخنا هَؤُلاء رفع بالابتداء

وانتم خبر وتقتلون حال بها تَم المغنى وهي المقصود * ص * قال الشيخ
ابو حيان ما نقله ابن عطية عن شيخه ابى الحسن بن البادش من جعله هؤلاء
مبتدأ وانتم خبر مقدم لا ادرى ما العلة فى ذلك وفى عدوله عن جعل انتم مبتدأ
وهؤلاء الخبر الى عكسه انتهى * ت * قيل العلة فى ذلك دخول هاء التنبيه
عليه لاختصاصها باول الكلام ويدل على ذلك قولهم ها انا ذا قائما ولم يقولوا انا
هذا قائما قال معناه ابن هشام فقائما فى المثال المتقدم نصب على الحال انتهى
وهذه الآية خطاب لقريظة والنضير وبنى قينقاع وذلك ان النضير وقريظة حالفت
الاوس وبنى قينقاع حالفت الخزرج فكانوا اذا وقعت الحرب بين بنى قيلة
ذهبت كل طائفة من بنى اسراءيل مع احلافها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وكانوا مع ذلك يفدى بعضهم اسرى بعض اتباعا لحكم التوراة
وهم قد خالفوها بالقتال والاخراج والديار مبانى الاقامة وقال الخليل محلة القوم
دارهم ومعنى تظاهرون تتعاونون والعدوان تجاوز الحدود والظلم وقرأ حمزة
اسرى تفدوهم واسارى جمع اسير ماخوذ من الاسر وهو الشد ثم كثر استعماله
حتى لزم وان لم يكن ثم ربط ولا شد واسير فعيل بمعنى مفعول وتفادوهم معناه فى
اللغة تطلقونهم بعد ان تاخذوا عنهم شيأ وَقَالَ الثعْلَبي يقال فَدى اذا اعطى مالا
واخذ رجلا وفادَى اذا اعطى رجلا واخذ رجلا فتفدوهم معناه بالمال وتفادوهم اي
مفادات الاسير بالاسير انتهى * ت * وفى الحديث من قوْل العباس
رضي الله عنه فانى فاديت نفسي وعقيلا وظاهره لا فرق بينهما * وقوله تعالى
افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الآية والذى ءامنوا به فداء الاسارى
والذى كفروا به قتل بعضهم بعضا واخراجهم من ديارهم وهذا توبيخ لهم وبيان
لقبح فعلهم والخزي الفضيحة والعقوبة فقيل خزيهم ضرب الجزية عليهم غابر

الدهر وقيل قتل قريظة واجلاء النضير وقيل الخزي الذى تتوعد به الامة من الناس هو غلبة العدو والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيها واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات واشد العذاب الخلود فى جهنم * وقوله تعالى وما الله بغافل عما يعملون قرأ نافع وابن كثير بياء على ذكر الغائب فالخطاب بالآية لامة محمد صلى الله عليه وسلم والآية واعظة لهم بالمعنى اذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص وقرأ الباقون بتاء على الخطاب لمن تقدم ذكره فى الآية قبل هذا وهو قوله افتومنون ببعض الكتاب الآية وهو الاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم فقد روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان بني اسراءيل قد مضوا وانتم الذين تعنون بهذا يا امة محمد يريد هذا وما يجرى مجراه * وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة الآية جعل الله ترك الآخرة واخذ الدنيا عوضا عنها مع قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم العذاب فى الآخرة ولا ينصرون لا فى الدنيا ولا فى الآخرة * ص * ولقد آتينا موسى الكتاب * اللام فى لقد يحتمل ان تكون توكيدا ويحتمل ان تكون جواب قسم وموسى هو المفعول الاول والكتاب الثاني وعكس السهيلي ومريم معناه فى السريانية الخادم وسميت به ام عيسى فصار علما عليها انتهى والكتاب التوراة وقفينا ماخوذ من القفا تقول قفيت فلانا بفلان اذا جئت به من قبل قفاه ومنه قفا يقفو اذا اتبع وكل رسول جاء بعد موسى فانما جاء باثبات التوراة والامر بلزومها الى عيسى عليهم السلام والبينات الحجج التى اعطاها الله عيسى وقيل هي ءاياته من احياء وابراء وخلق طير وقيل هي الانجيل والآية تعم ذلك وايدناه معناه قويناه والايد القوة قال ابن عباس روح القدس هو الاسم الذى كان يحي به الموتى وقال ابن

زيد هو الانجيل كما سمى الله تعالى القرءان روحا وقال السدي والضحاك والربيع وقتادة روح القدس جبريل عليه السلام وهذا أصح الاقوال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اهج قريشا وروح القدس معك ومرة قال له وجبريل معك وكلما ظرف والعامل فيه استكبرتم وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ روي ان بني اسراءيل كانوا يقتلون فى اليوم ثلاثمائة نبيء ثم تقوم سوقهم ءاخر النهار وروي سبعين نبيأ ثم تقوم سوق بقلهم ءاخر النهار والهَوَى اكثر ما يستعمل فيما ليس بحق وهو فى هذه الآية من ذلك لانهم انما كانوا يهوون الشهوات ومعنى قلوبنا غلف اي عليها غشاوات فهى لا تفقه قاله ابن عباس ثم بين تعالى سبب نفورهم عن الايمان انما هو انهم لُعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم وهذا هو الجزاء على الذنب بذنب اعظم منه واللعن الابعاد والطرد وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره فايمانا قليلا ما يومنون والضمير فى يومنون لحاضرى محمد صلى الله عليه وسلم منهم وما فى قوله ما يومنون زائدة موكدة * وقوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله الآية الكتاب القرءان ومصدقٌ لما معهم يعنى التوراة ويستفتحون معناه ان بنى اسراءيل كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علموا خروجه بما علموا عندهم من صفته وذكر وقته وظنوا انه منهم فكانوا اذا حاربوا الاوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي الذى اظل وقته لقاتلناكم معه واستنصرنا عليكم به ويستفتحون معناه يستنصرون قال احمد بن نصر الداودي ومنه عسى الله ان ياتي بالفتح اي بالنصر انتهى وروى ابو بكر محمد بن حسين الاجُري عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر يقاتلون غطفان فكلّما التقوا هزمت اليهود فَعَاذَ اليهود يوما بالدعاء فقالوا اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذى وعدتنا ان تخرجه لنا

فى ءاخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عزوجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا والاستفتاح الاستنصار ووقع ليهود المدينة نحوهذا مع الانصار قبيل الاسلام انتهى من تأليف حسن بن علي بن عبد الملك الرهونى المعروف بابن القطان وهوكتاب نفيس جدا الفه فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وءايات نبوته وروي ان قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز فى ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نقلتهم الى الحجاز وسكناهم به فانهم كانوا علموا صقع المبعث وما عرفوا هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ويظهر من هذه الآية العناد منهم وان كفرهم كان مع معرفةٍ ومعاندةٍ ولعنةُ الله ابعاده لهم وخزيهم لذلك وبيس اصله بَئِسَ سهلت الهمزة ونقلت حركتها الى الباء وما عند سيبويه فاعلة ببيس والتقدير بيس الذى اشتروا به انفسهم واشتروا بمعنى باعوا وما انزل الله يعنى به القرءان ويحتمل التوراة ويحتمل ان يراد الجميع من توراة وانجيل وقرءان لان الكفر بالبعض يستلزم الكفر بالكل ومن فضله يعنى من النبوءة والرسالة ومن يشاء يعنى به محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب ويدخل فى المعنى عيسى صلى الله عليه وسلم لانهم كفروا به بغيا والله قد تفضل عليه وباءوا معناه مضوا متحملين لما يذكر انهم باءوا به وقال البخاري قال قتادة باءوا معناه انقلبوا انتهى وبغضب معناه من الله تعالى لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على غضب متقدم من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم العجل وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام فالمعنى على غضب فدباء بِه اسلافهم حظ هؤلاء منهُ وافر بسبب رضاهم بتلك الافعال وتصويبهم لها ومهين ماخوذ من الهوان وهو الخلود

فى النـار لان من لا يخلد من عصاة المسلميـن انمـا عذابـه كعذاب الذى يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهيـر له * وقوله تعـالى واذا قيـل لهم يعنـى لليهود ءامنوا بما انزل الله على محمد صـلى الله عليه وسلم وهو القرءان قالوا نومـن بما انزل علينا يعنون التوراة ويكفرون بما وراءه قال قتادة اي بما بعده قال الفـراء اي بما سواه ويعنى به القرءان ووصف تعالى القرءان بانه الحق ومصدقا حـال موكدة عند سيبويه * وقوله تعـالى قل فلم تـقتلـون انبئـاء الله من قبـل ان كنتم مومنين رد مـن الله تعالى عليهـم وتكذيب لهم فى ذلـك واحتجاج عليهم * وقوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات البينات التوراة والعصا وفرق البحـر وسائر الآيات وخذوا ما ءاتيناكم يعنى التوراة والشرع بقـوة اي بعزم ونشاط وجـد واشربـوا فى قلوبهم العجل اي حب العجل والمعنى جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجـاز عبارة عن تمكن امـر العجل فى قلوبهم * وقوله تعالى بكفرهـم يحتمل ان تكون باء السبب ويحتمل ان تكون بمعنى مع * وقوله تعالى قل بيسمـا يامركـم به إيمانكم امر لمحمـد صـلى الله عليه وسلـم ان يوبخهـم لانـه بيـس هذه الاشياء التى فعلتم وامركم بها ايمانكم الذى زعمتم فى قولـكم نومن بما انزل علينا * وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الآية امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم والمعنـى ان كان لـكم نعيمها وحظوتهـا وخيرها فذلـك يـقتضى حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسـم كان وخالصة خبرها ومن دون الناس يحتمل ان يراد بالناس محمد صـلى الله عليه وسلم ومن تبعـه ويحتمل ان يراد العموم وهذه ءاية بـينة اعطاها الله رسولـه محمدا صـلى الله عليه وسلم لان اليـهود قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه ذلـك مـن القول فامـر الله نبيه ان يدعوهم الى تمنى الموت وان يعلمهـم انه من تمناه منهم مات فـفعـل

النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فعلموا صدقه فَأَحْجَمُوا عن تمنيه فَرَقًا من الله لقبح افعالهم ومعرفتهم بكذبهم وحرصا منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى منعهم من التمنى وقصرهم على الامساك عنه لتظهر الآية لنبيه صلى الله عليه وسلم * ت * قال عياض ومن الوجوه البينة فى اعجاز القرءان اي وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحاق الزجاج فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانهُ قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنّهُ وَاحِد منهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الاغص بريقه يعنى يموت مكانه قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انهُ لا توجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم انتهى من الشفا والمراد بقوله تمنوا اريدوهُ بقلوبكم واسألوهُ هذا قول جماعة من المفسرين وقال ابن عباس المراد به السؤال فقط وان لم يكن بالقلب ثم اخبر تعالى عنهم بعجزهم وانهم لا يتمنونه ابدا واضاف ذنوبهم واجترامهم الى الايدى اذ الاكثر من كسب العبد الخير والشر انما هو بِيَدَيْهِ فحمل جميعُ الاشياء على ذلك * وقوله تعالى والله عليم بالظالمين ظاهره الخبر ومضمنه الوعيد لان الله سبحانه عليم بالظالمين وغيرهم ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد * وقوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة الآية وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله تعالى * وقوله تعالى ومن الذين اشركوا قيل المعنى واحرص من الذين اشركوا لان مشركى العرب لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا والضمير فى احدهم يعود فى

هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام تم فى حياة ثم استؤنف الاخبار عن طائفة من المشركين انهم يود احدهم لو يعمر الف سنة والزحزحة الابعاد والتنحية وفى قوله تعالى والله بصير بما يعملون وعيد * وقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الآية اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا واختلف فى كيفية ذلك فقيل ان يهود فدك قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نسألك عن اربعة اشياء فان عرفتها اتبعناك فسألوه عما حرم اسراءيل على نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسألوه عن الشبه فى الولد فقال اي ماء علا كان له الشبه وسألوه عن نومه فقال تنام عينى ولا ينام قلبى وسألوه عن من يجيئه من الملائكة فقال جبريل فلما ذكره قالوا ذاك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والجدب ولو كان الذى يجيئك ميكائل ملك الرحمة والخصب والامطار لا تبعناك وفى جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وبها قرأ نافع وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وبها قرأ ابن كثير وروي عنه انه قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم وهو يقرأ جبريل وميكال فلا ازال اقرأها ابدا كذلك * ت * يعنى والله اعلم مع اعتماده على روايتها قال الثعلبي والصحيح المشهور عن ابن كثير ما تقدم من فتح الجيم لا ما حكي عنه فى الرؤيا من كسرها انتهى وذكر ابن عباس وغيره ان جبر وميك واسراف هي كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل الله * وقوله تعالى فانه نزله على قلبك الضمير فى انه عائد على الله تعالى وفى نزله عائد على جبريل اي بالقرءان وسائر الوحي وقيل الضمير فى انه عائد على جبريل وفى نزله عائد على القرءان وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقى المعارف وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة ومصدقا حال من ضمير القرءان

فى نزله وما بين يديه ما تقدمه من كتب الله تعالى وهدى اي ارشاد * وقوله تعالى من كان عدوّا لله الآية وعيد وذم لمعادى جبريل واعلام ان عداوة البعض تقتضى عداوة الله لهم وعطف جبريل وميكائل على الملائكة وقد كان ذكر الملائكة عمهما تشريفا لهما وقيل خُصّا لان اليهود ذكروهما ونزلت الآية بسببهما فذكرا ليلا تقول اليهود انا لم نُعَادِ الله وجميع ملائكته وعداوة العبد لله هي مَعْصِيَتُهُ وترك طاعته ومعاداة اوليائه وعداوة الله للعبد تعذيبه واظهار اثر العداوة عليه * وقوله تعالى او كلما عاهدوا عهدا الآية قال سيبويه الواو للعطف دخلت عليها الف الاستفهام والنبذ الطرح ومنه المنبوذ والعهد الذى نبذوه هو ما أُخِذَ عليهم فى التوراة من امر النبي صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم رسول من عند الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ومصدّقٌ نعت لرسول وكتاب الله القرءان وقيل التوراة لان مخالفتها نبذٌ لَهَا وَرَاء ظهورهم مثل لان ما يجعل ظهريا فقد زال النظر اليه جملة والعرب تقول جعل هذا الامر وراء ظهره ودبر اذنه وكانهم لا يعلمون تشبيه بمن لا يعلم فيجيء من اللفظ انهم كفروا على علم * وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية يعنى اليهود وتتلوا قال عطاء معناه تقرأُ وقال ابن عباس تتلوا تتبع وعلى ملك سليمان اي على عهد ملك سليمان وقال الطبري اتبعوا بمعنى فَضّلُوا وعلى ملك سليمان اي على شرعه ونبوءته والذى تلته الشياطين قيل انهم كانوا يلقون الى الكهنة الكلمة من الحق معها المائة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه فلما مات اخرجته الشياطين وقالت ان ذلك كان علم سليمان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان عليه السلام فى الانبياء قال بعض اليهود انظروا الى محمد يذكر سليمان فى الانبياء وما كان الا ساحرا * وقوله تعالى وما كفر سليمان تبرئة من الله تعالى

لسليمان عليه السلام والسحر والعمل به كفر ويقتل الساحر عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال الشافعي يسأل عن سحره فان كان كفرا استتيب منه فان تاب والا قتل وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل والناس المعلّمون اتباع الشياطين من بني اسراءيل وما انزل على الملكين ما عطف على السحر فهي مفعولة وهذا على القول بان الله تعالى انزل السحر على الملكين ليكفر به من اتبعهُ ويومن به من تركه او على قول مجاهد وغيره ان الله تعالى انزل على الملكين الشيء الذى يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر او على القول ان الله تعالى انزل السحر عليهما ليُعلَم على جهة التحذير منه والنهي عنه قال * ع * والتعليم على هذا القول انما هو تعريف يسير بمباديه وقيل انما عطف على ما فى قوله ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله تعالى انزل جبريل وميكائل بالسحر فنفى الله ذلك * ت * قال عياض والقراءة بكسر اللام من الملكين شاذة وبابل قطر من الارض وهاروت وماروت بدل من الملكين وما يذكر فى قصتهما مع الزهرة كله ضعيف وكذا قال * ع * ت * قال عياض واما ما ذكره اهل الاخبار ونقله المفسرون فى قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما فى خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئاً يوخذ بقياس والذى منه فى القرءان اختلف المفسرون فى معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات انتهى انظره * وقوله تعالى وما يعلمان الآية ذكر ابن الاعرابي فى الياقوتة ان يُعَلّمان بمعنى يُعْلِمان ويشعران كما قال كعب بن زهير

تعلم رسول الله انـك مدركـــى * وان وعيدا منك كالاخذ باليـــد

وحمل هذه الآية على ان الملكين انما نـزلا يُعَلِّمان بالسحر وينهيـان عنه وقال الجمهور بل التعليم على عرفه * ص * وقوله تعالى من احد من هنا زائدة مع المفعـول لتأكيد استغراق الجنس لان احدا من الفاظ العموم انتهى ويفرقـون معنـاه فرقـة العصمة وقيـل معنـاه يُوَخِّذُونَ الرجـل عن المرأة حتى لا يقدر على وطئها فهي ايضا فرقـة وباذن الله معناه بعلمه وتمكـينه ويضرهم معناه فى الآخرة والضمير فى علموا عائـد على بنى اسراءيل وقال اشتـراه لانهم كانـوا يعطون الاجرة على ان يُعَلِّموا والخلاق النصيب والحظ وهو هنا بمعنى الجاه والقدر واللام فى قوله لمن للقسم الموذنـة بان الكلام قسم لا شرط * م * ولبيس ما ابو البقاء جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي السحر او الكفر والضمير فى به عائد على السحر او الكفر انـتهى وشروا معنـاه باعـوا والضميـر فى يعلمون عائد على بنى اسراءيل اتـفاقا ولوانهم ءامنوا يعنى الذين اشتروا السحر وجواب لو لمثوبة والمثوبة عند الجمهور بمعنى الثـواب وقوله سبحانه لوكانوا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم ويحتمل لوكانوا يعلمون علما ينـفع وقرأ جمهور النـاس راعنا من المراعاة بمعنى فاعِلْنـا اي ارعنـا نرعـك وفى هذا جفاء أنْ يخاطب به احدٌ نبيّـه وقد حض الله تعالى على خفض الصوت عنده وتعزيره وتوقيره وقالت طائـفـة هي لغـة للعرب فكانت اليـهود تصرفها الى الرعونـة يظهرون انهم يريدون المراعاة ويبطنون انهم يريدون الرعونة التى هي الجهل فـنهى الله المومنين عن هذا القول سدا للذريعة ليلا يتطرق منه اليـهود الى المحظور وانظرنا معناه انـتظرنا وامهل علينا ويحتمل ان يكون المعنى تـفقدنا من النظر والظاهر عندى استدعاء نظر العين المقـترن بتدبر الحال ولما نهى الله تعالى فى هذه الآية وامر حض بعد على السمع الذى فى ضمنه الطاعة وأَعلَم

ان لمن خالف امره فكفر عذابا اليما وهو المولم واسمعوا معطوف على قولوا لا على معمولها * وقوله سبحانه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الآية يتناول لفظ الآية كل خير والرحمة فى هذه الآية عامة لجميع انواعها وقال قوم الرحمة القرءان * وقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها الآية النسخ فى كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من ءاخر وهذا لا مدخل له فى هذه الآية وورد فى كتاب الله تعالى فى قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الثانى الازالة وهو الذى فى هذه الآية وهو منقسم فى اللغة على ضربين احدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل والآخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح الاثر وورد النسخ فى الشرع حسب هذين الضربين وحد الناسخ عند حذاق اهل السنة الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه * ت * قال ابن الحاجب والنسخ لغة الازالة وفى الاصطلاح رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر انتهى من مختصره الكبير والنسخ جائز على الله تعالى عقلا لانه لا يلزم عنه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر متعلقة بالارادة فيلزم من النسخ ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم الى اي وقت ينتهى امره بالحكم الاول ويعلم نسخه له بالثانى والبدا لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لطرو علم او لتغير ارادة وذلك محال فى جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا واحدا فلم يجوزوه فضلوا والمنسوخ عند ائمتنا الحكم الثابت نفسه لا ما ذهبت اليه المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذى قادهم الى ذلك مذهبهم فى ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله تعالى حسن وقد قامت الادلة على ان الاوامر لا ترتبط بالارادة وعلى ان الحسن

والقبح فى الاحكام انما هو من جهة الشرع لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم قط ولو تناوله العموم لكان نسخا والنسخ لا يجوز فى الاخبار وانما هو مختص بالاوامر والنواهى ورد بعض المعترضين الامر خبرا بان قال أليس معناه واجب عليكم ان تفعلوا كذا فهذا خبر والجواب ان يقال ان فى ضمن المعنى الا ان انسخه عنكم وارفعه فكما تضمن لفظ الامر ذلك الاخبار كذلك تضمن هذا الاستثناء وصور النسخ تختلف فقد ينسخ الاثقل الى الاخف و بالعكس وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة وقد ينسخ الشيء لا الى بدل وقد تنسخ التلاوة دون الحكم و بالعكس والتلاوة والحكم حكمان فجائز نسخ احدهما دون الآخر ونسخ القرءان بالقرءان و ينسخ خبر الواحد بخبر الواحد وهذا كله متفق عليه وحذاق الائمة على ان القرءان ينسخ بالسنة وذلك موجود فى قوله عليه السلام لا وصية لوارث وهو ظاهر مسائل مالك

* ت * ويعنى بالسنة الناسخة للقرءان الخبر المتواتر القطعى وقد اشار الى ان هذا الحديث مُتَوَاتِرٌ ذكره عند تفسير قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت واختلف القراء فى قراءة قوله تعالى او ننسها فقرأ ابن كثير وابو عمرو ننسأها بنون مفتوحة واخرى ساكنة وسين مفتوحة والف بعدها مهموزة وهذه بمعنى التأخير واما قراءة نافع والجمهور ننسها من النسيان وقرأت ذلك فرقة الا انها همزت بعد السين فهذه بمعنى التأخير والنسيان فى كلام العرب يجيء فى الاغلب ضد الذكر وقد يجيء بمعنى الترك فالمعانى الثلاثة مقولة فى هذه القراءات فما كان منها يترتب فى لفظة النسيان الذى هو ضد الذكر فمعنى الآية به ما ننسخ من ءاية او نقدر نسيانك لها فانا ناتى بخير منها لكم او مثلها فى المنفعة وما كان على معنى الترك او على معنى التأخير فيترتب فيه معان انظرها ان شئت فانى ءاثرت

الاختصار * ع * والصحيح ان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد
الله ان ينساه ولم يرد ان يثبته قرءانا جائز فاما النسيان الذى هوءافة فى البشر
فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ ما لم يحفظه احد
من أصحابه واما بعد ان يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر لانه صلى الله عليه
وسلم قد بلغ وادى الامانة ومنه الحديث حين اسقط ءاية فلما فرغ من الصلاة
قال افى القوم ابي قال نعم يا رسول الله قال فلم لم تذكرنى قال حسبت انها رفعت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ترفع ولكنى نسيتها * وقوله تعالى الم تعلم
معناه التقرير ومعنى الآية ان الله تعالى ينسخ ما شاء ويثبت ما شاء ويفعل فى
احكامه ما شاء هو قدير على ذلك وعلى كل شيء وهذا لإنكارِ اليهودِ النسخَ وقوله
على كل شيء عموم معناه الخصوص اذ لا تدخل فيه الصفات القديمة بدليل العقل
ولا المحالات لانها ليست باشياء والشيء فى كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل
على المبالغة قال القشيرى وان من علم ان مولاه قدير على ما يريد قطع رجاءه عن
الاغيار كما قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد
غير ذى زرع قال اهل الاشارة معناه سهلت طريقهم اليك وقطعت رجاءهم عن
سواك ثم قال ليقيموا الصلاة اي شغلتهم بخدمتك وانت اولى بهم فاجعل افئدة
من الناس تهوى اليهم اي اذا احتاجوا شيأ فذلل عبادك لهم واوصل بكرمك
رعايتهم اليهم فانك على ذلك قدير وان من لزم بابه اوصل اليه محابه وكفاه
اسبابه وذلل له كل صعب واورده كل سهل عذب من غير قطع شقة ولا تحمل مشقة
انتهى من التحبير * وقوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
الآية الملك السلطان ونفوذ الامر والارادة وجمع الضمير فى لكم دالٌّ على ان
المراد بخطاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب امته * وقوله تعالى ام

تريدون ان تسألوا رسولكم الآية قال ابو العالية ان هذه الآية نزلت حين قال
بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني
اسرائيل في تعجيل العقوبة في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اعطاكم
الله خيرا مما اعطى بني اسرائيل وتلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما وقال ابن عباس سَبَبُهَا ان رافع بن حريملة اليهودي سأل
النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك وقيل غير هذا وما سئل موسى
عليه السلام هو أن يرى الله جهرة وكنى عن الاعراض عن الايمان والاقبال على الكفر
بالتبدل وضل اخطأ الطريق والسواء من كل شيء الوسط والمعظم ومنه في سواء
الجحيم وقال حسان بن ثابت في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم

يا ويح انصار النبي ورهطه * بعد المغيّب في سواء الملحد

والسبيل عبارة عن الشريعة التي انزلها الله تعالى لعباده * وقوله تعالى ود كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا الآية قال ابن عباس المراد
ابنا اخطب حيي وابو ياسر اي واتباعهما واختلف في سبب هذه الآية فقيل ان
حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسرٍ اتيا بيت المدراس فاراد اليهود صرفهما عن
دينهما فثبتا عليه ونزلت الآية وقيل ان هذه الآية تابعة في المعنى لما تقدم من
نهي الله عزوجل عن متابعة اقوال اليهود في راعنا وغيره وانهم لا يودون ان ينزل
على المومنين خير ويودون ان يردوهم كفارا من بعد ما تبين لهم الحق وهو نبوءة
محمد صلى الله عليه وسلم * ت * وقد جاءت احاديث صحيحة في النهي
عن الحسد فمنها حديث مالك في الموطإ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم
ان يهجر اخاه فوق ثلاث واسند ابو عمر بن عبد البر عن الزبير قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء حالقتا الدين لا حالقتا الشعر انتهى من التمهيد والعفو ترك العقوبة والصفح الاعراض عن المذنب كانه يولي صفحة العنق قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون الآية الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا المشركين وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ لان هذا في نفس الامر كان التوقيف على مدته * ت * وينبغي للمومن ان يتأدب بآداب هذه الآية وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ادلكم على ما يرفع الله به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك خرجه النسائي انتهى من الكوكب الدرى لابي العباس احمد بن سعد التّجيبيّ * وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير مقتضاه في هذا الموضع وعد للمومنين وقوله تعالى واقيموا الصلاة الآية قال الطبرى انما امر الله المومنين هنا بالصلاة والزكاة ليحط ما تقدم من ميلهم الى قول اليهود راعنا لان ذلك نهي عن نوعه وقوله تجدوه اي تجدوا ثوابه وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده قال جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل لك مال قال نعم يا رسول الله قال فقدّم مالك بين يديك فان المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب التخلف انتهى * وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر في اللفظ معناه الوعد والوعيد وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى معناه قال اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقال النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق نوعيهم على تفريق قوليهم وهذا هو الايجاز واللف وهودا جمع هائد ومعناه التائب الراجع وكذبهم الله

تعالى وجعل قولهم امنية وامر نبيه عليه السلام بدعائهم الى اظهار البرهان وهو الدليل الذى يوقع اليقين وقولهم لن نفي حسنت بعده بلى اذ هي رد بالايجاب فى جواب النفي حرف مرتجل لذلك واسلم معناه استسلم وخضع ودان وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف الاعضاء وفيه يظهر اثر العز والذل وهو محسن جملة فى موضع الحال وقوله تعالى وقالت اليهود الآية معناه انه ادعى كل فريق انه احق برحمة الله من الآخر وسبب الآية ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي صلى الله عليه وسلم فتسابوا وكفر اليهود بعيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة * ع * وفى هذا من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة والتوراة تتضمن التبشير بعيسى وكلاهما يتضمن صدق النبي صلى الله عليه وسلم فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفى كتبهم خلاف ما قالوا وفى قوله تعالى وهم يتلون الكتاب تنبيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة القرءان والوقوف عند حدوده والكتاب الذى يتلونه قيل هو التوراة والانجيل فالالف واللام للجنس وقيل التوراة لان النصارى تمتثلها * وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون يعنى كفار العرب لانهم لاكتاب لهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة الآية اي فيثيب من كان على شيء ويعاقب من كان على غير شيء ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية اي لا احد اظلم من هؤلاء قال ابن عباس وغيره المراد النصارى الذين كانوا يوذون من يصلى ببيت المقدس وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وهذه الآية تتناول كل من منع من مسجد الى يوم القيامة * وقوله سبحانه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين الآية فمن جعل الآية فى النصارى

روى انه مر زمن بعد ذلك لا يدخل نصرانى بيت المقدس الا اوجع ضربا قاله قتادة والسدى ومن جعلها فى قريش قال كذلك نودي بامر النبي صلى الله عليه وسلم الا يحج مشرك والا يطوف بالبيت عريان واينما شرط وتولوا جزم به وثَم جوابه ووجه الله معناه الذى وجهنا اليه كما تقول سافرت فى وجه كذا اي فى جهة كذا ويتجه فى بعض المواضع من القراٰن كهذه الآية ان يراد بالوجه الجهة التى فيها رضاه وعليها ثوابه كما تقول تصدقت لوجه الله ويتجه فى هذه الآية خاصة ان يراد بالوجه الجهة التى وجهنا اليها فى القبلة واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عمر نزلت هذه الآية فى صلاة النافلة فى السفر حيث توجهت بالانسان دابته وقال النخعى الآية عامة اينما تولوا فى متصرفاتكم ومساعيكم فثم وجه الله اي موضع رضاه وثوابه وجهة رحمته التى يوصل اليها بالطاعة وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت فيمن اجتهد فى القبلة فاخطأ وورد فى ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فتحرى قوم القبلة وأعلَموا علامات فلما اصبحوا رأوا انهم قد اخطئوها فعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت هذه الآية وقيل نزلت الآية حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت وواسع معناه متسع الرحمة عليم اين يضعها وقيل واسع معناه هنا انه يوسع على عباده فى الحكم دينه يسر عليم بالنيات التى هي ملاك العمل * وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الآية اختلف على من يعود ضمير قالوا فقيل على النصارى وهو الاشبه وقيل على اليهود لانهم قالوا عزير بن الله وقيل على كفرة العرب لانهم قالوا الملائكة بنات الله * ت * وقال ابو عبد الله اللخمي ويحتمل ان يعنى بالآية كل من تقدم ذكره من الكفرة وقد تقدم ذكر اليهود

والنصارى والذين لا يعلمون وهم المشركون وكلهم قد ادعى لله ولدا تعالى الله عن قولهم انتهى من مختصر الطبرى وسبحانه مصدر معناه تنزيها له وتبرئة مما قالوا والقنوت فى اللغة الطاعة والقنوت طول القيام فمعنى الآية ان المخلوقات تقنت لله اي تخشع وتطيع والكفار قنوتهم فى ظهور الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد ظله وهو كاره و بديع مصروف من مبدع والمبدع المخترع المنشئ وخص السماوات والارض بالذكر لانها اعظم ما نرى من مخلوقاته جل وعلا وقضى معناه قدر وقد يجيء بمعنى امضى ويتجه فى هذه الآية المعنيان والامر واحد الامور وليس هو هنا بمصدر امر يامر وتلخيص المعتقد فى هذه الآية ان الله عز وجل لم يزل ءامرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تأخر المقدورات عالما مع تأخر وقوع المعلومات فكل ما فى الآية مما يقتضى الاستقبال فهو بحسب الماموران اذ المحدثات تجيء بعد ان لم تكن وكل ما يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم وامر فهو قديم لم يزل والمعنى الذى تقتضيه عبارة كن هو قديم قائم بالذات والوضوح التام فى هذه المسألة يحتاج اكثر من هذا البسط * ت * وقد قدمنا ما يزيد هذا المعنى وضوحا عند قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فانظره * وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله الآية قال الربيع والسدى هم كفار العرب وقد طلب عبد الله بن امية وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وقال مجاهد هم النصارى وقال ابن عباس المراد من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود لان رافع بن حُرَيْمِلَةَ قال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمعنا كلام الله وقيل الاشارة الى جميع هذه الطوائف لانهم كلهم قالوا هذه المقالة ولولا تحضيض بمعنى هلا والآية هنا العلامة الدالة والذين من قبلهم هم اليهود والنصارى فى قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب وهم

اليهود فى قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى وهم الامم السالفة فى قول من
جعل الذين لا يعلمون العرب والنصارى واليهود وتشابه القلوب هنا فى طلب
ما لا يصح او فى الكفر * وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون قرينة
تقتضى ان اليقين صفة لعلمهم وقرينة اخرى ان الكلام مدح لهم * وقوله
تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا اي لمن ءامن ونذيرا لمن كفر وقرأ نافع وحده
ولا تسأل اي لا تسأل عن شدة عذابهم كما تقول فلان لا تسأل عنه تعنى انه
فى نهاية تشهره من خير او شر * ت * و زاد فى مختصر الطبرى قال وتحتمل
هذه القراءة معنى ءاخر وهو والله اعلم اظهر اي ولا تسأل عنهم سؤال مكترث بما
اصابهم او بما هم عليه من الكفر الذى يوردهم الجحيم نظير قوله عزوجل فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات واما ما روي عن محمد بن كعب القرظى ومن وافقه
من ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ما فعل ابواي فنزلت الآية فى ذلك
فهو بعيد ولا يتصل ايضا بمعنى ما قبله انتهى وقرأ باقى السبعة ولا تسأل بضم
التاء واللام والجحيم احدى طبقات النار وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى
اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله هو الهدى الحقيقى لا ما يدعيه هؤلاء
ثم قال تعالى لنبيه ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من
الله من ولي ولا نصير فهذا شرط خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامته
معه داخلة فيه * ت * والأدب ان يقال خوطب به صلى الله عليه
وسلم والمراد امته لوجود عصمته صلى الله عليه وسلم وكذلك الجواب فى سائر
ما اشبه هذا المعنى من الآي وقد نبه رحمه الله على هذا المعنى فى نظيرتها
كما سياتى وكان الاولى ان ينبه على ذلك هنا ايضا وقد اجاب عياض عن
الآي الواردة فى القرءان مما يوهم ظاهره اشكالا فقال رحمه الله اعلم وفقنا الله

واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله امره بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا البيان فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهمْ فى الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهمْ خوف العدو المضعف لليقين واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من فى الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله ان يشإ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله يَنْهَاهُ عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين انتهى من الشفا * ص * ولئن هذه اللام هي الموطئة والمؤذنة وهي مشعرة بقسم مقدر قبلها انتهى * وقوله تعالى الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه الآية قال قتادة المراد بالذين فى هذا الموضع من اسلم من امة النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا التأويل القرءان وقال ابن زيد المراد من اسلم من بنى اسراءيل والكتاب على هذا التأويل التوراة وءاتيناهم معناه اعطيناهم ويتلونه معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال الامر والنهي قال احمد بن نصر الداودى وهذا قول ابن عباس قال عكرمة يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه ومنه والقمر اذا

تلاها اي تبعها انتهى ولله در من اتبع كلام ربه واقتفى سنة نبيه وان قل عِلْمه قال القضاعي فى اختصاره للمدارك قال فى ترجمة سحنون كان سحنون يقول مثل العلم القليل فى الرجل الصالح مثل العين العذبة فى الارض العذبة يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به ومثل العلم الكثير فى الرجل الطالح مثل العين الخرارة فى السبخة تهر الليل والنهار ولا ينتفع بها انتهى وقيل يتلونه يقرونه حق قراءته وهذا ايضا يتضمن الاتباع والامتثال وحق مصدر وهو بمعنى افعل والضمير فى به عائد على الكتاب وقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم لان متبعي التوراة يجدونه فيها فيومنون به والضمير فى يكفر به يحتمل من العود ما ذكر فى الاول * وقوله تعالى يا بنى اسراءيل الآية تقدم بيان نظيرها ومعنى لا تنفعها شفاعة انه ليست ثَم وليس المعنى انه يشفع فيهم احد فيرد واما الشفاعة التى هي فى تعجيل الحساب فليست بنافعة لهؤلاء الكفرة * ت * ولم ينبه رحمه الله على هذا فى التى تقدمت اول السورة وابتلى معناه اختبر وفى مختصر الطبرى ابتلى اي اختبر والاختبار من الله عزوجل لعباده على علم منه سبحانه بباطن امرهم وظاهره وانما يبتليهم ليظهر منهم سابق علمه فيهم وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه فى قوله عزوجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فقال رضي الله عنه ان الله عزوجل لم يزل عالما بأخبارهم وخُبْرهم وماهم عليه وان قوله ولنبلونكم حتى نعلم اي حتى نسوقكم الى سابق علمي فيكم انتهى وهو كلام حسن وقد نبه * ع * على هذا المعنى فيما ياتى والعقيدة ان علمه سبحانه قديم عَلِمَ كل شيء قبل كونه فجرى على قدره لا يكون من عباده قول ولا عمل الا وقد قضاه وسبق علمه به سبحانه لا اله الا هو وابراهيم يقال ان تفسيره بالعربية اب رحيم واختلف اهل التأويل فى الكلمات فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما

هي الاسلام كله لم يتمه احد كاملا الا ابراهيم عليه السلام عشرة منها فى براءة التائبون العابدون الآية وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة فى سال سائل * ت * وقيل غير هذا وفى البخارى انه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم قال الراوى فاوحى الله اليه انى جاعلك للناس اماما والامام القدوة وانما سميت هذه الخصال كلمات لانها اقترنت بها اوامر هي كلمات وروي ان ابراهيم لما أتم هذه الكلمات او اتمها الله عليه كتب الله له البراءة من النار فذلك قوله تعالى وابراهيم الذى وفى * وقول ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي هو على جهة الرغباء الى الله اي ومن ذريتي يا رب فاجعل * وقوله تعالى قال لا ينال عهدي الظالمين اي قال الله والعهد فيما قال مجاهد الامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة مثابة يحتمل من ثاب اذا رجع ويحتمل ان تكون من الثواب اي يثابون هناك وامنا للناس والطير والوُحُوش اذ جعل الله لها حرمة فى النفوس بحيث يلقى الرجل بها قاتل ابيه فلا يهيجه وقَرَأَ جمهور الناس واتخذوا بكسر الخاء على جهة الامر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على جهة الخبر عن اتخذه من متبعى ابراهيم عليه السلام ومقام ابراهيم فى قول ابن عباس وقتادة وغيرهما وخرجه البخاري هو الحجر الذى ارتفع عليه ابراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التى كان اسماعيل يناوله اياها فى بناء البيت وغَرقت قدماه فيه ومُصَلًّى موضع صلاة * ص * من مقام من تبعيضية على الاظهر او بمعنى فى او زائدة على مذهب الاخفش والمقام مفعل من القيام والمراد به هنا المكان انتهى يعنى المكان الذى فيه الحجر المسمى بالمقام * وقوله تعالى وعهدنا العهد فى اللغة على اقسام هذا منها الوصية بمعنى الامر وطَهِّرَا قيل معناه ابنياه واسساه على طَهَارَةٍ ونية طَهَارَةٍ وقال

مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة الاوثان وللطائفين ظاهره اهل الطواف وَقَالَهُ عطاء وغيره وقال ابن جبير معناه للغرباء الطارئين على مكة والعاكفين قال ابن جبير هم اهل البلد المقيمون وقال عطاء هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس المصلون وقال غيره المعتكفون والعكوف في اللغة الملازمة * وقوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بَلَدًا آمِنًا اي من الجبابرة والعدو المستاصل وروي ان الله تعالى لما دعاه ابراهيم امر جبريل فاقتلع فلسطين وقيل بقعة من الارْدُنّ فطاف بها حول البيت سبعا وانزلها بوج فسميت الطائف بسبب الطواف * وقوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا الآية قال ابي بن كعب وابن اسحاق وغيرهما هذا القول من الله عز وجل لابراهيم وقال ابن عباس وغيره هذا القول من ابراهيم قال * ع * فكان ابراهيم دعا للمومنين وعلى الكافرين وفي مختصر الطبري وقرأ بعضهم فامتعه بالجزم والقطع على الدعاء ورواه دعاء من ابراهيم وروي ذلك عن ابى العالية كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم سأل ربه ان من كفر به فامتعه قليلا يقول فارزقه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الجنة انتهى وعلى هذهِ القراءة يجيء قول ابن عباس لا على قراءة الجمهور وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل * وقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت الآية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس * ص * القواعد قال الكسائي والفراء هي الجدر وقال ابوعبيدة هي الاساس انتهى واختلفوا في قصص البيت فقيل ان ءادم امر ببنائه ثم دثر ودرس حتى دل عليه ابراهيم فرفع قواعده وقيل ان ابراهيم ابتدأ بناءه بامر الله وقيل غير هذا * ع * والذى يصح من هذا كله ان الله سبحانه امر ابراهيم برفع قواعد البيت وجائِزٌ قِدَمُهُ وجائز ان يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك الا

بسند يقطع العذر واسماعيل عطف على ابراهيم والتقدير يقولان ربنا تقبل منا
انك انت السميع العليم اي السميع لدعائنا العليم بنياتنا وخصا هاتين
الصفتين لتناسبهما مع حالهما وقولهما اجعلنا بمعنى صيرنا مسلمين وكذلك كانا
وانما ارادا التثبيت والدوام والاسلام فى هذا الموضع الايمان والاعمال جميعا
ومن فى قوله ومن ذريتنا للتبعيض لان الله تعالى قد كان اعلمه ان منهم ظالمين
والامة الجماعة وارنا قالت طائفة من رؤية البصر وقالت طائفة من رؤية القلب
وهذا لا يصح قال قتادة المناسك معالم الحج واختلف فى معنى طلبهم التوبة وهم
انبياء معصومون فقالت طائفة طلبا التثبيت والدوام وقيل ارادا من بعدهما
من الذرية وقيل وهو الاحسن انهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت ارادا ان
يسنا للناس ان تلك المواطن مكان التنصّل من الذنوب وطلب التوبة وقال
الطبرى انه ليس احد من خلق الله الا بينه وبين الله معان يحب ان تكون
احسن مما هي واجمعت الامة على عصمة الانبياء فى معنى التبليغ ومن الكبائر
ومن الصغائر التى فيها رذيلة واختلف فى غير ذلك من الصغائر والذى اقول
به انهم معصومون من الجميع وان قول النبي صلى الله عليه وسلم انى لا توب
فى اليوم واستغفر الله سبعين مرة انما هو رجوعه من حالة الى ارفع منها
لِتَزَيُّدِ علومه واطلاعه على امر ربه فهو يتوب من منزلة الى اعْلَى والتوبة هنا
لغوية وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية هذا هو الذى اراد النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله انا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ومعنى منهم اي
يعرفُوهُ ويتحققوا فضله ويشفق عليهم ويحرص * ت * وقد تواترت
اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته فى الكتب السالفة وعَلِمَ بذلك
الاحْبارُ واخبروا به وبتعيين الزمن الذى يبعث فيه وقد روى البيهقى

احمد بن الحسين وغيره عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعة يقول سَلُوا أَهْلَ هذا الموسم افيهم من هو من هذا الحرم قال قلت انا فما تشاء قال هل ظهر احمد بعد قلت ومن احمد قال احمد بن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو خاتم الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وسباخ اذا كان فلا تُسْبَقَنّ اليه فوضع فى قلبى ما قال واسرعت اللحاق بمكة فسألت هل ظهر بعدى امر فقالوا محمد الامي قد تنبأ وتبعه ابو بكر بن ابى قحافة فمشيت الى ابى بكر وادخلنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت وقد روى العذرى وغيره عن ابى بكر رضي الله عنه انه قال لقيت شيخا باليمن فقال لى انت حرمي فقلت نعم فقال واحسبك قرشيا قلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة اكشف لى عن بطنك قلت لا افعل او تخبرنى لم ذلك قال اجد فى العلم الصحيح ان نبيا يبعث فى الحرمين يقارنه على امره فتى وكهل اما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة وما عليك ان ترينى ما سألتك عنه فقد تكاملت فيك الصفة الا ماخفي علي قال ابو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى فقال انت هو ورب الكعبة انى متقدم اليك فى امر قلت ما هو قال اياك والميل عن الهدى وعليك بالتمسك بالطريقة الوسطى وخف الله فيما خولك واعطى قال ابو بكر فلما ودعته قال اتحمل عنى الى ذلك النبيء ابياتا قلت نعم فانشأ الشيخ يقول

الم ترانى قد سئمت معاشرى * ونفسى وقد اصبحت فى الحي عاهنا
حييت وفى الايام للمرء عبرة * ثلاث مئين بعد تسعين امنا

وقد خمدت منى شرارة قوتـــى * والفيت شيخا لا اطيق الشواحـنا
وانت ورب البيت تاتى محمدا * لعامك هذا قد اقام البراهـــنا
فحي رسول الله عنى فاننــــى * على دينه احيا وان كنت قاطـنا

قال ابو بكر فحفظت شعره وقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءنى صناديد قريش وقالوا يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم انه نبىء قال فجئت الى منزل النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه فخرج الي فقلت يا محمد فُقِدت من منازل قومك وتركت دين ءابائك فقال يا ابا بكر انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك قال الشيخ الراهب الذى لقيته باليمن قلت وكم من شيخ لقيت قال ليس ذلك اريد انما اريد الشيخ الذى افادك الابيات قلت ومن اخبرك بها قال الروح الامين الذى كان ياتى الانبياء قبلى قلت مد يمينك اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال ابو بكر فانصرفت وما بين لبتيها اشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا باسلامى انتهى من تأليف ابن القطان فى الآيات والمعجزات ويتلوا عليهم ءاياتك اي ءايات القرءان والكتاب القرءان قال قتادة والحكمة السنة وروى ابن وهب عن مالك ان الحكمة الفقه فى الدين والفهم الذى هو سجية ونور من الله تعالى * ت * ونقل عياض فى مداركه عن مالك ان الحكمة نور يقذفه الله فى قلب العبد وقال ايضا يقع فى قلبى ان الحكمة الفقه فى دين الله وامر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله وقال ايضا الحكمة التفكر فى امر الله والاتباع له والفقه فى الدين والعمل به انتهى وقد اشار * ع * الى هذا عند قوله تعالى يوت الحكمة من يشاء * ت * والظاهر ان المراد بالحكمة هنا ما قاله قتادة فتأمله ويزكيهم معناه يطهرهم وينميهم بالخير والعزيز

الذى يغلب ويتم مراده والحكيم المصيب مواقع الفعل المحكم لها * وقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الآية من استفهام والمعنى ومن يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها الا من سفه نفسه والملة الشريعة والطريقة وسفه من السفه الذى معناه الرقة والخفة واصطفى من الصفوة معناه تخير الاصفى ومعنى هذا الاصطفاء انه نبأه واتخذه خليلا وانه فى الآخرة لمن الصالحين قيل المعنى انه فى عمل الآخرة لمن الصالحين فالكلام على حذف مضاف اذ قال له ربه اسلم كان هذا القول من الله تعالى حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والاسلام هنا على اتم وجوهه والضمير فى بها عائد على كلمته التى هي اسلمت لرب العالمين وقيل على الملة والاول اصوب لانه اقرب مذكور ويعقوب قيل عطف على ابراهيم وقيل مقطوع منفرد بقوله يا بني والتقدير ويعقوب قال يا بني واصطفى هنا معناه تخير صفوة الاديان وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ايجاز بليغ وذلك ان المقصود من امرهم بالاسلام الدوام عليه فاتى بلفظ موجز يقتضى المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق انه يموت ولا يدرى متى فاذا امر بامر لا ياتيه الموت الا وهو عليه فقد توجه من وقت الامر دائبا لازما * وقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الانبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم الى اليهودية والنصرانية فرد الله عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية الاسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ اشهدتم يعقوب بما اوصى فتدّعون عن علم ام لم تشهدوا بل انتم تفترون وام للاستفهام فى صدر الكلام لغة يمانية وحكى الطبرى ان ام يستفهم بها فى وسط كلام قد تقدم صدره وهذا منه وشهداء جمع شاهد اي حاضر ومعنى الآية حضر يعقوب مقدمات الموت ومن بعدى اي من

بعد موتى ودخل اسماعيل فى الآباء لانه عم وقد اطلق النبي صلى الله عليه وسلم على العباس اسم الاب فقال هذا بقية آبائى وقال ردوا علي ابى الحديث وقال انا ابن الذبيحين على القول الشهير فى ان اسحاق هو الذبيح * ت * وفى تشهيره نظر بل الراجح انه اسماعيل على ما هو معلوم فى موضعه وسيأتى ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى تلك امة قد خلت الآية يعنى بالامة الانبياء المذكورين والمخاطَبُ فى هذه الآية اليهود والنصارى وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا نظير قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والحنيف فى الدين الذى مال عن الاديان المكروهة الى الحق ويجيء الحنيف فى الدين بمعنى المستقيم على جميع طاعات الله * قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل الينا يعنى القرآن والاسباط هم ولد يعقوب وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وريالون ويشحرودنية بنته وامهم ليا ثم خلف على اختها راحيل فولدت له يوسف وبِنْ يامين ووُلِدَ لَهُ من سُرِّيتَيْن ذان وتفشالا وجاد واشر والسِّبط فى بنى اسراءيل بمنزلة القبيلة فى ولد اسماعيل فسموا الاسباط لانه كان من كل واحد منهم سبط ولا نفرق بين احد منهم اي لا نومن ببعض ونكفر ببعض كما تفعلون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به اي فان صدّقوا تصديقا مثل تصديقكم فقد اهتدوا وان تولوا اي اعرضوا يعنى اليهود والنصارى فانما هم فى شقاق اي فى مشاقة ومخالفة لك هم فى شق وانت فى شق وقيل شاقّ معناه شق كل واحد وصل ما بينه وبين صاحبه ثم وعده تعالى انه سيكفيه اياهم ويغلبه عليهم فكان ذلك فى قتل بنى قينقاع وبنى قريظة واجلاء النضير وهذا

الوعْد وانتجازه من اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والسميع لقول كل قائل والعليم بما ينفذه فى عباده وصبغة الله شريعته ودينه وسنته وفطرته قال كثير من المفسرين وذلك ان النصارى لهم ماء يصبغون فيه اولادهم فهذا ينظر الى ذلك وقيل سمي الدين صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر الصبغ فى الثوب وغيره ونصب الصبغة على الاغراء * وقوله تعالى قل اتحاجوننا فى الله الآية معنى الآية قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى اتحاجوننا فى الله اي اتجادلوننا فى دينه والقرب منه والحظوة لديه سبحانه والرب واحد وكل مجازى بعمله ثم وبخهم بقوله ونحن له مخلصون اي ولم تخلصوا انتم فكيف تدعون ما نحن اولى به منكم وقوله تعالى ام تقولون عطف على الف الاستفهام المتقدمة وهذه القراءة بالتاء من فوق قراءة ابن عامر وحمزة وغيرهما وقرأ نافع وغيره بالياء من اسفل وام على هذه القراءة مقطوعة ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع فى الحجة لانهم ان قالوا ان الانبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية كذبوا لانه قد عُلِمَ ان هذين الدينين حدثا بعدهم وان قالوا لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلموا الى دينهم اذ تقرون بالحق * وقوله تعالى قل آنتم اعلم ام الله تقرير على فساد دعواهم اذ لا جواب لمفطور الا ان الله تعالى اعلم ومن اظلم ممن كتم شهادة اي لا احد اظلم منه واياهم اراد تعالى بكتمان الشهادة قال مجاهد وغيره فالذى كتموه هو ما فى كتبهم من ان الانبياء على الحنيفية لا على ما ادعوه وقال قتادة وغيره هو ما عندهم من الامر بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والاول اشبه بسياق الآية ومِن متعلّقةٌ بعنده ويحتمل ان تتعلق بكتم وما الله بغافل الآية فيه وعيد واعلام انه لا يترك امرهم سدى والغافل الذى لا يفطن للامور إهمالًا منه ماخوذ من الارض الغُفل وهي التى لا معلم بها

* وقوله تعالى تلك امة الآية كررها عن قرب لانها تضمنت معنى التهديد والتخويف ولترداد ذكرهم ايضا فى معنى غير الاول * قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس الآية اختلف فى تعيين هؤلاء السفهاء فقال ابن عباس هم الاحبار وذلك انهم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها ونومن بك يريدون فتنته وقيل اليهود والمنافقون وقالت فرقة هم كفار قريش وولاهم معناه صرفهم ويهدى من يشاء اشارة الى هداية الله تعالى هذه الامة الى قبلة ابراهيم وكذلك جعلناكم اي كما هديناكم الى قبلة ابراهيم وشريعته جعلناكم امة وسطا اي عدولا روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظاهرت به عبارات المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشيء وواسطة القلادة انفس حجر فيها ومنه قوله تعالى قال اوسطهم وشهداء جمع شاهد والمراد بالناس هنا فى قول جماعة جميع الجنس وان امة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم القيامة للانبياء على اممهم بالتبليغ وروي فى هذا المعنى حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ان امته تشهد لكل نبيء ناكره قومه * ت * وهذا الحديث خرجه البخارى وابن ماجه وابن المبارك فى رقائقه وغيرهم قائلا صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وكون الرسول شهيدا قيل معناه باعمالكم يوم القيامة وقيل عليكم بمعنى لكم اي يَشهدُ لكم بالايمان وقوله تعالى وما جعلنا القبلة الآية قال قتادة وغيره القبلة هنا بيت المقدس اي الا فتنة لنعلم من يتبعك من العرب الذين لم يالفوا الا مسجد مكة او من اليهود على ما قاله الضحاك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صليت الى بيت المقدس اتبعناك فامره الله بالصلاة اليه امتحانا لهم فلم يومنوا وقال ابن عباس القبلة فى الآية

الكعبة وكنت عليها بمعنى انت عليها كقوله تعالى كنتم خير امة بمعنى انتم وما جعلناها وصرفناك اليها الا فتنة وروي فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حول الى الكعبة اكثر فى ذلك اليهود والمنافقون وارتاب بعض المومنين حتى نزلت الآية ومعنى لنعلم اي ليعلم رسولي والمومنون به والقاعدة نفي استقبال العلم بعد ان لم يكن وينقلب على عقبيه عبارة عن المرتد والرجوع على العقب اسوأ حالات الراجع * وقوله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الآية الضمير فى كانت راجع الى القبلة الى بيت المقدس او الى التحويلة الى الكعبة حسبما تقدم من الخلاف فى القبلة وكبيرة هنا معناه شاقة صعبة تكبر فى الصدور ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا محمد ان كانت الاولى حقا فانت الآن على باطل وان كانت هذه حقا فكنت فى الاولى على ضلال فوجَمت نفوس بعض المومنين واشفقوا على من مات قبل التحويل من صلاتهم السالفة فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم قاله ابن عباس وغيره وسمى الصلاة ايمانا لما كانت صادرة عن الايمان ولان الايمان هو القطب الذى عليه تدور الاعمال فذكره اذ هو الاصل وليلا يندرج فى اسم الصلاة صلاة المنافقين الى بيت المقدس فذكر المعنى الذى هو ملاك الامر وايضا سميت ايمانا اذ هي من شعب الايمان * ت * وفى العتبية من سماع ابن القاسم قال مالك قال الله تبارك وتعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم قال هي صلاة المومنين الى بيت المقدس قال ابن رشد وعلى هذا القول اكثر اهل التفسير وقد قيل ان المعنى فى ذلك وما كان الله ليضيع ايمانكم بفرض الصلاة عليكم الى بيت المقدس انتهى من البيان والرأفة اعلى منازل الرحمة * وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية المقصد تقلب البصر وايضا

فالوجه يتقلب بتقلب البصر قال قتادة وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه فى الدعاء الى الله تعالى ان يحوله الى قبلة مكة ومعنى التقلب نحو السماء ان السماء جهة قد تعود العالم منها الرحة كالمطر والانوار والوحي فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم قال * ص * فلنولينك يدل على تقدير حال اي قد نرى تقلب وجهك فى السماء طالبا قبلة غير التى انت مستقبلها فلنولينك انتهى وترضاها معناه تحبها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة رويت احدها لقول اليهود ما علم محمد دينه حتى اتبعنا قاله مجاهد الثانى ليصيب قبلة ابراهيم عليه السلام قاله ابن عباس الثالث ليستالف العرب لمحبتها فى الكعبة قاله الربيع والسدى * ع * والميزاب هو قبلة المدينة والشام وهنالك قبلة اهل الاندلس بتاريب ولاخلاف ان الكعبة قبلة من كل افق * وقوله تعالى فول وجهك الآية امر بالتحول ونسخ لقبلة الشام وشطر نصب على الظرف ومعناه نحو وتلقاء وحيث ما كنتم فولوا امر للامة ناسخ وان الذين اوتوا الكتاب الآية المعنى ان اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة هي قبلة ابراهيم امام الامم وان استقبالها هو الحق الواجب على الجميع اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذى يجدونه فى كتبهم وتضمنت الآية الوعيد * وقوله جلت قدرته ولئن اتيت الآية اعلم الله تعالى نبيه عليه السلام حين قالت له اليهود راجع بيت المقدس ونومن بك ان ذلك مخادعة منهم وانهم لا يتبعون له قبلة يعنى جلتهم لان البعض قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وانهم لا يومنون بدينه اي فلا تصغ اليهم والآية هنا العلامة * وقوله جلت عظمته وما انت بتابع قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر اي فلا تركن الى شيء من ذلك وما بعضهم الآية قال ابن زيد وغيره المعنى

ليست اليهود متبعة قبلة النصارى ولا النصارى متبعة قبلة اليهود فهذا اعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود بيت المقدس * وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وما ورد من هذا النوع الذى يوهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلما متوقعا فهو محمول على ارادة امته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعا ان ذلك لا يكون منه وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال الفخر ودلت هذه الآية على ان توجه الوعيد على العلماء اشد من توجهه على غيرهم لان قوله من بعد ما جاءك من العلم يدل على ذلك انتهى وهو حسن * ص * ولئن اتيت لام لئن موذنة بقسم مقدر قبلها ولهذا كان الجواب له ما تبعوا ولو كان للشرط لدخلت الفاء وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ومن ثم جاء فعل الشرط ماضيا لانه اذا حذف جوابه وجب فعله لفظا انتهى * وقوله تعالى الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه الآية الضمير فى يعرفونه عائد على الحق فى القبلة والتحول الى الكعبة قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم اي يعرفون صدقه ونبوءته * ت * بل وصفاته وان فريقا منهم ليكتمون الحق الفريق الجماعة وخص لان منهم من اسلم ولم يكتم والاشارة بالحق الى ما تقدم على الخلاف فى ضمير يعرفونه وهم يعلمون ظاهر فى صحة الكفر عنادا وقوله تعالى الحق من ربك اي هو الحق فلا تكونن من الممترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وامترى فى الشيء اذا شك فيه ومنه المراء لان هذا يشك فى قول هذا * وقوله تعالى ولكل وجهة الوجهة من المواجهة كالقبلة والمعنى ولكل صاحب ملة وجهة هو موليها نفسه قاله ابن عباس وغيره

وقرأ ابن عامر هو مولاها اي الله موليها اياهم ثم امر تعالى عباده باستباق الخيرات والبدار الى سبيل النجاة وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه انتهى ثم وعظهم سبحانه بذكر الحشر موعظة تتضمن وعيدا وتحذيرا * ص * اينما ظرف مضمن معنى الشرط فى موضع خبر كان انتهى * وقوله يات بكم الله جميعا يعنى به البعث من القبور * وقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون معناه حيث كنت وانى توجهت من مشارق الارض ومغاربها وكررت هذه الآية تأكيدا من الله سبحانه لان موقع التحويل كان صعبا فى نفوسهم جدا فأكد الامر ليرى الناس التهمم به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم اليه * وقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الآية المعنى عرفتكم وجه الصواب فى قبلتكم والحجة لذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة والمراد بالناس العموم فى اليهود والعرب وغيرهم الا الذين ظلموا منهم اي من المذكورين ممن تكلم فى النازلة فى قولهم ما ولاهم عن قبلتهم * وقوله تعالى فلا تخشوهم واخشونى الآية فيه تحقير لشانهم وامر باطراح امرهم ومراعاة امره سبحانه قال الفخر وهذه الآية تدل على ان الواجب على المرء فى كل افعاله وتروكه ان ينصب بين عينيه خشية ربه تعالى وان يعلم انه ليس فى ايدى الخلق شيء البتة وان لا يكون مشتغل القلب بهم ولا ملتفت الخاطر اليهم انتهى قال * ص * الا الذين استثناء متصل قاله ابن عباس وغيره اي ليلا تكون حجة من اليهود المعاندين القائلين ما ترك قبلتنا وتوجه للكعبة الا حبا لبلده وقيل منقطع اي لكن الذين

ظلموا منهم فانهم يتعلقون عليكم بالشبه وزعم ابو عبيدة معمر بن المثنى ان
لا في الآية بمعنى الواو قال ومنه

وكل اخ مُفارقه اخوه * لعمر ابيك لا الفرقدان

اي والذين ظلموا والفرقدان ورد بان لا بمعنى الواو لا يقوم عليه دليل انتهى *
وقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره امر باستقبال القبلة وهو شرط في الفرض الا في القتال
حالة الالتحام وفي النوافل الا في السفر الطويل للراكب والقدرة على اليقين في
مصادفتها تمنع من الاجتهاد وعلى الاجتهاد تمنع من التقليد * وقوله سبحانه
ولاتم نعمتي عليكم عطف على قوله لئلا وقيل هو في موضع رفع بالابتداء والخبر
مضمر تقديره ولاتم نعمتي عليكم عرفتكم قبلتي ونحوه ولعلكم تهتدون ترج في
حق البشر والكاف في قوله كما رد على قوله ولاتم اي اتماما كما وهذا احسن
الاقوال اي لاتم نعمتي عليكم في بيان سنة ابراهيم عليه السلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم اجابة لدعوته في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقيل الكاف من
كما رد على تهتدون اي اهتداء كما قال الفخر وهنا تأويل ثالث وهو ان الكاف
متعلقة بما بعدها اي كما ارسلنا فيكم رسولا واوليتكم هذه النعم فاذكروني اذكركم
واشكروا لي الآية انتهى * ت * وهذا التأويل نقله الداودي عن الفراء
انتهى وهذه الآية خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وءاياتنا يعني القرءان
ويزكيكم اي يطهركم من الكفر وينميكم بالطاعة والكتاب القرءان والحكمة ما يتلقى
عنه صلى الله عليه وسلم من سنة وفقه ودين وما لم تكونوا تعلمون قصص من
سلف وقصص ما ياتي من الغيوب * قوله تعالى فاذكروني اذكركم الآية
قال سعيد بن جبير معنى الآية اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب * ت *
وفي تفسير احمد بن نصر الداودي وعن ابن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم

بمغفرتي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرءان ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرءان انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن انس بن مالك قال ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة او بذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض قال ابن المبارك واخبرنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال الذاكر في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين انتهى وقال الربيع والسدى المعنى اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوه وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم الحديث انتهى واشكروا لي اي نعمي واياديَّ ولا تكفرون اي نعمي واياديَّ * ت * وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله الا وقد ادى شكرها فان قالها الثانية جدد الله لها ثوابها فان قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح انتهى من السلاح * وقوله تعالى ان الله مع الصابرين اي بمعونته وانجاده * وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات الآية سببها ان الناس قالوا فيمن قتل ببدر واحد من المومنين مات فلان مات فلان فكره الله سبحانه ان تحط منزلة الشهداء الى منزلة غيرهم فنزلت هذه الآية وايضا فان المومنين صعب عليهم فراق اخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلية لهم تعظم منزلة الشهداء وتخبر عن حقيقة حالهم فصاروا مغبوطين لا محزونا لهم ويظهر ذلك من حديث

ام حارثة فى السير * ت * وخرجه البخارى فى صحيحه عن انس قال اصيب حارثة يوم بدر اصابه غرب سهم وهو غلام فجاءت امه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فان يك فى الجنة اصبر واحتسب وان تكن الاخرى ترى ما اصنع فقال ويحك او هُبِلْتِ او جنة واحدة هي انها جنان كثيرة وانه فى الفردوس الاعلى الحديث انتهى * ع * والفرق بين الشهيد وغيره انما هو الرزق وذلك ان الله تعالى فضلهم بدوام حالهم التى كانت فى الدنيا فرزقهم * ت * وللشهيد احوال شريفة منها ما خرجه الترمذى وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى اول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويامن من الفزع الاكبر ويوضع على راسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من اقربائه قال الترمذى هذا حديث حسن غريب زاد ابن ماجه ويحلى حلة الايمان قال القرطبي فى تذكرته هكذا وقع فى نسخ الترمذى وابن ماجه ست خصال وهي فى متن الحديث سبع وعلى ما فى ابن ماجه ويحلى حلة الايمان تكون ثمانيا وكذا ذكره ابو بكر احمد بن سليمان النجاد بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ثمان خصال انتهى وخرج الترمذى والنساءى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احدكم الم القرصة انتهى * ع * روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة وروي انهم فى قبة خضراء وروي انهم فى قناديل من ذهب الى كثير من هذا ولا محالة انها احوال لطوائف او للجميع فى اوقات

متغايرة * ت * وكذا ذكر شبيب بن ابراهيم فى كتاب الافصاح ان المنعمين على جهات مختلفة بحسب مقاماتهم وتفاوتهم فى اعمالهم قال صاحب التذكرة وهذا قول حسن وبه يجمع بين الاخبار حتى لا تتدافع انتهى قال * ع * وجمهور العلماء على انهم فى الجنة ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم لام حارثة انه فى الفردوس الاعلى وقال مجاهد هم خارج الجنة ويعلقون من شجرها وفى مختصر الطبرى قال ونهى عز وجل ان يقال لمن يقتل فى سبيل الله اموات واعلم سبحانه انهم احياء ولكن لا شعور لنا بذلك اذ لا نشاهد باطن امرهم وخصوا من بين سائر المومنين بانهم فى البرزخ يرزقون من مطاعم الجنة ما يرزق المومنون من اهل الجنة على انه قد ورد فى الحديث انما نسمة المومن طائر يعلق فى شجر الجنة ومعنى يعلق ياكل ومنه قولهم ما ذقت علاقا اي ماكلا فقد عم المومنين بانهم يرزقون فى البرزخ من رزق الجنة ولكن لا يمتنع ان يخص الشهداء من ذلك بقدر لا يناله غيرهم والله اعلم انتهى وروى النساءي ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المومنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على راسه فتنة انتهى * ت * وحديث انما نسمة المومن طائر خرجه مالك رحمه الله قال الداودي وحديث مالك هذا اصح ما جاء فى الارواح والذى روي انها تجعل فى حواصل طير لا يصح فى النقل انتهى قال ابوعمر بن عبد البر فى التمهيد والاشبه قول من قال كطير او كصور طير لموافقته لحديث الموطإ هذا واسند ابو عمر هذه الاحاديث ولم يذكر مطعنا فى إسنادها انتهى ثم اعلمهم تعالى ان الدنيا دار بلاء ومحنة ثم وعد على الصبر فقال ولنبلونكم اي نمتحنكم بشيء من الخوف اي من الاعداء فى الحروب ونقص من الاموال اي بالجوائح والمصائب والانفس

بالموت والقتل والثمرات بالعاهات والمراد بشيء من هذا وشيء من هذا واكتفى
بالاول ايجازا ثم وصف سبحانه الصابرين الذين بشرهم بقوله الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون فجعل سبحانه هذه الكلمات ملجأ لذوى
المصائب لما جمعت من المعانى المباركة من توحِيدِ الله سبحانه والاقرار له بالعبودية
والبعث من القبور واليقين بان رجوع الامر كله اليه كما هو له قال الفخر قال ابو بكر
الوراق انا لله اقرار منا له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك واعلم
ان قوله انا لله يدل على كونه راضيا بكل ما نزل به ووردت اخبار كثيرة فى هذا
الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه انتهى وروي ان مصباح رسول الله صلى
الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي
يا رسول الله قال نعم كل ما اذى المومن فهو مصيبة قال النووى وروينا فى كتاب
ابن السني عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسترجع احدكم
فى كل شيء حتى فى شسع نعلِه فانها من المصائب انتهى من الحلية * وقوله
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم الآية نعم من الله تعالى على الصابرين
المسترجعين وصلوات الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه اياه فى الدنيا
والآخرة وكرر الرحمة وهي من اعظم اجزاء الصلاة لمّا اختلف اللفظ تأكيدا منه
تعالى وشهد لهم بالاهتداء * ت * وفى صحيح البخارى وقال عمر نعم
العدلان ونعم العلاوة الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الى
المهتدون قال النووى فى الحلية وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن
عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن يعزى اخاه
بمصيبة الاكساه الله عزوجل من حلل الكرامة يوم القيامة وروينا فى كتاب الترمذى

والسنن الكبير للبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره اسناده ضعيف وروينا في كتاب الترمذي ايضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة قال الترمذي ليس اسناده بالقوي انتهى * قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة العظيمة والمروة واحدة المرو وهي الحجارة الصغار التي فيها لين ومن شعائر الله معناه معالمه ومواضع عبادته وقال مجاهدٌ ذلك راجع الى القول اي مما اشعركم الله بفضله ماخوذ من شعرت اذا تحسست وحج معناه قصد وتكرر واعتمر زار وتكرر ماخوذ من عمرت الموضع والجناح الاثم والميل عن الحق والطاعة ومن اللفظة الجناح لانه في شق ومنه وان جنحوا للسلم فاجنح لها ويطوف اصله يتطوف فقوله ان الصفا والمروة الآية خبر يقتضي الامر بما عهد من الطواف بهما وقوله فلا جناح ليس المقصود منه اباحة الطواف لمن شاء لان ذلك بعد الامر لا يستقيم وانما المقصود رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من ان الطواف بينهما فيه حرج واعلامهم ان ما وقع في نفوسهم غير صواب وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان ذلك في الانصار ومذهب مالك والشافعي ان السعي بينهما فرض لا يجزئ تاركه الا العودة قال ابن العربي في احكامه والدليل على ركنيته ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا صححه الدارقطني ويعضده المعنى فانه شعار اي معلم لا يخلو عنه الحج والعمرة فكان ركنا كالطواف انتهى ومن تطوع اي زاد برا بعد الواجب في جميع الاعمال وقال بعضهم معناه من تطوع بحج او عمرة بعد حجة الفريضة ومعنى شاكر اي يبذل الثواب والجزاء عليم بالنيات والاعمال لا يضيع معه لعامل عمل * وقوله سبحانه ان الذين يكتمون

ما انزلنا الآية المراد بالذين احبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم وتتناول الآية بعد كل من كتم علما من دين الله يحتاج الى بثه وذلك مفسّر فى قول النبي صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من النار قال ابن العربى وللآية تحقيق وهو ان العالم اذا قصد الكتمان عصى واذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا عرف ان معه غيره وقد كان ابو بكر وعمر لا يحدثان بكل ما سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة وكان الزبير اقلهم حديثا ثم قال ابن العربى فاما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية واما ان لم يسأل فلا يلزم التبليغ الا فى القروان وحده وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى فضيلة التبليغ بانه قال نضّر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فادّاها كما سمعها انتهى من احكام القروان * والبينات والهدى امر محمد صلى الله عليه وسلم ثم يعم بعد كل ما يكتم من خير وفى الكتاب يراد به التوراة والانجيل ويدخل القروان فى عموم الآية واختلف فى اللاعنين فقال قتادة والربيع الملائكة والمومنون وهذا ظاهر واضح وقيل الحشرات والبهائم وقيل جميع المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والانس وهذان القولان لا يقتضيهما اللفظ ولا يثبتان الا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله سبحانه التائبين * واصلحوا اي فى اعمالهم واقوالهم * وبينوا اي امر محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية هذه الآية محكمة فى الذين وافوا على كفرهم واختلف فى معنى قوله والناس اجمعين والكفار لا يلعنون انفسهم فقال قتادة والربيع المراد بالناس المومنون خاصة وقال ابو العالية معنى ذلك فى الآخرة * وقوله خالدين فيها اي فى اللعنة وقيل فى النار وعاد الضمير عليها وان لم يجر لها ذكر لثبوتها فى المعنى * ولاهم ينظرون اي لا يوخّرون عن العذاب

ويحتمل ان يكون من النظر نحو قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والاول اظهر لان النظر بالعين انما يعدى بالى الا شاذا فى الشعر * وقوله تعالى والهكم اله واحد الآية اعلام بالوحدانية قال عطاء لما نزلت هذه الآية بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما ءايته وعلامته ونحوه عن ابن المسيب فنزل عند ذلك قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية اي فى اختراعها وانشائها والنهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس يقضى بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم انما هو بياض النهار وسواد الليل وهذا هو مقتضى الفقه فى الايمان ونحوها واما على ظاهر اللغة واخذه من السعة فهو من الاسفار وقال الزجاج فى كتاب الانواء اول النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل ان اول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا يعد ما قبل ذلك من النهار قال ع * وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الحكم * والفلك السفن ومفرده وجمعه بلفظ واحد * وما انزل الله من السماء من ماء يعنى به الامطار وبث معناه فرق وبسط ودابة تجمع الحيوان كله * وتصريف الرياح ارسالها عقيما وملقحة وصرا ونصرا وهلاكا وجنوبا وشمالا وغير ذلك والرياح جمع ريح وجاءت فى القرءان مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب الا فى يونس فى قوله سبحانه وجرين بهم بريح طيبة وهذا اغلب وقوعها فى الكلام وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت ريح يقول اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لان ريح العذاب شديدة ملتئمة الاجزاء كانها جسم واحد وريح الرحمة لينة تجيء من هاهنا وهاهنا متقطعة فلذلك يقال هي رياح وهو معنى نشر وافردت مع الفلك لان ريح اجراء السفن انما هي واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب وهي لفظة من ذوات الواو يقال ريح وارواح

ولايقال ارياح وانما يقال رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن في هذه اللفظة عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فاستعمل الارياح في شعره ولُحن في ذلك وقال له ابو حاتم ان الارياح لا يجوز فقال اما تسمع قولهم رياح فقال ابو حاتم هذا خلاف ذلك فقال صدقت ورجع * والسحاب جمع سحابة سمي بذلك لانه ينسحب وتسخيره بعثه من مكان الى اخر فهذه ايات * وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية الند النظير والمقاوم قال مجاهد وقتادة المراد بالانداد الاوثان كحب الله اي كحبكم لله او كحبهم حسبما قدّر كلّ وجه منها فرقةٌ ومعنى كحبهم اي يسوون بين محبة الله ومحبة الاوثان ثم اخبر ان المومنين اشد حبا لله لاخلاصهم وتيقنهم الحق * وقوله تعالى ولو ترى الذين ظلموا اي ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لا قروا ان القوة لله او لعلمت ان القوة لله جميعا فجواب لو مضمر على التقديرين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والمراد امته وقرأ حمزة وغيره بالياء اي ولو يرى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخرة اذ يرون العذاب لعلموا ان القوة لله * والذين اتبعوا بفتح التاء والباء هم العبدة لغير الله الضالون المقلدون لرؤسائهم او للشياطين وتبريهم هو بان قالوا انا لم نضل هؤلاء بل كفروا بارادتهم * والسبب في اللغة الحبل الرابط الموصل فيقال في كل ما يتمسك به فيصل بين شيئين وقال الذين اتبعوا اي الاتباع * والكرة العودة الى حال قد كانت كذلك يريهم الله اعمالهم الآية يحتمل ان يكون من رؤية البصر ويحتمل رؤية القلب اي يريهم الله اعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها وقال ابن مسعود اعمالهم الصالحة التي تركوها والحسرة اعلى درجات الندامة والهمّ بما فات وهي مشتقة من

الشي. الحسير الذى انقطع وذهبت قوته وقيل من حسر اذا كشف * وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا الآية الخطاب عام وما بمعنى الذى وحلالا حال من الضمير العائد على ما وطيبا نعت ويصح ان يكون حالا من الضمير فى كلوا تقديره مستطيبين والطيب عند مالك الحلال فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ وهو عند الشافعى المستلذ ولذلك يمنع اكل الحيوان القذر قال الفخر الحلال هو المباح الذى انحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد انتهى وخطوات جمع خطوة والمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه قال ابن عباس خطواته اعماله وقال غيره آثاره * ع * وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصى فهي خطوات الشيطان * وعدو يقع للمفرد والمثنى والجمع * انما يامركم بالسوء والفحشاء الآية انما هاهنا للحصر وامر الشيطان اما بقوله فى زمن الكهنة واما بوسوسته * والسوء مصدر من ساء يسوء وهي المعاصى وما تسوء عاقبته والفحشاء قيل الزنا وقيل ما تفاحش ذكره واصل الفحش قبح المنظر ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح والشرع هو الذى يحسن ويقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء * وما لا تعلمون قال الطبري يريد ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا * واذا قيل لهم يعنى كفار العرب وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والالف فى قوله سبحانه او لوكان للاستفهام لان غاية الفساد فى الالتزام ان يقولوا نتبع آباءنا ولوكانوا لا يعقلون فقُرروا على التزامهم هذا اذ هذه حال آبائهم وقوة الفاظ هذه الآية تعطى ابطال التقليد واجمعت الامة على ابطاله فى العقائد * ومثل الذين كفروا الآية المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم بالراعى الذى ينعق بالغنم او الابل فلا تسمع الا دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر

ابن عباس وعكرمة والسدى وسيبويه فذكر تعالى بعض هذه الجملة وبعض هذه ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الايجاز * والنعيق زجر الغنم والصياح بها * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم الآية الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ والآية تشير بتبعيض من الى ان الحرام رزق وحض سبحانه على الشكر والمعنى فى كل حالة وفى مصابيح البغوى عن ابى داوود والنساءى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر انتهى قال القشيرى قال اهل العلم بالاصول نعم الله تعالى على ضربين نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ما اولاهم ونعمة الدفع ما زوى عنهم وليس كل انعامه سبحانه انتظام اسباب الدنيا والتمكن منها بل الطاف الله تعالى فيما زوى عنهم من الدّنيا اكثر وان قرب العبد من الرب تعالى على حسب تباعده من الدنيا انتهى من التحبير وقال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى ببهجة المجالس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد بنعمة فعلم انها من عند الله الا كتب الله له شكرها وما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل ان يستغفره وان الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له قال ابو عمر مكتوب فى التوراة اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لازوال للنعم اذا شكرت ولا مقام لها اذا كفرت انتهى وان من قوله ان كنتم اياه تعبدون شرط والمراد بهذا الشرط التثبيت وهز النفوس كما تقول افعل كذا ان كنت رجلا وانما هاهنا حاصرة ولفظ الميتة عموم والمعنى مخصص لان الحوت لم يدخل قط فى هذا العموم وفى مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه انتهى من الكوكب الدري للامام ابى

العباس احمد بن سعد التجيبي * والدم يراد به المسفوح لان ما خالط اللحم فغير محرم باجماع * ت * بل فيه خلاف شاذ ذكره ابن الحاجب وغيره والمشهور اظهر لقول عائشة رضي الله عنها لو حرم غير المسفوح لتتبع الناس ما فى العروق ولقد كنا نطبخ اللحم والبرمة تعلوها الصفرة انتهى * وما اهل به لغير الله قال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان * واهل به معناه صيح به ومنه استهلال المولود وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب ذلك فى استعمالهم حتى عبر به عن النية التى هي علة التحريم فمن اضطر غير باغ ولا عاد قال قتادة وغيره معناه غير قاصد فساد وتعد بان يجد عن هذه المحرمات مندوحة وياكلها واصحاب هذا القول يجيزون الاكل منها فى كل سفر مع الضرورة وقال مجاهد وغيره المعنى غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل فى الباغي والعادى قطاع السبل والخارج على السلطان والمسافر فى قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله ولغير هؤلاء هي الرخصة قال مالك رحمه الله ياكل المضطر شبعه وفى الموطا وهو لكثير من العلماء انه يتزود اذا خشي الضرورة فيما بين يديه من مفازة وقفر قال ابن العربى فى احكامه وقد قال العلماء ان من اضطر الى اكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل دخل النار الا ان يغفر الله له انتهى والمعنى انه لم ياكل حتى مات جوعا فهو عاص وكانه قتل نفسه وقد قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم الآية الى قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا قال ابن العربى واذا دامت المخمصة فلا خلاف فى جواز شبع المضطر وان كانت نادرة ففى شبعه قولان احدهما لمالك ياكل حتى يشبع ويتضلع وقال غيره ياكل بمقدار سد الرمق وبه قال ابن حبيب وابن الماجشون انتهى * وقوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب

الآية قال ابن عباس وغيره المراد احبار اليهود الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل * ع * وهذه الآية وان كانت نزلت في الاحبار فانها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختارا لذلك بسبب دنيا يصيبها وفي ذكر البطن تنبيه على مذمتهم بانهم باعوا ءاخرتهم بحظهم من المطعم الذي لاخطر له وعلى هُجْنتهم بطاعة بطونهم قال الربيع وغيره سمي ماكولهم نارا لانه يئول بهم الى النار وقيل ياكلون النار في جهنم حقيقة * ت * وينبغي لاهل العلم التنزه عن اخذ شيء من المتعلمين على تعليم العلم بل يلتمسون الاجر من الله عز وجل وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لا اسألكم عليه اجرا الآية وفي سنن ابي داود عن عُبادة بن الصامت قال علمت ناسا من اهل الصُّفَّة الكتاب والقرءان واهدى الي رجل منهم قوسا فقلت ليست بمال وارمي عليها في سبيل الله لأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سألنه فاتيته فقلت يا رسول الله رجل اهدى الي قوسا ممن كنت اعلمه الكتاب والقرءان وليست بمال وارمي عليها في سبيل الله قال ان كنت تحب ان تطوق طوقا من نار فاقبلها وفي رواية فقلت ما ترى فيها يا رسول الله قال جمرة بين كتفيك تقلدتها او تعلقتها انتهى * وقوله تعالى ولا يكلمهم الله قيل هي عبارة عن الغضب عليهم وازالة الرضا عنهم اذ في غير موضع من القرءان ما ظاهره ان الله تعالى يكلم الكافرين وقال الطبري وغيره المعنى لا يكلمهم بما يحبونه * ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من موجبات العذاب وقيل المعنى لا يسميهم ازكياء * وقوله تعالى فما اصبرهم على النار قال جمهور المفسرين ما تعجب وهو في حيز المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في النار وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره واسمع بهم وابصر وقال قتادة والحسن وابن جبير والربيع اظهر التعجب

من صبرهم على النار لمّا عملوا عمل من وطّن نفسه عليها وتقديره ما اجرأهم على النار اذ يعملون عملا يؤدى اليها وذهب معمر بن المثنى الى ان ما استفهام معناه اي شيء صبرهم على النار والاول اظهر * وقوله سبحانه ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية المعنى ذلك الامر بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به والاشارة الى وجوب النار لهم * والكتاب القرءان و بالحق اي بالاخبار الحق اي الصادقة * والذين اختلفوا فى الكتاب هم اليهود والنصارى فى قول السدى وقيل هم كفار العرب لقول بعضهم هو سحر وبعضهم اساطير وبعضهم مفترى الى غير ذلك * وبعيد هنا معناه من الحق والاستقامة * وقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية قال ابن عباس وغيره الخطاب بهذه الآية للمومنين فالمعنى ليس البر الصلاة وحدها وقال قتادة والربيع الخطاب لليهود والنصارى لانهم تكلموا فى تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليها فقيل لهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من ءامن بالله * وقوله تعالى وءاتى المال على حبه الآية هذه كلها حقوق فى المال سوى الزكاة قال الفخر وروت فاطمة بنت قيس ان فى المال حقا سوى الزكاة وتلا وءاتى المال على حبه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم لا يومن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاويا الى جنبه انتهى قال ابن العربى فى احكامه واذا وقع اداء الزكاة ثم نزلت بعد ذلك حاجة فانه يجب صرف المال اليها باتفاق من العلماء وقد قال مالك يجب على كافة المسلمين فداء اسراهم وان استغرق ذلك اموالهم وكذلك اذا منع الوالى الزكاة فهل يجب على الاغنياء اغناء الفقراء الصحيح وجوب ذلك عليهم انتهى * ومعنى ءاتى اعطى على حبه اي على حب المال ويحتمل ان يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله من آمن

بالله اي من تصدق محبة في الله وطاعته * ص * والظاهر ان الضمير فى
حبه عائد على المال لان قاعدتهم ان الضمير لا يعود على غير الاقرب الا بدليل
انتهى قال * ع * والمعنى المقصود ان يتصدق المرء فى هذه الوجوه وهو
صحيح شحيح يخشى الفقر ويامل الغنى كما قال صلى الله عليه وسلم والشح فى
هذا الحديث هو الغريزي الذى فى قوله تعالى واحضرت الانفس الشح وليس
المعنى ان يكون المتصدق متصفا بالشح الذى هو البخل * وفى الرقاب
اي العتق وفك الاسرى * والصابرين نصب على المدح او على اضمار
فعل وهذا مهيع فى تكرار النعوت والبأساء الفقر والفاقة * والضراء المرض
ومصائب البدن وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء رواه
الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وفى صحيح
مسلم عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المومن ان
امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمومن اذا اصابته سراء فشكر فكان خيرا له
وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له انتهى * وحين الباس اي وقت شدة القتال
هذا قول المفسرين فى الالفاظ الثلاثة تقول العرب بَئِس الرجل اذا افتقر
وبَؤُس اذا شجُع ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال البرة بالصدق فى امورهم اي
هم عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول صدقنى المال وصدقنى الرمح ووصفهم
تعالى بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية * وقوله تعالى
يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص الآية كتب معناه فُرض واثبت وصورة
فرض القصاص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي القتل الاستسلام لامر الله
وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدى على غيره فان

وقع الرضا بدون القصاص من دية او عفو فذلك مباح والآية معامة ان القصاص هو الغاية عند التشاح والقصاص ماخوذ من قص الاثر فكأن القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره فيها روي عن ابن عباس ان هذه الآية محكمة وفيها اجمال فسرته اية المائدة وان قوله سبحانه الحر بالحر يعم الرجال والنساء واجمعت الامة على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل * وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء الآية فيه تأويلات احدها ان من يراد بها القاتل وعفي تتضمن عافيا وهو ولي الدم والاخ هو المقتول وشيء هو الدم الذى يعفى عنه ويرجَع الى اخذ الدية هذا قول ابن عباس وجماعة من العلماء والعفو على هذا القول على بابه والتأويل الثاني وهو قول مالك ان من يراد بها الولي وعفي بمعنى يُسِّر لا على بابها في العفو والاخ يراد به القاتل وشيء هي الدية والاخوة على هذا اخوة الاسلام والتأويل الثالث ان هذه الالفاظ في معنى الذين نزلت فيهم الآية وهم قوم تقاتلوا فقتل بعضهم بعضا فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلح بينهم ويقاصهم بعضهم من بعض بالديات على استواء الاحرار بالاحرار والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد فمعنى الآية فمن فضل له من احدى الطائفتين على الاخرى شيء من تلك الديات وتكون عُفي بمعنى فضل * وقوله تعالى فاتباع تقديره فالواجب والحكم اتباع وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى فامساك بمعروف واما المندوب اليه فياتي منصوبا كقوله تعالى فضرب الرقاب وهذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدِّي * وقوله سبحانه ذلك تخفيف اشارة الى ما شرعه لهذه الامة من اخذ الدية وكانت بنو اسرائيل لا دية عندهم انما هو القصاص فقط والاعتداء المتوعد عليه في هذه الآية هو ان ياخذ الرجل دية وليه ثم يقتل القاتل بعد سقوط

الدم واختلف فى العذاب الاليم الذى يلحقه فقال فريق من العلماء منهم مالك هو كمن قتل ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفا عنه وعذابه فى الآخرة وقال قتادة وغيره يقتل البتة ولا عفو فيه وروي فى ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة المعنى ان القصاص اذا اقيم وتحقق الحكم به ازدجر من يريد قتل احد مخافة ان يقتص منه فحييا بذلك معا وايضا فكانت العرب اذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى موت العدد الكثير فلما شرع الله سبحانه القصاص قنع الكل به ووقف عنده وتركوا الاقتتال فلهم فى ذلك حياة وخص أولوا الالباب بالذكر تنبيها عليهم لانهم العارفون القابلون للاوامر والنواهي وغيرهم تبع لهم * وتتقون معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لانواع التقوى فى غير ذلك فان الله سبحانه يثيب على الطاعة بالطاعة * وقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الآية كتب معناه فرض واثبت وفى قوله تعالى اذا حضر مجاز لان المعنى اذا تخوف وحضرت علاماته * والخير فى هذه الآية المال واختلف فى هذه الآية هل هي محكمة او منسوخة فقال ابن عباس وقتادة والحسن الآية عامة وتقرر الحكم بها برهة ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض وقال بعض العلماء ان الناسخ لهذه الآية هي السنة المتواترة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث

وبالمعروف معناه بالقصد الذى تعرفه النفوس دون اضرار بالورثة ولا تنزير للوصية وحقا مصدر مؤكد وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس اليها * وقوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه الآية الضمير فى بدله عائد على الايصاء وامر الميت وكذلك فى سمعه ويحتمل

ان يعود الذى فى سمعه على امر الله تعالى فى هذه الآية والاول اسبق للناظر وسميع عليم صفتان لا يخفى معهما شيء من جنف الموصين وتبديل المتعدين والجنف الميل ومعنى الآية على ما قال مجاهد من خشي ان يحيف الموصي ويقطع ميراث طائفة ويتعمد الاذاية فذلك هو الجنف فى اثم وان لم يتعمد فهو الجنف دون اثم فالمعنى من وعظه فى ذلك ورده عنه واصلح ما بينه وبين ورثته وما بين الورثة فى ذاتهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم بالموصى اذا عملت فيه الموعظة ورجع عما اراد من الاذاية وقال ابن عباس وغيره معنى الآية من خاف اي علم ورأى بعد موت الموصى ان الموصي حاف وجنف وتعمد اذاية بعض ورثته فاصلح ما بين الورثة فلا اثم عليه وان كان فى فعله تبديل ما لانه تبديل لمصلحة والتبديل الذى فيه الاثم انما هو تبديل الهوى * قوله جلت قدرته يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام الآية كتب معناه فرض والصيام فى اللغة الامساك ومنه قوله سبحانه انى نذرت للرحمن صوما وفى الشرع امساك عن الطعام والشراب مقترنة به قرائن من مُراعاة اوقات وغير ذلك * وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم اختلف فى موضع التشبيه قالت فرقة التشبيه كتب عليكم كصيام قد تقدم فى شرع غيركم فالذين عام فى النصارى وغيرهم ولعلكم ترج فى حقهم * وتتقون قيل على العموم لان الصيام كما قال صلى الله عليه وسلم جُنَّة ووِجاء وسبب تقوى لانه يميت الشهوات * واياما معدودات قيل رمضان وقيل الثلاثة الايام من كل شهر ويوم عاشوراء التى نسخت بشهر رمضان * ص * واياما منصوب بفعل مقدر يدل عليه ما قبله اي صوموا اياما وقيل اياما نصب على الظرف انتهى * وقوله سبحانه فمن كان منكم مريضا او

على سفر التقدير فافطر فعدةٌ وهذا يسمونه فحوى الخطاب واختلف العلماء فى حد المرض الذى يقع به الفطر فقال جمهور العلماء اذا كان به مرض يوذيه ويولمه او يخاف تماديه او يخاف من الصوم تزيده صح له الفطر وهذا مذهب حذاق اصحاب مالك وبه يناظرون واما لفظ مالك فهو المرض الذى يشق على المرء ويبلغ به واختلف فى الافضل من الفطر او الصوم ومذهب مالك استحباب الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلاة حسن لان الذمة تبرأ فى رخصة الصلاة وهي مشغولة فى امر الصيام والصواب المبادرة بالاعمال والسفر سفر الطاعة كالحج والجهاد باجماع ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضرورى واما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز والقول بالجواز ارجح واما سفر العصيان فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع ارجح ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث تقصر الصلاة ثمانية واربعون ميلا * وقوله تعالى فعدة اي فالحكم او الواجب عدة وفى وجوب تتابعها قولان واخر لا ينصرف للعدل * وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية الآية قرأ باقى السبعة غير نافع وابن عامر فديةٌ بالتنوين طعامُ مسكين بالافراد وهي قراءة حسنة لانها بينت الحكم فى اليوم واختلفوا فى المراد بالآية فقال ابن عمر وجماعة كان فرض الصيام هكذا على الناس من اراد ان يصوم صام ومن اراد ان يفطر اطعم مسكينا وافطر ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقالت فرقة الآية فى الشيوخ الذين يطيقونه بتكلف شديد والآية عند مالك انما هي فيمن يدركه رمضان ثان وعليه صوم من المتقدم فقد كان يطيق فى تلك المدة الصوم فتركه والفدية عند مالك وجماعة من العلماء مُد لكل مسكين * وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له الآية قال ابن عباس وغيره المراد من اطعم مسكينين فصاعدا

وقال ابن شهاب من زاد الاطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد في الاطعام على المد وخيرًا الاول قد نزل منزلة مال او نفع وخير الثاني والثالث صفة تفضيل * وقوله تعالى ان كنتم تعلمون يقتضي الحض على الصوم اي فاعلموا ذلك وصوموا * ت * وجاء في فضل الصوم احاديث صحيحة مشهورة وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما تطوعا لم يطلع عليه احد لم يرض الله له بثواب دون الجنة قال وبهذا الاسناد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله انتهى قال ابن عبد البر في كتابه المسمى ببهجة المجالس قال ابو العالية الصائم في عبادة ما لم يغتب قال الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد البلالي الشافعي في اختصاره للاحياء وذكر السبكي في شرحه ان الغيبة تمنع ثواب الصوم اجماعا قال البلالي وفيه نظر لمشقة الاحتراز نعم ان اكثر توجهت المقالة انتهى وهذا الشيخ البلالي لقيته ورويت عنه كتابه هذا وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم قال ابو عمر في التمهيد وذلك لان الصوم جنة يستجن بها العبد من النار وتفتح لهم ابواب الجنة لان اعمالهم تزكو فيه وتقبل منهم ثم اسند ابو عمر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيتْ امتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن امة قبلها خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله لهم كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادي الصائمون ان يلقوا عنهم المؤنة والاذى ثم يصيرون اليك وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره ويغفر لهم آخر ليلة قيل يا رسول الله اهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفى اجره اذا انقضى قال ابو عمر

وفي سنده ابو المقدام فيه ضعف ولكنه محتمل فيما يرويه من الفضائل واسند ابو عمر عن الزهري قال تسبيحة في رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره انتهى * ت * وخرجه الترمذي عن الزهري قال تسبيحة في رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره انتهى * قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرءان الشهر مشتق من الاشتهار قال * ص * الشهر مصدر شهر يشهر اذا ظهر وهو اسم للمدة الزمانية وقال الزجاج الشهر الهلال وقيل سمي الشهر باسم الهلال انتهى ورمضان عَلِقَه هذا الاسم من مدة كان فيها في الرمض وشدة الحر وكان اسمه قبل ذلك ناترا (١) واختلف في انزال القرءان فيه فقال الضحاك انزل في فرضه وتعظيمه والحض عليه وقيل بدئ بنزوله فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس فيما ياثر انزل الى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة اربع وعشرين من رمضان ثم كان جبريل ينزله رِسْلا رِسْلا في الاوامر والنواهي والاسباب وروى واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان والتوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرءان لاربع وعشرين * وهدًى في موضع نصب على الحال من القرءان فالمراد ان القرءان بجملته من مُحْكَم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى ثم شُرِّف بالذكر والتخصيص البينات منه يعنى الحلال والحرام والمواعظ والمحكم كله فالالف واللام في الهدى للعهد والمراد الاول قال * ص * هدى

---

(١) قوله « وكان اسمه قبل ذلك ناترا » هكذا في جميع النسخ حتى في النسخة التى بخط المؤلف ولم ار من فسر هذه الكلمة بهذا المعنى فيما اطلعت عليه من المعجمات اللغوية ولعل الصواب « وكان اسمه قبل ذلك ناتقا » كما في سائر التفاسير وكتب اللغة والله اعلم اهـ مصححه

منصوب على الحال اي هاديا فهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل وذو الحال القرءان والعامل انزل انتهى * والفرقان المفرق بين الحق والباطل وشهد بمعنى حضر والتقدير من حضر المصر فى الشهر فالشهر نصب على الظرف * وقوله سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال مجاهد والضحاك اليسر الفطر فى السفر والعسر الصوم فى السفر * ع * والوجه عموم اللفظ فى جميع امور الدين وقد فسر ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر * قلت قال ابن الفاكهانى فى شرح الاربعين للنووى فان قلت قوله تعالى ان مع العسر يسرا الآية يدل على وقوع العسر قطعا وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يدل على نفي العسر قطعا لان ما لا يريده تعالى لا يكون باجماع اهل السنة قلت العسر المنفي غير المثبت فالمنفي انما هو العسر فى الاحكام لا غير فلا تعارض انتهى وترجم البخاري فى صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس ثم اسند هو ومسلم عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا واسند البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابى موسى ومعاذ يسرا ولا تعسرا و بشرا ولا تنفرا قال البخاري حدثنا ابو اليمان قال حدّثنا حماد بن زيد عن الازرق بن قيس قال كنا على شاطئ نهر بالاهواز قد نضب عنه الماء فجاء ابو برزة الاسلمى على فرس فصلى وخلى فرسه فانطلق الفرس فترك صلاته وتبعها حتى ادركها فاخذها ثم جاء فقضى صلاته وفينا رجل له رأي فاقبل يقول انظروا الى هذا الشيخ ترك صلاته من اجل فرس فاقبل فقال ما عنفنى احد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال ان منزلى متراخ فلو صليت وتركته لم ءات اهلى الى الليل وذكر انه

قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره انتهى * وقوله تعالى ولتكملوا العدة معناه ولُيُكْمِل من افطر فى سفره او فى مرضه عدة الايام التى افطر فيها * وقوله تعالى ولتكبروا الله حض على التكبير فى ءاخر رمضان قال مالك وهو من حين يخرج الرجل من منزله الى ان يخرج الامام الى المصلّى ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلاثا ومن العلماء من يكبر و يهلل و يسبح اثناء التكبير ومنهم من يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وقيل غير هذا والجميع حسن واسع مع البداءة بالتكبير وهداكم قيل المراد لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم وتعميم الهدى جيد * ولعلكم تشكرون ترج فى حق البشر اي على نعم الله فى الهدى * ص * ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك انتهى * وقوله جل وعلا واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان الآية قال الحسن بن ابى الحسن سببها ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية * واجيبُ قال قوم المعنى اجيب ان شئت وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما ان تظهر الاجابة فى الدنيا واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له اجر فى الآخرة وهذا بحسب حديث الموطا وهو ما من داع يدعو الا كان بين احدى ثلاث الحديث * ت * وليس هذا باختلاف قول قال ابن رشد فى البيان الدعاء عبادة من العبادات يوجر فيها الاجر العظيم اجيبت دعوته فيما دعا به او لم تجب وها انا انقل ان شاء الله من صحيح الاحاديث فى هذا المحل ما يثلج له الصدر وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء احد رواه الحاكم ابو عبد

الله في المستدرك على الصحيحين وابن حِبّان في صحيحه واللفظ له وقال الحاكم صحيح الاسناد وعن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المومن وعماد الدين ونور السموات والارض رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدعو الله بالمومن يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول عبدى انى امرتك ان تدعونى ووعدتك ان استجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يا رب فيقول اما انك لم تدعنى بدعوة الا استجبت لك اليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك ان افرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول فانى عجلتها لك في الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك ان افرج عنك فلم تر فرجا قال نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا كذا وكذا ودعوتنى في حاجة اقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول فانى عجلتها لك في الدنيا ودعوتنى في يوم كذا وكذا في حاجة اقضيها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك في الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يَدَعُ الله دعوة دعا بها عبده المومن الا بين له اما ان يكون عجل له في الدنيا واما ان يكون ادخر له في الآخرة قال فيقول المومن في ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه رواه الحاكم في المستدرك وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء رواه الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه واللفظ للحاكم وقال صحيح الاسناد * قلت وقد اخرج ابن المبارك في رقائقه هذا الحديث ايضا قال حدثنا سفيان عن عبد الله بن قيس عن عبد الله بن ابى الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه انتهى وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل من السماء فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الاسناد وقوله فيعتلجان اي يتصارعان وعن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يستجاب له عند الكُرَب والشدائد فليكثر الدعاء فى الرخاء رواه الحاكم ايضا وقال صحيح الاسناد وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فُتح له فى الدعاء منكم فتحت له ابواب الجنة قال الغزالى رحمه الله فى كتاب الاحياء فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب للرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم ثم فى الدعاء من الفائدة انه يستدعى حضور القلب مع الله عزوجل وذلك منتهى العبادات فالدعاء يرد القلب الى الله عزوجل بالتضرع والاستكانة فانظره فانى اثرت الاختصار وانظر سلاح المومن الذى منه نقلت هذه الاحاديث ومن جامع الترمذى عن ابى خزامة واسمه رفاعة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وانظر جواب عمر لابى عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله الحديث هو من هذا المعنى انتهى والله الموفق بفضله * وقوله تعالى فليستجيبوا لى قال ابو رجاء الخراساني معناه فليدعونى قال * ع * المعنى فليطلبوا ان اجيبهم وهذا هو باب استفعل اي طلب الشيء الا ما شذ مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره

المعنى فليجيبوا لى فيما دعوتهم اليه من الايمان اي بالطاعة والعمل فائدة قال صاحب غاية المغنم فى اسم الله الاعظم وهو امام عارف بعلم الحديث وكتابه هذا يشهد له قال ذكر الدينورى فى كتاب المجالسة عن ليث بن سليم ان رجلا وقف على قوم فقال من عنده ضيافة هذه الليلة فسكت القوم ثم عاد فقال رجل اعمى عندى فذهب به الى منزله فعشاه ثم حدثه ساعة ثم وضع له وَضوءا فقام الرجل فى جوف الليل فتوضأ وصلى ما قضي له ثم جعل يدعو فانتبه الاعمى وجعل يسمع لدعائه فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية اسألك بطاعة الارواح الراجعة الى اجسادها وبطاعة الاجساد الملتئمة فى عروقها وبطاعة القبور المتشققة عن اهلها وبدعوتك الصادقة فيهم واخذك الحق منهم وتبريز الخلائق كلهم من مخافتك ينتظرون قضاءك ويرجون رحمتك ويخافون عذابك اسألك ان تجعل النور فى بصرى والاخلاص فى عملى وشكرك فى قلبى وذكرك فى لسانى فى الليل والنهار ما ابقيتنى قال فحفظ الاعمى هذا الدعاء ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين ودعا به فاصبح قد رد الله عليه بصره انتهى من غاية المغنم فى اسم الله الاعظم واطلاق الفناء على الارواح فيه تجوز والعقيدة ان الارواح باقية لا تفنى وانما عبر عن مفارقتها لاجسادها بالفناء هذا هو مراده وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض فادعوا الله ايها الناس حين تدعون وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل انتهى قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن واذا اراد الله ان يعطي عبدا شيأ وهبه الاضطرار اليه فيه فيطلبه بالاضطرار فيعطَى واذا اراد الله ان يمنع عبدا امرا منعه الاضطرار اليه فيه ثم منعه اياه فلا يُخاف عليك ان تضطر

وتطلب فلا تعطى بل يُخاف عليك ان تحرم الاضطرار فتحرم الطلب او تطلب
بغير اضطرار فتحرم العطاء انتهى * وقوله سبحانه وليومنوا بي قال ابو رجاء
في اني اجيب دعاءهم وقال غيره بل ذلك دعاء الى الايمان بجملته * وقوله
تعالى احل لكم ليلة الصيام الآية لفظة احل تقتضي انه كان محرما قبل ذلك
وليلة نصب على الظرف * والرفث كناية عن الجماع لان الله تعالى كريم
يكني قاله ابن عباس وغيره والرفث في غير هذا ما فحش من القول وقال ابو
اسحاق الرفث كل ما ياتيه الرجل مع المرأة من قبلة ولمس * ع * اوكلام
في هذا المعنى وسبب هذه الآية فيما قال ابن عباس وغيره ان جماعة
من المسلمين اختانوا انفسهم واصابوا النساء بعد النوم او بعد صلاة العشاء
على الخلاف في ذلك منهم عمر بن الخطاب جاء الى امرأته فارادها
فقالت له قد نمت فظن انها تعتل بذلك فوقع بها ثم تحقق انها قد كانت
نامت وكان الوطء بعد نوم احدهما ممنوعا فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل صدر الآية وروي ان صِرْمة بن قيس نام قبل الاكل فبقي
كذلك دون اكل حتى غشي عليه في نهاره المقبل فنزل فيه من قوله تعالى
وَكُلُوا واشربُوا * واللباس اصله في الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمرأة
بذلك * وتاب عليكم اي من المعصية التي وقعتم فيها قال ابن عباس
وغيره باشروهن كناية عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم قال ابن عباس
وغيره اي ابتغوا الولد قال الفخر والمعنى لا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط
ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل قال عليه السلام تناكحوا
تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم انتهى وقيل المعنى ابتغوا ليلة القدر وقيل ابتغوا
الرخصة والتوسعة قاله قتادة وهو قول حسن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الآية

نزلت بسبب صِرْمة بن قيس وحتى غاية للتبيّن ولا يصح ان يقع التبيّن لاحد ويحرم عليه الاكل الاوقد مضى لطلوع الفجر قدر والخيط استعارة وتشبيه لرقة البياض اولا ورقة السواد الحاف به والمراد فيهما قال جميع العلماء بياض النهار وسواد الليل ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والفجر ماخوذ من تفجر الماء لانه ينفجر شيأ بعد شيء وروي عن سهل ابن سعد وغيره من الصحابة ان الآية نزلت الا قوله من الفجر فصنع بعض الناس خيطين ابيض واسود فنزل قوله تعالى من الفجر * ع * وروي انه كان بين طرفي المدة عام من رمضان الى رمضان تأخر البيان الى وقت الحاجة وعدي بن حاتم جعل خيطين على وساده واخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان وسادك لعريض واختلف فى الحد الذى بتبيّنه يجب الامساك فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت عليه الامصار والاعصار ووردت به الاحاديث الصحاح انه الفجر المعترض فى الافق يمنة ويسرة فبطلوع اوله فى الافق يجب الامساك وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهم ان الامساك يجب بتبيّن الفجر فى الطرق وعلى رءوس الجبال وذكر عن حذيفة انه قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو النهار الا ان الشمس لم تطلع ومن اكل وهو يشك فى الفجر فعليه القضاء عند مالك * وقوله سبحانه ثم اتموا الصيام الى الليل امر يقتضى الوجوب * والى غايةٌ واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل فى حكمه واذا كان من غير جنسه لم يدخل فى المحدود والليل الذى يتم به الصيام مغيب قرص الشمس فمن افطر شاكا فى غروبها فالمشهور من المذهب ان عليه القضاء والكفارة وروى ابو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم

الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب تعالى وعزتى لا نصرنك ولو بعد حين رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى واللفظ له حديث حسن ولفظ ابن ماجه حتى يفطر انتهى من السلاح وعنه صلى الله عليه وسلم ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد رواه ابن السني انتهى من حلية النووى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه رواه البخارى ومسلم انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حماد بن سلمة عن واصل مولى ابى عيينة عن لقيط ابى المغيرة عن ابى بردة ان ابا موسى الاشعري كان فى سفينة فى البحر مرفوع شراعها فاذا رجل يقول يا اهل السفينة قفوا سبع مرار فقلنا الا ترى على اي حال نحن ثم قال فى السابعة قفوا اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطّش نفسه لله فى يوم حار من ايام الدنيا شديد الحر كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة فكان ابو موسى يبتغى اليوم الشديد الحر فيصومه انتهى قال يوسف بن يحيي التادلى فى كتاب التشوف وخرج عبد الرزاق فى مصنّفه عن هشام بن حسان عن واصل بن لقيط عن ابى بردة عن ابى موسى الاشعري قال غزا الناس برا وبحرا فكنت ممن غزا فى البحر فبينما نحن نسير فى البحر اذ سمعنا صوتا يقول يا اهل السفينة قفوا اخبركم فنظرنا يمينا وشمالا فلم نرشيأ الالجة البحر ثم نادى الثانية حتى نادى سبع مرات يقول كذلك قال ابو موسى فلما كانت السابعة قمت فقلت ما تخبرنا قال اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ان من عطش لله فى يوم حار ان يرويه الله يوم القيامة وذكره ابن حبيب فى الواضحة بلفظ اخر انتهى قال ابن المبارك واخبرنا ابو بكر بن ابى مريم الغسانى قال حدثنى ضَمْرة بن

حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء بابا وان باب العبادة الصيام انتهى وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ءادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله الا الصوم فانه لي وانا اجزى به انما يدع شهوته وطعامه من اجلي انتهى * وقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قالت فرقة المعنى ولا تجامعوهن وقال الجمهور ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يُتلذذ به من النساء وعاكفون اي ملازمون قال مالك رحمه الله وجماعة معه لا اعتكاف الا في مساجد الجمعات وروي عن مالك ايضا ان ذلك في كل مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج الى ضروري اشغاله قال ابن العربي في احكامه وحرم الله سبحانه المباشرة في المسجد وكذلك تحرم خارج المسجد لان معنى الآية ولا تباشروهن وانتم ملتزمون للاعتكاف في المساجد معتقدون له انتهى وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهي * والحدودُ الحواجز بين الاباحة والحظر ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع ومنه الحاد لانها تُمنع من الزينة والآيات العلامات الهادية الى الحق * وقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية الخطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويدخل في هذه الآية القمار والخُدَع والغصوب وجحد الحقوق وغير ذلك * وقوله سبحانه وتدلوا بها الى الحكام الآية يقال ادلى الرجل بحجة اوبامر يرجوالنجاح به تشبيها بالذى يرسل الدلو في البير يرجو بها الماء قال قوم معنى الآية تسارعون في الاموال الى المخاصمة اذا علمتم ان الحجة تقوم لكم اما بان لا تكون على الجاحد بينة او يكون مال امانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله فالباء في بها باء السبب وقيل معنى الآية ترشوا بها على اكل اكثر منها فالباء الزاق مجرد

وهذا القول يترجح لان الحكام مظنة الرشى الا من عُصِم وهو الاقل وايضا فان اللفظتين متناسبتان تدلوا من ارسال الدلو والرشوة من الرشاء كانها يمد بها لتقضى الحاجة * والفريق القطعة والجزء * وبالاثم اي بالظلم * وانتم تعلمون اي انكم مبطلون * وقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قال ابن عباس وغيره نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم عن الهلال وما فائدة مُحاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس * ومواقيت اي لمحل الديون وانقضاء العدد والاكرية وما اشبه هذا من مصالح العباد ومواقيت للحج ايضا يعرف بها وقته واشهره * وقوله سبحانه وليس البر الآية قال البراء بن عازب والزهري وقتادة سببها ان الانصار كانوا اذا حجوا او اعتمروا يلتزمون تشرعا ان لا يحول بينهم وبين السماء حائل فكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم على الجدرات وقيل كانوا يجعلون فى ظهور بيوتهم فتوحا يدخلون منها ولا يدخلون من الابواب وقيل غير هذا مما يشبهه * وقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية هي اول ءاية نزلت فى الامر بالقتال قال ابن زيد والربيع قوله ولا تعتدوا اي فى قتال من لم يقاتلكم وهذه الموادعة منسوخة بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقال ابن عباس وغيره ولا تعتدوا فى قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم فهي محكمة * وقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم الآية قال ابن اسحاق وغيره نزلت هذه الآية فى شان عمرو بن الحضرمي وواقد وهي سرية عبد الله ابن جحش وثقفتموهم معناه احكمتم غلبتهم يقال رجل ثقف لقف اذا كان محكما لما يتناوله من الامور * واخرجوهم خطاب لجميع المومنين والضمير لكفار قريش * والفتنة اشد من القتل اي الفتنة التى حملوكم عليها وراموكم بها على الرجوع الى الكفر اشد من القتل ويحتمل ان يكون المعنى والفتنة اي

الكفر والضلال الذى هم فيه اشد فى الحـرَم واعظم جرما من القتل الذى عيروكم به فى شـان ابن الحضرمي * وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجـد الحـرام الآية قال الجمهـور كان هذا ثم نسخ وقال مجاهد الآية محكمة ولا يجوز قتـال احد يعني عند المسجد الحرام الا بعد ان يقاتل * قلت وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وانما احلت لى ساعة من النهار ولم تحل لاحد بعدى يقوى قول مجاهد وهذا هو الراجح عند الامام الفخر وان الآية محكمة ولا يجـوز الابتداء بالقتال فى الحرم انتهى قال ابن العربى فى احكامه وقد روى الائمة عن ابن عبـاس ان النبـي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله تعالى يـوم خلـق السماوات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيهـا لاحد قبلى وانمـا احلت لى ساعة من نهـار فقد ثبت النهـي عن القتـال فيها قرءانا وسنة فان لجأ اليـها كافر فلا سبيـل اليه واما الزانى والقاتـل فلا بد من اقامة الحد عليه الا ان يبتدئ الكافر بالقتال فيها فيقتل بنص القرءان انتهى وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكـم فاقتلوهـم اي فان قتلـوا منكـم والانتهـاء فى هذه الآية هو الدخول فى الاسلام * وقاتلوهم حتى لا تـكـو ن فتنـة ويكـون الديـن لله الفتنـة هنـا الشـرك وما تابعه من اذى المومنين قاله ابن عباس وغيره والدين هنا الطاعة والشرع والانتهاء فى هذا الموضع يصح مع عموم الآية فى الكفار ان يكون الدخولَ فى الاسلام ويصح ان يكـون اداء الجزية * وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص الآية قال ابن عبـاس وغيـره نـزلـت فى عمرة القضيـة وعام الحديبيـة سنـة ست حين صدهم المشركـون اي الشـهر الحرام الذى غلّبكم الله فيه وادخلكم الحرم عليهم سنة سبع بالشهر الحرام الذى صدوكم فيه

والحرمات قصاص وقالت فرقة قوله والحرمات قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتداء امر كان فى اول الاسلام ان من انتهك حرمتك نلت منه مثل ما اعتدى عليك * واتقوا الله قيل معناه فى ان لا تعتدوا وقيل فى ان لا تزيدوا على المثل * وقوله تعالى وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الآية سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعدُ جميعَ سبله وفى الصحيح ان ابا ايوب الانصاري كان على القسطنطينية فحمل رجل على عسكر العدو فقال قوم القى هذا بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب لا إن هذه الآية نزلت فى الانصار حين ارادوا لمّا ظهر الاسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا اموالهم واما هذا فهو الذى قال الله تعالى فيه ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وجمهور الناس المعنى لا تلقوا بايديكم بان تتركوا النفقة فى سبيل الله وتخافوا العَيْلة * واحسنوا قيل معناه فى اعمالكم بامتثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى واحسنوا فى الانفاق فى سبيل الله وفى الصدقات قاله زيد بن اسلم وقال عكرمة المعنى واحسنوا الظن بالله عزوجل * ت * ولا شك ان لفظ الآية عام يتناول جميع ما ذكر والمخصص يفتقر الى دليل فاما حسن الظن بالله سبحانه فقد جاءت فيه احاديث صحيحة فمنها انا عند ظن عبدى بى وفى صحيح مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله انتهى واخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه انتهى قال عبد الحق فى العاقبة اما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت فواجب للحديث انتهى ويدخل فى عموم الآية انواع المعروف قال ابو عمر

ابـن عبد الـبـر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة قال ابـو جَـزْء الجُـهَـيْـمـى قلت يا رسول الله اوصنى قال لا تحقرن شيأ من المعروف ان تأتيه ولو ان تـفـرغ من دلوك فى اناء المستسقى ولو ان تـلقى اخاك ووجهك منبسط اليه وقال عليه السلام اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الآخرة وقال عليه السلام ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة انتهى من كتابه المسمى ببهجة المَجالس وأنس المُجالس * وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن زيد وغيره اتمامهما ان لا تـفسخا وان تـتمهما اذا بـدأت بـهما وقال ابن عباس وغيره اتمـامهما ان تـقضى مناسكهما كاملة بما كان فـيـهما من دماء وقال سفيان الثورى اتمـامهما ان تخـرج قاصدا لهمـا لا لتجارة ولا لغيـر ذلـك ويؤيد هـذا قوله لِله وفروض الحج النيـة والاحـرام والطـواف المتصـل بالسعـي يعنى طواف الافاضة والسعـي بين الصفا والمـروة عندنـا خلافـا لابى حنيفة والوقـوف بعرفة وزاد ابـن الماجشـون جمـرة العقبـة * وقوله تعـالى فـان احصرتم فما استيسـر من الهدي هذه الآيـة نزلت عام الحديبية عند جمهـور اهل التـاويل واجمـع جمهور الناس عـلى ان المُحصَر بالعدو يَحل حيـث أُحصِر وينحر هديه ان كان ثَمّ هَدْيٌ ويحلق راسه واما المحصَر بمرض فقال مالك وجمهور من العلماء لا يحله الا البيـت ويقيم حتى يُفيق وان اقام سنين فاذا وصل البيت بعد فوت الحج قطع التلبية فى اوائل الحرم وحل بعمرة ثم تكون عليه حجة قضاء وفيها يكون الهدي * وما فى موضع رفع اي فالواجب او فعليكم ما استيسر وهو شاة عند الجمهـور وقال ابن عمر وعروة جمل دون جمل وبقـرة دون بقرة * وقوله تعالى ولا تحلقـوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب لجميع الامة وقيل للمحصَرين خاصة ومحِل الهدي حيث يحل نحره وذلـك لمن لم يُحصَر بمِنًى والترتيـب

ان يرمي الحاج الجمرة ثم ينحر ثم يحلق ثم يطوف للافاضة * وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا الآية المعنى فحلق لازالة الاذى ففدية وهذا هو فحوى الخطاب عند اكثر الاصوليين ونزلت هذه الآية فى كعب بن عُجْرة حين رءاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه يتناثر قملا فامره بالحلاق ونزلت الرخصة والصيام عند مالك وجميع اصحابه ثلاثة ايام والصدقة ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وذلك مُدّان بمد النبي صلى الله عليه وسلم والنسك شاة باجماع ومن اتى بافضل منها مما يذبح او ينحر فهو افضل والمفتدى مخير فى اي هذه الثلاثة شاء حيث شاء من مكة وغيرها قال مالك وغيرهٔ كلما اتى فى القرءان أَوْأَوْ فانه على التخيير * وقوله تعالى فاذا امنتم اي من العدو المحصر قاله ابن عباس وغيره وهو اشبه باللفظ وقيل معناه اذا برأتم من مرضكم * وقوله سُبحانه فمن تمتع بالعمرة الى الحج الآية قال ابن عباس وجماعة من العلماء الآية فى المحصَرين وغيرهم وصورة المتمتع ان تجتمع فيه ستة شروط ان يكون معتمرا فى اشهر الحج وهو من غير حاضرى المسجد الحرام ويحل وينشىء الحج من عامه ذلك دون رجوع الى وطنه او ما ساواه بُعدًا هذا قول مالك واصحابه واختلف لم سمي متمتعا فقال ابن القاسم لانه تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت حله فى العمرة الى وقت انشائه الحج وقال غيره سمي متمتعا لانه تمتع باسقاط احد السفرين وذلك ان حق العمرة ان تقصد بسفر وحق الحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما الزمه الله تعالى هديا كالقارن الذى يجمع الحج والعمرة فى سفر واحد وجُل الامة على جواز العمرة فى اشهر الحج للمكي ولادم عليه * وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج يعنى من وقت يحرم الى يوم عرفة فان فاته صيامها

قبل يوم النحر فليصمها فى ايام التشريق لانها من ايام الحج * وسبعة اذا رجعتم قال مجاهد وغيره اي اذا رجعتم من مِنى وقال قتادة والربيع هذه رخصة من الله سبحانه والمعنى اذا رجعتم الى اوطانكم ولما جاز ان يتوهم متوهم التخيير بين ثلاثة ايام فى الحج او سبعة اذا رجع ازيل ذلك بالجلية من قوله تعالى تلك عشرة * وكاملة قال الحسن بن ابى الحسن المغنى كاملة الثواب وقيل كاملة تاكيد كما تقول كتبتُ بيدي وقيل لفظها لاخبار ومعناها لامر اي اكملوها فذلك فرضها وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله الآية لاشارة بذلك على قول الجمهور هي الى الهدي اي ذلك لاشتداد والالزام وعلى قول من يرى ان المكي لا تجوز له العمرة فى اشهر الحج تكون لاشارة الى التمتع وحكمه فكأن الكلام ذلك الترخيص لمن لم ويتأيد هذا بقوله لمن لم لان اللام ابدا انما تجيء مع الرخص واختلف الناس فى حاضرى المسجد الحرام بعد لاجماع على اهل مكة وما اتصل بها فقيل من تجب عليه الجمعة بمكة فهو حضري ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوي قال * ع * فجعل اللفظة من الحضارة والبداوة وقيل من كان بحيث لا يقصر الصلاة فهو حاضر اي مشاهد ومن كان ابعد من ذلك فهو غائب وقال ابن عباس ومجاهد اهل الحرم كله حاضرو المسجد الحرام ثم امر تعالى بتقواه على العموم وحذر من شديد عقابه * وقوله تعالى الحج اشهر معلومات فى الكلام حذف تقديره اشهر الحج اشهر او وقت الحج اشهر معلومات قال ابن مسعود وغيره وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وقال ابن عباس وغيره هي شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والقولان لمالك رحمه الله فمن فرض فيهن الحج اي الزمه نفسه وفرض الحج هو بالنية والدخول فى لاحرام والتلبيةُ تبع لذلك وقوله تعالى فيهن ولم يجئ

الكلام فيها فقال قوم هما سواء فى الاستعمال وقال ابو عثمان المازني الجمع الكثير لما لا يعقل ياتى كالواحدة المؤنثة والقليل ليس كذلك تقول الاجذاع انكسرن والجذوع انكسرت ويؤيد ذلك قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله ثم قال منها * وقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية وقرأ ابن كثير وابو عمرو فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالَ بالرفع فى الاثنين ونصب الجدال ولا بمعنى ليس فى قراءة الرفع والرفث الجماع فى قول ابن عباس ومجاهد ومالك والفسوق قال ابن عباس وغيره هي المعاصى كلها وقال ابن زيد ومالك الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به والاول اولى قال الفخر واكثر المحققين حملوا الفسق هنا على كل المعاصى قالوا لان اللفظ صالح للكل ومتناول له والنهي عن الشيء يوجب الانتهاء عن جميع انواعه فحمل اللفظ على بعض انواع الفسوق تحكم من غير دليل انتهى قال ابن عباس وغيره الجدال هنا ان تماري مسلما وقال مالك وابن زيد الجدال هنا ان يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم عليه السلام كما كانوا يفعلون فى الجاهلية قلت ومعنى الآية فلا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله صلى الله عليه وسلم والصوم جُنة فاذا كان صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل انى امرؤ صائم الحديث انتهى قال ابن العربى فى احكامه قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اراد نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه ونشاهده وخبر الله سبحانه لا يقع بخلاف مخبره انتهى قال الفخر قال القفال ويدخل فى هذا النهي ما وقع من بعضهم من مجادلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق عليهم ذلك وقالوا انروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا الحديث انتهى * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله المعنى فيثيب عليه وفى هذا

تحضيض على فعل الخير * ت * وروى أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صُنِع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء رواه الترمذي والنساءي وابن حبان فى صحيحه بهذا اللفظ انتهى من السلاح ونحو هذا جوابه صلى الله عليه وسلم للمهاجرين حيث قالوا ما رأينا كالانصار واثنوا عليهم خيرا * وقوله سبحانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى الآية قال ابن عمروغيره نزلت الآية فى طائفة من العرب كانت تجيء الى الحج بلا زاد ويبقون عالة على الناس فامروا بالتزود وقال بعض الناس المعنى تزودوا الرفيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى فى معنى الآية وتزودوا لمعادكم من الاعمال الصالحة قلت وهذا التاويل هو الذى صدر به الفخر وهو الظاهر وفى قوله فان خير الزاد التقوى حض على التقوى * وقوله تعالى ليس عليكم جناح الآية الجناح اعم من الاثم لانه فيما يقتضى العقاب وفى ما يقتضى الزجر والعتاب * وتبتغوا معناه تطلبوا اي لا درك فى ان تتجروا وتطلبوا الربح * وقوله تعالى فاذا افضتم من عرفات اجمع اهل العلم على تمام حج من وقف بعرفات بعد الزوال وافاض نهارا قبل الليل الا مالك بن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيأ واما من وقف بعرفة ليلا فلا خلاف بين الامة فى تمام حجه * وافاض القوم او الجيش اذا اندفعوا جملة واختلف فى تسميتها عرفة والظاهر انه اسم مرتجل كسائر اسماء البقاع وعرفة هي نَعمان الاراكِ والمشعر الحرام جمع كله وهو ما بين جبلي المزدلفة من حدِ مُفْضَى مأْزِمَيْ عرفة الى بطن مُحَسِّر قاله ابن عباس وغيره فهي كلها مشعر الا بطن محسر كما ان عرفة كلها موقف الا بطن عُرنة بفتح الراء وضمها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف الا بطن عُرنة والمزدلفة كلها مشعر ألَا وارتفعوا عن بطن محسر وذكر هذا عبد الله

ابن الزبير فى خطبته وذكر الله تعالى عند المشعر الحرام ندب عند اهل العلم قال مالك ومن مر به ولم ينزل فعليه دم * وقوله تعالى واذكروه كما هداكم تعديد للنعمة وامر بشكرها * ص * كما هداكم الكاف للتشبيه وهو فى موضع نصب على النعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي كهدايته فتكون ما وما بعدها فى موضع جراذ ينسبك منها مع الفعل مصدر ويَحتمل ان تكون للتعليل على مذهب الاخفش وابن برهان وجوز ابن عطية وغيره ان تكون ما كافة للكاف عن العمل والاول اولى لان فيه اقرار الكاف على عملها الجر وقد منع صاحب المستوفى ان تكون الكاف مكفوفة بما واحتج من اثبته بقوله

لعمرك اننى وابو حميد * كما النسوانُ والرجلُ الحليمُ

اريد هجاءه واخاف ربى * واعلم انه عبد لئيم

انتهى ثم ذكّرهم سبحانه بحال ضلالهم ليظهر قدر انعامه عليهم * وان كنتم من قبله اي من قبل الهُدى * وقوله سبحانه ثم افيضوا من حيث افاض الناس المخاطب بهذه الآية قريش ومن ولدت قاله ابن عباس وغيره وذلك انهم كانوا لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه مع معرفتهم ان عرفة هي موقف ابراهيم فقيل لهم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة وثم ليست فى هذه الآية للترتيب انما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها منقطعة وقال الضحاك المخاطب بالآية جملة الامة والمراد بالناس ابراهيم ويحتمل ان تكون افاضة اخرى وهي التى من المزدلفة وعلى هذا عول الطبرى فتكون ثم على بابها وقرأ سعيد بن جبير الناسى وتأوله ادم عليه السلام وامر عز وجل بالاستغفار لانها مواطنه ومظان القبول ومساقط الرحمة وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة فقال ايها الناس ان الله

عز وجل تطاول عليكم في مقامكم هذا فقبل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنه الا التبعات فيما بينكم افيضوا على اسم الله فلما كان غداة جمع خطب فقال ايها الناس ان الله تطاول عليكم فعوض التبعات من عنده * وقوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم الآية قال مجاهد المناسك الذبائح وهي اراقة الدماء * ع * والمناسك عندي العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى اذا فرغتم من حجكم الذي هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده واثنوا عليه بآلائه عندكم وكانت عادة العرب اذا قضت حجها تقف عند الجمرة تتفاخر بالآباء وتذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك فنزلت الآية ان يلزموا انفسهم ذكر الله تعالى اكثر من التزامهم ذكر آبائهم بايام الجاهلية هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن عباس وعطاء معنى الآية واذكروا الله كذكر الاطفال آباءهم وامهاتهم اي فاستغيثوا به والجئوا اليه قال النووي في حليته والمراد من الذكر حضور القلب فينبغي ان يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر ويتعقل معناه فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا اله الا الله لما فيه من التدبر واقوال السلف وائمة الخلف في هذا مشهورة انتهى قال الشيخ العارف ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري الساحلي المالقي ومنفعة الذكر ابدا انما هي تتبع معناه بالفكر ليقتبس الذاكر من ذكره انوار المعرفة ويحصل على اللب المراد ولا خير في ذكر مع قلب غافل ساه ولا مع تضييع شيء من رسوم الشرع وقال في موضع آخر من هذا الكتاب الذي الفه في السلوك ولا مطمع للذاكر في درك حقائق الذكر الا باعمال الفكر فيما تحت الفاظ الذكر من المعاني وليدفع خطرات نفسه عن باطنه راجعا الى مقتضى ذكره حتى

يغلب معنى الذكر على قلبه وقد ءان له ان يدخل فى دائرة اهل المحاضرات انتهى * وقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا ءاتنا فى الدنيا الآية قال ابو وائل وغيره كانت عادتهم فى الجاهلية الدعاء فى مصالح الدنيا فقط اذ كانوا لا يعرفون الآخرة فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بامر الدنيا وجاء النهي فى صيغة الخبر عنه والخلاق الحظ والنصيب قال الحسن بن ابى الحسن حسنة الدنيا العلم والعبادة * ع * واللفظ اعم من هذا وحسنة الآخرة الجنة باجماع وعن انس قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربنا ءاتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه البخارى ومسلم وغيرهما زاد مسلم وكان انس اذا اراد ان يدعو بدعاء دعا بها فيه انتهى * اولئك لهم نصيب مما كسبوا وعد على كسب الاعمال الصالحة والرب سبحانه سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عقد ولا اعمال فكر قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله الخلائق فى يوم فقال كما يرزقهم فى يوم وقيل الحساب هنا المجازات وقيل معنى الآية سريع مجيء يوم الحساب فيكون المقصد بالآية الانذار بيوم القيامة * وقوله تعالى واذكروا الله فى ايام معدودات امر الله سبحانه بذكره فى الايام المعدودات وهي الثلاثة التى بعد يوم النحر ومن جملة الذكر التكبير فى اثر الصلوات قال مالك يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من ءاخر ايام التشريق وبه قال الشافعي ومشهور مذهب مالك انه يكبر اثر كل صلاة ثلاث تكبيرات ومن خواص التكبير وبركته ما رواه ابن السني بسنده عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه انتهى من حلية النووى * وقوله تعالى فمن تعجل فى يومين الآية قال ابن عباس وغيره

المعنى من نفر في اليوم الثاني من الايام المعدودات فلا حرج عليه ومن تأخر الى الثالث فلا اثم عليه اي كل ذلك مباح اذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس فنزلت الآية رافعة للجناح قلت واهل مكة في التعجيل كغيرهم على الاصح ثم امر سبحانه بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين يديه * وقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الآية قال السدى نزلت في الاخنس بن شريق اظهر الاسلام ثم هرب فمر بقوم من المسلمين فاحرق لهم زرعا وقتل حُمُرا قال * ع * ما ثبت قط ان الاخنس اسلم قلت وفي ما قاله * ع * نظر ولا يلزم من عدم ثبوته عنده الا يثبت عند غيره وقد ذكر احمد بن نصر الداودي في تفسيره ان هذه الآية نزلت في الاخنس ابن شريق انتهى وسياتي للطبري نحوه وقال قتادة وجماعة نزلت هذه الآية في كل مبطن كفر او نفاق او كذب او ضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهي عامة ومعنى ويشهد الله اي يقول الله يعلم اني اقول حقا والالد الشديد الخصومة الذي يلوي الحجج في كل جانب فيشبه انحرافه المشي في لديدي الوادي وعنه صلى الله عليه وسلم ابغض الرجال الى الله الالد الخصم * وتولى وسعى يحتمل معنيين احدهما ان يكونا فعل قلب فيجيء تولى بمعنى ضل وغضب وانف في نفسه فسعى بحيله وادارته الدوائر على الاسلام نحا هذا المنحى في معنى الآية ابن جريج وغيره والمعنى الثاني ان يكونا فعل شخص فيجيء تولى بمعنى ادبر ونهض وسعى اي بقدميه فقطع الطريق وافسدها نحا هذا المنحى ابن عباس وغيره * وقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل قال الطبري المراد الاخنس في احراقه الزرع وقتله الحمر قال * ع * والظاهر ان الآية عبارة عن مبالغته في الافساد * ولا يحب الفساد معناه لا يحبه من اهل الصلاح او لا يحبه دينا والا فلا يقع الا ما

يحب الله وقوعه والفساد واقع وهذا على ما ذهب اليه المتكلمون من ان الحب بمعنى الارادة قال * ع * والحب له على الارادة مزية ايثار اذ الحب من الله تعالى انما هو لما حسن من جميع جهاته * وقوله تعالى واذا قيل له اتق الله الآية هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا ويحذر المومن ان يوقعه الحرج فى نحو هذا وقد قال بعض العلماء كفى بالمرء اثما ان يقول له اخوه اتق الله فيقول له عليك نفسك مثلك يوصينى قلت قال احمد بن نصر الداودى عن ابن مسعود من اكبر الذنب ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك انت تامرنى انتهى والعزة هنا المنعة وشدة النفس اي اعتز فى نفسه فاوقعته تلك العزة فى الاثم ويحتمل المعنى اخذته العزة مع الاثم وحسبه اي كافيه والمهاد ما مهد الرجل لنفسه كانه الفراش * وقوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه الآية تتناول كل مجاهد فى سبيل الله او مستشهد فى ذاته او مغير منكر وقيل هذه الآية فى شهداء غزوة الرجيع عاصم ابن ثابت وخُبيب واصحابهما وقال عكرمة وغيره هي فى طائفة من المهاجرين وذكروا حديث صهيب ويشرى معناه يبيع ومنه وشروه بثمن بخس وحكى قوم انه يقال شرى بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا من تأول الآية فى صهيب لانه اشترى نفسه بماله * وقوله تعالى والله رءوف بالعباد ترجية تقتضى الحض على امتثال ما وقع به المدح فى الآية كما ان قوله سبحانه فحسبه جهنم تخويف يقتضى التحذير مما وقع به الذم فى الآية ثم امر تعالى المومنين بالدخول فى السلم وهو الاسلام والمسالمة وقال ابن عباس نزلت فى اهل الكتاب والالف واللام فى الشيطان للجنس * وعَدُوٌّ يقع للواحد والاثنين والجمع وقوله تعالى فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات الآية اصل الزلل فى القدم ثم يستعمل فى الاعتقادات والآراء وغير ذلك والمعنى ضللتم والبينات

محمد صلى الله عليه وسلم وءاياته ومعجزاته اذا كان الخطاب اوّلا لجماعة المومنين واذا كان الخطاب لاهل الكتاب فالبينات ما ورد فى شرائعهم من الاعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعريف به * وعزيز صفة مقتضية انه قادر عليكم لا تعجزونه ولا تمتنعون منه وحكيم اي محكم فيما يعاقبكم به لزللكم * وقوله تعالى هل ينظرون اي ينتظرون والمراد هؤلاء الذين يزلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظل من فوق والمعنى ياتيهم حكم الله وامره ونهيه وعقابه اياهم وذهب ابن جريج وغيره الى ان هذا التوعد هو مما يقع فى الدنيا وقال قوم بل هو توعد بيوم القيامة وقال قوم الا ان ياتيهم الله وعيد بيوم القيامة واما الملائكة فالوعيد باتيانهم عند الموت والغمام ارق السحاب واصفاه واحسنه وهو الذى ظلل به بنو اسراءيل وقال النقاش هو ضباب ابيض وقضي الامر معناه وقع الجزاء وعُذّب اهل العصيان وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر * والى الله ترجع الامور هي راجعة اليه سبحانه قبل وبعد وانما نبه بذكر ذلك فى يوم القيامة على زوال ما كان منها الى الملوك فى الدنيا * وقوله سبحانه سل بنى اسراءيل الآية معنى الآية توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينات والمراد بالآية كم جاءهم فى امر محمد صلى الله عليه وسلم من ءاية مُعرِّفة به دالة عليه ونعمة الله لفظ عام لجميع انعامه ولكن يقوى من حال النبي صلى الله عليه وسلم معهم ان المشار اليه هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ومن يبدل من بنى اسراءيل صفة نعمة الله ثم جاء اللفظ منسحبا على كل مبدل نعمةً لله ويدخل فى اللفظ كفار قريش والتوراة ايضا نعمة على بنى اسراءيل فبدلوها بالتحريف لها وجحد امر محمد صلى الله عليه وسلم فان الله شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد * وقوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا الآية الاشارة الى كفار قريش لانهم كانوا يعظمون

حالهم من الدنيا ويغتبطون بها ويسخرون من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم فذكر الله قبيح فعلهم ونبه على خفض منزلتهم
بقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ومعنى الفوقية هنا فى الدرجة والقدر
ويحتمل ان يريد ان نعيم المتقين فى الآخرة فوق نعيم هؤلاء الآن قلت وحكى
الداودى عن قتادة فوقهم يوم القيامة قال فوقهم فى الجنة انتهى ومهما ذكرت
الداودى فى هذا المختصر فانما اريد احمد بن نصر الفقيه المالكى ومن تفسيره
انا انقل انتهى فان تشوفت نفسك ايها الاخ الى هذه الفوقية * ونيل هذه
الدرجة العلية * فارفض دنياك الدنية * وازهد فيها بالكلية * لتسلم
من كل آفة وبلية * واقتد فى ذلك بخير البرية * قال عياض فى شفاه
فانظر رحمك الله سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه فى المال تجده
قد اوتي خزائن الارض وجُبيت اليه الاخماس وهادته جماعة من الملوك
فما استاثر بشيء من ذلك ولا امسك درهما منه بل صرفه مصارفه واغنى
به غيره وقوى به المسلمين ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة
فى نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام يلبس ما وَجَدَ فيلبس فى الغالب الشملة
والكساء الخشن والبُرْد الغليظ انتهى * وقوله تعالى كان الناس امة واحدة الآية
قال ابن عباس الناس القرون التى كانت بين آدم ونوح وهي عشرة كانوا على
الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده وقال ابن عباس ايضا كان
الناس امة واحدة اي كفارا يريد فى مدة نوح حين بعثه الله وقال ابي بن كعب
وابن زيد المراد بالناس بنو آدم حين اخرجهم الله نسما من ظهر آدم اي كانوا
على الفطرة وقيل غير هذا وكل من قدر الناس فى الآية مومنين قدر فى الكلام

فاختلفوا وكل من قدرهم كفارا قدر كانت بعثة النبيين اليهم والامة الجماعة على المقصد ويسمى الواحد امة اذا كان منفردا بمقصد ومبشرين معناه بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب والكتاب اسم الجنس والمعنى جميع الكتب وَلِيَحْكُمَ مسند الى الكتاب فى قول الجمهور والذين اوتوه ارباب العلم به وخصوا بالذكر تنبيها منه سبحانه على عظيم الشنعة والقبح والبينات الدلالات والحجج والبغي التعدى بالباطل وهَدَى معناه ارشد والمراد بالذين ءامنوا من ءامن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالت طائفة معنى الآية ان الامم كذب بعضهم كتاب بعض فهدي الله امة محمد صلى الله عليه وسلم للتصديق بجميعها وقالت طائفة ان الله سبحانه هدى المومنين للحق فيما اختلف فيه اهل الكتاب من قولهم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا قال زيد بن اسلم وكاختلافهم فى يوم الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فلليهود غد وللنصارى بعد غد وفى صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه قال الفراء وفى الكلام قلب واختاره الطبرى قال وتقديره فهدى الله الذين ءامنوا للحق مما اختلفوا فيه ودعاه الى هذا التقدير خوف ان يحتمل اللفظ انهم اختلفوا فى الحق فهدى الله المومنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق فى نفسه نحا الى هذا الطبرى فى حكايته عن الفراء قال * ع * وادعاء القلب على كتاب الله دون ضرورة تدفع الى ذلك عجز وسوء نظر وذلك ان الكلام يتخرج على وجهه ورصفه لان قوله فهدى يقتضى انهم اصابوا الحق وتم المعنى فى قوله فيه وتبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف فيه وباذنه قال الزجاج معناه بعلمه * ع * والاذن هو العلم والتمكين فان اقترن بذلك امر صار اقوى من الاذن بمزية * وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم الآية اكثر المفسرين انها

نزلت فى قصة الاحزاب حين حصروا المدينة وقالت فرقة نزلت تسلية للمهاجرين حين اصيبت اموالهم بعدهم وفيما نالهم من اذاية الكافرين لهم وخلوا معناه انقرضوا اي صاروا فى خلاء من الارض والبأساء فى المال والضراء فى البدن ومثل معناه شبه والزلزلة شدة التحريك تكون فى الاشخاص والاحوال وقرأ نافع يقول بالرفع وقرأ الباقون بالنصب وحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير الى ان وعلى قراءة نافع كانها اقترن بها تسبيب فهى حرف ابتداء ترفع الفعل واكثر المتأولين على ان الكلام الى ءاخر الآية من قول الرسول والمومنين ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب والرسول اسم الجنس وقالت طائفة فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير حتى يقول الذين ءامنوا متى نصر الله فيقول الرسول الا ان نصر الله قريب فقدم الرسول فى الرتبة لمكانته ثم قدم قول المومنين لانه المتقدم فى الزمان قال * ع * وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل ان يكون الا ان نصر الله قريب اخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول * قوله تعالى يسألونك ما ذا ينفقون قل ما انفقتم من خير الآية السائلون هم المومنون والمعنى يسألونك ما هي الوجوه التى ينفقون فيها وما يصح ان تكون فى موضع رفع على الابتداء وذا خبرها بمعنى الذى وينفقون صلة وفيه عائد على ذا تقديره ينفقونه ويصح ان تكون ما ذا اسما واحدا مركبا فى موضع نصب قال قوم هذه الآية فى الزكاة المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوالدان وقال السدى نزلت قبل فرض الزكاة ثم نسختها ءاية الزكاة المفروضة وقال ابن جريج وغيره هي ندب والزكاة غير هذا الانفاق وعلى هذا لا نسخ فيها وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب فى الفاء وظاهر الآية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازات وكتب معناه فرض واستمر الاجماع على

ان الجهاد على امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية * وقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ الآية قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان تكرهوا ما فى الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى انكم تغلبون وتظهرون وتغنمون وتوجرون ومن مات مات شهيدا وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى انكم تغلَبون وتذلون ويذهب امركم قال * ص * قوله وعسى ان تحبوا شيأ عسى هنا للترجى ومجيئها له كثير فى كلام العرب قالوا وكل عسى فى القرءان للتحقيق يعنون به الوقوع الا قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن انتهى وفى قوله تعالى والله يعلم الآية قوة امر * وقوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام الآية نزلت فى قصة عمرو بن الحضرمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية عليها عبد الله بن جحش الاسدى مَقْدَمَه من بدر الاولى فلقوا عمرو بن الحضرمى ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل المخزوميان والحكم بن كيسان فى ءاخر يوم من رجب على ما قاله ابن اسحاق وقالوا ان تركناهم اليوم دخلوا الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عمْرو بن الحضرمى بسهم فقتله واسر عثمان بن عبد الله والحكم وفرّ نوفل فاعجزهم واستسهل المسلمون هذا فى الشهر الحرام خوف فوتهم فقالت قريش محمد قد استحل الاشهر الحرم وعيروا بذلك وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما امرتكم بقتال فى الاشهر الحرم فنزلت هذه الآية وقتال بدل اشتمال عند سيبويه وقال الفراء هو مخفوض بتقدير عن وقرئ به والشهر فى الآية لسم الجنس وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قِواما تعتدل عنده فكانت لا تسفك دما ولا تغير فى الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يغزو فيها الا ان

يغزى فذلك قوله تعالى قل قتال فيه كبير وصد مبتدأ مقطوع مما قبله والخبر اكبر ومعنى الآية على قول الجمهور انكم ياكفار قريش تستعظمون علينا القتال فى الشهر الحرام وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد الاسلام وكفركم بالله واخراجكم اهل المسجد عنه كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكبر جرما عند الله قال الزهرى ومجاهد وغيرهما قوله تعالى قل قتال فيه كبير منسوخ * ص * وسبيل الله دينه والمسجد قراءة الجمهور بالخفض قال المبرد وتبعه ابن عطية وغيره هو معطوف على سبيل الله ورد بانه حينئذ يكون متعلقا بصد اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيلزم الفصل بين المصدر وهو صد وبين معموله وهو المسجد باجنبي وهو وكفر به ولا يجوز وقيل معطوف على ضمير به اي وكفر به وبالمسجد ورد بان فيه عطفا على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض ولا يجوز عند جمهور البصريين واجازه الكوفيون ويونس وابو الحسن والشلوبين والمختار جوازه لكثرته سماعا ومنه قراءة حمزة تساءلون به والارحامِ اي وبالارحام وتأويلها على غيره بعيد يخرج الكلام عن فصاحته انتهى * وقوله تعالى والفتنة اكبر من القتل المعنى عند جمهور المفسرين والفتنة التى كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اشد اجتراما من قتلكم فى الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة اشد من ان لو قتلوا ذلك المفتون * وقوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا هو ابتداء خبر من الله تعالى وتحذير منه للمومنين * وقوله تعالى ومن يرتدد اي يرجع عن الاسلام الى الكفر عياذا بالله قالت طائفة من العلماء يستتاب المرتد ثلاثة ايام فان تاب والا قتل وبه قال مالك واحمد واصحاب الراي والشافعى فى احد قوليه وفى قول له يقتل دون استتابة وحبط العمل اذا انفسد فى ءاخره فبطل وميراث

المرتد عند مالك والشافعي فى بيت مال المسلمين * وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الآية قال عروة بن الزبير وغيره لما عنف المسلمون عبد الله بن جحش واصحابه شق ذلك عليهم فتلافاهم الله عزوجل بهذه الآية ثم هي باقية فى كل من فعل ما ذكره الله عزوجل وهاجر الرجل اذا انتقل نقلة اقامة من موضع الى موضع وقصد ترك الاول ايثارا للثانى وهي مفاعلة من هجر وجاهد مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد ويرجون معناه يطمعون ويستقربون والرجاء تنعم والرجاء ابدا معه خوف ولا بد كما ان الخوف معه رجاء * ت * والرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية * قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية السائلون هم المومنون والخمر ماخوذ من خمر اذا ستر ومنه خمار المرأة والخمر ما واراك من شجر وغيره ومنه قول الشاعر

الا يازيد والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

ولما كانت الخمر تستر العقل وتغطى عليه سميت بذلك واجمعت الامة على تحريم خمر العنب ووجوب الحد فى القليل والكثير منه وجمهور الامة على ان ما اسكر كثيره من غير خمر العنب محرم قليله وكثيره والحد فى ذلك واجب وروي ان هذه الآية اول تطرق الى تحريم الخمر ثم بعده لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ثم انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم الآية الى قوله فهل انتم منتهون ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حد الخمر الا انه جلد اربعين خرجه مسلم وابو داوود وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه ضرب فيها ضربا مشاعا وحزره ابو بكر اربعين سوطا وعمل بذلك هو ثم عمر ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله

كاخف الحدود ثمانين وبه قال مالك ويجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب والدماغ والخواصر باجماع قال ابن سيرين والحسن وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى لعب الصبيان بالجوز * ت * وعبارة الداودى وعن ابن عمر الميسر القمار كله قال ابن عباس كل ذلك قمار حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب انتهى * وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية قال ابن عباس والربيع الاثم فيهما بعد التحريم والمنفعة قبله وقال مجاهد المنفعة بالخمر كسب اثمانها وقيل اللذة بها الى غير ذلك من افراحها ثم اعلم الله عزوجل ان الاثم اكبر من النفع واعود بالضرر فى الآخرة فهذا هو التقدمة للتحريم * وقوله تعالى ويسألونك ما ذا ينفقون قل العفو قال جمهور العلماء هذه نفقات التطوع والعفو ماخوذ من عفا الشيء اذا كثر فالمعنى انفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم توذوا فيه انفسكم فتكونوا عالة على الناس * وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الاشارة الى ما تقدم تبيينه من الخمر والميسر والانفاق واخبر تعالى انه يبين للمومنين الآيات التى تقودهم الى الفكرة فى الدنيا والآخرة وذلك طريق النجاة لمن نفعته فكرته قال الداودى وعن ابن عباس لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة يعنى فى زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها انتهى قال الغزالي رحمه الله تعالى العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له فى كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة فان نظر الى سواد ذكر ظلمة اللحد وان نظر الى صورة مروعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيأ حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما ينكشف له من آخر امره بعد الحساب

من رد او قبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل لا يصرفه عنه لامهمات الدنيا فاذا نسب مدة مقامه في الدنيا الى مدة مقامه في الآخرة استحقر الدنيا ان لم يكن اغفل قلبه واعميت بصيرته انتهى من الاحياء * وقوله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير قال ابن عباس وسعيد بن المسيب سبب الآية ان المسلمين لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الآية ونزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تجنبوا اليتامى واموالهم وعزلوهم عن انفسهم فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم الآية وامر الله سبحانه نبيه ان يجيب بان من قصد الاصلاح في مال اليتيم فهو خير فرفع تعالى المشقة واباح الخلطة في ذلك اذا قصد الاصلاح ورفق اليتيم * وقوله سبحانه والله يعلم المفسد من المصلح تحذير * وقوله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم اي لا تعبكم في تجنب امر اليتامى والعنت المشقة ومنه عقبة عنوت ومنه عنت العزبة وعزيز مقتضاه لا يرد امره وحكيم اي مُحْكِم ما ينفذه * وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ونكح اصله في الجماع ويستعمل في العقد تجوزا قالت طائفة المشركات هنا من يشرك مع الله الها اخر وقال قتادة وابن جبير الآية عامة في كل كافرة وخصصتها اية المائدة ولم يتناول العموم قط الكتابيات وقال ابن عباس والحسن تناولهن العموم ثم نسخت اية المائدة بعض العموم في الكتابيات وهو مذهب مالك رحمه الله ذكره ابن حبيب * وقوله تعالى ولامة مومنة خير من مشركة الآية هذا اخبار من الله سبحانه ان المومنة المملوكة خير من المشركة وان كانت ذات الحسب والمال ولو اعجبتكم في الحسن وغير ذلك هذا قول الطبري وغيره * وقوله سبحانه ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا الآية اجمعت الامة على ان المشرك لا يطأ المومنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على دين

الاسلام قال بعض العلماء ان الولاية فى النكاح نص فى هذه الآية قلت ويعنى ببعض العلماء محمد بن علي بن حسين قاله ابن العربى انتهى ولعبد مومن مملوك خير من مشرك حسيب ولو اعجبكم حسنه وماله حسبما تقدم قال * ع * وتحتمل الآية عندى ان يكون ذكر العبد والامة عبارة عن جميع الناس حرهم ومملوكهم اذ هم كلهم عبيده سبحانه * وقوله تعالى اولئك يدعون الى النار اي بصحبتهم ومعاشرتهم والانحطاط فى كثير من اهوائهم والله عزوجل ممنّ بالهداية ويبين الآيات ويحض على الطاعات التى هي كلها دواع الى الجنة والاذن العلم والتمكين فان انضاف الى ذلك امر فهو اقوى من الاذن لانك اذا قلت اذنت فى كذا فليس يلزمك انك امرت ولعلهم ترج فى حق البشر ومن تذكر عمل حسب التذكر فنجا * قوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو اذى قال الطبرى عن السدي ان السائل ثابت بن الدحداح وقال قتادة وغيره انما سألوه لان العرب فى المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بنى اسرايل فى تجنب مواكلة الحائض ومساكنتها فنزلت الآية * وقوله تعالى فاعتزلوا النساء فى المحيض يريد جماعهن بما فسر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان تشد الحائض ازارها ثم شانه باعلاها قال احمد بن نصر الداودى روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النساء فى المحيض فان الجذام يكون من اولاد المحيض انتهى * قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطْهُرن وقرأ حمزة وغيره يطّهّرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما وكل واحدة من القراءتين يحتمل ان يراد بها الاغتسال بالماء وان يراد بها انقطاع الدم وزوال اذاه قال ابن العربى فى احكامه سمعت ابا بكر الشاشى يقول اذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلتبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا

تـدن منه انتهـى وجمهـور العلمـاء على ان وطاها فى الدم ذنب عظيم يتـاب منه ولا كفارة فيه بمال وجمهورهم على ان الطهر الذى يحل جماع الحائض هو بالمـاء كطهر الجنب ولا يجزئ من ذلك تيمم ولا غيـره * وقوله تعـالى فاذا تطهـرن الآية الخلاف فيها كما تقدم وقـال مجاهـد وجماعة تطهـرن اي اغتسلـن بالمـاء بقرينة الامر بالاتيان لان صيغة الامر من الله تعالى لا تقع الا على الوجه الاكمل وفاتوهن امر بعد الحظر يقتضى الاباحة والمعنى من حيث امركم الله باعتـزالهن وهو الفـرج او من السـرة الى الركبـة على الخـلاف فى ذلك وقـال ابن عبـاس المعنى من قِبل الطهـر لا من قِبل الحيض وقيـل المعنـى من قِبل حـال الاباحة لا صائمات ولا مُحرِمات ولا غير ذلك والتوابون الرجـاعون وعرفه مـن الشر الى الخير والمتطهرون قال عطاء وغيـره المعنى بالماء وقال مجاهـد وغيره المعنـى من الذنوب * وقوله تعالى نساؤكم حرث لكم الآية مبيحة لهيـآت الاتيـان كلها اذا كان الوطء فى موضع الحرث ولفظـة الحرث تعطى ان الاباحة لم تـقـع الا فى الفرج خاصة اذ هو المزدرع قال ابن العربى فى احكامه وفى سبب نزول هذه الآية روايـات الاولى عن جابر قـال كانت اليهـود تـقـول من اتى امرأة فى قبلهـا من دبرها جاء الولد احول فـنـزلـت الآية وهذا حديث صحيح خرجه الائمة الثانية قالت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى نساؤكـم حرث لكم قال ياتيها مقبلة ومدبرة اذا كان فى صِمام واحد خرجه مسلم وغيـره الثالثة ما روى الترمذى ان عمر جاء الى النبي صـلى الله عليه وسلم فـقـال له هلكت قـال وما اهلكك قـال حولـت البارحة رحلى فلم يـرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيـأ حتى نـزلـت نساؤكـم حرث لكـم اقبـل وادبر واتـق الدبر انتهـى قـال ع * وانى شئتم معناه عند جهور العلماء من اي وجه شئتم مقبلة ومدبرة

على جُنُب قال * ع * وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصنف النساءى وفى غيره انه قال اتيان النساء فى ادبارهن حرام وورد عنه فيه انه قال ملعون من اتى امرأة فى دبرها وورد عنه انه قال من اتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما انزل على قلب محمد وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغى لمومن بالله ان يعرج بهذه النازلة على زلة عالم بعد ان تصح عنه والله المرشد لا رب غيره * وقوله جلت قدرته وقدموا لانفسكم قال السدى معناه قدموا الاجر فى تجنب ما نهيتم عنه وامتثال ما امرتم به واتقوا الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضى المبالغة فى التحذير اي فهو مجازيكم على البر والاثم وبشر المومنين تانيس لفاعلى البر ومتبعى سنن الهدى * قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الآية مقصد الآية ولا تعرضوا اسم الله تعالى فتكثروا الايمان به فان الحنث يقع مع الاكثار وفيه قلة رعي لحق الله تعالى وقال الزجاج وغيره معنى الآية ان يكون الانسان اذا طلب منه فعل خير ونحوه اعتل بالله وقال عليّ يمين وهو لم يحلف وقوله عرضة قال ابن العربى فى احكامه اعلم ان بناء عرض فى كلام العرب يتصرف على معان مرجعها الى المنع لان كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض فى السماء من السحاب عارض لانه يمنع من رؤيتها ومن رؤية البدرين والكواكب انتهى وان تبروا مفعول من اجله والبر جميع وجوه البر وهو ضد الاثم وسميع اي لا قوال العباد عليم بنياتهم وهو مجاز على الجميع واليمين الحلف واصله ان العرب كانت اذا تحالفت او تعاهدت اخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يمينا * وقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو سَقَط الكلام الذى لا حكم له قال ابن عباس وعائشة والشعبي وابو صالح ومجاهد لغو اليمين قول الرجل فى درج

كلامه واستعجاله فى المحاورة لا والله وبلى والله دون قصد لليمين وقد اسنده البخاري عن عائشة وقال ابو هريرة والحسن ومالك وجماعة لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك * ع * وهذا اليقين هو غلبة الظن وقال زيد بن اسلم لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه وقال الضحاك هي اليمين المكفرة وحكى ابن عبد البر قولا ان اللغو ايمان المكره قال * ع * وطريقة النظر ان تتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب ويُحَكَّم موقعهما فى اللغة فكسب المرء ما قصده ونواه واللغو ما لم يتعمده اوما حقه لهجنته ان يسقط فيقوى على هذه الطريقة بعض الاقوال المتقدمة ويضعف بعضها وقد رفع الله عز وجل المواخذة بالاطلاق فى اللغو فحقيقته ما لا اثم فيه ولا كفارة والمواخذة فى الايمان هي بعقوبة الآخرة فى الغموس المصبورة وفيما تُرِك تكفيره مما فيه كفارة وبعقوبة الدنيا فى الزام الكفارة فيضعف القول بانها اليمين المكفرة لان المواخذة قد وقعت فيها وتخصيص المواخذة بانها فى الآخرة فقط تحكم * ت * والقول الاول ارجح وعليه عول اللخمى وغيره * وقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم قال ابن عباس وغيره ما كسب القلب هي اليمين الكاذبة الغموس فهذه فيها المواخذة فى الآخرة اي ولا تكفر * ع * وسميت الغموس لانها غمست صاحبها فى الاثم وغفور حليم صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المواخذة اذ هو باب رفق وتوسعة * وقوله تعالى للذين يولون من نسائهم الآية يولون معناه يحلفون والايلاء اليمين واختلف من المراد بلزوم حكم الايلاء فقال مالك هو الرجل يغاضب امرأته فيحلف بيمين يلحق عن الحنث فيها حكم ان لا يطأها ضررا منه اكثر من اربعة اشهر لا يقصد بذلك اصلاح ولد رضيع ونحوه وقال به عطاء وغيره * وقوله

تعالى من نسائهم يدخل فيه الحرائر والاماء اذا تزوجن والتربص التأنى والتأخر واربعة اشهر عند مالك وغيره للحر وشهران للعبد وقال الشافعي هو كالحر وفاءوا معناه رجعوا ومنه حتى تفىء الى امر الله قال الجمهور واذا فاء كفر والفيء عند مالك لا يكون الا بالوطء او بالتكفير فى حال العذر * قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء حكم هذه الآية قصد الاستبراء لا انه عبادة ولذلك خرجت منه من لم يُبن بها بخلاف عدة الوفاة التى هي عبادة والقَرء فى اللغة الوقت المعتاد تردده فالحيض يسمى على هذا قرءا وكذلك يسمى ألطهر قرءا واختلف فى المراد بالقروء هنا فقال عمر وجماعة كثيرة المراد بالقروء فى الآية الحيض وقالت عائشة وجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم المراد الاطهار وهو قول مالك واختلف المتأولون فى قوله ما خلق الله فى ارحامهن فقال ابن عمر ومجاهد وغيرهما هو الحيض والحبل جميعا ومعنى النهي عن الكتمان النهي عن الاضرار بالزوج فى الزامه النفقة واذهاب حقه فى الارتجاع فامرن بالصدق نفيا واثباتا وقال قتادة كانت عادتهن فى الجاهلية ان يكتمن الحمل ليلحقن الولد بالزوج الجديد ففى ذلك نزلت الآية وقال ابن عباس ان المراد الحبل والعموم راجح وفى قوله تعالى ولا يحل لهن ما يقتضى انهن مؤتمنات على ما ذكر ولو كان الاستقصاء مباحا لم يمكن كتم * وقوله سبحانه ان كن يومن بالله الآية اي حق الايمان وهذا كما تقول ان كنت حرا فانتصر وانت تخاطب حرا والبعل الزوج ونص الله تعالى بهذه الآية على ان للزوج ان يرتجع امرأته المطلقة ما دامت فى العدة والاشارة بذلك الى المدة بشرط ان يريد الاصلاح دون المضارة كما تُشُدِّدَ على النساء فى كتم ما فى ارحامهن وقوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن الآية تعم جميع حقوق الزوجية * وقوله تعالى وللرجال عليهن

درجة قال مجاهد هو تنبيه على فضل حظه على حظها فى الميراث وما اشبهه وقال زيد بن اسلم ذلك فى الطاعة عليها ان تطيعه وليس عليه ان يطيعها وقال ابن عباس تلك الدرجة اشارة الى حض الرجل على حسن العشرة والتوسع للنساء فى المال والخُلق اي ان الا فضل ينبغى ان يتحامل على نفسه وهذا قول حسن بارع * وقوله تعالى الطلاق مرتان الآية قال عروة بن الزبير وغيره نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذى للمرء فيه ان يرتجع دون تجديد مهر وولي وقال ابن عباس وغيره المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق وان من طلق اثنتين فليتق الله فى الثالثة فاما تركها غير مظلومة شيأ من حقها واما امسكها محسنا عشرتها * ع * والآية تتضمن هذين المعنيين * ص * الطلاق مبتدأ على حذف مضاف اي عدد الطلاق ومرتان خبره انتهى والامساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية الى حسن العشرة والتسريح يحتمل لفظه معنيين احدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون املك بنفسها وهذا قول السدى والضحاك والمعنى الآخر ان يطلقها ثالثة فيسرحها بذلك وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما وامساك مرتفع بالابتداء والخبر امثل او احسن * وقوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيأ الآية خطاب للازواج نهاهم به ان ياخذوا من ازواجهم شيأ على وجه المضارة وهذا هو الخلع الذى لا يصح الّا بأن لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما اتى الازواجُ نساءهم لانه عرف الناس عند الشقاق والفساد ان يطلبوا ما خرج من ايديهم وحرم الله تعالى على الزوج فى هذه الآية ان ياخذ الا بعد الخوف الا يقيما حدود الله واكد التحريم بالوعيد وحدود الله فى هذا الموضع هي ما يلزم الزوجين من حسن العشرة وحقوق العصمة * وقوله تعالى فان خفتم الايقيما

حدود الله المخاطبة للحكام والمتوسطين لهذا الامروان لم يكونوا حكاما وترك اقامة حدود الله هو استخفاف المرأة بحق زوجها وسوء طاعتها اياه قاله ابن عباس ومالك وجمهور العلماء وقال الشعبي الا يقيما حدود الله معناه الايطيعا الله وذلك ان المغاضبة تدعو الى ترك الطاعة * وقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به اباحة للفدية وشركها فى ارتفاع الجناح لانها لا يجوز لها ان تعطيه مالها حيث لا يجوز له اخذه وهي تقدر على المخاصمة قال ابن عباس وابن عمر ومالك وابو حنيفة وغيرهم مباح للزوج ان ياخذ من المرأة فى الفدية جميع ما تملكه وقضى بذلك عمر بن الخطاب وقال طاوس والزهري والحسن وغيرهم لا يجوز له ان يزيد على المهر الذى اعطاها وقال ابن المسيب لا ارى ان ياخذ منها كل ما لها ولكن ليدع لها شيأ * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية اي هذه الاوامر والنواهى فلا تتجاوزوها ثم توعد تعالى على تجاوز الحد بقوله ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وهو كما قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة * وقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد الآية قال ابن عباس وغيره هو ابتداء الطلقة الثالثة قال * ع * فيجيء التسريح المتقدم ترك المرأة تتم عدتها من الثانية واجمعت الامة فى هذه النازلة على اتباع الحديث الصحيح فى امرأة رفاعة حين تزوجت عبد الرحمن بن الزبير فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لعلك اردت الرجوع الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته فرأى العلماء انه لا يحلها الا الوطء وكلهم على ان مغيب الحشفة يحل الا الحسن بن ابى الحسن قال لا يحلها الا الانزال وهو ذوق العسيلة والذى يحلها عند مالك النكاح الصحيح والوطء المباح * وقوله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله الآية

المعنى فان طلقها المتزوج الثاني فلا جناح عليهما اي المرأة والزوج الاول قاله ابن عباس ولا خلاف فيه والظن هنا على بابه من تغليب احد الجائزين وخص الذين يعلمون بالذكر تشريفا * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء الآية خطاب للرجال نُهِي الرجل ان يطول العدة مضارة لها بان يرتجع قرب انقضائها ثم يطلق بعد ذلك قاله الضحاك وغيره ولا خلاف فيه ومعنى بلغن اجلهن قاربن لانه بعد بلوغ الاجل لا خيار له في الامساك ومعنى امسكوهن راجعوهن وبمعروف قيل هو الاشهاد ولا تمسكوهن اي لا تراجعوهن ضرارا وباقي الآية بين * وقوله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزؤا الآية المراد بآياته النازلة في الاوامر والنواهي وقال الحسن نزلت هذه الآية فيمن طلق لاعبا او هازئا او راجع كذلك وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ثم ذكّر الله عباده بانعامه سبحانه عليهم بالقرءان والسنة والحكمةُ هي السنة المبينة مراد الله سبحانه * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن الآية خطاب للمومنين الذين منهم الازواج ومنهم الاولياء لانهم المراد في تعضلوهن وبلوغ الاجل في هذا الموضع تناهيه لان المعنى يقتضي ذلك وقد قال بعض الناس في هذا المعنى ان المراد بتعضلوهن الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة عضلا عن نكاح الغير فقوله ازواجهن على هذا يعني به الرجال اذ منهم الازواج وعلى ان المراد بتعضلوهن الاولياء فالازواج هم الذين كن في عصمتهم والعضل المنع وهو من معنى التضييق والتعسير كما يقال اعضلت الدجاجة اذا عسر بيضها والداء العضال العسير البرء وقيل نزلت هذه الآية في مَعْقِل بن يسار واخته لما طلقها زوجها وتمت عدتها اراد ارتجاعها فمنعه ولي المرأة وقيل نزلت في جابر بن عبد الله واخته وهذه الآية تقتضي ثبوت حق

الولي فى انكاح وليته وقوله بالمعروف معناه المهر والاشهاد * وقوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجوع الى خطاب الجماعة والاشارة فى ذلكم ازكى الى ترك العضل وازكى واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعِرض والدين بسبب العلاقات التى تكون بين الازواج وربما لم يعلمها الولي فيؤدى العضلُ الى الفساد والمخالطةِ على ما لا ينبغى والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر * قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يرضعن اولادهن خبر معناه الامر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى الندب لبعضهن فيجب على الام الارضاع ان كانت تحت ابيه او رجعية ولا مانع من علو قدر بغير اجر وكذلك ان كان الاب عديما او لم يقبل الولد غيرها وهذه الآيات فى المطلقات جعلها الله حدا عند اختلاف الزوجين فى مدة الرضاع فمن دعا منهما الى اكمال الحولين فذلك له * وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة مبني على ان الحولين ليسا بفرض لا يُتجاوز وانتزع مالك رحمه الله وجماعة من العلماء من هذه الآية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هي ما كان فى الحولين لان بانقضاء الحولين تمت الرضاعة فلا رضاعة * ت * فلو كان رضاعه بعد الحولين بمدة قريبة وهو مستمر الرضاع او بعد يومين من فصاله اعتبر اذ ما قارب الشيء فله حكمه انتهى * وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الآية المولود له اسم جنس وصنف من الرجال والرزق فى هذا الحكم الطعام الكافى وقوله بالمعروف يجمع حسن القدر فى الطعام وجودة الاداء له وحسن الاقتضاء من المرأة ثم بين سبحانه ان الانفاق على قدر غنى الزوج بقوله لا تكلف نفس الا وسعها وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابان عن عاصم لا تضارُّ والدة بضم الراء وهو خبر

معناه الامر ويحتمل ان يكون الاصل لا تُضارِرُ بكسر الراء الاولى فوالدة فاعلة ويحتمل بفتح الراء الاولى فوالدة مفعول لم يسم فاعله ويعطف مولود له على هذا الحد فى الاحتمالين وقرأ نافع وحمزة والكسائى وعاصم لا تضارّ بفتح الراء وهذا على النهي ويحتمل اصله ما ذكرنا فى الاولى ومعنى الآية فى كل قراءة النهي عن الاضرار ووجوه الضرر لا تنحصر وكل ما ذكر منها فى التفاسير فهو مثال * ت * وفى الحديث لا ضرر ولاضرار رواه مالك فى الموطا مرسلا قال النووى فى الحلية ورويناه فى سنن الدارقطني وغيره من طرق متصلا وهو حسن انتهى * وقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك قال مالك وجميع اصحابه والشعبى والزهرى وجماعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك ان لا يضار واما الرزق والكسوة فلا شيء عليه منه قال * ع * فالاجماع من الامة فى ان لا يضار الوارث وانما الخلاف هل عليه رزق وكسوة ام لا * وقوله تعالى فان ارادا فصالا الآية اي فان اراد الوالدان وفصالا معناه فطاما عن الرضاع وتحرير القول فى هذا ان فصْله قبل الحولين لا يصح الا بتراضيهما وان لا يكون على المولود ضرر واما بعد تمامهما فمن دعا الى الفصل فذلك له الا ان يكون فى ذلك على الصبي ضرر * وقوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم مخاطبة لجميع الناس يجمع الآباء والامهات اي لهم اتخاذ الظئر مع الاتفاق على ذلك واما قوله اذا سلمتم فمخاطبة للرجال خاصة الا على احد التاويلين فى قراءة من قرأ أوتيتم وقرأ الستة من السبعة ءاتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير أتيتم بمعنى فعلتم كما قال زهير

وما كان من خير اتوه فانما * توارثه اباء ءابائهم قبل

فاحد التاويلين فى هذه القراءة كالاول والتاويل الثانى لقتادة وهو اذا سلمتم ما

ءاتيتم من ارادة الاسترضاع اي سلم كل واحد من الابوين ورضي وكان ذلك على اتفاق منهما وقصْدِ خيرٍ وارادة معروف وعلى هذا الاحتمال يدخل النساء في الخطاب * ت * وفي هذا التاويل تكلف وقال سفيان المعنى اذا سلمتم الى المسترضعة وهي الظئر اجرها بالمعروف وباقي الآية امر بالتقوى وتوقيف على ان الله تعالى بصير بكل عمل وفي هذا وعيد وتحذير اي فهو مُجازٍ بحسب عملكم * وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن هذه الآية في عدة المتوفى عنها زوجها وظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الحرائر غير الحوامل ولم تعن الآية لما يشذ من مرتابة ونحوها وعدة الحامل وضع حملها عند الجمهور وروي عن علي وابن عباس اقصى الاجلين ويتربصن خبر يتضمن معنى الامر والتربص الصبر والتأني والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم متظاهرة ان التربص باحداد وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ الجميل والطِّيب ونحوه والتزام المبيت في مسكنها حيث كانت وقت وفاة الزوج وهذا قول جمهور العلماء وهو قول مالك واصحابه وجعل الله تعالى اربعة اشهر وعشرا عبادة في العدة فيها استبراء للحمل اذ فيها تكمل الاربعون والاربعون والاربعون حسب الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ثم ينفخ الروح وجعل تعالى العشر تكملة اذ هي مظِنة لظهور الحركة بالجنين وذلك لنقص الشهور اوكمالها او لسرعة حركة الجنين او ابطائها قاله ابن المسيب وغيره وقال تعالى وعشرا تغليبا لحكم الليالي وقرأ ابن عباس وعشر ليال قال جمهور العلماء ويدخل في ذلك اليوم العاشر * وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من زينة واطراح الاحداد قاله مجاهد وغيره اذا كان معروفا غير منكر قال

* ع * ووجوه المنكر كثيرة وقوله سبحانه والله بما تعملون خبير وعيد يتضمن التحذير وخبير اسم فاعل من خبر اذا تقصى علم الشيء * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الآية تصريح خطبة المعتدة حرام والتعريض جائز وهو الكلام الذى لا تصريح فيه او اكننتم معناه سترتم واخفيتم * وقوله تعالى ستذكرونهن قال الحسن معناه ستخطبونهن وقال غيره معناه علم الله انكم ستذكرون النساء المعتدات فى نفوسكم وبالسنتكم فنهى عن ان يوصل الى التواعد معهن * ع * والسر فى اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه والآية تعطى النهي عن ان يواعد الرجل المعتدة ان يطأها بعد العدة بوجه التزويج وقال ابن جبير سرا اي نكاحا وهذه عبارة مخلصة واجمعت الامة على كراهة المواعدة فى العدة * وقوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء منقطع والقول المعروف هو ما ابيح من التعريض كقول الرجل انكم لاكفاء كرام وما قُدِّر كان ونحو هذا * وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله عزم العقدة عقدها بالاشهاد والولي وحينئذ تسمى عقدة * ت * والظاهر ان العزم غير العقد وقوله تعالى حتى يبلغ الكتاب اجله يريد تمام العدة والكتاب هنا هو الحد الذى جعل والقدر الذى رسم من المدة وقوله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه الآية تحذير من الوقوع فيما نهى عنه وتوقيف على غفره وحلمه * وقوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة هذا ابتداء اخبار برفع الجُناح عن المطلِّق قبل البناء والجماعِ فرض مهرا او لم يفرض ولمّا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة وامر بالتزوج طلبا للعصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المومنين ان من طلق قبل البناء قد واقع جزأ من هذا المكروه فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك

اذا كان اصل النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح عليكم معناه لا طلب لجميع المهر بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض لها وفرض المهر اثباته وتحديده وهذه الآية تعطى جواز العقد على التفويض لانه نكاح مقرر فى الآية مبيّن حكم الطلاق فيه قاله مالك فى المدونة والفريضة الصداق * وقوله تعالى ومتعوهن اي اعطوهن شيأ يكون متاعا لهن وحمله ابن عمر وغيره على الوجوب وحمله مالك وغيره على الندب واختلف الناس فى مقدار المتعة قال الحسن يمتع كل على قدره هذا بخادم وهذا باثواب وهذا بثوب وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك * وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل على رفض التحديد والموسع اي من اتسع حاله والمقتر المقل القليل المال ومتاعا نصب على المصدر * وقوله تعالى بالمعروف اي لاحمل فيه ولا تكلف على احد الجانبين فهو تأكيد لمعنى قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ثم أكد تعالى الندب بقوله حقا على المحسنين اي فى هذه النازلة من التمتيع هم محسنون ومن قال بان المتعة واجبة قال هذا تأكيد للوجوب اي على المحسنين بالايمان والاسلام وحقا صفة لقوله تعالى متاعا * ت * وظاهر الآية عموم هذا الحكم فى جيع المطلقات كما هو مذهب الشافعى واحمد واصحاب الرأي والظاهر حمل المتعة على الوجوب لوجوه منها صيغة الامر ومنها قوله حقا ومنها لفظة على ومنها من جهة المعنى ما يترتب على امتناعها من جبر القلوب وربما ادى ترك ذلك الى العداوة والبغضاء بين المومنين وقد مال بعض ائمتنا المتأخرين الى الوجوب انتهى * وقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الآية اختلف فى هذه الآية فقالت فرقة فيها مالك انها مخرجة للمطلقة بعد الفرض من حكم التمتيع اذ يتناولها * قوله تعالى ومتعوهن

وقال قتادة نسخت هذه الآية الآية التى قبلها وقال ابن القاسم فى المدونة كان المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف ولغير المدخول بها بالآية التى فى سورة الاحزاب فاستثنى الله سبحانه المفروض لها قبل الدخول بهذه الآية واثبت لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن اسلم انها منسوخة حكى ذلك فى المدونة عن زيد بن اسلم زعما وقال ابن القاسم انها استثناء والتحرير يرد ذلك الى النسخ الذى قال زيد لان ابن القاسم قال ان قوله تعالى وللمطلقات متاع عم الجميع ثم استثنى الله منه هذه التى فُرض لها قبل المسيس وقال فريق من العلماء منهم ابو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه الآية انما بينت ان المفروض لها تاخذ نصف ما فرض اي مع متعتها وقرأ الجمهور فنصف بالرفع والمعنى فالواجب نصف ما فرضتم * وقوله تعالى الا ان يعفون استثناء منقطع ويعفون معناه يتركن ويصفحن اي يتركن النصف الذى وجب لهن عند الزوج وذلك اذا كانت المرأة تملك امر نفسها واختلف فى المراد بقوله تعالى او يعفو الذى بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس ومجاهد ومالك وغيرهم هو الولي الذى المرأة فى حجره وقالت فرقة الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج فعلى القول الاول الندب فى النصف الذى يجب للمرأة اما ان تعفو هي واما ان يعفو وليها وعلى القول الثانى اما ان تعفو هي ايضا فلا تاخذ شيأ واما ان يعفو الزوج عن النصف الذى يُحَط فيؤدى جيع المهر ثم خاطب تعالى الجميع نادبا بقوله وان تعفوا اقرب للتقوى اي يا جيع الناس وقرأ علي بن ابى طالب وغيره ولا تناسوا الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لانه موضع تناس لا نسيان الا على التشبيه * وقوله تعالى ولا تنسوا الفضل ندب الى المجاملة * وقوله ان الله بما تعملون بصير خبر وضمنه الوعد للمحسن والحرمان لغير المحسن * قوله

تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآية الخطاب لجميع الامة والآية امر بالمحافظة على اقامة الصلوات فى اوقاتها وبجميع شروطها وخرج الطحاوى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امِر بعبد من عباد الله ان يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه افاق فقال على م جلدتني قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره انتهى من التذكرة للقرطبى وفى الحديث ان الصلاة ثلاثة اثلاث الطهور ثلث والركوع ثلث والسجود ثلث فمن اداها بحقها قبلت منه وقبل منه سائر عمله ومن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله رواه النساءى انتهى من الكوكب الدري وروى مالك فى الموطا عن يحي بن سعيد انه قال بلغني انه اول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت منه نُظِر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فى شيء من عمله قال ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد وقد روي هذا الحديث مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح ثم اسند ابو عمر عن انس بن حكيم الضبي قال قال لى ابو هريرة اذا اتيت اهل مصرك فاخبرهم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يحاسب به العبد المسلم صلاة المكتوبة (١) فان اتمها والا قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكملت الفريضة من تطوعه ثم يُفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك وفى رواية تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم الزكاة مثل ذلك ثم توخذ الاعمال على حسب ذلك انتهى وذكر الله سبحانه الصلاة الوسطى ثانية وقد دخلت قبل فى عموم قوله الصلوات لانه

---

(١) هكذا الرواية

اراد تشريفها واختلف الناس فى تعيينها فقال علي وابن عباس وجماعة من الصحابة انها صلاة الصبح وهو قول مالك وقالت فرقة هي الظهر وورد فيه حديث وقالت فرقة هي صلاة العصر وفى مصحف عائشة واملاء حفصة صلاة العصر وعلى هذا القول جمهور العلماء وبه اقول وقال قبيصة بن دويب هي صلاة المغرب وحكى ابوعمر بن عبد البرعن فرقة انها صلاة العشاء الآخرة وقالت فرقة الصلاة الوسطى لم يعينها الله سبحانه فهي فى جملة الخمس غير معينة كليلة القدر وقالت فرقة هي صلاة الجمعة وقال بعض العلماء هي الخمس وقوله اولا على الصلوات يعم النفل والفرض ثم خص الفرض بالذكر * وقوله تعالى وقوموا لله قانتين معناه فى صلاتكم واختلف فى معنى قانتين فقال الشعبى وغيره معناه مطيعين قال الضحاك كل قنوت فى القرءان فانما يُعنَى به الطاعة وقاله ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وغيره القنوت السكوت وذلك انهم كانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت هذه الآية فامروا بالسكوت وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين فالقنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح قال * ع * واحضار الخشية والفكر فى الوقوف بين يدي الله سبحانه وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع وقال قوم القنوت الدعاء وقانتين معناه داعين روي معناه عن ابن عباس * وقوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا الآية امر الله تعالى بالقيام له فى الصلاة بحالة قنوت وهو الوقار والسكينة وهدو الجوارح وهذا على الحالة الغالبة من الامن والطمانينة ثم ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة احيانا فرخص لعبيده فى الصلاة رجالا متصرفين على الاقدام وركبانا على الخيل والابل ونحوهما ايماء واشارة بالراس حيث ما توجه هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذى قد ضايقه الخوف على نفسه فى

حال المسايفة او من سبع يطلبه او عدو يتبعه او سيل يحمله وبالجملة فكل امر يخاف منه على روحه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية واما صلاة الخوف بالامام وانقسام الناس فليس حكمها فى هذه الآية وسياتى ان شاء الله فى سورة النساء والركبان جمع راكب وهذه الرخصة فى ضِمنها باجماع من العلماء ان يكون الانسان حيث ما توجه ويتقلب ويتصرف بحسب نظره فى نجاة نفسه * ت * وروى ابو داود فى سننه عن عبد الله بن أُنَيس قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن سفيان وكان نحو عُرَنَة وعَرفاتٍ قال اذهب فاقتله فرأيته وقد حضرت صلاة العصر فقلت انى لا خاف ان يكون بينى وبينه ما يؤخر الصلاة فانطلقت امشى وانا اصلى اومى ايماء نحوه فلما دنوت منه قال لى من انت قلت رجل من العرب بلغنى انك تجمع لهذا الرجل فجئتك فى ذلك قال انى لفى ذلك فمشيت معه ساعة حتى اذا امكننى علوته بسيفى حتى برد انتهى وقد ترجم عليه باب فى صلاة الطالب قال * ع * واختلف الناس كم يصلى من الركعات والذى عليه مالك وجماعة انه لا ينقص من عدد الركعات شيأ فيصلى المسافر ركعتين واختلف المتأولون فى قوله سبحانه فاذا امنتم فاذكروا الله الآية فقالت فرقة المعنى اذا زال خوفكم فاذكروا الله سبحانه بالشكر على هذه النعمة وقالت فرقة اذكروا الله اي صلوا كما علمتم صلاة تامة يعنى فيما يُستقبل من الصلوات * قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن من معروف والله عزيز حكيم الذين رفع بالابتداء وخبره مضمر تقديره فعليهم وصية لازواجهم وفى قراءة ابن مسعود كتب عليكم وصية قالت فرقة كانت هذه وصية من الله تعالى تجب بعد وفاة الزوج قال قتادة

كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها لها السكنى والنفقة حولا فى مال الزوج ما لم تخرج برأيها ثم نسخ ما فى هذه الآية من النفقة بالربع او بالثمن الذى فى سورة النساء ونسخ سكنى الحول بالاربعة الاشهر والعشر وقاله ابن عباس وغيره ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى غير اخراج معناه ليس لاولياء الميت ووارثى المنزل اخراجها وقوله تعالى فان خرجن الآية معناه ان الخروج اذا كان من قبل الزوجة فلا جناح على احدٍ ولي او حاكم او غيره فيما فعلن فى انفسهن من تزويج وتزين وترك احداد اذا كان ذلك من المعروف الذى لا ينكر وقوله تعالى والله عزيز حكيم صفة تقتضى الوعيد بالنقمة لمن خالف الحد فى هذه النازلة وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه * وقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تعقلون قال عطاء بن ابى رباح وغيره هذه الآية فى الثيبات اللواتى قد جومعن اذ قد تقدم فى غير هذه الآية ذكر المتعة للواتى لم يُدخل بهن وقال ابن زيد هذه الآية نزلت موكدة لامر المتعة لانه نزل قبل حقا على المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم امتع فنزلت حقا على المتقين قال الطبرى فوجب ذلك عليهم * قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا الآية هذه رؤية القلب بمعنى الم تعلم وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك انهم قوم من بنى اسراءيل امروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شيء ثم احياهم وامرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا فى سبيل الله الآية وروى ابن جريج عن ابن عباس انهم كانوا من بنى اسراءيل وانهم كانوا اربعين الفا وثمانية ءالاف وانهم امیتوا ثم احيوا وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بنى اسراءيل الى اليوم

فامرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا فى سبيل الله قال * ع * وهذا القصص كله لين الاسناد وانما اللازم من الآية ان الله تعالى اخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اخبارا فى عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فاماتهم الله ثم احياهم ليعلموا هم وكل من خلف بعدهم ان الاماتة انما هي باذن الله لا بيد غيره فلا معنى لخوف خائف وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي امره المومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول الطبرى وهو ظاهر رصف الآية والجمهور على ان الوف جمع الف وهو جمع كثرة وقال ابن زيد فى لفظة الوف انما معناها وهم مؤتلفون * وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الآية تنبيه على فضله سبحانه على هؤلاء القوم الذين تفضل عليهم بالنعم وامرهم بالجهاد وان لا يجعلوا الحول والقوة الا له سبحانه حسبما امر جميع العالم بذلك فلم يشكروا نعمته فى جميع هذا بل استبدوا وظنوا ان حولهم وسعيهم ينجيهم وهذه الآية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل اي فيجب ان يشكر الناس فضله سبحانه فى ايجاده لهم ورزقه اياهم وهدايته بالاوامر والنواهى فيكون منهم المبادرة الى امتثالها لا طلب الخروج عنها وفى تخصيصه تعالى الاكثر دلالة على ان الاقل الشاكر * وقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الآية الجمهور ان هذه الآية مخاطبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال فى سبيل الله وهو الذى يُنوَى به ان تكون كلمة الله هي العليا حسب الحديث وقال ابن عباس والضحاك الامر بالقتال هو للذين احيوا من بنى اسرايل قال الطبرى ولا وجه لهذا القول ثم قال تعالى من ذا الذى يقرض الله الآية فدخل فى ذلك المقاتل فى سبيل الله فانه يقرض رجاء ثواب الله كما فعل عثمان فى جيش العسرة ويروى ان هذه الآية لما

نزلت قال ابو الدحداح يا رسول الله اوان الله يريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال فاني قد اقرضته حائطي لحائط فيه ستمائة نخلة ثم جاء الحائط وفيه ام الدحداح فقال اخرجي فاني قد اقرضت ربي حائطي هذا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كم من عذق مذلل لابي الدحداح في الجنة واستدعاء القرض في هذه الآية وغيرها انما هو تأنيس وتقريب للافهام والله هو الغني الحميد قال ابن العربي في احكامه وكَنَى الله عز وجل عن الفقير بنفسه العلية ترغيبا في الصدقة كما كنى عن المريض والجائع والعاطش بنفسه المقدسة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ءادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن ءادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ءادم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما انك لوسقيته وجدت ذلك عندي انتهى واللفظ لصحيح مسلم قال ابن العربي وهذا كله خرج مخرج التشريف لمن كُنِي عنه وترغيبا لمن خوطب انتهى * وقوله حسنا معناه تطيب فيه النية ويشبه ايضا ان تكون اشارة الى كثرته وجودته وهذه الاضعاف الكثيرة الى السبع مائة التي رويت ويعطيها مثالُ السنبلة * ت * والحق الذي لا شك فيه وجوب الايمان بما ذكر المولى سبحانه ولا سبيل الى التحديد الا ان يثبت في ذلك حديث صحيح فيصار اليه وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم فيما خرجه مسلم والبخاري انظره عند قوله تعالى كمثل حبة قال * ع *

روي ان النبي صلى الله عليه وسلم طُلب منه ان يسعر بسبب غلاء خيف
على المدينة فقال ان الله هو الباسط القابض وانى لارجو ان القى الله ولا يتبعنى
احد بمظلمة فى نفس ولا مال قال صاحب سلاح المومن عند شرحه لاسمه تعالى
القابض الباسط قال بعض العلماء يجب ان يُقرن بين هذين الاسمين ولا يفصل
بينهما ليكون انبأ عن القدرة وادل على الحكمة كقوله تعالى والله يقبض ويبصط
واذا قلت القابض مفردا فكانك قصرت بالصفة على المنع والحرمان واذا جمعت
اثبتت الصفتين وكذلك القول فى الخافض والرافع والمعز والمذل انتهى وما ذكره
عن بعض العلماء هو كلام الامام الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى ولفظه القابض
والباسط الاحسن فى هذين الاسمين ان يقرن احدهما فى الذكر بالآخر ليكون
ذلك ادل على القدرة والحكمة ولهذا السبب قال الله تعالى والله يقبض
ويبصط واذا ذكرت القابض منفردا عن الباسط كنت قد وصفته بالمنع والحرمان
وذلك غير جائز وقوله المعز المذل وقد عرفت انه يجب فى امثال هذين ذكر
كل واحد منهما مع الآخر انتهى * قوله تعالى الم ترالى الملإ من بنى اسراءيل
من بعد موسى الآية هذه الآية خبر عن قوم من بنى اسراءيل نالتهم ذلة وغلبة
عدو فطلبوا الاذن فى الجهاد وان يومروا به فلما امروا كع اكثرهم وصبر الاقل فنصرهم
الله وفى هذا كله مثال للمومنين ليحذروا المكروه منه ويقتدوا بالحسن والملأ
فى هذه الآية جميع القوم لان المعنى يقتضيه وهو اصل اللفظة ويسمى الاشراف
الملأ تشبيها ومن بعد موسى معناه من بعد موته وانقضاء مدته * وقوله تعالى
لنبيء لهم قال ابن اسحاق وغيره هو شمويل بن بابل وقال السدي هو شمعون
وكانت بنو اسراءيل تغلب من حاربها وروي انها كانت تضع التابوت الذى
فيه السكينة والبقية فى ما زق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصت وظهرت

فيهم الاحداث وخالف ملوكهم الانبياء واتبعوا الشهوات وقد كان الله تعالى
اقام امورهم بان يكون انبياؤهم يسددون ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه سلط الله عليهم
امما من الكفرة فغلبوهم واخذ لهم التابوت فى بعض الحروب فذل امرهم وقال
السدي كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة فلما رأوا انه الاصطلام وذهاب
الذكر انف بعضهم وتكلموا فى امرهم حتى اجتمع ملأهم على ان قالوا لنبي
الوقت ابعث لنا ملكا الآية وانما طلبوا ملكا يقوم بامر القتال وكانت الملكة فى
سبط من اسباط بنى اسرايل يقال لهم بنو يهوذا فعلم النبي بالوحي انه ليس
فى بيت الملكة من يقوم بامر الحرب ويسر الله لذلك طالوت وقرأ جمهور
الناس نقاتل بالنون وجزم اللام على جواب الامر واراد النبي المذكور عليه السلام
ان يتوثق منهم فوقفهم على جهة التقرير وسبر ما عندهم بقوله هل عسيتم ومعنى
هذه المقالة هل انتم قريب من التولي والفرار ان كتب عليكم القتال
* ص * لنبي متعلق بقالوا واللام معناها التبليغ انتهى ثم اخبر تعالى
انه لما فرض عليهم القتال تولوا اي اضطربت نياتهم وفترت عزائمهم الا
قليلا منهم وهذا شان الامم المتنعمة المائلة الى الدعة تتمنى الحرب
اوقات السعة فاذا حضرت الحرب كعت وعن هذا المعنى نهى النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا
ثم توعد سبحانه الظالمين فى لفظ الخبر بقوله والله عليم بالظالمين * وقوله تعالى
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال وهب بن منبه
وكان طالوت رجلا دباغا وقال السدى سقاء وكان من سبط بنيامين وكان سبطا لا نبوة
فيه ولا ملك ثم ان بنى اسرايل تعنتوا وحادوا عن امر الله وجروا على سَنَنهم
فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من

المال اي لم يوت مالا واسعا يجمع به نفوس الرجال و يغلب به اهل الانفة قال
* ع * وترك القومُ السببَ الاقوى وهو قدر الله وقضاؤه السابق وانه مالك
الملك فاحتج عليهم نبيئهم بالحجة القاطعة وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفاء
طالوت ببسطته فى العلم وهو مِلاك الانسان والجسم الذى هو معينه فى الحرب
وعُدّته عند اللقاء واصطفى ماخوذ من الصفوة والجمهور على ان العلم فى هذه الآية
يراد به العموم فى المعارف وقيل المراد علم الحرب واما جسمه فقال وهب بن
منبه ان اطول رجل فى بنى اسراءيل كان يبلغ منكب طالوت * ت *
قال ابو عبيد الهروي قوله وزاده بسطة فى العلم والجسم اي انبساطا وتوسعا فى
العلم وطولا وتماما فى الجسم انتهى من شرحه لغريبي القرءان واحاديث النبي
عليه السلام ولما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجدالهم تمم كلامه بالقطع الذى
لا اعتراض عليه وهو قوله والله يوتى ملكه من يشاء وظاهر اللفظ انه من قول نبيهم
عليه السلام وذهب بعض المتأولين الى انه من قول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم والاول اظهر وواسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شيء واما قول النبي لهم
ان ءاية ملكه فان الطبرى ذهب الى ان بنى اسراءيل تعنتوا وقالوا لنبيهم وما
ءاية ملك طالوت وذلك على جهة سؤال الدلالة على صدقه فى قوله ان الله
بعثه قال * ع * ويحتمل ان نبيهم قال لهم ذلك على جهة التغليظ
والتنبيه على هذه النعمة التى قرنها بملك طالوت دون تكذيب منهم لنبيهم
وهذا عندى اظهر من لفظ الآية وتاويل الطبرى اشبه باخلاق بنى اسراءيل الذميمة
فانهم اهل تكذيب وتعنت واعوجاج وقد حكى الطبرى معناه عن ابن عباس
وغيره واختلف فى كيفية اتيان التابوت فقال وهب لما صار التابوت عند القوم
الذين غلبوا بنى اسراءيل وضعوه فى كنيسة لهم فيها اصنام فكانت الاصنام تصبح

منكسة فجعلوه فى قرية قوم فاصاب اولئك القوم او جاع فقالوا ما هذا الا لهذا التابوت فلنرده الى بنى اسرايل فاخذوا عَجَلة فجعلوا التابوت عليها و ربطوها ببقرتين فارسلوهما فى الارض نحو بلاد بنى اسرايل فبعث الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بنى اسرايل وهم فى امر طالوت فايقنوا بالنصر وقال قتادة والربيع كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع فى البرية ومرت عليه الدهور حتى جاء وقت طالوت فحملته الملائكة فى الهواء حتى وضعته بينهم فاستوثقت بنو اسرايل عند ذلك على طالوت وقيل غير هذا والله اعلم * وقوله تعالى فيه سكينة من ربكم الآية قال ابن عباس السكينة طست من ذهب من الجنة وقال مجاهد السكينة لها راس كراس الهرة وجناحان وذنب وقال عطاء السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال قتادة سكينة من ربكم اي وقار لكم من ربكم قال * ع * والصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء فاضلة من بقايا الانبياء واثارهم تسكن الى ذلك النفوس وتأنس به ثم قرر تعالى ان مجىء التابوت اية لهم ان كانوا ممن يومن ويبصر * ت * وهذا يؤيد تاويل الطبرى المتقدم * وقوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود الآية اي لما اتفق ملأهم على تمليك طالوت وفصل بهم اي خرج بهم من القُطر وفصل حال السفر من حال الاقامة قال السدى وغيره وكانوا ثمانين الفا قال ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم فمن ظهرت طاعته فى ترك الماء علم انه يطيع فيما عدا ذلك ومن غلبته شهوته فى الماء وعصى الامر فهو بالعصيان فى الشدائد احرى ورخص للمطيعين فى الغرفة ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس فى هذه الحال * ت * ولقد احسن من شبه الدنيا بنهر طالوت فمن اغترف منها غرفة بيد الزهد واقبل على ما يعنيه من امر اخرته نجا ومن اكب عليها صدته عن التأهب

لآخرته وقلت سلامته الا ان يتداركه الله قال ابن عباس وهذا النهر بين الاردن وفِلَسطين وقال ايضا هو نهر فلسطين قال * ع * وظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم انه باخبار من النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله اليه طالوت فجرب به جنده وهذه النزعة واجب ان تقع من كل متولى حرب فليس يحارب الا بالجند المطيع وبينٌ ان الغرفة كافة ضرر العطش عند الحَزَمة الصابرين على شظف العيش الذين هم فى غير الرفاهية وقوله فليس منى اي ليس من اصحابى فى هذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن رمانا بالنبل فليس منا وليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود وفى قوله ومن لم يطعمه سد الذرائع لان ادنى الذوق يدخل فى لفظ الطعم فاذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرَب منه * ص * الا من اغترف غرفة بيده استثناء من الجملة الاولى وهو قوله فمن شرب منه فليس منى اي الا من اغترف غرفة بيده دون الكرع فهو منى والاستثناء اذا تعقب جملتين فاكثر امكن عوده الى كل منها فقيل يعود على الاخيرة وقيل الى الجميع وقال ابو البقاء ان شئت جعلته مِن مَن الاولى وان شئت مِن مَن الثانية وتُعُقّب بانه لو كان استثناء من الثانية وهي ومن لم يطعمه فانه منى للزم ان يكون من اغترف غرفة ليس منه لان الاستثناء من الاثبات نفي ومن النفي اثبات على الصحيح وليس كذلك لانه ابيح لهم الاغتراف والظاهر عوده الى الاولى والجملة الثانية مفهومة من الاولى لانه حين ذكر ان من شربه فليس منه فُهِم من ذلك ان من لم يشرب منه فانه منه انتهى ثم اخبر تعالى ان الاكثر شرب وخالف ما اريد منه روي عن ابن عباس وغيره ان القوم شربوا على

قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب العاصون دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المومنين لم يشرب شيأ واخذ بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم يرو بل برح به العطش واما من ترك الماء فحسنت حاله وكان اجلد ممن اخذ الغرفة * وقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه الآية اكثر المفسرين على انه انما جاوز النهر من لم يشرب الا غرفة ومن لم يشرب جملة ثم كانت بصائر هؤلاء مختلفة فبعض كعّ وقليل صمم وهم عدة اهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا * وقوله تعالى قالوا لا طاقة قال ابن عباس قال كثير من الاربعة الآلاف الباقية مع طالوت الذين جاوزوا النهر لا طاقة لنا على جهة الفشل والفزع من الموت وانصرفوا عن طالوت فقال المومنون الموقنون بالبعث والرجوع الى الله تعالى وهم عدة اهل بدر كم من فئة والظن على هذا القول اليقين والفئة الجماعة التي يرجع اليها في الشدائد وفي قولهم رضي الله عنهم كم من فئة الآية تحريض بالمثال وحض واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه والله مع الصابرين بنصره وتأييده * وقوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الآية برزوا معناه صاروا في البراز وهو الافيح من الارض المتسع والافراغ اعظم الصب وكان جالوت امير العمالقة وملكهم وروي في قصة داود وقتله جالوت ان اصحاب طالوت كان فيهم اخوة داود وهم بنو ايش وكان داود صغيرا يرعى غنما لابيه فلما حضرت الحرب قال في نفسه لا ذهبن لرؤية هذه الحرب فلما نهض مر في طريقه بحجر فناداه يا داود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر ءاخر ثم ءاخر ثم ءاخر فاخذها وجعلها في مخلاته وسار فلما حضر الباس خرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى قال طالوت من برز له ويقتله فانا ازوجه ابنتي واحكمه في مالي فجاء داود فقال انا ابرز له واقتله فقال له طالوت فاركب

فرسي وخذ سلاحي ففعل وخرج في احسن شكة فلما مشى قليلا رجع فقال الناس جبُن الفتى فقال داود انّ الله سبحانه ان لم يقتله لي ويعيننى عليه لم ينفعنى هذا الفرس ولا هذا السلاح ولكنى احب ان اقاتله على عادتى قال وكان داود من ارمى الناس بالمقلاع فنزل واخذ مخلاته فتقلدها واخذ مقلاعه فخرج الى جالوت وهو شاك في السلاح فقال له جالوت انت يا فتى تخرج الي قال نعم قال هكذا كما يُخرَج الى الكلب قال نعم وانت اهون قال لاطعمن اليوم لحمك الطير والسباع ثم تدانيا فادار داود مقلاعه وادخل يده الى الحجارة فروي انها التأمت فصارت واحدا فأخذه ووضعه في المقلاع وسمى الله واداره ورماه فاصاب به راس جالوت فقتله وحز راسه وجعله في مخلاته واختلط الناس وحمل اصحاب طالوت وكانت الهزيمة ثم ان داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له ان بنات الملوك لهن غرائب من المهر ولا بد لك من قتل مائتين من هؤلاء الجراجمة الذين يوذون الناس وتجيئنى بغلفهم وطمع طالوت ان يعرض داود للقتل بهذه النزعة فقتل داود منهم مائتين وجاء بذلك وطلب امرأته فدفعها اليه طالوت وعظم امر داود فيروى ان طالوت تخلى له عن الملك وصارهو الملك وقد اكثر الناس في قصص هذه الآية وذلك كله لين الاسانيد فلذلك انتقيت منه ما تنفك به الآية ويعلم به مناقل النازلة واما الحكمة التى اتاه الله فهي النبوءة والزبور وعلمه سبحانه صنعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من انواع علمه صلى الله على نبينا وعليه * وقوله تعالى ولو لا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الآية اخبر الله سبحانه في هذه الآية انه لو لا دفعه بالمومنين في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الارض لان الكفر كان يطبقها ولكنه سبحانه لا يخلى الزمان من قائم بحق وداع الى الله الى ان جعل ذلك

فى امة محمد الى قيام الساعة له الحمد كثيرا * ص * ولكن استدراك
باثبات الفضل لله سبحانه على جميع العالمين لما يتوهمه من يريد الفساد ان الله
غير متفضل عليه اذ لم يبلغه مقاصده واحتيج الى هذا التقدير لان لكن تكون بين
متنافيين بوجه ما انتهى والاشارة بتلك الى ما سلف من القصص والانباء وفى هذه
القصة بجملتها مثال عظيم للمومنين ومعتبر وقد كان اصحاب نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم معدين لحرب الكفار فلهم فى هذه النازلة معتبر يقتضى تقوية
النفوس والثقة بالله سبحانه وغير ذلك من وجوه العبر * قوله سبحانه
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية تلك رفع بالابتداء والرسل خبره
ويجوز ان يكون الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وتلك اشارة الى جماعة
ونص الله سبحانه فى هذه الآية على تفضيل بعض النبيئين على بعض من غير
تعيين وقوله تعالى ورفع بعضهم درجات قال مجاهد وغيره هي اشارة الى نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الناس كافة واعطي الخمس التى لم
يعطها احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوات الى غير ذلك
مما اعطاه من الخلق العظيم ومن معجزاته وباهر ءاياته ويحتمل اللفظ
ان يراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن عظمت ءاياته وبينات عيسى
عليه السلام احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين وروح
القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم ما قال العلماء فيه * وقوله تعالى ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم الآية معنى الآية ولو شاء الله ما اقتتل الناس بعد
كل نبي فمنهم من آمن ومنهم من كفر بغيا وحسدا وعلى حطام الدنيا وذلك
كله بقضاء وقدر وارادة من الله سبحانه ولو شاء الله خلاف ذلك لكان ولكنه المستاثر
بسر الحكمة فى ذلك وهو الفعال لما يريد سبحانه * ص * ولو شاء الله

ما اقتتل قيل فى الكلام حذف اي فاختلف امهم فاقتتلوا ولو شاء الله فمفعول
شاء محذوف اي ان لا يقتتلوا انتهى وقوله ما اقتتلوا اي بان قاتل المومنون
الكافرين على مر الدهر وذلك هو دفاع الله الناس بعضهم ببعض * قوله تعالى
يا ايها الذين ءامنوا انفقوا مما رزقناكم الآية قال ابن جريج هذه الآية تجمع
الزكاة والتطوع اي وجميع وجوه البر من سبيل وصلة رحم وهذا كلام صحيح لكن
ما تقدم من الآيات فى ذكر القتال يرجح ان هذه النفقة فى سبيل الله ويقوى
ذلك قوله والكافرون هم الظالمون اي فكافحوهم بالقتال بالانفس وانفاق
الاموال مما رزقناكم وهذا غاية الانعام والتفضل منه سبحانه ان رزق ثم ندب
للنفقة مما به انعم وحذر سبحانه من الامساك الى ان ياتي يوم لا يمكن فيه بيع
ولا شراء ولا استدراك نفقة فى ذات الله تعالى اذ هي مبايعة اذ البيع فدية لان
المرء قد يشتري نفسه ومراده بماله فكان معنى الآية ان لا فدية يوم القيامة ولا خلة
نافعة واهل التقوى فى ذلك اليوم بينهم خلة ولكنه غير محتاج اليها
* ت * وفى قوله غير محتاج اليها قلق ولا شفاعة يومئذ الا لمن اذن له سبحانه
فالمنفي مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة بغير اذن المشفوع عنده قال
عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم
الكافرون * وقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الآية هذه الآية سيدة ءاي
القرءان وورد فى الحديث انها تعدل ثلث القرءان وورد ان من قرأها اول ليله
لم يقربه شيطان وكذلك من قرأها اول نهاره وهي متضمنة التوحيد والصفات
العلى وعن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما منعك
ان تسمعي ما اوصيتك به تقولين اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم
برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين رواه

النساءى واللفظ له والحاكم فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى البخارى ومسلما انتهى من السلاح وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل به هم او غم قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ورواه الترمذى من حديث انس والنساءي من حديث ربيعة بن عامر انتهى من السلاح والله مبتدأ ولا اله مبتدأ ثان وخبره محذوف تقديره معبود او موجود وقيوم بناء مبالغة اي هو القائم على كل نفس بما كسبت بهذا المعنى فسره مجاهد والربيع والضحاك ثم نفى عز وجل ان تاخذه سنة او نوم وفى لفظ الاخذ غلبة ما فلذلك حسنت فى هذا الموضع بالنفي والسنة بدء النعاس وليس يفقد معه كل الذهن والنوم هو المستثقل الذى يزول معه الذهن والمراد بالآية التنزيه انه سبحانه لا تدركه ءافة ولا يلحقه خلل بحال من الاحوال فجعلت هذه مثالا لذلك واقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال تعالى ولا تقل لهما اف * ت * وبيانه انه اذا حرم التافيف فاحرى ما فوقه من الشتم والضرب فى حق الابوين وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى (١) عن موسى على المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فارسل الله اليه ملكا فارّقه ثلاثا ثم اعطاه قارورتين فى كل يد قارورة وامره بان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان لوكان ينام لم تستمسك السماء والارض * وقوله تعالى له ما فى السماوات وما فى الارض اي بالملك

(١) فى البحر المحيط لابى حيان ما نصه قال بعض معاصرينا هذا حديث وضعه الحشوية ومستحيل ان يسال موسى ذلك عن نفسه او عن قومه لان المومن لا يتشكك فى ان الله ينام او لا ينام فكيف الرسل اه من هامش بعض النسخ

فهو مالك الجميع وربه ثم قرر ووقف تعالى من يتعاطى ان يشفع الا باذنه اي بامره * ص * من ذا الذى يشفع عنده من مبتدأ وهو استفهام معناه النفي ولذا دخلت الا فى قوله الا باذنه والخبر ذا والذى نعت لذا او بدل منه وهذا على ان ذا اسم اشارة وفيه بعد لان الجملة لم تستقل بمَن مع ذا ولوكان خبرا لا ستقل ولم يحتج الى الموصول فالاولى ان من ركبت مع ذا للاستفهام انتهى قال مجاهد وغيره ما بين ايديهم الدنيا وما خلفهم الآخرة وهذا صحيح فى نفسه عند موت الانسان لان ما بين اليد هو كل ما تقدم الانسان وما خلفه هو كل ما ياتى بعده ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته لان علم الله تعالى لا يتبعض ومعنى الآية لا معلوم لاحد الا ما شاء الله ان يعلمه قال ابن عباس كرسيه علمه الطبرى ومنه الكراسة قال * ع * والذى تقتضيه الاحاديث ان الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش والعرش اعظم منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السماوات السبع فى الكرسي الا كدراهم سبعة القيت فى تُرس وقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي فى العرش الا كحلقة من حديد القيت فى فلاة من الارض وهذه الآية منبئة عن عِظَم مخلوقات الله سبحانه والمستفاد من ذلك عظم قدرته جل وعلا اذ لا يئوده حفظ هذه المخلوقات العظيمة ولا يئوده معناه لا يثقله ولا يشق عليه وهو تفسير ابن عباس وغيره والعلي يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لان الله سبحانه منزه عن التحيز وكذا العظيم هو صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا على معنى عظم الاجرام ومن سلاح المومن قال وعن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اية الكرسي فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت رواه النساءي عن الحسين بن بشر عن محمد بن حِمْير عن محمد بن زياد الالهانى عن ابى امامة

فاما الحسين فقال فيه النساءي لا باس به وقال في موضع ءاخر ثقة وقال ابو حاتم شيخ واما المحمدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه وقد اخرج شيخنا الحافظ ابو محمد الدمياطي رحمه الله الحديث في بعض تصانيفه من حديث ابي امامة وعلي وعبد الله بن عمر والمغيرة وجابر وانس قال واذا ضمت هذه الاحاديث بعضها الى بعض اخذت قوة انتهى من السلاح وقد اخرج البخاري والنساءي من حديث ابي هريرة في قصته مع الشيطان واخذه الطعام ما هو معلوم من فضل هذه الآية وفيه انه اذا قرأتها حين تاوي الى فراشك لم يزل عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وخرجه الترمذي من حديث ابي ايوب في قصته مع الغول نحو حديث ابي هريرة قال الغزالي ما معناه انما وصفت بكونها سيدة ءاي القرءان لاشتمالها على اسم الله الاعظم وهو الحي القيوم قاله في الجواهر واسند صاحب غاية المغنم في اسم الله الاعظم عن غالب القطان قال مكثت عشر سنين ادعو الله ان يعلمني اسمه الاعظم الذى اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى فاتاني ءات في منامي ثلاث ليال متواليات يقول يا غالب قل يا فارج الهم ويا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجزا للوعد يا حي يا قيوم لا اله الا انت انتهى من غاية المغنم * قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الدين في هذه الآية هو المعتقد والملة ومقتضى قول زيد ابن اسلم ان هذه الآية مكية وانها من ءايات الموادعة التى نسختها ءاية السيف وقال قتادة والضحاك بن مزاحم هذه الآية محكمة خاصة في اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية وقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي معناه بنصب الادلة ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي الى الله والآيات المنيرة والرشد مصدر من قولك رشد بكسر الشين وضمها يرشد رُشْدا ورَشَدا ورَشادا والغي مصدر من غوى يغوى اذا ضل

فى معتقد او رأي ولا يقال الغي فى الضلال على الاطلاق والطاغوت بناء مبالغة
من طغى يطغى واختلف فى معنى الطاغوت فقال عمر بن الخطاب وغيره هو
الشيطان وقيل هو الساحر وقيل الكاهن وقيل الاصنام وقال بعض العلماء كل ما عبد
من دون الله فهو طاغوت * ع * وهذه تسمية صحيحة فى كل معبود
يرضى ذلك كفرعون ونمروذ واما من لا يرضى ذلك فسمي طاغوتا فى حق
العبَدة قال مجاهد العروة الوثقى الايمان وقال السدى الاسلام وقال ابن جبير
وغيره لا اله الا الله قال * ع * وهذه عبارات ترجع الى معنى واحد
والانفصام الانكسار من غير بينونة وقد يجيء بمعنى البينونة والقصم كسر
بالبينونة * ت * وفى الموطإ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
الوحي ياتينى احيانا فى مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت
قال ابو عمر فى التمهيد قوله فيفصم عني معناه ينفرج عني ويذهب كما تفصم
الخلخال اذا فتحته لتخرجه من الرجل وكل عقدة حللتها فقد فصمتها قال الله عز
وجل فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانفصام العروة ان تنفك
عن موضعها واصل الفصم عند العرب ان تفك الخلخال ولا يبين كسره فاذا
كسرته فقد قصمته بالقاف انتهى ولما كان الايمان مما ينطق به اللسان ويعتقده
القلب حسن فى الصفات سميع من اجل النطق وعليم من اجل المعتقَد *
قوله سبحانه الله ولي الذين ءامنوا الآية الولي من ولي فاذا لازم احد احدا بنصره
ووده واهتباله فهو وليه هذا عرفه لغة ولفظ الآية مترتب فى الناس جميعا وذلك
ان من ءامن منهم فالله وليه اخرجه من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد
وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فشيطانه ومُغْويه اخرجه من الايمان اذ هو معدّ
واهل للدخول فيه ولفظ الطاغوت فى هذه الآية يقتضى انه اسم جنس ولذلك

قال اولياؤهم بالجمع اذ هي انواع * قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه الآية الم ترتنبيه وهي رؤية القلب والذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة قاله مجاهد وغيره قال قتادة هو اول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل قيل انه ملك الدنيا باجمعها وهو احد الكافرين والآخر بخت نصر وقيل ان النمروذ الذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن فالخ وفي قصص هذه المحاجة روايتان احداهما ذكر زيد بن اسلم ان النمروذ هذا قعد يامر للناس بالميرة فكلما جاء قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم وجاء ابراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك والهك قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت فلما سمعها نمروذ قال انا احي واميت فعارضه ابراهيم بامر الشمس فبُهِت الذى كفر وقال لا تميروه فرجع ابراهيم الى اهله دون شيء فمر على كثيب رمل كالدقيق فقال لو ملأت غرارتي من هذا فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر لهما فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ونام هو من الاعياء فقالت امرأته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه ففتحت احدى الغرارتين فوجدت احسن ما يكون من الحوارى فخبزته فلما قام وضعته بين يديه فقال من اين هذا قالت من الدقيق الذى سقت فعلم ابراهيم ان الله يسر لهم ذلك وقال الربيع وغيره في هذا القصص ان النمروذ لما قال انا احي واميت احضر رجلين فقتل احدهما وارسل الآخر وقال قد احييت هذا وامت هذا فرد عليه ابراهيم بامر الشمس والرواية الاخرى ذكر السدي انه لما خرج ابراهيم من النار وادخل على الملك قال له من ربك قال ربى الذى يحيي ويميت يقال بهت الرجل اذا انقطع وقامت عليه الحجة * وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين اخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم

وامته والمعنى لا يرشدهم فى حججهم على ظلمهم وظاهر اللفظ العموم ومعناه الخصوص لان الله سبحانه قد يهدى بعض الظالمين بالتوبة والرجوع الى الايمان * قوله تعالى اوكالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية عطفت او فى هذه الآية على المعنى الذى هو التعجب فى قوله الم تر الى الذى حاج قال ابن عباس وغيره الذى مر على القرية هو عزير وقال وهب بن منبه وغيره هو ارميا قال ابن اسحاق ارميا هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب بن منبه واختلف فى القرية ما هي فقيل الموتفكة وقال زيد بن اسلم قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقال وهب بن منبه وقتادة والضحاك والربيع وعكرمة هي بيت المقدس لما خربها بخت نصّر البابلي والعريش سقف البيت قال السدى يقول هي ساقطة على سقفها اي سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها وقال غيره معناه خاوية من الناس وخاوية معناه خالية يقال خوت الدار تخوى خواء وخُويا ويقال خويت قال الطبرى والاول افصح قال * ص * وهي خاوية فى موضع الحال من فاعل مر او من قرية وعلى عروشها قيل على على بابها والمعنى خاوية من اهلها ثابتة على عروشها والبيوت قائمة والمجرور على هذا يتعلق بمحذوف وهو ثابتة وقيل يتعلق بخاوية والمعنى وقعت جدراتها على سقوفها بعد سقوط السقوف انتهى وقد زدنا هذا المعنى وضوحا فى سورة الكهف والله الموفق بفضله وقوله انى يحي هذه الله بعد موتها ظاهر اللفظ السؤال عن احياء القرية بعمارة او سكان فكان هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينة احبته ويحتمل ان يكون سؤاله انما كان عن احياء الموتى فضرب له المثل فى نفسه وحكى الطبرى عن بعضهم ان هذا القول منه شك فى قدرة الله على الاحياء قال * ع * والصواب ان لا يتأول فى الآية شك وروي فى قصص هذه الآية ان بنى اسراءيل لما

احدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت نصر فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس وخربه فلما ذهب عنه جاء عزير اوارميا فوقف على المدينة معتبرا فقال انى يحي هذه الله بعد موتها فاماته الله تعالى وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد وكان معه سلة فيها تين هو طعامه وقيل تين وعنب وكانت معه ركوة من خمر وقيل من عصير وقيل قلة من ماء هي شرابه وبقي ميتا مائة عام فروي انه بلي وتفرقت عظامه هو وحماره وروي ان الحمار بلي وتفرقت اوصاله دون عزير * وقوله تعالى ثم بعثه معناه احياه فسأله الله تعالى بوساطة الملك كم لبثت على جهة التقرير فقال لبثت يوما او بعض يوم قال ابن جريج وقتادة والربيع اماته الله غدوة يوم ثم بعثه قرب الغروب فظن هو اليوم واحدا فقال لبثت يوما ثم رأى بقية من الشمس فخشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقيل له بل لبثت مائة عام وقوله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير * ت * قال البخاري في جامعه يتسنه يتغير واما قوله تعالى وانظر الى حمارك فقال وهب بن منبه وغيره المعنى انظر الى اتصال عظامه واحيائه جزءا جزءا ويروى انه احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما حتى كمل حمارا ثم جاء ملك فنفخ في انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي عن الضحاك ووهب بن منبه ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما في مربطه لم يصبه شيء مائة سنة قالا وانما العظام التى نظر اليها عظام نفسه واعمى الله العيون عنه وعن حماره طول هذه المدة وكثّر اهل القصص في صورة هذه النازلة تكثيرا اختصرته لعدم صحته * وقوله تعالى ولنجعلك ءاية للناس قال * ع * وفي اماتته هذه المدة ثم احيائه اعظم ءاية وامره كله ءاية للناس غابر الدهر * ت * قال ابن هشام لا يصح انتصاب مائة باماته لان الاماتة سلب الحياة

وهي لا تمتد وانما الوجه ان يضمن اماته معنى أَلْبَثَه فكانه قيل فالبثه الله بالموت مائة عام وحينئذ يتعلق به الظرف انتهى من المغنى ومعنى ننشرها اي نحييها وقرأ حمزة وغيره ننشزها ومعناه نرفعها اي ارتفاعا قليلا قليلا فكانه وقف على نبات العظام الرفات وقال النقاش ننشزها معناه ننبتها ومن ذلك نشز ناب البعير * وقوله تعالى فلما تبين له قال اعلم المعنى قال هو اعلم ان الله على كل شيء قدير وهذا عندى ليس باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبرى بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الانسان المومن اذا رأى شيأ غريبا من قدرة الله لا اله الا الله ونحو هذا واما قراءة حمزة والكساءى قال اعلمْ موصولة الالف ساكنة الميم فتحتمل وجهين احدهما قال الملك له اعلم وقد قرأ ابن مسعود والاعمش قيل اعلم والوجه الثانى ان ينزل نفسه منزلة المخاطب الاجنبى المنفصل اي قال لنفسه اعلم وامثلة هذا كثيرة * قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحي الموتى قال او لو تومن قال بلى الآية قال جمهور العلماء ان ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا فى احياء الله الموتى قط وانما طلب المعاينة واما قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه ان لو كان شك لكنا نحن احق به ونحن لا نشك فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن ابراهيم والذى روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك محض الايمان انما هو فى الخواطر الجارية التى لا تثبت واما الشك فهو توقف بين امرين لا مزية لاحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل صلى الله عليه وسلم واحياء الموتى انما يثبت بالسمع وقد كان ابراهيم اعلَمَ بذلك يدلك على ذلك قوله ربي الذى يحي ويميت والشك يبعد على من ثبت قدمه فى الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوءة والخلة والانبياء معصومون من الكبائر

ومن الصغائر التى فيها رذيلة اجماعا واذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الفاظ الآية لم تعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو عن حال شيء موجود ومتقرر الوجود عند السائل والمسئول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب فكيف فى هذه الآية انما هي استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقرر ولما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن انكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم انها لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء فى نفسه لايصح مثال ذلك ان يقول مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز فى العبارة ومعناها تسليم جدلى كانه يقول افرض انك ترفعه ارنى كيف فلما كان فى عبارة الخليل صلى الله عليه وسلم هذا الاشتراك المجازى خلّص الله سبحانه ذلك وحمله على ان يبين الحقيقة فقال له او لم تومن قال بلى فكمل الامر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمانينة * ت * قال الداودى وعن ابن جبير او لم تومن بالخلة قال مجاهد والنخعى ولكن ليطمئن قلبى اي ازداد ايمانا الى ايمانى وعن قتادة لازداد يقينا انتهى قال * ع * وقوله تعالى او لم تومن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو حال دخلت عليها الف التقرير وقال * ص * الهمزة فى او لم تومن للتقرير كقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وكقوله * الستم خير من ركب المطايا * اي قد شرحنا لك صدرك وانتم خير وقول ابن عطية الواو للحال دخلت عليها الف التقرير متعقب والظاهر ان التقرير منسحب على الجملة المنفية فقط وان الواو للعطف انتهى وليطمئن معناه ليسكن فطمانينة القلب هي ان تسكن فكره فى الشيء المعتقد والفِكر فى صورة الاحياء غير محظورة كمالنا نحن اليوم ان نفكر فيها

بل هي فكر فيها عبر فاراد الخليل ان يعاين فتذهب فكره فى صورة الاحياء اذ حركه
الى ذلك اما الدابة الماكولة فى تاويل واما قول النمروذ انا احي واميت فى تاويل
اخر وروي ان الاربعة التى اخذ ابراهيم عليه السلام هي الديك والطاوس والحمام
والغراب قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس مكان الغراب الكركي فروي انه اخذها
عليه السلام حسب ما امر وذكاها ثم قطعها قطعا قطعا صغارا وجمع ذلك مع الدم
والريش ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على كل جبل ووقف هو من
حيث يرى تلك الاجزاء وامسك رءوس الطير فى يده ثم قال تعالين باذن الله
فتطايرت تلك الاجزاء وطار الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التأمت
كما كانت اولا وبقيت بلا رءوس ثم كرر النداء فجاءته سعيا حتى وضعت اجسادها
فى رءوسها وطارت باذن الله تعالى وقوله تعالى فصرهن يقال صرت الشيء اصوره
بمعنى قطعته ويقال ايضا صرت الشيء بمعنى املته وقد تأول المفسرون اللفظة
بمعنى التقطيع وبمعنى الامالة وقد قال ابن عباس وغيره فى هذه الآية صرهن
معناه قطعهن وقال قتادة صرهن فصلهن وقال عطاء بن ابى رباح صرهن اضممهن
وقال ابن زيد معناه اجمعهن وعن ابن عباس ايضا اوثقهن وقرأ قوم فصرهن بضم
الصاد وشد الراء كانه يقول فشدهن ومنه صرة الدنانير * قوله تعالى مثل الذين
ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة
حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم فى الآية بيان شرف النفقة فى
سبيل الله وتحسينها وضمنها التحريض على ذلك وهذه الآية فى نفقة التطوع
وسبل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين وعلى الملة
واشهرها واعظمها غناء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا والحبة اسم جنس لكل ما
يزدرعه ابن ءادم واشهر ذلك البر وقد يوجد فى سنبل القمح ما فيه مائة حبة واما

فى سائر الحبوب فاكثر وقد ورد القرءان بان الحسنة بعشر امثالها واقتضت
الآية ان نفقة الجهاد حسنتها بسبع مائة ضعف وبين ذلك الحديث
الصحيح واختلف فى معنى قوله سبحانه والله يضاعف لمن يشاء فقيل هي مبينة
ومؤكدة لما تقدم من ذكر السبع مائة وقالت طائفة من العلماء بل هو
اعلام من الله تعالى بانه يضاعف لمن يشاء اكثر من سبعمائة ضعف
* ت * وارجح الاقوال عندى قول هذه الطائفة وفى الحديث الصحيح
عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك
وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم
بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله
عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة الحديث
رواه مسلم والبخارى بهذه الحروف انتهى وقال ابن عمر لما نزلت هذه الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد امتى فنزلت من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا الآية فقال رب زد امتى فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب وفى الآية حذف مضاف تقديره مثل انفاق الذين وكمثل ذى
حبة وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما تقدم فى
الآية التى قبلها ذكر فضل الانفاق فى سبيل الله على العموم بين ان ذلك
انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك ان المنفق فى سبيل الله انما
يريد وجه الله تعالى ورجاء ثوابه واما من اراد من المنفق عليه جزاء بوجه من
الوجوه فهذا لم يرد وجه الله تعالى وهذا هو الذى متى اخلفه ظنه من بالانفاق
واذى اذ لم يكن انفاقه مخلصا لوجه الله فالمن والاذى مبطلان للصدقة وهما

كاشفان لمقاصد المنفقين والمن ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها والاذى السب والتشكي وهو اعم من المن لان المن جزء من الاذى ولكنه نص عليه لكثرة وقوعه وقال زيد بن اسلم لئن ظننت ان سلامك يثقل على من انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امرأة يا ابا اسامة دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فانهم انما يخرجون لياكلوا الفواكه فان عندي اسهما وجعبة فقال لها لا بارك الله في اسهمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل ان تعطيهم وتضمن الله الاجر للمنفق في سبيل الله والاجر الجنة ونفى عنه الخوف لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لانه يغتبط بآخرته * ت *
ومما جاء من صحيح الآثار في هذا الباب ما رواه مالك في الموطا عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر يا رسول الله ما على من يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الابواب كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد في هذا الحديث من الفقه الحض على الانفاق في سبل الخير ومعنى زوجين اي شيئين من نوع واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قميصين هكذا قال اهل العلم وفيه ان من اكثر من شيء عرف به ونسب اليه الا ترى الى قوله فمن كان من اهل الصلاة يريد من اكثر منها فنسب اليها لان الجميع من اهل الصلاة وكذلك من اكثر من الجهاد ومن الصيام على هذا المعنى والريان فعلان من الري ومعنى

الدعاء من تلك الابواب اعطاؤه ثواب العاملين تلك الاعمال ونيله ذلك والله اعلم وفيه ان للجنة ابوابا يعنى متعددة بحسب الاعمال انتهى وروى ابن ابى شيبة فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل اهل عمل بابا من ابواب الجنة يدعون فيه بذلك العمل هذا لفظه على ما نقله صاحب الكوكب الدرى انتهى * قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى هذا اخبار جزم من الله تعالى ان القول المعروف وهو الدعاء والتانيس والترجية بما عند الله خير من صدقة هي فى ظاهرها صدقة وفى باطنها لا شيء لأن ذلك القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها والمغفرة الستر للخَلة وسوء حالة المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سأل قوما بكلام فصيح فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب * وقال النقاش يقال معناه ومغفرة للسائل ان اغلظ اوجفا اذا حُرِم ثم اخبر تعالى بغناه عن صدقة من هذه حاله وحلمه عن من يقع منه هذا وامهاله * وحدث الجوزى فى صفوة الصفوة بسنده الى حارثة بن النعمان الصحابي رضي الله عنه قال لما كف بصره جعل خيطا فى مصلاه الى باب حجرته ووضع عنده مِكْتَلا فيه تمر وغير ذلك فكان اذا سأل المسكين اخذ من ذلك التمر ثم اخذ من ذلك الخيط حتى ياخذ الى باب الحجرة فيناوله المسكين فكان اهله يقولون نحن نكفيك فيقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مناولة المسكين تقى ميتة السوء انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الآية * العقيدة ان السيئات لا تبطل الحسنات فقال جمهور العلماء فى هذه الآية ان الصدقة التى يعلم الله من صاحبها انه يمن بها او يوذى فانها لا تتقبل صدقة وقيل بل يجعل الله للملك عليها امارة فهو لا يكتبها قال

* ع * وهذا حسن لان المانّ الموذي لم تكن نيته خالصة لله سبحانه فلم تترتب له صدقة فهذا هو البطلان بالمن والاذى وهما لا يبطلان صدقة غيرها سالمة النية * ثم مثل الله سبحانه هذا الذى يمن ويوذى بحسب مقدمة نيته بالذى ينفق رياء لالوجه الله والرياء مصدر من فاعَل من الروْية كانّ الرياء تظاهر وتفاخر بيىن من لا خير فيه من الناس * قال المهدوى والتقدير كابطال الذى ينفق رياء * وقوله تعالى ولايومن بالله واليوم الآخر يحتمل ان يريد الكافر او المنافق اذ كل منهما ينفق ليقال جواد ثم مثل سبحانه هذا المنفق رياء بصفوان عليه تراب فيظنه الظان ارضا منبتة طيبة كما يظن قوم ان صدقة هذا المراءى لها قدر او معنى فاذا اصاب الصفوانَ وابل من المطر انكشف ذلك التراب وبقي صلدا فكذلك هذا المراءى اذا كان يوم القيامة وحضرت الاعمال انكشف سره وظهر انه لا قدر لصدقاته ولا معنًى والصفوان الحجر الكبير الاملس والوابل الكثير القوي من المطر وهو الذى يُسيِّل وجه الارض والصلد من الحجارة الاملس الصلب الذى لا شيء فيه ويستعار للراس الذى لا شعر فيه * وقوله تعالى لا يقدرون يريد الذين ينفقون رياء اي لا يقدرون على الانتفاع بشيء من انفاقهم ذلك وهو كسبهم * وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين اما عموم يراد به الخصوص ويحتمل لا يهديهم فى كفرهم اذ هو ضلال محض ويحتمل لا يهديهم فى صدقاتهم واعمالهم وهم على الكفر * وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله الآية من اساليب فصاحة القروان انه ياتى فيه ذكر نقيض ما يتقدم ذكره ليتبين حال التضاد بعرضها على الذهن ولما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المومنين عن مواقعة ما يشبه ذلك بوجه ما عقّب فى هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين بذلوا صدقاتهم على وجهها

فى الشرع فضرب لها مثلا وتقدير الكلام ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل غارس جنة اوتقدر الاضمار فى اخر الكلام دون اضمار فى اوله كانه قال كمثل غارس جنة وابتغاء معناه طلب وهو مصدر فى موضع الحال وتثبيتا مصدر ومرضات مصدر من رضي وقال * ص * ابتغاء مرضات الله وتثبيتا كلاهما مفعول من اجله وقاله مكي ورده ابن عطية بان ابتغاء لا يكون مفعولا من اجله لعطف وتثبيتا عليه ولا يصح فى تثبيت ان يكون مفعولا من اجله لان الانفاق ليس من اجل التثبيت * واجيب بانه يمكن ان يقدر مفعول التثبيت الثواب اي وتحصيلا لانفسهم الثواب على تلك النفقة فيصح ان يكون مفعولا من اجله ثم قال ابو حيان بعد كلام والمعنى انهم يثبتون من انفسهم على الايمان وما يرجونه من الله تعالى بهذا العمل انتهى * قال قتادة وغيره وتثبيتا معناه وتيقنا اي ان نفوسهم لها بصائر متأكدة فهي تثبتهم على الانفاق فى طاعة الله تثبيتا وقال مجاهد والحسن معنى قوله وتثبيتا اي انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم قال الحسن كان الرجل اذا هم تثبت فان كان ذلك لله امضاه وان خالطه شي‌ء امسك والقول الاول اصوب لان هذا المعنى الذى ذهب اليه مجاهد والحسن انما عبارته وتثبتا فان قال محتج ان هذا من المصادر التى خرجت على غير الصدر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا والله انبتكم من الارض نباتا فالجواب ان هذا لا يسوغ الا مع ذكر الصدر والافصاح بالفعل المتقدم للمصدر واما اذا لم يقع افصاح بفعل فليس لك ان تاتي بمصدر فى غير معناه ثم تقول احمله على فعل كذا وكذا لفعل لم يتقدم له ذكر هذا مهيع كلام العرب فيما علمتُ والربوة ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا معه فى الاغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه وما كان كذلك فنباته احسن

ولفظ الربوة ماخوذ من ربا يربو اذا زاد واتت معناه اعطت والاكل بضم الهمزة الثمر الذى يوكل والشيء الماكول من كل شيء يقال له اكل واضافته الى الجنة اضافة اختصاص كسرج الدابة وباب الدار وضعفين معناه اثنين مما يظن بها ويُحزَر من مثلها * ثم أكد سبحانه مدح هذه الربوة بانها ان لم يصبها وابل فان الطل يكفيها وينوب مناب الوابل وذلك لكرم الارض والطل المستدق من القطر قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور اللغة فشبه سبحانه نمو نفقات هؤلاء المخلصين الذين يربى الله صدقاتهم كتربية الفَلُو والفصيل حسب الحديث بنمو نبات هذه الجنة بالربوة الموصوفة وذلك كله بخلاف الصفوان وفى قوله تعالى والله بما تعملون بصير وعد ووعيد * وقوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الآية حكى الطبرى عن ابن زيد انه قرأ قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن الآية ثم قال ضرب الله فى ذلك مثلا فقال ايود احدكم الآية وهذا بين وهو مقتضى سياق الكلام وقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله كانه قال ايود احدكم ان يعمل عمره بعمل اهل الخير فاذا فني عمره واقترب اجله ختم ذلك بعمل من عمل اهل الشقاء فرضي ذلك عمر منه رضي الله عنه وروى ابن ابى مُلَيْكة عن عمر نحوه * ع * فهذا نظر يحمل الآية على كل ما يدخل تحت الفاظها وقال بنحو هذا مجاهد وغيره ونقل الثعلبى عن الحسن قال قلّ واللهِ من يعقل هذا المثل شيخ كبر سنه وضعف جسمه وكثر عياله افقر ما كان الى جنته واحدكم افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت الدنيا عنه انتهى وهو حسن جدا وقال ابو عبد الله اللخمى فى مختصره لتفسير الطبري وعن قتادة هذا مثل فاعقلوا عن الله امثاله هذا رجل كبرت سنه ورق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته احوج ما يكون اليها يقول

ايحب احدكم ان يضل عنه عمله يوم القيامة احوج ما يكون اليه وعن الحسن
نحوه انتهى وخص الاعناب والنخيل بالذكر لشرفهما وفضلهما على سائر الشجر
والواو فى قوله واصابه واو الحال وكذلك فى قوله وله وضعفاء جمع ضعيف
والاعصار الريح الشديدة العاصفة التى فيها احراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك
فى شدة الحر ويكون فى شدة البرد وكل ذلك من فيح جهنم ولعلكم
ترج فى حق البشر اي اذا تأمل من بُين له هذا البيان رُجي له التفكر
وكان اهلا له وقال ابن عباس تتفكرون فى زوال الدنيا وفنائها واقبال
الآخرة وبقائها * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا انفقوا من طيبات ما
كسبتم الآية هذا خطاب لجميع امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
صيغة امر بالانفاق واختلف المتأولون هل المراد بهذا الانفاق الزكاة المفروضة
او التطوع والآية تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب
وصاحب التطوع يتلقاها على الندب وجمهور المتأولين قالوا معنى من طيبات من
جيد ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الردىء وقال ابن زيد معناه من
حلال ما كسبتم قال وقوله ولا تيمموا الخبيث اي الحرام * ع * وقول ابن
زيد ليس بالقوي من جهة نسق الآية لا من معناه فى نفسه وكسبتم معناه كانت
لكم فيه سعاية ومما اخرجنا لكم من الارض النباتات والمعادن والركاز وما ضارع
ذلك وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا والتيمم القصد وقال الجرجاني قال فريق من
الناس ان الكلام تم فى قوله الخبيث ثم ابتدأ خبرا آخر فقال تنفقون منه
وانتم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم اي ساهلتم قال * ع * كأن هذا المعنى
عتاب للنفس وتقريع وعلى هذا فالضمير فى منه عائد على الخبيث قال
الجرجاني وقال فريق آخر بل الكلام متصل الى قوله فيه وعلى هذا فالضمير فى

منه عائد على ماكسبتم كانه فى موضع نصب على الحال والمعنى فى الآية فلا تفعلوا مع الله مالا ترضونه لانفسكم واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم فمن تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك بماله قدر * ت * وهذا يقوى القول بانها فى الزكاة المفروضة وحميد معناه محمود * وقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر الآية هذه الآية وما بعدها وان لم تكن امرا بالصدقة فهى جالبة النفوس الى الصدقة بين عزوجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته وذكّر بثوابه هو سبحانه لا رب غيره وذكّر بتفضله بالحكمة واثنى عليها ونبه ان اهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الانفاق فى طاعة الله وغير ذلك ثم ذكر سبحانه علمه بكل نفقة ونذر وفى ذلك وعد ووعيد ثم بين الحكم فى الاعلان والاخفآء وكذلك الى ءاخر المعنى والوعد فى كلام العرب اذا اطلق فهو فى الخير واذا قيد بالموعود فقد يقيد بالخير وقد يقيد بالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه والفحشاء كل ما فُحُش وفحش ذكره روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للشيطان لمة من ابن ءادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه مِن الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الآية قلت هذا حديث صحيح خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حسن غريب صحيح والمغفرة هى الستر على عباده فى الدنيا والآخرة والفضل هو الرزق فى الدنيا والتوسعة فيه والنعيم فى الآخرة وبكل قد وعد الله جل وعلا وروي ان فى التوراة عبدى انفق من رزقى ابسط عليك فضلى فان يدى مبسوطة على كل يد مبسوطة وفى القرءان مصداقه وهو وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير

الرازقين * ت * روى الطبراني سليمان بن احمد بسنده عن عبد الله
ابن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه
من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة
مائة عام انتهى وعن ابى سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما
على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمإ سقاه الله عز وجل
من الرحيق المختوم اخرجه ابو داود من حديث ابى خالد هو الدولاني عن نبيح
وقد وثق ابو حاتم ابا خالد وسئل ابو زرعة عن نبيح فقال هو كوفي ثقة انتهى من
الالمام فى احاديث الاحكام لابن دقيق العيد وواسع لانه وسع كلَّ شيء رحمةً
وعلمًا * يوتى الحكمة أيْ يعطيها لمن يشاء من عباده والحكمة مصدر من الاحكام
وهو الاتقان فى عمل او قول وكتاب الله حكمة وسنة نبيه عليه السلام حكمة
وكل ما ذكره المتأولون فيها فهو جزء من الحكمة التى هى الجنس قال الامامُ
الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى قال المحققون العلماء ثلاثة علماء باحكام الله
فقط وهم العلماء اصحاب الفتوى وعلماء بالله فقط وهم الحكماء وعلماء بالقسمين
وهم الكبراء فالقسم الاول كالسراج يحرق نفسه ويضيء لغيره والقسم الثانى
حالهم اكمل من الاول لانه اشرق قلبه بمعرفة الله وسره بنور جلال الله الا انه
كالكنز تحت التراب لا يصل اثره الى غيره واما القسم الثالث فهم اشرف
الاقسام فهو كالشمس تضيء العالَم لانه تام وفوق التمام انتهى وباقى الآية
تذكرة بينة واقامة لهمم الغفَلة والالباب العقول واحدها لُب * وقوله تعالى
وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر الآية يقال نذر الرجل كذا اذا التزم فعله
* وقوله تعالى فان الله يعلمه قال مجاهد معناه يحصيه وفى الآية وعد ووعيد اي

من كان خالص النية فهو مثاب ومن انفق رياء او لمعنى آخر مما يكشفه المنّ والاذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا فيه * وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي الآية ذهب جمهور المفسرين الى ان هذه الآية في صدقة التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا قال وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها * ع * ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته افضل من صلاته في المسجد الا المكتوبة وذلك ان الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عُرضة لذلك قال الطبري اجمع الناس على ان اظهار الواجب افضل * وقوله تعالى فنعما هي ثناء على ابداء الصدقة ثم حكم ان الاخفاء خير من ذلك الابداء والتقدير نعم شيء ابداؤها فالابداء هو المخصوص بالمدح وخرج ابو داود في سننه عن ابي امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انطلق برجل الى باب الجنة فرفع راسه فاذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض الواحد بثمانية عشر لان صاحب القرض لا ياتيك الا وهو محتاج والصدقة ربما وضعت في غني وخرجه ابن ماجه في سننه قال حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال ان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى من التذكرة وقرأ ابن كثير وغيره ونكفر بالنون ورفع الراء وقرأ ابن عامر ويكفر بالياء ورفع الراء وقرأ نافع وغيره ونكفر بالنون

والجزم فاما رفع الراء فهو على وجهين احدهما ان يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن نكفر او والله يكفر والثاني القطع والاستيناف والواو لعطف جملة على جملة والجزم فى الرآء افصح هذه القراءات لانها توذن بدخول التكفير فى الجزاء وكونه مشروطا ان وقع الاخفاء واما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى ومن فى قوله من سيئاتكم للتبعيض المحض لا انها زائدة كما زعم قوم والله بما تعملون خبير وعد ووعيد * وقوله تعالى ليس عليك هداهم الآية وردت ءاثار ان النبي صلى الله عليه وسلم منع فقراء اهل الذمة من الصدقة فنزلت الآية مبيحة لهم وذكر الطبري ان مقصد النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الصدقة انما كان ليسلموا وليدخلوا فى الدين فقال الله سبحانه ليس عليك هداهم قال * ع * وهذه الصدقة التى ابيحت لهم حسبما تضمنته هذه الآثار انما هى صدقة التطوع واما المفروضة فلا يجزئ دفعها لكافر قال ابن المنذر اجماعا فيما علمت وقول المهدوي اباحتها هذه الآية مردود قال ابن العربى واذا كان المسلم يترك اركان الاسلام من الصلاة والصيام فلا تصرف اليه الصدقة حتى يتوب وسائر المعاصى تصرف الصدقة الى مرتكبيها لدخولهم فى اسم المسلمين انتهى من الاحكام ويعنى بالصدقة المفروضة والهدى الذى ليس على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خلق الايمان فى قلوبهم واما الهدى الذى هو الدعاء فهو عليه صلى الله عليه وسلم وليس بمراد فى هذه الآية ثم اخبر سبحانه انه يهدى من يشاء وفى الآية رد على القدرية وطوائف المعتزلة ثم بين تعالى ان النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله وفى الآية تاويل آخر وهوانها شهادة من الله تعالى للصحابة انهم انما ينفقون ابتغاء وجه الله سبحانه فهو خبر منه لهم فيه تفضيل وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي فى الآخرة وهذا هو بيان قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم والخير هنا المال

بقرينة الانفاق ومتى لم يقترن بما يدل على انه المال فلا يلزم ان يكون بمعنى المال وهذا الذى قلناه تحرزا من قول عكرمة كل خير فى كتاب الله فهو المال * وقوله تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله الآية التقدير الانفاق او الصدقة للفقراء قال مجاهد وغيره المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم * ع * ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقر غابر الدهر ثم بين الله سبحانه من احوال اولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله الذين احصروا فى سبيل الله والمعنى حبسوا ومنعوا وتأول الطبري فى هذه الآية انهم هم حابسوا انفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو اذ احاط بهم الكفر فصار خوف العدو عذرا احصروا به * ع * كأن هذه الاعذار احصرتهم فالعدو وكل محيط يحصر وقوله فى سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول فى الاسلام والضرب فى الارض هو التصرف فى التجارة وكانوا لا يستطيعون ضربا فى الارض لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا فى صدر الهجرة وكانوا رضي الله عنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله تعالى بحيث يحسبهم الجاهل بباطن احوالهم اغنياء * ت * واعلم ان المواساة واجبة وقد خرج مسلم وابو داود عن ابى سعيد الخدري قال بينما نحن فى سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من اصناف المال ما ذكر حتى رُءينا انه لا حق لاحد منا فى فضل انتهى والتعفف تفعل وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه وبهذا المعنى فسره قتادة وغيره * ت * مدح الله سبحانه هؤلاء السادة على ما اعطاهم

من غنى النفس وفى الحديث الصحيح ليس الغنى عن كثرة المال وانما الغنى غنى النفس وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اخرجه مسلم وغيره وعندى ان المراد بالآل هنا متبعوه صلى الله عليه وسلم وفى سنن ابن ماجه عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه اوتي من الدنيا قوتا وروى مسلم والترمذي عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك أن تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قال ابو عيسى واللفظ له هذا حديث حسن صحيح انتهى

* وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم السيما مقصورة العلامة واختلف المفسرون فى تعيينها فقال مجاهد هي التخشع والتواضع وقال الربيع والسدى هى جهد الحاجة وقضف الفقر فى وجوههم وقلة النعمة وقال ابن زيد هى رثة الثياب وقال قوم وحكاه مكي هى اثر السجود قال * ع * وهذا حسن وذلك لانهم كانوا متفرغين متوكلين لا شغل لهم فى الاغلب الا الصلاة فكان اثر السجود عليهم ابدا والالحاف والالحاح بمعنى قال * ع * والآية تحتمل معنيين احدهما نفي السؤال جملة وهذا هو الذى عليه الجمهور انهم لا يسألون البتة والثانى نفي الالحاف فقط اي لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وباجمال * ت * وهذا الثانى بعيد من الفاظ الآية فتأمله

* ت * وينبغي للفقير ان يتعفف فى فقره ويكتفى بعلم ربه قال الشيخ ابن ابى جمرة وقد قال اهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو اسير انتهى وذكر عبد الملك بن محمد بن ابى القاسم ابن الكردبوس فى الاكتفاء فى اخبار الخلفاء قال وتكلم علي بن ابى طالب رضي الله عنه بتسع كلمات ثلاث فى المناجاة وثلاث فى الحكمة وثلاث فى الآداب اما المناجاة فقال كفانى فخرا ان تكون لى

ربا وكفاني عـزا ان اكـون لك عبدا وانت كما احب فاجعلنـي كما تحب واما
الحكمة فقـال قيمة كل امرئ ما كان يحسنه وما هلك امرؤ عـرف قدر نفسه
والمرء مخبو تحت لسانـه واما الآداب فقـال استغن عمـن شئت فأنت نظيـره
وتفضل على من شئت فانت أميره واضرع الى من شئت فانت اسيره انتهى
ولما كانت السيما تدل على حال صاحبها ويعرف بها حاله اقامها الله سبحانه مقام
الاخبار عن حال صاحبها فقـال تعرفهـم بسيماهـم وقد قال الشيخ العارف بالله
صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية كل ما دل على معنى فقـد اخبر عنه ولوكان
صامتا واشار اليه ولوكان ساكتا لكن حصول الفهم والمعـرفة بحسب اعتبار المعتبر
ونظر المتأمـل المتدبر انتهى قال * ع * وفى الآية تنبيه على سوء حالة من
يسأل الناس الحافا وقال * ص * وقوله تعالى لا يسألون الناس الحافا اذا
نفي حكم من محكوم عليه بقيد فالاكثر فى لسانهم انصراف النفـي الى ذلـك
القيد فالمعنى على هذا ثبوت سؤالهـم ونفـي الالحاح ويجـوز ان ينفى الحكـم
فينتفى ذلك القيد فينتفى السؤال والالحاح وله نظائر انتهى * وقوله تعالى وما
تنفقوا من خير فان الله به عليم وعد محض اي يعلمه ويحصيه ليجازي عليه ويثيب
* وقوله تعالى الذين ينفـقون اموالهم بالليل والنهار الآية قال ابـن عباس نزلت
هذه الآية فى علي بن ابى طالب رضي الله عنه كانـت له اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال قتادة نـزلت فى المنـفقين
فى سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير قال * ع * والآية وإن كانت نزلت
فى علي رضي الله عنه فمعناها يتنـاول كل من فعل فعله وكل مشاء بصدقته فى
الظلم الى مظنة الحاجة * وقوله تعالى الذيـن ياكلـون الربوا الآيـة الربـا هو
الزيادة ماخوذ من ربا يربو اذا نما وزاد على ما كان وغالبه ما كانت العرب تفعله

من قولها للغريم اتقضى ام تربى فكان الغريم يزيد فى عدد المال ويصبر الطالب
عليه ومن الربا البين التفاضل فى النوع الواحد وكذلك اكثر البيوع الممنوعة
انما تجد منعها لمعنى زيادة اما فى عين مال او فى منفعة لاحدهما من تأخير
ونحوه ومعنى الآية الذين يكسبون الربا ويفعلونه وانما قصد الى لفظة الاكل
لانها اقوى مقاصد الناس فى المال قال ابن عباس وغيره معنى قوله سبحانه
لا يقومون اي من قبورهم فى البعث يوم القيامة الاكما يقوم الذى يتخبطه
الشيطان من المس قالوا كلهم يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتا عند جميع
المحشر ويقوى هذا التاويل المجمع عليه ان فى قراءة عبد الله بن مسعود لا يقومون
يوم القيامة الاكما يقوم * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
معناه عند جميع المتأولين فى الكفار وانه قول بتكذيب الشريعة والآية كلها فى الكفار
المرْبين نزلت ولهم قيل فله ما سلف ولا يقال ذلك لمومن عاص ولكن ياخذ
العصاة فى الربا بطرف من وعيد هذه الآية ثم جزم الله سبحانه الخبر فى قوله
واحل الله البيع وحرم الربوا قيل هذا من عموم القران المخصص وقيل من مجمله
المبين قال جعفر بن محمد الصادق وحرم الله الربا ليتقارض الناس
* وقوله تعالى فله ما سلف اي من الربا لاتباعة عليه فى الدنيا والآخرة
وهذا حكم من الله سبحانه لمن اسلم من الكفار وفى قوله تعالى وامره الى الله
اربع تاويلات احدها امر الربا فى امرار تحريمه وغير ذلك والثانى امر ما سلف
اي فى العفو واسقاط التبعة فيها والثالث ان الضمير عائد على ذى الربا بمعنى
امره الى الله فى ان يثبته على الانتهاء او يعيده الى المعصية والرابع ان يعود
الضمير على المنتهى ولكن بمعنى التانيس له وبسط امله فى الخير * وقوله
تعالى ومن عاد يعنى الى فعل الربا والقول انما البيع مثل الربا والخلود فى حق

الكافر خلود تابيد حقيقي وان لحظنا الآية في مسلم عاص فهو خلود مستعار على
معنى المبالغة * وقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات يمحق
معناه ينقص ويذهب ومنه محاق القمر وهو انتقاصه ويربي الصدقات معناه
ينميها ويزيد ثوابها تضاعفا تقول ربت الصدقة وارباها الله تعالى وربّاها وذلك
هو التضعيف لمن يشاء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صدقة احدكم
لتقع في يد الله تعالى فيربيها كما يربي احدكم فَلُوَّه او فصيله حتى تجيء
يوم القيامة وان اللقمة لعلى قدر اُحد قال * ع * وقد جعل الله سبحانه
هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشيع من بني ءادم اذ يظن الربا
يغنيه وهو في الحقيقة محق ويظن الصدقة تفقره وهي في الحقيقة نماء
في الدنيا والآخرة وعن يزيد بن ابي حبيب ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة
ابن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ في ظل
صدقته حتى يفصل بين الناس او قال حتى يحكم بين الناس قال يزيد
وكان ابو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق بشيء فيه ولو كعكة او بصلة قال
الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعني البخاري ومسلما انتهى من الالمام
في احاديث الاحكام لابن دقيق العيد قال الشيخ ابن ابي جمرة ولا يلهم للصدقة
الا من سبقت له سابقة خير انتهى قال ابو عمر في التمهيد وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على بنيه
وكان في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وحفظ في يوم صدقته من كل عاهة وءافة
انتهى وروى ابو داود في سننه ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله ان ام سعد
ماتت فاي الصدقة افضل قال الماء فحفر بيرا وقال هذه لام سعد وروى ابو داود
في سننه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما

ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم انتهى * وقوله تعالى والله لا يحب كل كفار اثيم يقتضى الزجر للكفار المستحلين للربا ووصف الكفار باثيم اما مبالغة من حيث اختلف اللفظان واما ليذهب الاشتراك الذى فى كفار اذ قد يقع على الزارع الذى يستر الحب فى الارض قاله ابن فورك ولما انقضى ذكر الكافرين عقب سبحانه بذكر ضدهم ليبين ما بين الحالتين فقال ان الذين ءامنوا الآية وقد تقدم تفسير مثل هذه الالفاظ * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا الآية سبب هذه الآية انه لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال فى خطبته اليوم الثانى من الفتح الا كل ربا فى الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس فبدأ صلى الله عليه وسلم بعمه واخص الناس به وهذه من سنن العدل للامام ان يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض فى الناس ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن اسيد فلما استنزل صلى الله عليه وسلم اهل الطائف بعد ذلك الى الاسلام اشترطوا شروطا وكان فى شروطهم ان كل ربا لهم على الناس فانهم ياخذونه وكل ربا عليهم فهو موضوع فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر لهم هذه ثم ردها الله بهذه الآية كما رد صلحه لكفار قريش فى رد النساء اليهم عام الحديبية وذكر النقاش رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يكتب فى اسفل الكتاب لثقيف لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما جاءت اجال رباهم بعثوا الى مكة للاقتضاء وكانت على بنى المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة لا نعطى شيأ فان الربا قد وضع ورفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد بمكة

فكتب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فعلمت بها ثقيف فكفت هذا سبب الآية على اختصار مما روى ابن اسحاق وابن جريج والسدي وغيرهم فمعنى الآية اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بترككم ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه ثم توعدهم تعالى ان لم يذروا الربا بحرب منه ومن رسوله وامته والحرب داعية القتل

* وقوله تعالى فاذنوا قال سيبويه آذنت اعلمت * ت * وهكذا فسره البخاري فقال قال ابو عبد الله فاذنوا فاعلموا وقال * ع * هي عندى من الاذن وقال ابن عباس وغيره معناه فاستيقنوا بحرب ثم ردهم سبحانه مع التوبة الى روس اموالهم وقال لهم لا تظلمون فى اخذ الزائد ولا تظلمون فى ان يتمسك بشيء من روس اموالكم ويحتمل لا تَظلمون فى مطل لان مطل الغني ظلم كما قال عليه السلام فالمعنى انه يكون القضاء مع وضع الربا وهكذا سنة الصلح وهذا اشبه شيء بالصلح الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشار على كعب بن مالك فى دَين ابن ابى حَدْرَد بوضع الشطر فقال كعب نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم للآخر قم فاقضه فتلقى العلماء امره بالقضاء سنة فى المصالحات

* وقوله سبحانه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة حكم الله تعالى لارباب الربا بروس اموالهم عند الواجدين للمال ثم حكم فى ذى العسرة بالنظِرة الى حال اليسر والعسر ضيق الحال من جهة عدم المال والنظِرة التاخير * ت * وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال فلقي الله فتجاوز عنه وفى صحيح مسلم من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه وفى رواية من انظر معسرا او وضع عنه انجاه الله من كرب

يوم القيامة وفى رواية من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله فى ظله انتهى والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسرة بكان التامة التى هى بمعنى وجد وحدث وارتفع قوله فنظرة على خبر ابتداء مقدر تقديره فالواجب نظرة واختلف اهل العلم هل هذا الحكم بالنظرة الى الميسرة واقف على اهل الربا خاصة وهو قول ابن عباس وشريح او هو منسحب على كل دَين حلال وهو قول جمهور العلماء * ع * وما قاله ابن عباس انما يترتب اذا لم يكن فقر مدقع واما مع الفقر والعدم الصريح فالحكم هي النظرة ضرورة * ت * ولا يخالف ابن عباس فى ذالك * وقوله تعالى وان تصدقوا خير لكم ندب الله بهذه الالفاظ الى الصدقة على المعسر وجعل ذلك خيرا من انظاره قاله جمهور العلماء وروى سعيد ابن المسيب عن عمر بن الخطاب انه قال كان ءاخر ما نزل من القرءان ءاية الربا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال ابن عباس ءاخر ما نزل ءاية الربا قال * ع * ومعنى هذا عندى انها من ءاخر ما نزل لان جمهور الناس ابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم قالوا ءاخر ءاية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان قوله واتقوا نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شيء وروي بثلاث ليال وروي انها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وانه صلى الله عليه وسلم قال اجعلوها بين ءاية الربا وءاية الدَّين وحكى مكي ان النبي صلى الله عليه وسلّم قال جاءنى جبريل فقال اجعلها على مائتين وثمانين ءاية من البقرة * وقوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية وعظ لجميع الناس وامر يخص كل انسان * ت * حدثنى من اثق به انه جلس عند شيخ من الافاضل يجوّد عليه القرءان فقرئت عليه هذه الآية فبكى عندها ثم بكى

الى ان فاضت نفسه ومال فحركوه فاذا هو ميت رحمه الله ونفع به يا هذا من صحا عقله من سكر هواه وجهله احترق بنار الندم والخجل من مهابة نظر ربه وتنكرت صورة حاله فى عينه نفوس الاغبياء الجهال * غافلة عن العظمة والجلال * ولاهية عن اهوال المعاد والمآل * مشغولة برذائل الافعال * وفضول القيل والقال * والاستنباط والاحتيال * لازدياد الاموال * ولا يعلمون انها فتنة ووبال * وطول حساب وبلاء وبلبال * اغتنموا يا ذوى البصائر نعمة الامهال * واطرحوا خوادع الاماني وكواذب الآمال * فكأن قد فجأتكم هواجم الآجال * انتهى من الكلم الفارقية فى الحكم الحقيقية ويوما نصب على المفعول لا على الظرف وجمهور العلماء على ان هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية وقال قوم هو يوم الموت والاول اصح وهو يوم تنفطر لذكره القلوب وفى هذه الآية نص على ان الثواب والعقاب متعلق بكسب الانسان وهذا رد على الجبرية * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت فى السَّلَم خاصة قال * ع * معناه ان سلم اهل المدينة كان سبب الآية ثم هى تتناول جميع المداينات اجماعا ووصفه الاجل بمسمى دليل على ان الجهالة لا تجوز وقال جمهور العلماء الامر بالكتب ندب الى حفظ الاموال وازالة الريب واذا كان الغريم تقيا فما يضره الكتب وان كان غير ذلك فالكتب ثقاف فى دَينه وحاجة صاحب الحق قال بعضهم ان اشهدت فحزم وان ائتمنت ففى حل وسعة * ع * وهذا هو القول الصحيح ثم علم تعالى انه سيقع الائتمان فقال ان وقع ذلك فليود الآية فهذه وصية للذين عليهم الديون واختلف فى قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب فقال عطاء والشعبى واجب على الكاتب ان يكتب اذا لم يوجد سواه وقال

السدى هوواجب مع الفراغ * وقوله بالعدل معناه بالحق ثم نهى الله سبحانه الكتاب عن الاباية وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك ان قوله تعالى ولا ياب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال * ع * اما اذا امكن الكتاب فليس يجب الكتب على معين بل له الامتناع الا اذا استاجره واما اذا عدم الكاتب فيتوجه وجوب الندب حينئذ على الكاتب * وقوله تعالى وليملل الذى عليه الحق الآية امر الله تعالى الذى عليه الحق بالاملال لان الشهادة انما تكون بحسب اقراره واذا كتبت الوثيقة واقر بها فهى كالاملال له والبخس النقص بنوع من المخادعة والمدافعة وهؤلاء الذين امروا بالاملال هم المالكون لانفسهم اذا حضروا ثم ذكر تعالى ثلاثة انواع تقع نوازلهم فى كل زمان فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها والسفيه الهلهل الراي فى المال الذى لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطاء منها مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والسفه الخفة وهذه الصفة فى الشريعة لا تخلو من حجر اب او وصي وذلك هو وليه ثم قال او ضعيفا والضعيف هو المدخول فى عقله وهذا ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذى لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغائب عن موضع الاشهاد لمرض او لغير ذلك من الاعذار ووليه وكيله واما الاخرس فيسوغ ان يكون من الضعفاء والأولى انه ممن لا يستطيع * وقوله بالعدل معناه بالحق وقصد الصواب * وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين الآية الاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببناء مبالغة فى شهيدين دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشارة الى العدالة قال ابن العربى فى احكامه والصحيح ان الامر بالاستشهاد محمول على الندب اه * وقوله تعالى من رجالكم نص فى رفض الكفار والصبيان والنساء واما العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف

العلماء فيهم وقول مالك والشافعي وابى حنيفة وجمهور العلماء ان شهادتهم لا تجوز وغلبوا نقص الرق واسم كان الضمير الذى فى قوله يكونا والمعنى فى قول الجمهور فان لم يكن المستشهد رجلين وقال قوم بل المعنى فان لم يوجد رجلان ولا يجوز استشهاد المرأتين الامع عدم الرجال قال * ع * وهذا قول ضعيف ولفظ الآية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور * وقوله فرجل وامرأتان اي فليشهد او فليكن رجل وامرأتان * وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء رفع فى موضع الصفة لقوله فرجل وامرأتان وهذا الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس بهذه القصّة هم الحكام وهذا كثير فى كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض وفي قوله ممن ترضون دليل على ان فى الشهود من لا يرضى فيجيء من ذلك ان الناس ليسوا بمحمولين على العدالة حتى تثبت لهم * وقوله تعالى ان تضل احديهما الآية ان مفعول من اجله والشهادة لم تقع لان تضل احداهما وانما وقع اشهاد امرأتين لان تذكر احداهما ان ضلت الاخرى قال سيبويه وهذا كما تقول اعددت هذه الخشبة ان يميل الحائط فادعمه * ع * ولما كانت النفوس مستشرفة الى معرفة اسباب الحوادث قدم فى هذه العبارة ذكر سبب الامر المقصود الى ان يخبر به وهذا من ابرع الفصاحة اذ لو قال لك رجل اعددت هذه الخشبة ان ادعم بها هذا الحائط لقال السامع ولم تدعم حائطا قائما فيجب ذكر السبب فيقال اذا مال فجاء فى كلامهم تقديم السبب اخصر من هذه المحاورة قال ابو عبيد ومعنى تضل تنسى * ع * والضلال عن الشهادة انما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء بين ذلك حيران ضالا * وقوله تعالى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا الآية قال قتادة وغيره معنى الآية اذا دُعوا ان يشهدوا وقال الحسن بن ابى الحسن

الآية جمعت امرين لا تاب اذا دعيت الى تحصيل الشهادة ولا اذا دعيت الى ادائها وقاله ابن عباس وقال مجاهد معنى الآية لا تاب اذا دعيت الى اداء شهادة قد حصلت عندك واسند النقاش الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر الآية بهذا * ت * وهذا هو الحقيقة فى الآية واما تسمية الشيء بما يئول اليه فمجاز والشاهد حقيقة من حصلت له الشهادة قال مجاهد فاما اذا دعيت اولا فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب وقاله جماعة قال * ع * والآية كما قال الحسن جمعت امرين والمسلمون مندوبون الى معونة اخوانهم فاذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والامن من تعطل الحق فالمدعو مندوب وان خيف تلف الحق بتأخر الشاهد وجب عليه القيام بها سيما ان كانت محصلة ودعي لادائها فهذه آكد لانها قلادة فى العنق وامانة تقتضى الاداء * م * ولا ياب الشهداء قال ابو البقاء مفعول ياب محذوف اي ولا ياب الشهداء اقامة الشهادة او تحمل الشهادة واذا ظرف لياب ويحتمل ان يكون ظرفا للمفعول المحذوف اهـ * وتسئموا معناه تملوا وقدم الصغير اهتماما به واقسط معناه اعدل واقوم اي اشد اقامة وقيل اقوم من قام بمعنى اعتدل وادنى معناه اقرب وترتابوا معناه تشكوا قال ابن هشام الى اجله لا يصح تعلقه بتكتبوه لاقتضائه استمرار الكتابة الى اجل الدين وانما هو حال اي مستقرا فى الذمة الى اجله اهـ من المغنى * وقوله تعالى الا ان تكون تجارة حاضرة الآية لما علم الله سبحانه مشقة الكتب عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه فى كل مبايعة بنقد وذلك فى الاغلب انما هو فى قليل كالطعام ونحوه لا فى كثير كالاملاك ونحوها وقال السدى والضحاك هذا فيما كان يدا بيد تاخذ وتعطى * وقوله تعالى تديرونها يقتضى التقابض والبينونة فى المقبوض * وقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم اختلف هل ذلك على الوجوب او على

الندب والوجوب فى ذلك قلق اما فى الدقائق فصعب شاق واما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستيلاف بترك الاشهاد الى غير ذلك من المصالح فلا يشهد ويدخل ذلك كله فى الائتمان ويبقى الامر فى الاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة فى الاغلب وحكى المهدوي عن قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله تعالى فان امن الآية وذكره مكي عن ابى سعيد الخدري واختلف الناس فى معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد اي كاختلافهم فى قوله تعالى لا تضار والدة بولدها هل الفعل مسند الى الفاعل فاصله ولا يضارِرُ كاتب ولا شهيد بكسر الراء وقيل مسند الى المفعول الذى لم يسم فاعله فاصله ولا يضارَرُ بفتحها * ع * ووجوه المضارة لا تنحصر وفك الفعل هى لغة الحجاز والادغام لغة تميم * وقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي وان تفعلوا المضارة وقوله بكم اي حالّ بكم وباقى الآية موعظة وتهديد والله المستعان لا رب غيره وقيل معنى الآية الوعد لان من اتقى عُلِّم الخير والهمه * ت * وفى العتبية من سماع ابن القاسم قال سمعت مالكا يقول سمعت انه يقال ما زهد عبد واتقى الله الا انطقه الله بالحكمة اه والمراد بهذا العلم العلم النافع الذى يورث الخشية قال ابو عمر ابن عبد البر روينا عن مسروق قال كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه ابو عمر انما اعرفه بعمله اه من كتاب فضل العلم * وقوله تعالى وان كنتم على سفر الآية لما ذكر الله تعالى الندب الى الاشهاد والكتب لمصلحة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار المانعة من الكتب وجعل بدلها الرهن ونص على السفر اذ هو الغالب من الاعذار ويدخل فى ذلك بالمعنى كل عذر قال * ع * رهن الشيء فى كلام العرب معناه دام واستمر قيل ولما كان الرهن بمعنى الثبوت والدوام فمن ثَم بطل الرهن عند الفقهاء اذا

خرج من يد المرتهن الى يد الراهن لانه فارق ما جعل له * وقوله تعالى مقبوضة هى بينونة المرتهن بالرهن واجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك على قبض وكيله فيما علمت واختلفوا فى قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجميع اصحابه وجمهور العلماء قبض العدل قبض وقال الحكم ابن عتيبة وغيره ليس بقبض وقول الجمهور اصح من جهة المعنى فى الرهن * وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا شرط ربط به وصية الذى عليه الحق بالاداء قال ابن العربى فى احكامه قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا معناه ان اسقط الكتب والاشهاد والرهن وعول على امانة المعامل فليود الامانة وليتق الله ربه وهذا يبين ان الاشهاد ليس بواجب اذ لو كان واجبا لما جاز اسقاطه ثم قال وجملة الامر ان الاشهاد حزم والائتمان ثقة بالله تعالى من الدائن ومروءة من المديان ثم ذكر الحديث الصحيح فى قصة الرجل من بنى اسرائيل الذى استسلف الف دينار وكيف تعاملا على الائتمان ثم قال ابن العربى وقد روي عن ابى سعيد الخدري انه قرأ هذه الآية فقال هذا نسخ لكل ما تقدم يعنى من الامر بالكتب والاشهاد والرهن اه * وقوله فليود امر بمعنى الوجوب وقوله امانته مصدر سمي به الشىء الذى فى الذمة وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة الآية نهي فيه تهديد ووعيد وخص تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ هو البضعة التى بصلاحها يصلح الجسد كله كما قال صلى الله عليه وسلم وفى قوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد وان كان لفظها يعم الوعيد والوعد وروى البزار فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون المآء ونبتت له بكل خطوة شجرة تغرس فى الجنة وذنبه يغفر اه من الكوكب الدري * قوله تعالى لله ما

فى السموات وما فى الارض الآية المعنى جميع ما فى السموات وما فى الارض ملك له سبحانه * وقوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم الآية قوله ما فى انفسكم يقتضى قوة اللفظ انه ما تقرر فى النفس واستصحبت الفكرة فيه واما الخواطر التى لا يمكن دفعها فليست فى النفس الا على تجوز واختلف فى معنى هذه الآية فقال عكرمة وغيره هى فى معنى الشهادة التى نهي عن كتمها فلفظ الآية على هذا التاويل العموم ومعناه الخصوص وكذا نقل الثعلبى وقال ابن عباس وابو هريرة وجماعة من الصحابة والتابعين ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكنا يا رسول الله ان حوسبنا بخواطر نفوسنا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم لكنه قال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت بنو اسراءيل سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها ونسخ بهذه تلك هذا معنى الحديث الصحيح وله طرق من جهات واختلفت عباراته وتعاضدت عبارة هؤلاء القائلين بلفظة النسخ فى هذه النازلة وقال ابن عباس لما شق ذلك عليهم فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فنسخت الوسوسة وثبت القول والفعل وقال ءاخرون هذه الآية محكمة غير منسوخة والله محاسب خلقه على ما عملوه واضمروه وارادوه ويغفر للمومنين وياخذ به اهل الكفر والنفاق ورجح الطبري ان الآية محكمة غير منسوخة * ع * وهذا هو الصواب وانما هى مخصصة وذلك ان قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه معناه بما هو فى وسعكم وتحت كسبكم وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن ان تدخل فيه الخواطر اشفق الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى لهم ما اراد بالآية الاولى وخصصها ونص على حكمه انه لا يكلف نفسا الا وسعها والخواطر ليست هى

ولا دفعها فى الوسع بل هى امر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب وكان فى
هذا البيان فرجهم وكشف كربهم وتاتى الآية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع
امر النسخ ان الآية خبر والاخبار لا يدخلها النسخ فان ذهب ذاهب الى تقرير
النسخ فانما يترتب له فى الحكم الذى لحق الصحابة حين فزعوا من الآية وذلك
ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا واطعنا يجىء منه الامر بان
يبنوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله فى الغفران فاذا قرر هذا الحكم
فصحيح وقوع النسخ فيه وتشبه الآية حينئذ قوله تعالى ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه
واصبروا بحسبه ثم نسخ ذلك بعد ذلك فهذه الآية فى البقرة اشبه شىء بها
* وقوله تعالى ويعذب من يشاء يعنى من العصاة وتعلق قوم بهذه الآية ممن
قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقالوا ان الله قد كلفهم امر الخواطر وذلك
مما لا يطاق قال * ع * وهذا غير بين وانما كان امر الخواطر تاويلا تأوله
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت تكليفا الا على الوجه الذى ذكرناه
من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على ذلك قال الشيخ الولي العارف
بالله ابن ابى جمرة والخواطر عندهم ستة يعنى عند العلماء العارفين بالله اولها
الهمة ثم اللمة ثم الخطرة وهذه الثلاث عندهم غير مواخذ بها ثم نية ثم ارادة ثم
عزيمة وهذه الثلاث مواخذ بها اه * وقوله تعالى ءامن الرسول بما انزل اليه من
ربه الآية سبب هذه الآية انه لما نزلت وان تبدوا ما فى انفسكم واشفق منها
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم تقرر الامر على ان قالوا سمعنا واطعنا
ورجعوا الى التضرع والاستكانة مدحهم الله تعالى واثنى عليهم فى هذه الآية
وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء

ورفع المشقة فى امر الخواطر وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى لا كما
قالت بنو اسراءيل سمعنا وعصينا فاعقبهم ضد ذلك وهذه ثمرة العصيان اعاذنا
الله من نقمه وءامن معناه صدق والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه
القرءان وسائر ما اوحى الله اليه من جملة ذلك وكلّ لفظة تصلح للاحاطة وهى
كذلك هنا والايمان بالله هو التصديق به اي بوجوده وصفاته ورفض كل معبود
سواه والايمان بملائكته هو اعتقادهم انهم عباد لله مكرمون لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون والايمان بكتبه هو التصديق بكل ما انزل سبحانه على انبيائه
وقرأ الجمهور لا نفرق بالنون والمعنى يقولون لا نفرق ومعنى هذه الآية ان
المومنين ليسوا كاليهود والنصارى فى انهم يومنون ببعض ويكفرون ببعض
* وقوله تعالى وقالوا سمعنا واطعنا مدح يقتضى الحض على هذه المقالة وان يكون
المومن يمتثلها غابر الدهر والطاعة قبول الاوامر وغفرانك مصدر والعامل فيه
فعل تقديره نطلب او نسأل غفرانك * ت * وزاد ابو حيان قال وجوز
بعضهم الرفع فيه على ان يكون مبتدأ اي غفرانك بغيتنا اه واليك المصير
اقرار بالبعث والوقوف بين يديه سبحانه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما انزلت عليه هذه الآية قال له جبريل يا محمد ان الله قد اجل الثناء عليك
وعلى امتك فسل تعطه فسأل الى ءاخر السورة * وقوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الآية خبر جزم نص على انه لا يكلف الله العباد من وقت نزول
الآية عبادة من اعمال القلب والجوارح الا وهى فى وسع المكلف وفى مقتضى
ادراكه وبنيته وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين فى تأولهم امر الخواطر وهذا
المعنى الذى ذكرناه فى هذه الآية يجرى مع معنى قوله تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج

وقوله فاتقوا الله ما استطعتم قال العراقي وسعها اي طاقتها اه قال * ع *
واختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الاحكام التى هى فى الدنيا بعد
اتفاقهم على انه ليس واقعا الآن فى الشرع وان هذه الآية آذنت بعدمه واختلف
القائلون بجوازه هل وقع فى رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ام لا فقالت
فرقة وقع فى نازلة ابى لهب لانه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك
موذن انه لا يومن وتكليف الشرع له الايمان راتب فكانه كلف ان يومن وان
يكون فى ايمانه انه لا يومن لانه اذا ءامن فلا محالة ان يدين بسورة تبت يدا
ابى لهب وقالت فرقة لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا انما معناه ان وافى
على كفره * ع * وما لا يطاق على اقسام منه المحال عقلا كالجمع بين
الضدين ومنه المحال عادة كرفع انسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك
كالاحتراق بالنار ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا انما يقال
فيه ما لا يطاق على تجوز كثير * وقوله تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات
وعليها ما اكتسبت يريد من السيآت قاله جماعة المفسرين لا خلاف فى ذلك
والخواطر ونحوها ليس من كسب الانسان وجاءت العبارة فى الحسنات بلها من
حيث هي مما يفرح الانسان بكسبه ويسر المرء بها فتضاف الى ملكه وجاءت فى
السيئة بعليها من حيث هى اوزار واثقال ومتحملات صعبة وهذا كما تقول
لى مال وعليّ دين وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريفين حسنا لنمط الكلام
كما قال فمهل الكافرين امهلهم رويدا هذا وجه * ع * والذى يظهر لى فى
هذا ان الحسنات مما يكسب دون تكلف اذ كاسبها على جادة امر الله ورسم
شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة اذ كاسبها يتكلف فى امرها خرق
حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه اليها فيحسن فى الآية مجيء التصريفين لهذا

المعنى وقال المهدوي وغيره معنى الآية لا يواخذ احد بذنب احد قال * ع *
وهذا صحيح فى نفسه لكن من غير هذه الآية * وقوله تعالى ربنا لا تواخذنا
معناه قولوا واختلف الناس فى معنى قوله سبحانه ان نسينا او اخطأنا فذهب
كثير من العلماء الى ان هذا الدعاء فى النسيان الغالب والخطإ غير المقصود وهو
الصحيح عندى قال قتادة فى تفسير الآية بلغنى ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتى عن نسيانها وخطإها وقال السدى لما نزلت
هذه الآية فقالوها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قد فعل الله ذلك يا محمد
قال * ع * فظاهر قوليهما ما صححته وذلك ان المومنين لما كشف عنهم ما
خافوه فى قوله تعالى يحاسبكم به الله امروا بالدعاء فى ذلك النوع الذى ليس من
طاقة الانسان دفعه وذلك فى النسيان والخطإ والاصر الثقيل وما لا يطاق على اتم
انواعه وهذه الآية على هذا القول تقضى بجواز تكليف ما لا يطاق ولذلك امر
المومنون بالدعاء فى ان لا يقع هذا الجائز الصعب ومذهب ابى الحسن الاشعري
وجماعة من المتكلمين ان تكليف ما لا يطاق جائز عقلا ولا يخرم ذلك شيأ من
عقائد الشرع وذهب الطبري وغيره الى ان تكليف ما لا يطاق غير جائز وان
النسيان فى الآية بمعنى الترك اي ان تركنا شيأ من طاعتك والخطأ هو
المقصود من العصيان والاصر هي العبادات الثقيلة كتكاليف بنى اسراءيل وما لا
طاقة للمرء به هو عندهم على تجوز كما تقول لا طاقة لى على خصومة فلان او لا
طاقة لنا به من حيث هو مهلك كعذاب جهنم وغيره ثم قال تعالى فيما امر
المومنين بقوله واعف عنا اي فيما واقعناه واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا
وارحمنا اي تفضل مبتدئا برحمة منك لنا فهذه مناح من الدعاء متباينة وانت
مولانا مدح فى ضمنه تقرب اليه وشكر على نعمه ومولى مومن ولي وفى الحديث

ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطأنا فقالها فقال جبريل قد فعل قال قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل قد فعل الى ءاخر السورة وتظاهرت بهذا المعنى احاديث وروى ابو مسعود عقبة ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الآيتين من ءاخر سورة البقرة في ليلة كفتاه يعني من قيام الليل قال صاحب سلاح المومن هذا الحديث رواه الجماعة يعني السنة ومعنى كفتاه اجزتاه عن قيام الليل وقيل كفتاه من كل شيطان فلا يقربه ليلته وقيل كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة وقيل معناه حسبه بهما فضلا واجرا ويحتمل الجميع والله اعلم اه من سلاح المومن وقال علي رضي الله عنه ما اظن احدًا عقل وادرك الاسلام ينام حتى يقرأهما وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هؤلاء الآيات من ءاخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن احد قبلي * كمل تفسير سورة البقرة والحمد لله

سورة ءال عمران بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع في ما علمت * قوله جلت قدرته الم الله لا اله الا هو الحي القيوم لا ابرع في نظم الآية ان يكون الله لا اله الا هو الحي القيوم كلاما مبتدأ جزما جملة رادة على نصارى نجران الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فحاجوه في عيسى ابن مريم وقالوا انه الله على ما هو معلوم في السير فنزل فيهم صدر هذه السورة الى نيف وثمانين ءاية منها الى ان دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الابتهال وقد تقدم تفسير قوله الحي القيوم في ءاية الكرسي والآية هناك اخبار لجميع الناس وكررت هنا اخبارا بحجج هؤلاء النصارى ويرد عليهم اذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى عليه السلام لانهم اذ يقولون انه

صلب فذلك موت في معتقَدهم واذ من البين انه ليس بقيوم وقراءة الجمهور القيوم وقرئ خارج السبع القيّام والقيم وهذا كله من قام بالامر يقوم به اذا اضطلع بحفظه وبجميع ما يحتاج اليه في وجوده فالله تعالى القيام على كل شيء مما ينبغي له او فيه او عليه ❊ ت ❊ وقد تقدم ما نقلناه في هذا الاسم الشريف انه اسم الله الاعظم قال النووي وروينا في كتاب الترمذي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد اه قال صاحب سلاح المومن وعن علي رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر قاتلت شيأ من قتال ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ما صنع فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم ثم رجعت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد لا يزيد على ذلك ثم ذهبت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه رواه النساءي والحاكم في المستدرك واللفظ للنساءي وعن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ءال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم رواه ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة وءال عمران وطه قال القاسم فالتمستها انه الحي القيوم انتهى وقوله بالحق يحتمل معنيين احدهما ان يكون المعنى ضمن الحقائق في خبره وامره ونهيه ومواعظه والثاني ان يكون المعنى انه نزل الكتاب باستحقاق ان ينزل لما فيه من المصلحة الشاملة وليس ذلك على انه واجب على الله تعالى ان يفعله ❊ ت ❊ اي اذ لا يجب على الله سبحانه فعل قال

* ع * فالباء فى هذا المعنى على حد قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لى بحق وقيل معنى بالحق اي مما اختلف فيه اهل الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى الوافدون قال * ع * وهذا داخل فى المعنى الاول * وقوله مصدقا حال موكدة لانه لا يمكن ان يكون غير مصدق لما بين يديه من كتب الله سبحانه وما بين يديه هي التوراة والانجيل وسائر كتب الله التى تلقيت من شرعنا * وقوله تعالى من قبل يعنى من قبل القرءان * وقوله هدى للناس معناه دعاء والناس بنو اسراءيل فى هذا الموضع وان كان المراد انهما هدى فى ذاتهما مدعو اليه فرعون وغيره فالناس عام فى كل من شاء حينئذ ان . يستبصر والفرقان القرءان لانه فرق بين الحق والباطل ثم توعد سبحانه الكفار عموما بالعذاب الشديد والاشارة بهذا الوعيد الى نصارى نجران وعزيز معناه غالب والنقمة والانتقام معاقبة المذنب بمبالغة فى ذلك * قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء هذه الآية خبر عن علم الله تعالى بالاشياء على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لاحد من المخلوقين ثم اخبر سبحانه عن تصويره للبشر فى ارحام الامهات وهذا امر لا ينكره عاقل ولا ينكر ان عيسى وسائر البشر لا يقدرون عليه ولا ينكر ان عيسى من المصوّرين كغيره من سائر البشر فهذه الآية تعظيم لله جلت قدرته فى ضمنها الرد على نصارى نجران وفى قوله ان الله لا يخفى عليه شيء وعيد وشرح النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التصوير فى الحديث الذى رواه ابن مسعود وغيره ان النطفة اذا وقعت فى الرحم مكثت نطفة اربعين يوما ثم تكون علقة اربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليها ملكا فيقول يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد الحديث بطوله على اختلاف الفاظه وفى

مسند ابن سنجر حديث ان الله سبحانه يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل ولحمه وشحمه وسائر ذلك من مني المرأة وصوربناء مبالغة من صاريصور اذا امال وثنى الى حال ما فلما كان التصوير امالة الى حال واثباتا فيها جاء بناؤه على المبالغة والكتاب فى هذه الآية القوان باجماع والمحكمات المفصلات المبينات الثابتات الاحكام والمتشابهات هي التى تحتاج الى نظر وتاويل ويظهر فيها ببادى النظر اما تعارض مع اخرى واما مع العقل الى غير ذلك من انواع التشابه فهذا الشبه الذى من اجله توصف بمتشابهات انما هو بينها وبين المعانى الفاسدة التى يظنها اهل الزيغ ومن لم ينعم النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات اي يكون الشيء حراما فى نفسه فيشبه عند من لم ينعم النظر شيأ حلالا وكذلك الآية يكون لها فى نفسها معنى صحيح فيشبه عند من لم ينعم النظر او عند الزائغ معنى ءاخر فاسدا فربما اراد الاعتراض به على كتاب الله هذا عندى معنى الاحكام والتشابه فى هذه الآية قال * ع * واحسن ما قيل فى هذه الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير ان المحكمات هي التى فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه والمتشابهات لها تصريف وتحريف وتاويل ابتلى الله فيهن العباد قال ابن الحاجب فى منتهى الوصول مسألة فى القوان محكم ومتشابه قال تعالى منه ءايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فالمحكم المتضح المعنى قال الرهونى يعنى نصا كان او ظاهرًا والمتشابه مقابله اما للاشتراك مثل ثلاثة قروء او للاجمال مثل الذى بيده عقدة النكاح وما ظاهره التشبيه مثل من روحى وايدينا وبيدي وبيمينه ويستهزئ ومكر الله ونحوه والظاهر الوقف على والراسخون

في العلم لان الخطاب بما لا يفهم بعيد انتهى قال الرهوني وسمي ما ذكر متشابها لاشتباهه على السامع قال الرهوني والحق الوقف على وما يعلم تاويله الا الله وهو المروي عن جماعة منهم ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ومالك وغيرهم وفي مصحف ابي وما يعلم تاويله الا الله ويقول الراسخون في العلم ءامنا به اه * وقوله تعالى هن ام الكتاب اي معظم الكتاب وعمدة ما فيه اذ المحكم في ءايات الله كثير قد فصل ولم يفرط في شيء منه قال يحيى بن يَعْمُرَ كما يقال لمكة ام القرى قال * ع * وكما يقال ام الراس لمجتمع الشؤون فجميع المحكم هو ام الكتاب ومعنى الآية الانحاء على اهل الزيغ والمذمة لهم والاشارة بذلك اولا الى نصارى نجران والى اليهود الذين كانوا معاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعترضون معاني القرءان ثم يعم بعد ذلك كل زائغ فذكر تعالى انه نزل الكتاب على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضالا منه ونعمة وان محكمه وبينه الذي لا اعتراض فيه هو معظمه والغالب فيه وان متشابهه الذي يحتمل التاويل ويحتاج الى التفهم هو اقله ثم ان اهل الزيغ يتركون المحكم الذي فيه غنيتهم ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وان يفسدوا ذات البين ويردوا الناس الى زيغهم * م * قال ابو البقاء واخر معطوف على ءايات ومتشابهات نعت لاخر اه * وقوله تعالى الذين في قلوبهم زيغ يعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل صاحب بدعة والزيغ الميل وابتغاء نصب على المفعول من اجله ومعناه طلب الفتنة قال الربيع الفتنة هنا الشرك وقال مجاهد الفتنة الشبهات واللبس على المومنين ثم قال وابتغاء تاويله والتاويل هو مرد الكلام ومرجعه والشيء الذي يقف عليه من المعاني وهو من ءال يئول اذا رجع فالمعنى وطلب تاويله على منازعهم الفاسدة هذا في ماله تاويل حسن

وان كان مما لا يتأول بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه فنفس
طلب تاويله هو اتباع ما تشابه ثم قال تعالى وما يعلم تاويله الا الله اي وما يعلم
تاويله على الكمال الا الله سبحانه واختلف في قوله والراسخون في العلم فرأت
فرقة ان رفع الراسخين هو بالعطف على اسم الله عزوجل وانه مع علمهم بالمتشابه
يقولون ءامنا به وقالت طائفة اخرى والراسخون رفع بالابتداء وهو مقطوع من
الكلام الاول وخبره يقولون والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده قال * ع *
وهذه المسألة اذا تؤملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله تعالى
قسم ءاي الكتاب قسمين محكما ومتشابها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من
يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه الى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ويستوى في
علمه الراسخ وغيره والمتشابه على نوعين منه ما لا يعلم البتة كامر الروح وآماد
المغيبات التي قد اعلم الله بوقوعها الى سائر ذلك ومنه ما يحمل على وجوه في
اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول ويعلم تاويله ولا يسمى احد راسخا الا ان
يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له فمن قال ان الراسخين يعلمون تاويل
المتشابه فمراده النوع الثاني الذى ذكرناه ومن قال ان الراسخين لا يعلمون
تاويله فمراده النوع الاول كامر الروح ووقت الساعة لكن تخصيصه المتشابه بهذا
النوع غير صحيح بل هما نوعان كما ذكرنا والضمير في تاويله عائد على جميع
متشابه القرءان وهما نوعان كما ذكرنا والرسوخ الثبوت في الشيء وسئل النبي صلى
الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه
واستقام قلبه قلت ومن جامع العتبية وسئل مالك عن تفسير الراسخين في
العلم فقال العالمون العاملون بما علموا المتبعون له قال ابن رشد قول مالك هذا
هو معنى ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من الراسخ في العلم

فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ فى العلم قال ابن رشد ويشهد لصحة هذا قول الله عزوجل انما يخشى الله من عباده العلماء لانه كلام يدل على ان من لم يخش الله فليس بعالم انتهى قلت وقد جاء فى فضل العلم ءاثار كثيرة فمن احسنها ما رواه ابوعمر بن عبد البر بسنده عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل اهل الجنة وهو الانيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء ويرفع الله به اقواما فيجعلهم فى الخير قادة وائمة تقتص ءاثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة الفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام هو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء. قال ابوعمر هكذا حدثنيه عبيد بن محمد مرفوعا بالاسناد الذى رويناه به عنه وهو حديث حسن جدا ولكن ليس له اسناد قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ انتهى من كتاب فضل العلم قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجاي رحمه الله ومن علامة نور العلم اذا حل بالقلب المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر والرضى والانس والمجاهدة والصمت والخوف والرجاء والقناعة وذكر الموت اﻫ وقوله تعالى كل من عند ربنا

فيه ضمير عائد على كتاب الله محكمه ومتشابهه والتقدير كله من عند ربنا ثم قال تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يقول هذا ويومن ويقف حيث وقّف ويدع اتباع المتشابه الا ذو لب وهو العقل واولوا جمع ذو * وقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا الآية لما ذكر الله سبحانه اهل الزيغ وذكر نقيضهم وظهر ما بين الحالتين عقب ذلك بان علم عباده الدعاء اليه في ان لا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت وهم اهل الزيغ ويحتمل ان يكون هذا من تمام قول الراسخين وتزغ معناه تمل قلوبنا عن الهدى والحق ومن لدنك معناه من عندك تفضلا لا عن سبب منا ولاعمل وفي هذا استسلام وتطارح والمراد هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة * وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اقرار بالبعث ليوم القيامة والريب الشك والمعنى انه في نفسه حق لا ريب فيه * وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد يحتمل ان يكون اخبارا منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته ويحتمل ان يكون حكاية من قول الداعين ففي ذلك اقرار بصفة ذات الله تعالى والميعاد من الوعد * وقوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا الآية الاشارة بالآية الى معاصري النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يفخرون باموالهم وابنائهم وهي بعدُ متناولة كل كافر والوقود بفتح الواو كل ما يحترق في النار من حطب ونحوه والدأب والدأَب بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب يدأب اذا لازم فعل شيء ودام عليه مجتهدا فيه ويقال للعادة دأب والمعنى في الآية تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم عليه باولائك المتقدمين واخر الآية يقتضي الوعيد بان يصيب هؤلاء ما اصاب اولائك والكاف في قوله كدأب في موضع رفع والتقدير دأبهم كدأب والضمير في قبلهم عائد على ءال فرعون ويحتمل على معاصري رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الكفار * وقوله كذبوا بآياتنا يحتمل ان يريد المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة * وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية اختلف فى تعيين هؤلاء الذين امر صلى الله عليه وسلم بالقول لهم فقيل هم جميع معاصريه امر ان يقول لهم هذا الذى فيه اعلام بغيب فوقع بحمد الله كذلك فغلبوا وصار من مات منهم على الكفر الى جهنم وتظاهرت روايات عن ابن عباس وغيره بان المراد يهود المدينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر جمعهم وقال يا معشر يهود اسلموا من قبل ان يصيبكم ما اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال انك لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله فيهم هذه الآية والحشر الجمع والاحضار * وقوله تعالى وبيس المهاد يعنى جهنم هذا ظاهر الآية وقال مجاهد المعنى بيس ما مهدوا لانفسهم قال * ع * فكان المعنى وبيس فعلهم الذى اداهم الى جهنم * وقوله تعالى قد كان لكم ءاية فى فئتين الآية تحتمل ان يخاطب بها المومنون تثبيتا لنفوسهم وتشجيعا لها وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب بها يهود المدينة وبكل احتمال منها قد قال قوم وقرئ شاذا ترونهم بضم التاء فكأن معناها ان اعتقاد التضعيف فى جمع الكفار انما كان تخمينا وظنا لا يقينا وذلك ان أرى بضم الهمزة تقولها فيما بقي عندك فيه نظر وأرى بفتح الهمزة تقولها فى ما قد صح نظرك فيه ونحا هذا المنحى ابو الفتح وهو صحيح والمراد بالفئتين جماعة المومنين وجماعة الكفار ببدر قال * ع * ولا خلاف ان الاشارة بهاتين الفئتين هي الى يوم بدر ويؤيد معناه يقوى من الايد وهو القوة * وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية هذه الآية ابتداء وعظ

لجميع الناس وفى ضمن ذلك توبيخ والشهوات ذميمة واتباعها مرْد وطاعتها مهلكة وقد قال صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره فحسبك ان النار حفت بها فمن واقعها خلص الى النار قلت وقدُ جاءت احاديث كثيرة فى التزهيد فى الدنيا ذكرنا من صحيحها وحسَنها فى هذا المختصر جملة صالحة لا توجد فى غيره من التفاسير فعليك بتحصيله فتطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد مجموعة فى غيره كما هي بحمد الله حاصلة فيه وكيف لا يكون هذا المختصر فائقا فى الحسن واحاديثه بحمد الله مختارة اكثرها من اصول الاسلام الستة البخاري ومسلم وابى داود والترمذي والنساءي وابن ماجة فهذه اصول الاسلام ثم من غيرها كصحيح ابن حبان وصحيح الحاكم اعنى المستدرك على الصحيحين وابى عوانة وابن خزيمة والدارمي والموطإ وغيرها من المسانيد المشهورة بين ائمة الحديث حسبما هو معلوم فى علم الحديث وقصدى من هذا نصح من اطلع على هذا الكتاب ان يعلم قدر ما انعم الله به عليه فان التحدث بالنعم شكر ولنرجع الى ما قصدناه من نقل الاحاديث روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحوق بى فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلفى ثوبا حتى ترقعيه حديث غريب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان البذاذة من الايمان خرجه ابو داود وقد نقله البغوي فى مصابيحه والبذاذة هي رث الهيئة اه والقناطير جمع قنطار وهو العقدة الكثيرة من المال واختلف الناس فى تحرير حده واصح الاقوال فيه ما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القنطار الف ومائتا اوقية لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد فى قدر الاوقية * وقوله المقنطرة قال الطبري

معناه المضعفة وقال الربيع المال الكثير بعضه على بعض * ص * المقنطرة مفعللة او مفنعلة من القنطار ومعناه المجتمعة * م * ابو البقاء ومن الذهب فى موضع الحال من المقنطرة اه وقوله المسومة قال مجاهد معناه المطهمة الحسان وقال ابن عباس وغيره معناه الراعية وقيل المعدة والانعام الاصناف الاربعة الابل والبقر والضأن والمعز * ص * والانعام واحدها نَعَم والنعم الابل فقط واذا جمع انطلق على الابل والبقر والغنم اه والحرث هنا اسم لكل ما يحرث من حب وغيره والمتاع ما يستمتع به وينتفع مدة ما منحصرة والمآب المرجع فمعنى الآية تقليل امر الدنيا وتحقيرها والترغيب فى حسن المرجع الى الله تعالى * وقوله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم الآية فى هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركيها ذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقر تزيين شهواتها ثم جاء بالانباء بخير من ذلك هازا للنفوس وجامعا لها لتسمع هذا النبأ المستغرب النافع لمن عقل وانبئ معناه اخبِرُ * وقوله تعالى ورضوان من الله الرضوان مصدر من رضي وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله لهم اتريدون ان اعطيكم ما هو افضل من هذا قالوا يا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول الله سبحانه احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا هذا سياق الحديث وقد يجيء مختلف الالفاظ والمعنى قريب بعضه من بعض قال الفخر وذلك ان معرفة اهل الجنة مع هذا النعيم المقيم بانه تعالى راض عنهم مثنٍ عليهم ازيد عليهم فى ايجاب السرور اه وباقي الآية بين وقد تقدم فى سورة البقرة بيانه * وقوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا ءامنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية الذين بدل من الذين اتقوا وفسر سبحانه فى هذه

الآية احوال المتقين الموعودين بالجنات والصبر فى هذه الآية معناه على الطاعات
وعن المعاصى والشهوات والصدق معناه فى الاقوال والافعال والقنوت الطاعة
والدعاء ايضا وبكل ذلك يتصف المتقى والانفاق معناه فى سبيل الله ومظان
الاجر والاستغفار طلب المغفرة من الله سبحانه وخص تعالى السحر لما فيه من
الفضل حسبما ورد فيه من صحيح الاحاديث كحديث النزول هل من داع
فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له الى غير ذلك مما ورد فى فضله قلت
تنبيه قال القرطبي فى تذكرته وقد جاء حديث النزول مفسرا مبينا فى ما خرجه
النساءي عن ابى هريرة وابى سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع
يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه ابو محمد عبد
الحق اه وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان نزول الله تعالى الى الشيء اقباله عليه من غير نزول
اه والسحر اخر الليل قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع
اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة ثم يسأل فاذا قلت نعم قعد يستغفر قال * ع *
وحقيقة السحر فى هذه الاحكام الشرعية من الاستغفار المحمود وسحور الصائم ومن
يمين لو وقعت انما هي من ثلث الليل الآخر الى الفجر * وقوله تعالى شهد الله
انه لا اله الا هو الآية معنى شهد الله اعلم عباده بهذا الامر الحق وقال * ص *
شهد بمعنى علم او قضى او حكم او بين وهي اقوال اه واسند ابو عمر بن عبد البر
فى كتاب فضل العلم عن غالب القطان قال كنت اختلف الى الاعمش فرأيته
ليلة قام يتهجد من الليل وقرأ بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا
العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام قال

لاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة فقلت للاعمش
اني سمعتك تقرأ هذه الآية ترددها فما بلغك فيها قال حدثني ابو وائل عن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول
الله سبحانه عبدى عهد الي وانا احق من وفّى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة اه
وقرأ جميع القراء انه بفتح الهمزة وبكسرها من قوله ان الدين على استيناف
الكلام وقرأ الكساءي وحده ان الدين بفتح الهمزة بدل من انه لاولى والملائكة
واولوا العلم عطف على اسم الله قال الفخر المراد باولى العلم هنا الذين عرفوا الله
بالدلالة القطعية لان الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان لاخبار مقرونا بالعلم وهذا
يدل ان هذه الدرجة الشريفة ليست لا للعلماء بالاصول وتكررت لا اله لا الله
هنا وفائدة هذا التكرير لاعلام بان المسلم يجب ان يكون ابدا فى تكرير هذه
الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها لانسان هي هذه الكلمة واذا كان فى اكثر لاوقات
مشتغلا بذكرها وبتكريرها كان مشتغلا باعظم انواع العبادات فكان من التكرير
فى هذه الآية حض العباد على تكريرها اه وصح فى البخاري عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله لا الله
خالصا من قبل نفسه وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من قال لا اله لا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها
قال ان تحجزه عن محارم الله خرجه الترمذي الحكيم فى نوادر لاصول
اه من التذكرة وقائما حال من اسمه تعالى فى قوله شهد الله او من قوله لا هو
والقسط العدل وقوله تعالى ان الدين عند الله لاسلام الآية الدين فى هذه الآية الطاعة
والملة والمعنى ان الدين المقبول او النافع هو لاسلام ولاسلام فى هذه الآية هو
لايمان والطاعات قاله ابو العالية وعليه جمهور المتكلمين وحديث بني لاسلام على

خمس وحديث مجيء جبريل يعلم الناس دينهم يفسر ذلك ثم اخبر تعالى عن اختلاف اهل الكتاب بعد علمهم بالحقائق وانه كان بغيا وطلبا للدنيا قاله ابن عمر وغيره والذين اوتوا الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى لكن الربيع بن انس قال المراد بهذه الآية اليهود اختلفوا بعد موت موسى وبعد مضي ثلاثة قرون وقيل الآية توبيخ لنصارى نجران وسرعة الحساب يحتمل ان يراد بها مجيء القيامة والحساب اذ كل ءات قريب ويحتمل ان يراد بسرعة الحساب ان الله تعالى باحاطته بكل شيء علما لا يحتاج الى عد ولا فكرة قاله مجاهد * وقوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني الآية الضمير في حاجوك لليهود ولنصارى نجران والمعنى ان جادلوك وتعنتوا بالاقاويل المزورة والمغالطات فاسند الى ما كلفت من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرك وقوله وجهي يحتمل ان يراد به المقصد اي جعلت مقصدي لله ويحتمل ان يراد به الذات اي اسلمت شخصي وذاتي لله واسلمت في هذا الموضع بمعنى دفعت وامضيت وليست بمعنى دخلت في السلم لان تلك لا تتعدى ومن اتبعني في موضع رفع عطفا على الضمير في اسلمت والذين اوتوا الكتاب في هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق والاميون الذين لا يكتبون وهم العرب في هذه الآية وقوله ءاسلمتم تقرير في ضمنه الامر وقال الزجاج ءاسلمتم تهدد وهو حسن والبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل وفي قوله تعالى والله بصير بالعباد وعد للمومنين ووعيد للكافرين * وقوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله الآية هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى وتعم كل من كان بهذه الحال وفيها توبيخ للمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بني اسراءيل قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فاجتمع من عبّادهم

واحبارهم مائة وعشرون ليغيروا المنكر وينكروا فقتلوا جميعا كل ذلك في يوم واحد وذلك معنى قوله تعالى ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس وحبطت معناه بطلت * وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآية بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه ونزلت الآية قال * ع * فالكتاب في قوله من الكتاب اسم جنس والكتاب في قوله الى كتاب الله هو التوراة وقال قتادة وابن جريج هو القرءان ورجح الطبري الاول * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا الاشارة فيه الى التولي والاعراض اي انما تولوا واعرضوا لاغترارهم باقوالهم وافترائهم ثم قال تعالى خطابا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامته على جهة التوقيف والتعجيب فكيف حال هؤلاء المغترين بالاباطيل اذا حشروا يوم القيامة واضمحلت تلك الزخارف والدعاوى وجوزوا بما اكتسبوه من كفرهم واعمالهم القبيحة قال ابن عطية والصحيح في يوم القيامة انه يوم لان قبله ليلة وفيه شمس وقال النقاش المراد باليوم الوقت * وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية هو سبحانه وتعالى مالك الملك كله مطلقا في جميع انواعه واشرف ملك يوتيه عباده سعادة الآخرة روي ان الآية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر امته بفتح ملك فارس وغيره فقالت اليهود والمنافقون هيهات وكذبوا بذلك ومذهب البصريين ان الاصل في اللهم يا الله فعوض من ياء النداء ميما مشددة ومالك نصب

على النداء وخص تعالى الخير بالذكر وهو تعالى بيده كل شيء اذ الآية في معنى دعاء ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل حظى منه قال النووي وروينا في كتاب الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة ورواه الحاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين من طرق كثيرة وزاد فيه في بعض طرقه وبنى له بيتا في الجنة قال الحاكم وفي الباب عن جابر وابي هريرة وانس وبريدة الاسلمي اه من الحلية وقال ابن عباس وغيره في معنى قوله تعالى تولج الليل في النهار الآية انه ما ينتقص من النهار فيزيد في الليل وما ينتقص من الليل فيزيد في النهار دأبا كل فصل من السنة وتحتمل الفاظ الآية ان يدخل فيها تعاقب الليل والنهار كأن زوال احدهما ولوج في الآخر واختلف في معنى قوله تعالى وتخرج الحي من الميت الآية فقال الحسن معناه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن وروي نحوه عن سلمان الفارسي وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع نغمة خالدة بنت الاسود بن عبد يغوث فقال من هذه فاخبر بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان ابوها كافرا والمراد على هذا موت قلب الكافر وحياة قلب المومن وذهب جمهور كثير الى ان الحياة والموت في الآية حقيقة لا انهما استعارة ثم اختلفوا في المُثُل التي فسروا بها فقال ابن مسعود هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها وهي ميتة وقال عكرمة هو اخراج الدجاجة وهي حية

من البيضة وهي ميتة واخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية وروى السدي عن ابى مالك قال هي الحبة تخرج من السنبلة والسنبلة تخرج من الحبة وكذلك النواة * وقوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء الآية هذا النهي عن الاتخاذ انما هو عن اظهار اللطف للكفار والميل اليهم فاما ان يتخذوا بالقلب فلا يفعل ذلك مومن ولفظ الآية عام فى جميع الاعصار واختلف فى سبب نزولها فقال ابن عباس فى كعب بن الاشرف وغيره قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فنزلت فى ذلك الآية وقال قوم نزلت فى قصة حاطب بن ابى بَلْتَعة وكتابه الى اهل مكة والآية عامة فى جميع هذا * وقوله تعالى فليس من الله فى شيء معناه فى شيء مرضي كقوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ثم اباح سبحانه اظهار اتخاذهم بشرط الاتقاء فاما ابطانه فلا يصح ان يتصف به مومن فى حال * وقوله تعالى ويحذركم الله الى آخر الآية وعيد وتنبيه ووعظ وتذكير بالآخرة * وقوله نفسه نائبة عن اياه وهذه مخاطبة على معهود ما يفهمه البشر والنفس فى مثل هذا راجع الى الذات وفى الكلام حذف مضاف لان التحذير انما هو من عقاب وتنكيل ونحوه قال ابن عباس والحسن ويحذركم الله عقابه * وقوله تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم الآية الضمير فى تخفوا هو للمومنين الذين نهوا عن الكافرين والمعنى انكم ان ابطنتم الحرص على اظهار موالاتهم فان الله يعلم ذلك ويكرهه منكم * وقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قال ابن هشام فى المغنى يوم نصب بمحذوف تقديره اذكروا او احذروا ولا يصح ان يكون ظرفا ليحذركم كما زعم بعضهم لان التحذير فى الدنيا وقع لا فى الآخرة اه * وقوله تعالى وما عملت من سوء يحتمل ان تكون ما معطوفة على ما الاولى فهي فى موضع نصب ويكون تود فى موضع الحال واليه

ذهب الطبري وغيره ويحتمل ان تكون ما رفع بالابتداء والخبر فى قوله تود وما بعده والامد الغاية المحدودة من المكان او الزمان * وقوله تعالى والله روف بالعباد يحتمل ان يكون اشارة الى ان تحذيره رأفة منه سبحانه بعباده ويحتمل ان يكون ابتداء اعلام بهذه الصفة فمقتضى ذلك التانيس ليلا يفرط الوعيد على نفس مومن فسبحانه ما ارحمه بعباده وعن منصور بن عمار انه قال اعقل الناس محسن خائف واجهل الناس مسيء امن فلما سمع عبد الملك بن مروان منه هذا الكلام بكى حتى بل ثيابه ثم قال له اتل علي يا منصور شيأ من كتاب الله فتلا عليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية فقال عبد الملك قتلتنى يا منصور ثم غشي عليه اه * وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية قال الشيخ العارف بالله ابن ابى جمرة رضي الله عنه من علامة السعادة للشخص ان يكون معتنيا بمعرفة السنة فى جميع تصرفاته والذى يكون كذلك هو دائم فى عبادة فى كل حركاته وسكناته وهذا هو طريق اهل الفضل حتى حكي عن بعضهم انه لم ياكل البطيخ سنين لما لم يبلغه كيفية السنة فى اكله وكيف لا والله سبحانه يقول قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والاتباعية الكاملة انما تصح بان تكون عامة فى كل الاشياء يعنى الا ما خصصه به الدليل جعلنا الله من اهلها فى الدارين انتهى قال * ع * قال الحسن بن ابى الحسن وابن جريج ان قوما على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد انا نحب ربنا فنزلت هذه الآية وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا القول لنصارى نجران قال * ع * ويحتمل ان تكون الآية عامة لاهل الكتاب اليهود والنصارى لانهم كانوا يدعون انهم يحبون الله ويحبهم قال عياض اعلم ان من احب شيأ آثره وآثر موافقته والا لم يكن

صادقا فى حبه وكان مدعيا فالصادق فى حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واتباع سنته واتباع اقواله وافعاله والتأدب بآدابه فى عسره ويسره قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية قال عياض روي فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من استمسك بحديثى وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثى خسر الدنيا والآخرة الحديث وعن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المستمسك بسنتى عند فساد امتى له اجر مائة شهيد وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الاحط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها الحديث قال عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم زهد مدعيها فى الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به ففى حديث ابى سعيد ان الفقر الى من يحبنى منكم اسرع من السيل من اعلى الوادى او الجبل الى اسفله وفى حديث عبد الله بن مغفّل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال انظر ما تقول قال والله انى لأحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبنى فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابى سعيد بمعناه اه من الشفا قال * ع * والمحبة ارادة يقترن بها اقبال من النفس وميل بالمعتقد وقد تكون الارادة المجردة فيما يكره المريد والله تعالى يريد وقوع الكفر ولا يحبه ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد ان يطيعه ومحبّة الله تعالى أمارتها للمتأمل ان يُرى العبد مهديا مسددا

ذا قبول فى الارض فلطف الله تعالى بالعبد ورحمته اياه هي ثمرة محبته وبهذا النظر يفسر لفظ المحبة حيث وقعت من كتاب الله عزوجل * وقوله تعالى ان الله اصطفى ءادم ونوحا الآية لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران والرد عليهم وبيان فساد ماهم عليه جاءت هذه الآيات معلمة بصورة الامر الذى قد ضلوا فيه ومنبئة عن حقيقته كيف كانت فبدأ تعالى بذكر فضل ءادم ومن ذكر بعده ثم خص امرأة عمران بالذكر لان القصد وصف قصة القوم الى ان يبين امر عيسى عليه السلام وكيف كان وانصرف نوح مع عجمته وتعريفه لخفة الاسم كهود ولوط قال الفخر هنا اعلم ان المخلوقات على قسمين مكلف وغير مكلف واتفقوا على ان المكلف افضل من غير المكلف واتفقوا على ان اصناف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين * ت * تأمله جعل الشياطين قسيما للجن اه والآل فى اللغة الاهل والقرابة ويقال للاتباع واهل الطاعة ءال والآل فى الآية يحتمل الوجهين فان اريد بالآل القرابة فالتقدير ان الله اصطفى هؤلاء على عالمى زمانهم او على العالمين جميعا بان يقدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ءال ابراهيم وان اريد بالآل الاتباع فيستقيم دخول امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الآل لانها على ملة ابراهيم * وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض اي متشابهين فى الدين والحال وعمران هو رجل من بنى اسرايل وامرأة عمران اسمها حَنّة ومعنى نذرت جعلت لك ما فى بطنى محررا اي حبيسا على خدمة بيتك محررا من كل خدمة وشغل من اشغال الدنيا والبيت الذى نذرته له هو بيت المقدس فتقبل منى اي ارض عنى فى ذلك واجعله فعلا مقبولا مجازى به والسميع اشارة الى دعائها والعليم اشارة الى نيتها * وقوله تعالى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت الوضع الولادة وقولها رب انى وضعتها

انثى لفظ خبر فى ضمنه التحسر والتلهف وبين الله ذلك بقوله والله اعلم بما وضعت وقولها وليس الذكر كالانثى تريد فى امتناع نذرها اذ الانثى تحيض ولا تصلح لصحبة الرهبان قاله قتادة وغيره وبدأت بذكر الاهم فى نفسها والا فسياق قصتها يقتضى ان تقول وليس الانثى كالذكر وفى قولها وانى سميتها مريم سنة تسمية الاطفال قرب الولادة ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم وُلد لى الليلة مولود فسميته باسم ابى ابراهيم وباقى الآية اعاذة قال النووي وروينا فى سنن ابى داود باسناد جيد عن ابى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تُدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم وفى صحيح مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب اسمائكم الى الله عزوجل عبد الله وعبد الرحمن وفى سنن ابى داود والنساءي وغيرهما عن ابى وهب الجشمي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث وهمّام واقبحها حرْب ومُرّة اه وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابى هريرة قال كل مولود من بنى آدم له طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم ابنت عمران وابنها فان امها قالت حين وضعتها وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضُرب بينهما حجاب فطعن الشيطان فى الحجاب وقد اختلفت الفاظ هذا الحديث والمعنى واحد كما ذكرته قال النووي باب ما يقال عند الولادة روينا فى كتاب ابن السني عن فاطمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا وِلادها امر ام سلمة وزينب بنت جحش ان تاتياها فتقرءا عندها آية الكرسي وان ربكم الله الى آخر الآية وتعوذانها بالمعوذتين انتهى * وقوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اخبار منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه

رضي مريم لخدمة المسجد كما نذرت امها وسَنّى لها الامل فى ذلك * وقوله سبحانه وانبتها نباتا حسنا عبارة عن حسن النشأة فى خلقة وخُلق * ص * بقبول مصدر على غير الصدر والجارى على تقبل تقبلا وعلى قبل قبولا ونباتا مصدر منصوب بانبتها على غير الصدر انتهى * وقوله تعالى وكفلها زكرياء معناه ضمها الى انفاقه وحضنه والكافل هو المربى قال السدي وغيره ان زكرياء كان زوج اختها ويعضد هذا القول قوله صلى الله عليه وسلم فى يحي وعيسى ابنا الخالة والذى عليه الناس ان زكرياء انما كفلها بالاستهام لتشاحهم حينئذ فيمن يكفل المحرر * وقوله تعالى كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا المحراب المبنى الحسن ومحراب القصر اشرف ما فيه ولذلك قيل لا شرف ما فى المصلّى وهو موقف الامام محراب ومعنى رزقا اي طعاما يتغذى به لم يعهده ولا عرف كيف جلب اليها قال مجاهد وغيره كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ونحوه عن ابن عباس الا انه قال ثمار الجنة وقوله انى معناه كيف ومن اين وقولها من عند الله دليل على انه ليس من جلب بشر قال الزجاج وهذا من الآية التى قال الله تعالى وجعلناها وابنها ءاية للعالمين وقولها ان الله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لكون ذلك الرزق من عند الله وذهب الطبري الى ان ذلك ليس من قول مريم وانه خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه لا تنتقص خزائنه فليس يحسب ما خرج منها وقد يعبر بهذه العبارة عن المكثرين من الناس انهم ينفقون بغير حساب وذلك مجاز وتشبيه والحقيقة هي فيما ينتفق من خزائن الله سبحانه قال الشيخ ابن ابى جمرة رضي الله عنه وقد قال العلماء فى معنى قوله عزوجل ان الله يرزق من يشاء بغير حساب انه الفتوح اذا كان على وجهه اهـ ذكر هذا عند شرحه لقوله صلى

الله عليه وسلم لو دعيت الى ذراع او كراع لا جبت * وقوله تعالى هنالك دعا زكرياء ربه الآية هنالك فى كلام العرب اشارة الى مكان اوزمان فيه بعد ومعنى هذه الآية ان فى الوقت الذى رأى زكرياء رزق الله لمريم ومكانتها من الله وفكّر فى انها جاءت امها بعد ان اسنت وان الله تعالى تقبلها وجعلها من الصالحات تحرك املهُ لطلب الولد وقوي رجاؤه وذلك منه على حال سن ووهن عظم واشتعال شيب فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة يرثه والذرية اسم جنس يقع على واحد فصاعدا كما ان الولد اسم جنس كذلك وطيبة معناه سليمة فى الخلق والدين تقية ثم قال تعالى فنادته الملائكة وتُرِكَ محذوف كثير دل عليه ما ذكر تقديره فقبل الله دعاءه وبعث الملك او الملائكة فنادته وذكر جمهور المفسرين ان المنادي انما هو جبريل وقال قوم بل نادته ملائكة كثيرة حسبما تقتضيه الفاظ الآية قلت وهذا هو الظاهر ولا يعدل عنه الا ان يصح فى ذلك حديث عنه صلى الله عليه وسلم فيتبع وقوله تعالى فنادته عبارة تستعمل فى التبشير وفى ما ينبغى ان يسرع به ويُنهَى الى نفس السامع ليسر به فلم يكن هذا من الملائكة اخبارا على عرف الوحي بل نداء كما نادى الرجلُ الانصاري كعب بن مالك من اعلى الجبل * وقوله تعالى وهو قائم يصلى فى المحراب يعنى بالمحراب فى هذا الموضع موقف الامام من المسجد ويحيي اسم سماه الله به قبل ان يولد ومصدقا نصب على الحال قال ابن عباس وغيره الكلمة هنا يراد بها عيسى ابن مريم قال * ع * وسمى الله تعالى عيسى كلمة اذ صدر عن كلمة منه تعالى وهي كن لا بسبب انسان * وقوله تعالى وسيدا قال قتادة اي والله سيد فى الحلم والعبادة والورع قال * ع * من فسر السودد بالحلم فقد احرز اكثر معنى السودد ومن جرد تفسيره بالعلم

والتقى ونحوه فلم يفسره بحسب كلام العرب وقد تحصل العلم ليحي عليه السلام
بقوله مصدقا بكلمة من الله وتحصل التقى بباقى الآية وخصه الله بذكر السودد
الذى هو الاعتمال فى رضى الناس على اشرف الوجوه دون ان يوقع فى باطل
هذا اللفظ يعم السودد وتفصيله ان يقال بذل الندى وهذا هو الكرم وكف الاذى
وهنا هي العفة بالفرج واليد واللسان واحتمال العظائم وهنا هو الحلم وغيرة من تحمل
الغرامات والانقاذ من الهلكات وجبر الكسير والافضال على المسترفد وانظر قول
النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ءادم ولا فخر وذكر حديث الشفاعة فى اطلاق
الموقف وذلك منه اعتمال فى رضى ولد ءادم ثم قال * ع * اما انه يحسن
بالتقيّ العالم ان ياخذ من السودد بكل ما لا يخل بعلمه وتقاه وهكذا كان يحي
عليه السلام * وقوله تعالى وحصورا اصل هذه اللفظة الحبس والمنع ومنه حصر
العدو قال * ع * واجمع من يعتد بقوله من المفسرين على ان هذه الصفة
ليحي عليه السلام انما هي الامتناع من وطء النساء الا ما حكى مكي من قول من
قال انه الحصور عن الذنوب وذهب بعض العلماء الى ان حصره كان بانه يمسك نفسه
تقى وجلَدا فى طاعة الله سبحانه وكانت به القدرة على جماع النساء قالوا وهذه
امدح له قال الامام الفخر وهذا القول هو اختيار المحققين انه لا ياتى النساء لا
للعجز بل للعصمة والزهد قلت قال عياض اعلم ان ثناء الله تعالى على يحي عليه
السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا اولا ذكَر له بل قد انكر هذا
حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء
عليهم السلام وانما معناه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء كفاية من الله له لكونها
مشغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي فى حق من اقدر عليها وقام

بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي وسائر النبيـيـين اه من الشفا وباقى الآية بين و روي من صلاحه عليه السلام انه كان يعيش من العشب وانه كان كثير البكاء من خشية الله حتى اتخذ الدمع فى وجهه اخدودا * ص * ومن الصالحين اي من اصلاب الانبياء او صالحا من الصالحين فيكون صفة لموصوف محذوف اه قلت والثانى احسن والاول تحصيل الحاصل فتأمله * وقوله تعالى قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر الآية ذهب الطبري وغيره الى ان زكرياء لما رأى حال نفسه وحال امرأته وانها ليست بحال نسل سأل عن الوجه الذى به يكون الغلام اتبدل المرأة خلقتها ام كيف يكون قال * ع * وهذا تاويل حسن لائق بزكرياء عليه السلام وانى معناها كيف ومن اين وحسن فى الآية بلغنى الكبر من حيث هي عبارة واهنٍ منفعل * وقوله كذلك اي كهذه القدرة المستغربة قدرة الله ويحتمل ان تكون الاشارة بذلك الى حال زكرياء وحال امرأته كانه قال رب على اي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا فقال له كما انتما يكون لكما الغلام والكلام تام على هذا التاويل فى قوله كذلك * وقوله الله يفعل ما يشاء جملة مبينة مقررة فى النفس وقوع هذا الامر المستغرب * وقوله قال رب اجعل لى ءاية اي علامة قالت فرقة من المفسرين لم يكن هذا من زكرياء على جهة الشك وانما سأل علامة على وقت الحمل * وقوله تعالى ءايتك الا تكلم الناس الآية قال الطبري وغيره لم يكن منعه الكلام ءلافة ولكنه منع محاورة الناس وكان يقدر على ذكر الله ثم استثنى الرمز وهو استثناء منقطع والكلام المراد فى الآية انما هو النطق باللسان لا الاعلام بما فى النفس والرمزُ فى اللغة حركة تعلم بما فى نفس الرامز كانت الحركة من عين او حاجب او شفة او يدٍ او عود او غير ذلك

وقد قيل للكلام المحرف عن ظاهره رموز وامره تعالى بالذكر لربه كثيرا لانه لم
يحل بينه وبين ذكر الله وهذا قاض بانه لم تدركه ءافة ولا علة فى لسانه
قال محمد بن كعب القرظي لوكان الله رخص لاحد فى ترك الذكر لرخص لزكرياء
عليه السلام حيث قال ءايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الارمزا لكنه قال له
اذكر ربك كثيرا قال الامام الفخر وفى الآية تاويلان احدهما ان الله تعالى
حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح والتهليل ليكون
فى تلك المدة مشتغلا بذكر الله وطاعته شكرًا لله على هذه النعمة ثم
اعلم ان هذه الواقعة كانت مشتملة على المعجز من وجوه احدها ان قدرته
على الذكر والتسبيح وعجزه عن التكلم بامور الدنيا من المعجزات وثانيها
ان حصول ذلك العجز مع صحة البنية من المعجزات وثالثها ان اخباره بانه متى
حصلت تلك الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر خرج على وفق هذا الخبر
يكون ايضا من المعجزات والتاويل الثانى ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك
لان المستغرقين فى بحار معرفة الله تعالى عادتهم فى اول الامر ان يواظبوا على
الذكر اللساني مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله تعالى سكتوا باللسان وبقي
الذكر فى القلب ولذلك قالوا من عرف الله كَل لسانه فكان زكرياء عليه السلام
امر بالسكوت باللسان واستحضار معانى الذكر والمعرفة واستدامتها بالقلب اه
* وقوله تعالى وسبح معناه قل سبحان الله وقال قوم معناه صلّ والاول اصوب لانه
يناسب الذكر ويستغرب مع امتناع الكلام مع الناس والعشي فى اللغة من زوال
الشمس الى مغيبها والابكار مصدر ابكر الرجل اذا بادر امره من لدن طلوع الفجر
الى طلوع الشمس وتتمادى البكرة شيأ بعد طلوع الشمس يقال ابكر الرجل
وبكّر * وقوله تعالى واذ قالت الملائكة العامل فى اذْ اذكر لأن هذه الآيات كلها

انما هي اخبارات بغيب تدل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقصد ذكرها
هو الاظهر في حفظ رونق الكلام واصطفاك معناه تخيرك لطاعته وطهرك معناه من
كل ما يَصِم النساء في خَلق او خُلق او دين قاله مجاهد وغيره وقول الزجاج قد جاء
في التفسير ان معناه طهرك من الحيض والنفاس يحتاج الى سند قوي وما احفظه
والعالمين يحتمل عالم زمانها قال * ع * وسائغ ان يتأول عموم الاصطفاء على
العالمين وقد قال بعض الناس ان مريم نبية من اجل مخاطبة الملائكة لها وجمهور
الناس على انها لم تنبأ امرأة واقنتي معناه اعبدي واطيعي قاله الحسن وغيره
ويحتمل ان يكون معناه اطيلي القيام في الصلاة وهذا هو قول الجمهور وهو المناسب
في المعنى لقوله واسجدي وروى مجاهد انها لما خوطبت بهذا قامت حتى
ورمت قدماها وروى الاوزاعي حتى سال الدم والقيح من قدميها وروي ان
الطير كانت تنزل على راسها تظنها جادا واختلف المتأولون لم قدم السجود على
الركوع فقال قوم كان ذلك في شرعهم والقول عندي في ذلك ان مريم امرت
بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما
وهذان يختصان بصلاتها مفردة والا فمن يصلي وراء امام فليس يقال له اطل
قيامك ثم امرت بعدُ بالصلاة في الجماعة فقيل لها واركعي مع الراكعين وقُصد هنا
معلم ءاخر من معالم الصلاة ليلا يتكرر اللفظ ولم يرد في الآية الركوع والسجود الذى
هو منتظم في ركعة واحدة والله اعلم وقال * ص * قوله واركعي الواو لا ترتب
فلا يسأل لم قدم السجود الا من جهة علم البيان وجوابه انه قدم لانه اقرب ما
يكون العبد فيه من ربه فكان اشرف وقيل كان مقدما في شرعهم اه * وقوله
تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك الآية هذه المخاطبة لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم والاشارة بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص والانباء الاخبار

والغيب ما غاب عن مدارك الانسان ونوحيه معناه نلقيه فى نفسك فى خفاء
وحد الوحي القاء المعنى فى النفس فى خفاء فمنه بالملك ومنه بالالهام ومنه
بالاشارة ومنه بالكتاب وفى هذه الآية بيان لنبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ
جاءهم بغيوب لا يعلمها الا من شاهدها وهو لم يكن لديهم او من قرأها فى كتبهم وهو
صلى الله عليه وسلم امي من قوم اميين او من اعلمه الله بها وهو ذاك صلى الله
عليه وسلم ولديهم معناه عندهم ومعهم * وقوله اذ يلقون اقلامهم الآية جمهور
العلماء على انه استهام لاخذها والمنافسة فيها فروي انهم القوا اقلامهم التى كانوا
يكتبون بها التوراة فى النهر فروي ان قلم زكرياء صاعد الجرية ومضت اقلام
الآخرين وقيل غير هذا قلت ولفظ ابن العربي فى الاحكام قال النبي صلى الله
عليه وسلم فجرت الاقلام وعلا قلم زكرياء اه واذا ثبت الحديث فلا نظر لاحد معه
ويختصمون معناه يتراجعون القول الجهير فى امرها وفى هذه الآية استعمال القرعة
والقرعة سنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر اقرع بين نسائه وقال
صلى الله عليه وسلم لو يعلمون ما فى الصف الاول لاستهموا عليه واختلف ايضا هل
الملائكة هنا عبارة عن جبريل وحده او عن جماعة من الملائكة ووجيها نصب على
الحال وهو من الوجه اي له وجه ومنزلة عند الله وقال البخاري وجيها شريفا اه
ومن المقربين معناه من الله تعالى وكلامه فى المهد اية دالة على براءة امه واخبر
تعالى عنه انه ايضا يكلم الناس كهلا وفائدة ذلك انه اخبار لها بحياته الى سن
الكهولة قال جمهور الناس الكهل الذى بلغ سن الكهولة وقال مجاهد الكهل الحليم
قال * ع * وهذا تفسير للكهولة بعرض مصاحب لها فى الاغلب واختلف
الناس فى حد الكهولة فقيل الكهل ابن اربعين وقيل ابن خمسة وثلاثين وقيل
ابن ثلاثة وثلاثين وقيل ابن اثنين وثلاثين هذا حد اوّلها واما اخرها فاثنان

وخمسون ثم يدخل سن الشيخوخة وقول مريم انى يكون لى ولد استفهام عن جهة حملها واستغراب للحمل على بكارتها ويمسس معناه يطأ ويجامع * ص * والبشر يطلق على الواحد والجمع اه والكلام فى قوله كذلك كالكلام فى امر زكرياء وجاءت العبارة فى امر زكرياء يفعل وجاءت هنا يخلق من حيث ان امر زكرياء داخل فى الامكان الذى يتعارف وان قل وقصة مريم لا تتعارف البتة فلفظ الخلق اقرب الى الاختراع وادل عليه * وقوله تعالى اذا قضى امرا معناه اذا اراد ايجاده والامر واحد الامور وهو مصدر سمي به والضمير فى له عائد على الامر والقول على جهة المخاطبة * وقوله كن خطاب للمقضى * وقوله فيكون بالرفع خطاب للمخبَر * وقوله تعالى ويعلمه الكتاب الآية الكتاب هنا هو الخط باليد وهو مصدر كتب يكتب قاله جمهور المفسرين * وقوله ورسولا الى بنى اسراءيل اي ويجعله رسولا وكانت رسالة عيسى عليه السلام الى بنى اسراءيل مبينا حكم التوراة ونادبا الى العمل بها ومحللا اشياء مما حرم فيها كالثروب ولحوم الابل واشياء من الحيتان والطير ومن اول القول لمريم الى قوله اسراءيل خطاب لمريم ومن قوله انى قد جئتكم الى قوله مستقيم يحتمل ان يكون خطابا لمريم على معنى يكون من قوله لبنى اسراءيل كيت وكيت ويكون فى ءاخر الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فجاء عيسى بنى اسراءيل رسولا فقال لهم ما تقدم ذكره ويحتمل ان يكون المحذوف مقدرا فى صدر الكلام بعد قوله الى بنى اسراءيل فيكون تقديره فجاء عيسى كما بشر الله رسولا الى بنى اسراءيل بانى قد جئتكم ويكون قوله انى قد جئتكم ليس بخطاب لمريم والاول اظهر * وقوله انى اخلق لكم من الطين الآية قرا نافع انى اخلق بكسر الهمزة وقرأ باقى السبعة بفتحها فوجه قراءة نافع اما القطع والاستيناف واما انه فسر الآية بقوله انى كما فسر المثل فى قوله كمثل ءادم ووجه

قراءة الباقين البدل من ءاية كانه قال وجئتكم بانى اخلق واخلق معناه اقدر واهيئ بيدى * ص * كهيئة الهيئة الشكل والصورة وهو مصدر هاء الشيء يهيئ هيئة وهيأ اذا ترتب واستقر على حال ما وتعديه بالتضعيف قال تعالى ويهيئ لكم من امركم مرفقا اه وقرأ نافع وحده فيكون طائرا بالافراد اي يكون طائرا من الطيور وقرأ الباقون فيكون طيرا بالجمع وكذلك فى سورة المائدة والطير اسم جمع وليس من ابنية الجموع وانما البناء فى جمع طائر اطيار وجمع الجمع طيور * وقوله فانفخ فيه ذكّر الضمير لانه يحتمل ان يعود على الطين المهيئ ويحتمل ان يريد فانفخ فى المذكور وانث الضمير فى سورة المائدة لانه يحتمل ان يعود على الهيئة او على تانيث لفظ الجماعة وكون عيسى يخلق بيده وينفخ بفيه انما هو ليبين تلبسه بالمعجزة وانها جاءت من قبله واما الايجاد من العدم وخلق الحياة فى ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له وروي فى قصص هذه الآية ان عيسى عليه السلام كان يقول لبنى اسراءيل اي الطير اشد خلقة واصعب ان يحكى فيقولون الخفاش لانه طائر لا ريش له فكان يصنع من الطين خفافيش ثم ينفخ فيها فتطير وكل ذلك بحضرة الناس ومعاينتهم فكانوا يقولون هذا ساحر وابرئ معناه ازيل المرض والاكمه هو الذى يولد اعمى مضموم العينين قاله ابن عباس وقتادة قال * ع * والاكمه فى اللغة هو الاعمى وقد كان عيسى عليه السلام يبرئ بدعائه ومسح يده على كل عاهة ولكن الاحتجاج على بنى اسراءيل فى معنى النبوءة لا يقوم الا بالابراء من العلل التى لا يبرئ منها طبيب بوجه وروي فى احيائه الموتى انه كان يضرب بعصاه الميت او القبر او الجُمجُمة فيحيَى الانسان ويكلمه باذن الله وفى قصص الاحياء احاديث كثيرة لا يوقف على صحتها وءايات عيسى عليه السلام انما تجرى فيما

يعارض الطب لان علم الطب كان شرفَ الناس فى ذلك الزمان وشغلهم وحينئذ اثيرت فيه العجائب فلما جاء عيسى عليه السلام بغرائب لا تقتضيها الامزجة واصول الطب وذلك احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص علمت الاطباء ان هذه القوة من عند الله وهذا كامر السحرة مع موسى والفصحاء مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع فى التواريخ المترجمة عن الاطباء ان جالينوس كان فى زمن عيسى عليه السلام وانه رحل اليه من رومية الى الشام فمات فى طريقه ذلك * وقوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم الآية قال مجاهد وغيره كان عيسى عليه السلام من لدن طفوليته وهو فى الكُتاب يخبر الصبيان بما يفعل اباؤهم فى منازلهم و بما يوكل من الطعام و يدخر وكذلك الى ان نبئ فكان يقول لكل من سأله عن هذا المعنى اكلت البارحة كذا وادخرت كذا وقال قتادة معنى الآية انما هو فى نزول المائدة عليهم وذلك انها لما نزلت اخذ عليهم عهد ان ياكلوا ولا يخبأ احد شيأ ولا يدخره ولا يحمله الى بيته فخانوا وجعلوا يخبئون فكان عيسى عليه السلام يخبر كل احد عما اكل وعما ادخر فى بيته من ذلك وعوقبوا على ذلك * وقوله فاتقوا الله واطيعون تحذير ودعاء الى الله عزوجل * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى قوله ان الله ربى وربكم فاعبدوه لان الفاظه جمعت الايمان والطاعات والصراط الطريق والمستقيم الذى لا اعوجاج فيه * وقوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر الآية قبل هذه الآية محذوف به يتم اتساق الآيات تقديره فجاء عيسى كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبنى اسراءيل فلما احس ومعنى احس علم من جهة الحواس بما سمع من اقوالهم فى تكذيبه ورأى من قرائن احوالهم وشدة عداوتهم واعراضهم قال من انصاري الى الله وقوله الى الله يحتمل معنيين احدهما من ينصرنى فى السبيل الى الله

والثانى ان يكون التقديـر من يضيف نصرته الى نصرة الله لى فالى دالة على الغاية فى كلا التقديرين وليس يباح ان يقال الى بمعنى مع كما غلط فى ذلك بعض الفقهاء فى تاويل قوله تعالى وايديكم الى المرافق فقال الى بمعنى مع وهذه عجمة والحواريـون قوم مر بهم عيسى صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى نصره واتباع ملته فاجابـوه وقاموا بذلك خيـر قيام وصبروا فى ذات الله واختلف لم قيل لهم حواريون فقـال ابن جبيـر لبياض ثيابهم وقال ابـو ارْطاة لانهم كانوا قصّارين يحورون الثياب اي يبيضونها وقـال قتادة الحواريـون اصفياء الانبياء الذيـن تصلح لهم الخلافة وقال الضحاك نحوه قال * ع * وهذا القول تقرير حال القوم وليس بتفسير اللفظة وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته بهم فى قوله وحواري الزبير والاقوال الأُول هي تفسير اللفظة اذ هي من الحور وهو البَياض حورت الثوب بيضته ومنه الحُوارى وقد تسمى العرب النساء الساكنـات فى الامصار الحواريات لغلبة البياض عليهن ومنه قول ابى جِلْدة اليشكري

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

وقـول الحواريين واشهد يحتمـل ان يكـون خطـابـا لعيسى عليه السلام اي اشهـد لنـا عنـد الله ويحتمـل ان يكـون خطـابـا لله تعـالى كقـوله صلى الله عليه وسلم فى حجـة الـوداع اللهـم اشهـد وقولـهم ربنـا ءامنـا بمـا انـزلت يريـدون الانجيـل وءايـاتِ عيسى فاكتبنـا مع الشاهـدين اي فى عِداد من شهـد بالحـق من مومنى الامم ثم اخبـر تعالى عن بنى اسراءيل الكافريـن بعيسى عليه السـلام فقال ومكروا يريـد فى تحيلهم فى قتله بزعمهـم فهذا هو مكرهم فجازاهم الله تعالى بان طرح شبه عيسى على احد الحوارييـن فى قول الجمهور

او على يهودي منهم كان جاسوسا واعقب بنى اسراءيل مذلة وهُوانا فى الدنيا والآخرة فهذه العقوبة هي التى سماها الله تعالى مكرا فى قوله ومكر الله وذلك مهيع ان تسمى العقوبة باسم الذنب وقوله والله خير الماكرين معناه فاعل حق فى ذلك وذكر ابو القاسم القشيري فى تحبيره قال سئل ميمون احسبه ابن مهران عن قوله تعالى ومكروا ومكر الله فقال تخليته اياهم مع مكرهم هو مكره بهم اه ونحوه عن الجنيد قال الفراء المكر من المخلوق الخب والحيلة ومن الاله الاستدراج قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة احدثنا لهم نعمة اه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك الآية اختلف فى هذا التوفى فقال الربيع هي وفاة نوم وقال الحسن وغيره هو توفى قبض وتحصيل اي قابضك من الارض ومحصلك فى السماء وقال ابن عباس هي وفاة موت ونحوه لمالك فى العتبية وقال وهب بن منبه توفاه الله بالموت ثلاث ساعات ورفعه فيها ثم احياه بعد ذلك وقال الفراء هي وفاة موت ولكن المعنى انى متوفيك فى ءاخر امرك عند نزولك وقتلك الدجال ففى الكلام تقديم وتاخير قال * ع * واجمعت الامة على ما تضمنه الحديث المتواتر من ان عيسى عليه السلام فى السماء حي وانه ينزل فى ءاخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر ويبقى فى الارض اربعا وعشرين سنة وقيل اربعين سنة ثم يميته الله تعالى قال * ع * فقول ابن عباس هي وفاة موت لا بد ان يتمم اما على قول وهب بن منبه واما على قول الفراء * وقوله تعالى ورافعك الي عبارة عن نقله من سفل الى علو واضافه الله سبحانه اضافة تشريف والا فمعلوم انه سبحانه غير متحيز فى جهة

ومطهرك اي من دعاوى الكفرة ومعاشرتهم * وقوله وجاعل الذين اتبعوك الآية قال جمهور المفسرين بعموم اللفظ فى المتبعين فتدخل فى ذلك امة محمد صلى الله عليه وسلم لانها متبعة لعيسى قاله قتادة وغيره وكذلك قالوا بعموم اللفظ فى الكافرين فمقتضى الآية اعلام عيسى عليه السلام ان اهل الايمان به كما يجب هم فوق الذين كفروا بالحجة والبرهان والعزوالغلبة ويظهر من عبارة ابن جريج وغيره ان المراد المتبعين له فى وقت استنصاره وهم الحواريون * وقوله تعالى ثم الي مرجعكم خطاب لعيسى والمراد الاخبار بالقيامة والحشروباقى الآية بين وتوفية الاجور هي قسم المنازل فى الجنة فذلك هو بحسب الاعمال واما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وتفضله سبحانه * وقوله تعالى ذلك نتلوه عليك من الآيات الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من الانباء ونتلوه معناه نسرده ومن الآيات ظاهره ءايات القرءان ويحتمل ان يريد من المعجزات والمستغربات ان تاتيهم بهذه الغيوب من قبلنا وبسبب تلاوتنا والذكرُ ما ينزل من عند الله قال ابن عباس الذكر القرءان والحكيم الذى قد كمل فى حكمته * وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الآية قال ابن عباس وغيره سبب نزولها محاجة نصارى نجران فى امر عيسى وقولهم يا محمد هل رأيت بشرا قط جاء من غير فحل او سمعت به ومعنى الآية ان المثل الذى تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمتصوّر من ءادم اذ الناس مجمعون على ان الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل وفى هذه الآية صحة القياس * وقوله تعالى ثم قال ترتيب للاخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم المعنى خلقه من تراب ثم كان من امره فى الازل ان قال له كن وقت كذا * وقوله تعالى الحق من ربك اي هذا هو الحق والمترين هم الشاكون ونُهِي النبي صلى الله عليه وسلم فى عبارة اقتضت ذم المترين وهذا يدل على ان المراد

بالامتراء غيره ونُهي عن الامتراء مع بعده عنه على جهة التثبيت والدوام على حاله
* وقوله تعالى فمن حاجك فيه اي فى عيسى ويحتمل فى الحق والعلمُ الذى
اشير اليه بالمجىء هو ما تضمنته هذه الآيات المتقدمة * وقوله فقل تعالوا
استدعاء للمباهلة وتعالوا تفاعلوا من العلو وهي كلمة قصِد بها اولا تحسين الادب
مع المدعو ثم اطردت حتى يقولها الانسان لعدوه وللبهيمة ونبتهل معناه نلتعن
ويقال عليهم بهلة الله والابتهال الجد فى الدعاء بالبهلة قال محمد بن جعفر بن
الزبير وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا نصارى نجران الى المباهلة
قالوا دعنا ننظر فى امرنا ثم ناتك بما نفعل فذهبوا الى العاقب وهو ذو رأيهم
فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال يا معشر النصارى والله لقد عرفتم ان محمدًا
النبيُّ المرسلُ ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم قط
نبيا فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه الاستيصال ان فعلتم فان ابيتم الا إلْفَ
دينكم وما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
حتى يريكم زمن رايه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا
ان لا نلاعنك وان نبقى على ديننا وصالحوه على اموال وقالوا له ابعث معنا رجلا
من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى اشياء قد اختلفنا فيها من اموالنا فانكم
عندنا رضى قال * ع * وفى ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بنبوءة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم شاهد عظيم على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم عندهم
ودعاء النساء والابناء اهز للنفوس وادعى لرحمة الله للمحقين او لغضبه على المبطلين
* وقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق الآية هذا خبر من الله تعالى جزم
مؤكد فصل به بين المختصمين والاشارة بهذا هي الى ما تقدم فى امر عيسى
عليه السلام والقصص معناه الاخبار وقال * ص * ان هذا لهو هذا اشارة

الى القران اه واختلف المفسرون من المراد باهل الكتاب هنا فروى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يهود المدينة وقال ابن زيد وغيرة المراد نصارى نجران قال * ع * والذى يظهرلى ان الآية نزلت فى وفد نجران لكن لفظ الآية يعمهم وسواهم من النصارى واليهود وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الى هرقل عظيم الروم وكذا ينبغى ان يدعى بها اهل الكتاب الى يوم القيامة والكلمة هنا عند الجمهور عبارة عن الالفاظ التى تتضمن المعاني المدعو اليها وهي ما فسر بعد ذلك وهذا كما تسمى العرب القصيدة كلمة وقوله سواء نعت للكلمة قال قتادة وغيره معناه الى كلمة عدل وفى مصحف ابن مسعود الى كلمة عدل كما فسر قتادة قال * ع * والذى اقوله فى لفظة سواء انها ينبغى ان تفسر بتفسير خاص بها فى هذا الموضع وهو انه دعاهم الى معانٍ جميعُ الناس فيها مستوون * وقوله الا نعبد الا الله هو فى موضع خفض على البدل من كلمة او فى موضع رفع بمعنى هي الا نعبد الا الله واتخاذ بعضهم بعضا اربابا هو على مراتب اشدها اعتقادهم الالوهية وعبادتهم لهم كعزير وعيسى ومريم وادنى ذلك طاعتهم لاساقفتهم فى كل ما امَروا به من الكفر والمعاصى والتزامهم طاعتهم شرعا * م * فان تولوا ابو البقاء تولوا فعل ماض ولا يجوز ان يكون التقدير تتولوا لفساد المعنى لان قوله فقولوا اشهدوا خطاب للمومنين وتولوا للمشركين اه وقوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون امر بالاعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك واشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم الآية قال ابن عباس وغيره اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند النبي صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله الآية ومعنى قوله تعالى فيما لكم به علم اي على

زعمكم وفسر الطبري هذا الموضع بانه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وانبيائهم مما ايقنوه وثبتت عندهم صحته قال * ع * وذهب عنه رحمه الله ان ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه الى محاجة لانهم يجدونه عند محمد صلى الله عليه وسلم كما كان هناك على حقيقته قلت وما قاله الطبري ابين وهو ظاهر الآية ومن المعلوم ان اكثر احتجاجاتهم انما كانت تعسفا وجحدا للحق * وقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية اخبر الله تعالى فى هذه الآية عن حقيقة امر ابراهيم عليه السلام ونفى عنه اليهودية والنصرانية والاشراك ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا ان اولى الناس بابراهيم هم القوم الذين اتبعوه فيدخل فى ذلك كل من اتبع الحنيفية فى الفترات وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث بالحنيفية السمحة والذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء على ما يجب ثم اخبر سبحانه انه ولي المومنين وعدا منه لهم بالنصر فى الدنيا والنعيم فى الآخرة روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابى وخليلُ ربى ابراهيم ثم قرأ ان اولى الناس بابراهيم الآية * وقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم قال مكي قيل ان هذه الآية عُني بها قريظة والنضير وبنو قَينُقاع ونصارى نجران * ص * قوله تعالى ودت طائفة ود بمعنى تمنى ويستعمل معها ان ولو وربما جمع بينهما نحو وددت ان لو فعل ومصدره الودادة والاسم منه الود وبمعنى احب فيتعدى كتعدى احب ومصدره مودة والاسم منه ود وقد يتداخلان فى الاسم والمصدر اه * وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اعلام بان سوء فعلهم عائد عليهم وانهم ببعدهم عن الاسلام هم الضالون ثم اعلَم تعالى انهم لا يشعرون بذلك اي لا يتفطنون ثم وقفهم تعالى موبخا لهم على لسان نبيه والمعنى قل لهم يا محمد

لاي سبب تكفرون بآيات الله التى هي ءايات القرءان وانتم تشهدون ان امره وصفة محمد فى كتابكم قال هذا المعنى قتادة وغيره ويحتمل ان يريد بالآيات ما ظهرعلى يده صلى الله عليه وسلم من المعجزات قلت ويحتمل الجميع من الآيات المتلوة والمعجزات التى شاهدوها منه صلى الله عليه وسلم وقال * ص * وانتم تشهدون جملة حالية ومفعول تشهدون محذوف اي انها ءايات الله او ما يدل على صحتها من كتابكم او بمثلها من ءايات الانبياء اه * وقوله لم تلبسون معناه تخلطون تقول لبست الامر بفتح الباء بمعنى خلطته ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون وفى قوله وانتم تعلمون توقيف على العناد ظاهروباقى الآية تقدم بيانه فى سورة البقرة * وقوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب ءامنوا بالذى انزل على الذين ءامنوا وجه النهار الآية اخبرالله سبحانه فى هذه الآية ان طائفة من اليهود من احبارهم ذهبت الى خديعة المسلمين بهذا المنزع قال قتادة وغيره قال بعض الاحبار لنظهر الايمان بمحمد صدر النهار ثم لنكفر به ءاخر النهار فسيقول المسلمون عند ذلك ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذاك الا انهم انكشفت لهم حقيقة فى الامر فيشكون ولعلهم يرجعون عن الايمان بمحمد قال الامام الفخر وفى اخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الحيلة من الفائدة وجوه الاول ان هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم فلما اخبر بها عنهم كان اخبارا بمغيب فيكون معجزا الثانى انه تعالى لما اطلع المومنين على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة اثرفى قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام لا مكن تاثيرها فى قلب من ضعف ايمانه الثالث ان القوم لما افتضحوا فى هذه الحيلة صار ذلك رادعا لهم عن الاقدام على امثالها من الحيل والتلبيس اه وذكر تعالى عن هذه الطائفة من اهل الكتاب انهم قالوا ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا خلاف

ان هذا القول هو من كلام الطائفة واختلف الناس في قوله تعالى ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فقال مجاهد وغيره من اهل التاويل الكلام كله من قول الطائفة لاتباعهم * وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين الكلامين قال * ع * والكلام على هذا التاويل يحتمل معاني احدها ولا تصدقوا وتومنوا الا لمن جاء بمثل دينكم حذارا ان يوتى احد من النبوة والكرامة مثل ما اوتيتم وحذارا ان يحاجوكم بتصديقكم اياهم عند ربكم اذا لم تستمروا عليه وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر مع المعرفة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل الكلام ان يكون معناه ولا تومنوا بمحمد وتقروا بنبوته اذ قد علمتم صحتها الا لليهود الذين هم منكم وان يوتى احد مثل ما اوتيتم صفة لحال محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى تستروا باقراركم ان قد اوتى مثل ما اوتيتم او فانهم يعنون العرب يحاجونكم بالاقرار عند ربكم وقرأ ابن كثير وحده من بين السبعة ءانْ يوتى بالمد على جهة الاستفهام الذى هو تقرير وفسر ابو علي قراءة ابن كثير على ان الكلام كله من قول الطائفة الا الاعتراض الذى هو قل ان الهدى هدى الله فانه لا يختلف انه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال فلا يجوز مع الاستفهام ان يحمل ءانْ يوتى على ما قبله من الفعل لان الاستفهام قاطع فيجوز ان تكون ان في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره تصدقون او تعترفون او تذكرونه لغيركم ونحو هذا مما يدل عليه الكلام قال * ع * ويكون يحاجوكم على هذا معطوفا على ان يوتى قال ابو علي ويجوز ان يكون موضع ان نصبا فيكون المعنى اتشيعون او تذكرون ان يوتى احد مثل ما اوتيتم ويكون ذلك بمعنى قوله تعالى عنهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم فعلى كلا الوجهين معنى الآية توبيخ من الاحبار للاتباع على تصديقهم بان محمدا صلى الله

عليه وسلم نبيء مبعوث قال ✻ ع ✻ ويكون قوله تعالى او يحاجوكم
فى تاويل نصب ان بمعنى اوَ تريدون ان يحاجوكم وقال السدي وغيره
الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى ءاخر الآية هو مما اِمر
به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله لامته وحكى الزجاج وغيره ان المعنى
قل ان الهدى هو هذا الهدى لا يوتى احد مثل ما اوتيتم ومعنى الاية على
قول السدي اي لم يعط احد مثل حظكم والا فليحاجكم من ادعى سوى ذلك
اويكون المعنى او يحاجونكم على معنى الازدراء باليهود كانه قال او هل لهم ان
يحاجوكم اويخاصموكم فيما وهبكم الله وفضلكم به وقال قتادة والربيع الكلام كله
من قوله قل ان الهدى هدى الله الى ءاخر الآية هو مما اِمر به النبي صلى الله
عليه وسلم ان يقوله للطائفة قال ✻ ع ✻ ويحتمل ان يكون قوله ان يوتى
بدلا من قوله هدى الله قلت وقد اطالوا الكلام هنا وفيما ذكرناه كفاية ✻ وقوله
تعالى قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم فى الآية تكذيب لليهود فى قولهم لن يوتي الله احدا
مثل ما اتى بنى اسرايل من النبوءة والشرف وباقى الآية تقدم تفسير نظيره
✻ وقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه الآية اخبر تعالى عن اهل الكتاب
انهم قسمان فى الامانة ومقصد الآية ذم الخوَنة منهم والتفنيد لرأيهم وكذبهم على
الله فى استحلالهم اموال العرب قال الفخر وفى الآية ثلاثة اقوال الاول ان اهل الامانة
منهم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان
مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم فى الدين واخذ ماله الثانى ان اهل
الامانة منهم هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود الثالث قال ابن عباس اودع
رجل عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فادى اليه واودع ءاخر

فنحاصا اليهودي دينارا فخانه فنزلت الآية اه قال ابن العربي في احكامه قال الطبري وفائدة هذه الآية النهي عن ائتمانهم على مال وقال شيخنا ابو عبد الله المغربي فائدتها ان لا يؤتمنوا على دين يدل عليه ما بعده في قوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآية والصحيح عندي انها في المال نص وفي الدين تنبيه فافادت المعنيين بهذين الوجهين قال ابن العربي فالامانة عظيمة القدر في الدين ومن عظيم قدرها انها تقف على جنبتي الصراط لا يمكّن من الجواز الا من حفظها ولهذا وجب عليك ان تؤديها الى من ائتمنك ولا تخن من خانك فتقابل المعصية بالمعصية وكذلك لا يجوز ان تغدر من غدرك قال البخاري باب اثم الغادر للبر والفاجر اه والقنطار في هذه الآية مثال للمال الكثير يدخل فيه اكثر من القنطار واقل واما الدينار فيحتمل ان يكون كذلك مثالا لما قل ويحتمل ان يريد ان منهم طبقة لا تخون الا في دينار فما زاد ولم يعن لذكر الخائنين في اقل اذ هم طَغام حُثالة ودام معناه ثبت وقوله قائما يحتمل معنيين قال قتادة ومجاهد والزجاج معناه قائما على اقتضاء حقك يريدون بانواع الاقتضاء من الحفز والمرافعة الى الحاكم من غير مراعاة لهيئة هذا الدائم وقال السدي وغيره معنى قائما على راسه * وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل الآية الاشارة بذلك الى كونهم لا يؤدون الامانة اي يقولون نحن من اهل كتاب والعرب اميون اصحب اوثان فاموالهم لنا حلال متى قدرنا على شيء منها لا حجة علينا في ذلك ولا سبيل لمعترض * وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ذم لبني اسرائيل بانهم يكذبون على الله سبحانه في غير ما شيء وهم عالمون بمواضع الصدق قال * ص * وهم يعلمون جملة حالية اه ثم رد الله تعالى في صدر قولهم ليس علينا بقوله بلى اي عليهم سبيل وحجة وتباعة

ثم اخبر على جهة الشرط ان من اوفى بالعهد واتقى عقوبة الله فى نقضه فانه محبوب عند الله * وقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله الآية ءاية وعيد لمن فعل هذه الافاعيل الى يوم القيامة وهي ءاية يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد الحق وخَتْر المواثيق وكل ياخذ من وعيدها بحسب جريمته قال ابن العربي فى احكامه وقد اختلف الناس فى سبب نزول هذه الآية والذى يصح من ذلك ان عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية قال فجاء الاشعث بن قيس فقال في نزلت كانت لى بير فى ارض ابن عم لى وفى رواية كان بينى وبين رجل من اليهود ارض فجحدنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم بينتك او يمينه قلت اذًا يحلف يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث اه وقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآية يلوون معناه يحرفون ويتحيلون لتبديل المعانى من جهة اشتباه الالفاظ واشتراكها وتشعب التاويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس التبديل المحض بلي وحقيقة اللي فى الثياب والحبال ونحوها وهو فتلها وارَاغتها ومنه لي العنق ثم استعمل ذلك فى الحجج والخصومات والمجادلات والكتابُ فى هذا الموضع التوراة والضمير فى تحسبوه للمسلمين * وقوله وما هو من عند الله نفى ان يكون منزلا من عند الله كما ادعوا وهو من عند الله بالخلق والاختراع والايجاد ومنهم بالتكسب * وقوله تعالى ما كان لبشر الآية معناه النفي التام لانا نقطع ان الله لا يوتى النبوة للكَذَبة والمدعين والكتاب هنا اسم جنس والحكم بمعنى الحكمة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحُكما وقال الفخر هنا اتفق اهل

اللغة والتفسير على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وءاتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم اهـ وثم فى قوله ثم يقول معطية تعظيم الذنب فى القول بعد مهلة من هذا الانعام وقوله عبادا جمع عبد ومن جموعه عبيد وعبدّى قال * ع * والذى استقريت فى لفظة العباد انه جمع عبد متى سيقت اللفظة فى مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة دون ان يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشان واما العبيد فيستعمل فى التحقير قال * ص * ونوقش ابن عطية بان عبدّى اسم جمع وتفريقه بين عباد وعبيد لا يصح اهـ قلت وقوله تعالى ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ونحوه يوضحه اهـ ومعنى الآية ما كان لاحد من الناس ان يقول اعبدونى واجعلونى الها قال النقاش وغيره وهذه الاشارة الى عيسى عليه السلام والآية رادة على النصارى وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين بل الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم وسبب نزول الآية ان ابا رافع القرظي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعت الاحبار من يهود والوفد من نصارى نجران يا محمد انما تريد ان نعبدك ونتخذك الها كما عبدت النصارى عيسى فقال الرئيس من نصارى نجران او ذاك تريد يا محمد واليه تدعونا فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت فنزلت الآية قال بعض العلماء ارادت الاحبار ان تلزم هذا القول محمدا صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وانما معنى الآية فاتبعونى فيما ادعوكم اليه من طاعة الله فحرفوها بتأولهم وهذا من نوع ليهم الكتاب بالسنتهم قال الفخر وقال ابن عباس ان الآية نزلت بسبب قول النصارى المسيح ابن الله وقول اليهود عزير ابن الله وقيل ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله افلا نسجد لك فقال عليه السلام ما ينبغى السجود

الا لله قيل وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يقوى هذا التاويل اهـ

* وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية المعنى ولكن يقول كونوا ربانيين وهو جمع رباني قال قوم منسوب الى الرب من حيث هو عالم ما علمه عامل بطاعته معلم للناس ما امر به وزيدت فيه النون مبالغة وقال قوم منسوب الى الربان وهو معلم الناس ماخوذ من رب يرب اذا اصلح وربى والنون ايضا زائدة كما زيدت فى غضبان وعطشان وفى البخاري الرباني الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره قال * ع * فجملة ما يقال فى الرباني انه العالم بالرب والشرع المصيبُ فى التقدير من الاقوال والافعال التى يحاولها فى الناس وقوله بما كنتم معناه بسبب كونكم عالمين دارسين فما مصدرية واسند ابو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم علمان علم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن ءادم ومن حديث ابن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاك امتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار جبار العلماء وخير الخيار خيار العلماء اهـ وقرأ جمهور الناس تدرسون بضم الراء من درس اذا أدْمَن قراءة الكتاب وكرره وقرأ نافع وغيره ولا يامركم برفع الراء على القطع قال سيبويه المعنى لا يامركم الله وقال ابن جريج وغيره المعنى ولا يامركم هذا البشر الذى اوتي هذه النعم وهو محمد صلى الله عليه وسلم واما قراءة من نصب الراء وهو حمزة وغيره فهي عطف على قوله ان يوتيه الله المعنى ولا له ان يامركم قاله ابو علي وغيره وهو الصواب لا ما قاله الطبري من انها عطف على قوله ثم يقول والارباب فى هذه الآية بمعنى الآلهة * وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن

به ولتنصرنه المعنى واذ كريا محمد اذ فيحتمل ان يكون اخذ هذا الميثاق حين اخرج بنى ءادم من ظهر ءادم نسما ويحتمل ان يكون هذا الاخذ على كل نبي فى زمنه ووقت بعثه والمعنى ان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بانه ملتزم هو ومن ءامن به الايمان بمن اتى بعده من الرسل والنصر له وقال ابن عباس انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم فهو اخذ لميثاق الجميع وقال علي بن ابى طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده لا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليومنن به ولينصرنه وامره باخذه على قومه ثم تلا هذه الآية وقاله السدي وقرأ حمزة لما بكسر اللام وهي لام الجر والتقدير لاجل ما ءاتيناكم اذ انتم القادة والروس ومن كان بهذه الحال فهو الذى يوخذ ميثاقه وما فى هذه القراءة بمعنى الذى والعائد اليها من الصلة تقديره ءاتيناكموه ومن لبيان الجنس وثم جاءكم الآية جملة معطوفة على الصلة ولا بد فى هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول وانما حذف تخفيفا لطول الكلام وتقديره عند سيبويه رسول به مصدق لما معكم واللام فى لتومنن به هي اللام المتلقية للقسم الذى تضمنه اخذ الميثاق وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار والمجرور وذلك جائز وقرأ سائر السبعة لما بفتح اللام وذلك يتخرج على وجهين احدهما ان تكون ما موصولة فى موضع رفع بالابتداء واللام لام الابتداء وهي متلقية لما اجري مجرى القسم من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين وخبر الابتداء قوله لتومنن ولتومنن متعلق بقسم محذوف فالمعنى والله لتومنن قاله ابو علي وهو متجه بان الحلف يقع مرتين والوجه الثانى ان تكون ما للجزاء شرطا فتكون فى موضع نصب بالفعل الذى بعدها وهو مجزوم وجاءكم معطوف فى موضع جزم واللام الداخلة على ما ليست المتلقية للقسم ولكنها

الموطئة المؤذنة بمجيء لام القسم فهي بمنزلة اللام في قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون لانها موذنة بمجيء المتلقية للقسم في قوله لنغرينك بهم وكذلك هذه موذنة بمجيء المتلقية للقسم في قوله لتومنن وقرأ نافع وحده آتيناكم بالنون وقرأ الباقون آتيتكم بالتاء ورسول في هذه الآية اسم جنس وقال كثير من المفسرين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري هذه الآية هي وصف توقيف الانبياء عليهم السلام على اقرارهم بهذا الميثاق والتزامهم له واخذتم في هذه الآية عبارة عما تحصل لهم من ايتاء الكتب والحكمة فمن حيث اخذ عليهم اخذوا هم ايضا وقال الطبري اخذتم في هذه الآية معناه قبلتم والاصر العهد لا تفسير له في هذا الموضع الا ذلك * وقوله تعالى فاشهدوا يحتمل معنيين احدهما فاشهدوا على اممكم المومنين بكم وعلى انفسكم بالتزام هذا العهد قاله الطبري وجماعة والمعنى الثاني بثوا الامر عند اممكم واشهدوا به وشهادة الله على هذا التاويل هي اعطاء المعجزات واقرار نبوءاتهم هذا قول الزجاج وغيره قال * ع * فتأمل ان القول الاول هو ايداع الشهادة واستحفاظها والقول الثاني هو الامر بادائها وحكم تعالى بالفسق على من تولى من الامم بعد هذا الميثاق قاله علي بن ابي طالب وغيره وقرأ ابو عمرو يبغون بالياء من اسفل مفتوحة وترجعون بالتاء من فوق مضمومة وقرأ عاصم بالياء من اسفل فيهما وقرأ الباقون بالتاء فيهما ووجوه هذه القراءات لا تخفى بادنى تأمل وتبغون معناه تطلبون قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه يونس ابن عبيد بن دينار البصري الشافعي المشهور انه قال ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في اذنها افغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات

والارض طوعا وكرها واليه ترجعون الا وقفت باذن الله تعالى وروينا فى كتاب ابن السني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله عزوجل فى الارض حاضرا سيحبسها قال النووي حكى لى بعض شيوخنا انه انفلتت له دابة اظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليه فى الحال وكنت انا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة فعجزوا عنها فقلته فوقفت فى الحال بغير سبب سوى هذا الكلام اه واسلم معناه استسلم عند الجمهور واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقال مجاهد هذه الآية كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى ان اقرار كل كافر بالصانع هو اسلام كرها ونحوه لابى العالية وعبارته كل ءادمي فقد اقر على نفسه بان الله ربى وانا عبده فمن اشرك فى عبادته فهو الذى اسلم كرها ومن اخلص فهو الذى اسلم طوعا قال * ع * والمعنى فى هذه الآية يفهم كل ناظر ان الكره خاص باهل الارض * وقوله سبحانه افغير دين الله توقيف لمعاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الاحبار والكفار * قوله تعالى قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم الآية المعنى قل يا محمد انت وامتك ءامنا بالله الآية وقد تقدم بيانها فى البقرة ثم حكم تعالى فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام الآية بانه لا يقبل من ءادمي دينا غير دين الاسلام وهو الذى وافق فى معتقداته دين كل من سمي من الانبياء عليهم السلام وهو الحنيفية السمحة وقال بعض المفسرين ان من يبتغ الآية نزلت فى الحارث بن سويد قلت وعلى تقدير صحة هذا القول فهي تتناول بعمومها من سواه الى يوم القيامة * وقوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا

بعد ايمانهم الآيات قال ابن عباس نزلت هذه الآيات من قوله كيف يهدى الله فى الحارث بن سويد الانصاري كان مسلما ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من توبة فنزلت الآيات الى قوله الا الذين تابوا فارسل اليه قومه فاسلم قال مجاهد وحسن اسلامه وقال ابن عباس ايضا والحسن بن ابى الحسن نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وءامنوا به فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به ورجحه الطبري وقال النقاش نزلت فى طعيمة بن ابيرق قال * ع * وكل من ذكر فالفاظ الآية تعمه وقوله تعالى كيف سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للامر فالمعنى انهم لشدة هذه الجرائم يبعد ان يهديهم الله جميعا وباقى الآية بين قال الفخر واستعظم تعالى كفر هؤلاء المرتدين بعد حصول هذه الخصال الثلاث لان مثل هذا الكفر يكون كالمعاندة والجحود وهذا يدل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل اه

* وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا الآية قال ابو العالية رُفَيْعٌ الآية فى اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم بصفاته واقرارهم انها فى التوراة ثم ازدادوا كفرا بالذنوب التى اصابوها فى خلاف النبي صلى الله عليه وسلم من الافتراء والبهت والسعي على الاسلام وغير ذلك قال * ع * وعلى هذا الترتيب يدخل فى الآية المرتدون اللاحقون بقريش وغيرهم وقال مجاهد معنى قوله ثم ازدادوا كفرا اي اتموا على كفرهم وبلغوا الموت به قال * ع * فيدخل فى هذا القول اليهود والمرتدون وقال السدي نحوه ثم اخبر تعالى ان توبة هؤلاء لن تقبل وقد قررت الشريعة ان توبة كل كافر تقبل فلا بد فى هذه الآية من تخصيص تحمل عليه ويصح به نفي قبول التوبة فقال

الحسن وغيره المعنى لن تقبل توبتهم عند الغرغرة والمعاينة وقال ابو العالية المعنى لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التى اصابوها مع اقامتهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قال * ع * وتحتمل الآية عندى ان تكون اشارة الى قوم باعيانهم من المرتدين وهم الذين اشار اليهم بقوله سبحانه كيف يهدى الله قوما فاخبر عنهم انه لا تكون منهم توبة فيتصور قبولها فكانه اخبر عن هؤلاء المعينين انهم يموتون كفارا ثم اخبر الناس عن حكم كل من يموت كافرا والملء ما شحن به الوعاء وقوله ولو افتدى به قال الزجاج المعنى لن يقبل من احدهم انفاقه وتقرباته فى الدنيا ولو انفق ملء الارض ذهبا ولو افتدى ايضا به فى الآخرة لن يقبل منه قال فاعلمَ الله انه لا يثيبهم على اعمالهم من الخير ولا يقبل منهم الافتداء من العذاب قال * ع * وهذا قول حسن وقال قوم الواو زائدة وهذا قول مردود ويحتمل المعنى نفي القبول على كل وجه ثم خص من تلك الوجوه اليقها واحراها بالقبول وباقى الآية وعيد بين عافانا الله من عقابه وختم لنا بما ختم به للصالحين من عباده * وقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآية خطاب لجميع المومنين فتحتمل الآية ان يريد لن تنالوا بر الله بكم اي رحمته ولطفه ويحتمل ان يريد لن تنالوا درجة الكمال من فعل البر حتى تكونوا ابرارا الا بالانفاق المنضاف الى سائر اعمالكم قال * ص * قوله مما تحبون من للتبعيض تدل عليه قراءة عبد الله بعض ما تحبون اه قال الغزالي قال نافع كان ابن عمر مريضا فاشتهى سمكة طرية فحملت اليه على رغيف فقام سائل بالباب فامر بدفعها اليه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له اه من الاحياء قال * ع * وبسبب نزول هذه الآية تصدق

ابو طلحة بحائطه المسمى بيرحا وتصدق زيد بن حارثه بفرس كان يحبها وكان عبد الله بن عمر يشتهى اكل السكر باللوز فكان يشترى ذلك ويتصدق به قال الفخر والصحيح ان هذه الآية فى ايتآء المال على طريق الندب لا انها فى الزكاة الواجبة اه * وقوله سبحانه وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم شرط وجواب فيه وعد اي عليم مجاز به وان قل * وقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسراءيل الآية اخبار بمغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمه الا الله وعلماء اهل الكتاب وحلا معناه حلالا والآية رد على اليهود فى زعمهم انّ كل ما حرموه على انفسهم انه بامر الله تعالى فى التوراة فاكذبهم الله تعالى بهذه الآية وقوله سبحانه الا ما حرم اسراءيل على نفسه اي فهو محرم عليهم فى التوراة لا هذه الزوائد التى افتروها وقال الفخر قوله تعالى من قبل ان تنزل التوراة المعنى ان قبل نزول التوراة كان حلالا لبنى اسراءيل كل انواع المطعومات سوى ما حرمه اسراءيل على نفسه فاما بعد نزول التوراة فلم يبق الامر كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بسبب بغيهم وذلك هو عين النسخ الذى هم له منكرون اه قال * ع * ولم يختلف فيما علمت ان سبب تحريم يعقوب ما حرمه على نفسه هو بمرض اصابه فجعل تحريم ذلك شكرا لله ان شفي وقيل هو وجع عِرْق النَّسا وفى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عصابة من بنى اسراءيل قالوا له يا محمد ما الذى حرم اسراءيل على نفسه فقال لهم انشدكم بالله هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم قال * ع * وظاهر الاحاديث والتفاسير فى هذا الامر ان يعقوب عليه السلام حرم لحوم الابل والبانها وهو يحبها تقربا بذلك

اذ ترك الترفه والتنعم من القرب وهذا هو الزهد فى الدنيا واليه نحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ومن ذلك قول ابى حازم الزاهد وقد مر بسوق الفاكهة فرأى محاسنها فقال موعدك الجنة ان شاء الله * وقوله عز وجل قل فاتوا بالتوراة الآية قال الزجاج وفى هذا تعجيز لهم واقامة للحجة عليهم * وقوله سبحانه فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اي من بعد ما تبين له الحق وقيام الحجة فهو الظالم * وقوله قل صدق الله اي الامر كما وصف سبحانه لا كما تكذبون فان كنتم تعتزون الى ابراهيم فاتبعوا ملته على ما ذكر الله * وقوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة الآية لا مرية ان ابراهيم عليه السلام وضع بيت مكة وانما الخلاف هل هو وضع بدأة او وضع تجديد وقال الفخر يحتمل اولا فى الوضع والبناء ويحتمل ان يريد اولا فى كونه مباركا وهذا تحصيل المفسرين فى الآية اه قال ابن العربي فى احكامه وكون البيت الحرام مباركا قيل بركته ثواب الاعمال هناك وقيل ثواب قاصديه وقيل امن الوحش فيه وقيل عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته قال ابن العربي والصحيح عندى انه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة وذلك بجميعه موجود فيه اه قال مالك فى سماع ابن القاسم من العتبية بكة موضع البيت ومكة غيره من المواضع قال ابن القاسم يريد القرية قلت قال ابن رشد فى البيان أُرى مالكا اخذ ذلك من قول الله عز وجل لانه قال تعالى فى بكة ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهو انما وضع بموضعه الذى وضع فيه لا فيما سواه من القرية وقال فى مكة وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وذلك انما كان فى القرية لا فى موضع البيت اه * وقوله سبحانه فيه اي فى البيت ءايات بينات قال * ع *

والمترجح عندي ان المقام وامن الداخل جعلا مثالا مما في حرم الله من الآيات وخصا بالذكر لعظمهما ومقام ابراهيم هو الحجر المعروف قاله الجمهور وقال قوم البيت كله مقام ابراهيم وقال قوم الحرم كله مقام ابراهيم والضمير في قوله ومن دخله عائد على البيت في قول الجمهور وعائد على الحرم في قول من قال مقام ابراهيم هو الحرم * وقوله كان ءامنا قال الحسن وغيره هذه وصف حال كانت في الجاهلية اذا دخل احد الحرم اَمِنَ فلا يعرض له فاما في الاسلام فان الحرم لا يمنع من حد من حدود الله وقال يحي بن جعدة معنى الآية ومن دخل البيت كان ءامنا من النار وحكى النقاش عن بعض العباد قال كنت اطوف حول الكعبة ليلا فقلت يا رب انك قلت ومن دخله كان ءامنا فمما ذا هو ءامن فسمعت مكلما يكلمني وهو يقول من النار فنظرت وتأملت فما كان في المكان احد قال ابن العربي في احكامه وقول بعضهم ومن دخله كان ءامنا من النار لا يصح حمله على عمومه ولكنه ثبت ان من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قال ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم اه * وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية هو فرض الحج في كتاب الله باجماع وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج البيت بكسر الحاء وقرأ الباقون بفتحها فبكسر الحاء يريدون عمل سنة واحدة وقال الطبري هما لغتان الكسر لغة نجد والفتح لغة اهل العالية * وقوله سبحانه من استطاع اليه سبيلا من في موضع خفض بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل وقال الكسائي وغيره هي شرط في موضع رفع بالابتداء والجواب محذوف تقديره فعليه الحج ويدل عليه عطف الشرط الآخر بعده في قوله ومن كفر واسند الطبري الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ملك زادا وراحلة فلم يحج

فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذهب جاعة من العلماء الى ان قوله سبحانه من استطاع اليه سبيلا كلام عام لا يتفسر بزاد ولا راحلة ولا غير ذلك بل اذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه فقد وجب عليه الحج واليه نحا مالك فى سماع اشهب وقال لا صفة فى هذا ابين مما قال الله تعالى وهذا انبل الاقوال وهذه من الامور التى يتصرف فيها فقه الحال والضمير فى اليه عائد على البيت ويحتمل على الحج * وقوله سبحانه ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال ابن عباس وغيره المعنى من زعم ان الحج ليس بفرض عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال رجل من هذيل يا رسول الله من تركه كفر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من تركه لا يخاف عقوبته ومن حجه لا يرجو ثوابه فهو ذلك وقال بمعنى هذا الحديث ابن عباس وغيره وقال السدي وجاعة من اهل العلم معنى الآية من كفر بان وجد ما يحج به ثم لم يحج قال السدي من كان بهذه الحال فهو كافر يعنى كفر معصية ولا شك ان من انعم الله عليه بمال وصحة ولم يحج فقد كفر النعمة وقال ابن عمر وجماعة معنى الآية ومن كفر بالله واليوم الآخر قال الفخر والاكثرون هم الذين حملوا الوعيد على من ترك اعتقاد وجوب الحج وقال الضحاك لما نزلت اية الحج فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اهل الملل وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحُجوا فآمن به المسلمون وكفر غيرهم فنزلت الآية قال الفخر وهذا هو الاقوى والله اعلم اه ومعنى قوله تعالى غني عن العالمين الوعيد لمن كفر والقصد بالكلام فان الله غني عنهم ولكن عمم اللفظ ليبرع المعنى وتنتبه الفكر لقدرته سبحانه وعظيم سلطانه واستغنائه عن جميع خلقه لا رب سواه * وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون هذه الآيات توبيخ لليهود

المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة وءايات الله يحتمل ان
يريد بها القوان ويحتمل العلامات الظاهرة على يدي النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله سبحانه والله شهيد على ما تعملون وعيد محض قال الطبري هاتان الآيتان
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بـآيات الله وما بعدهما الى قوله فاولائك لهم
عذاب عظيم نزلت بسبب رجل من اليهود حاول الاغراء بين الاوس والخزرج
قال ابن اسحاق حدثني الثقة عن زيد بن اسلم قال مَرّ شاس بن قيس اليهودي
وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين والحسد
لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج وهم
في مجلس يتحدثون فغاظه ما راه من جماعتهم وصلاح ذات بينهم بعد ما كان
بينهم من العداوة فقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا
اجتمع ملأهم بها من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال اعمد اليهم واجلس معهم
وذكرهم يوم بُعاث وما كان قبله من ايام حربهم وانشدهم ما قالوه من الشعر في
ذلك ففعل الفتى فتكلم القوم عند ذلك فتفاخروا وتنازعوا حتى تواثب
رجلان من الحيين على الرّكب اوس بن قيظي من الاوس وجبار بن صخر
من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة
فغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاحَ السلاحَ موعدكم الظاهرة يريدون الحَرّة
فخرجوا اليها وتحاوز الناس على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية وبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر
المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم ووعظهم فعرف القوم انها نزغة
من الشيطان فالقوا السلاح وبكوا وعانق الناس بعضهم بعضا من الاوس والخزرج
وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله في شاس بن

قيس وما صنع هذه الآيات وقال الحسن وغيره نزلت فى احبار اليهود الذين يصدون المسلمين عن الاسلام ويقولون ان محمدا ليس بالموصوف فى كتابنا قال * ع * ولا شك فى وقوع هذين الشيئين وما شاكلهما من افعال اليهود واقوالهم فنزلت الآيات فى جميع ذلك ومعنى تبغون اي تطلبون لها الاعوجاج والانفساد وانتم شهداء يريد جمع شاهد على ما فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه وباقى الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآية خطاب عام للمومنين والاشارة بذلك وقت نزوله الى الاوس والخزرج بسبب نائرة شاس بن قيس قال * ص * قوله تعالى يردوكم بعد ايمانكم كافرين رد بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين الاول الكاف والثانى الكافرين كقوله

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

اه ويعتصم معناه يتمسك وعصم الشيء اذا منع وحمي ومنه قوله يعصمنى من الماء وباقى الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن مسعود حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يُكفر وكذلك عبر الربيع بن خُثَيْم وقتادة والحسن قالت فرقة نزلت الآية على عموم لفظها من لزوم غاية التقوى حتى لا يقع الا خلال فى شيء من الاشياء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وبقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقالت جماعة لا نسخ هنا وانما المعنى اتقوا الله حق تقاته فى ما استطعتم وهذا هو الصحيح وخرج الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وهي اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا

لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه ايضا اه * وقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه دوموا على الاسلام حتى يوافيكم الموت وانتم عليه والحبل فى هذه الآية مستعار قال ابن مسعود حبل الله الجماعة وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بنى اسراءيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة وقرأ واعتصموا بحبل الله جميعا وقال قتادة وغيره حبل الله الذى امر بالاعتصام به هو القرءان ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد هو الاسلام وقيل غير هذا مما هو كله قريب بعضه من بعض * وقوله تعالى ولا تفرقوا يريد التفرق الذى لا يتأتى معه الائتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق فى العقائد واما الافتراق فى مسائل الفروع والفقه فليس بداخل فى هذه الآية بل ذلك هو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم خلاف امتى رحمة وقد اختلفت الصحابة فى الفروع اشد اختلاف وهم يد واحدة على كل كافر * وقوله سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الآية هذه الآية تدل على ان الخطاب انما هو للاوس والخزرج كما تقدم وكانت العداوة قد دامت بين الحيين مائة وعشرين سنة حتى رفعها الله بالاسلام فجاء النفر الستة من الانصار الى مكة حجاجا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عليهم وتلا عليهم شيئا من القرءان كما كان يصنع مع قبائل العرب فآمنوا به واراد الخروج معهم فقالوا يا رسول الله ان قدمت بلدنا على ما بيننا من العداوة والحرب خفنا الا يتم ما نريده بك ولكن نمضى نحن ونشيع امرك ونداخل الناس وموعدنا واياك العام القابل

فمضوا وفعلوا وجاءت الانصار فى العام القابل فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الاولين ثم جاءوا من العام الثالث فكانت بيعة العقبة الكبرى حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيبا ووصف القصة مستوعب فى السير ويسر الله تعالى الانصار للاسلام بوجهين احدهما ان بنى اسراءيل كانوا مجاورين لهم وكانوا يقولون لمن يتوعدونه من العرب يبعث لنا الآن نبي نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما رأى النفر من الانصار النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذى تذكره بنو اسراءيل فلا تُسبَقن اليه والوجه الآخر الحرب التى كانت ضرّستهم وافنت سراتهم فرجوا ان يجمع الله به كلمتهم فكان الامر كما رجوا فعدد الله سبحانه عليهم نعمته فى تاليفهم بعد العداوة وذكرهم بها قال الفخر كانت الانصار قبل الاسلام اعداء فلما اكرمهم الله سبحانه بالاسلام صاروا اخوانا فى الله متراحمين واعلم ان كل من كان وجهه الى الدنيا كان معاديا لاكثر الخلق ومن كان وجهه الى خدمة المولى سبحانه لم يكن معاديا لاحد لانه يرى الكل اسيرا فى قبضة القضاء والقدر ولهذا قيل ان العارف اذا امر امر برفق ونصح لا بعنف وعسر وكيف وهو مستبصر بالله فى القدر اه * وقوله تعالى فاصبحتم عبارة عن الاستمرار قال * ص * اصبح يستعمل لاتصاف الموصوف بصفته وقت الصباح وبمعنى صار فلا يلحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والصيرورة من حال الى حال واصبح هنا بمعنى صار وما ذكره ابن عطية من ان اصبح للاستمرار لم يذهب اليه احد من النحويين اه قلت وفيما ادعاه نظر وهي شهادة على نفي وكلام * ع * واضح من جهة المعنى والشفا حرف كل جرم له مهوى كالحفرة والبير والجرف والسقف والجدار ونحوه ويضاف فى الاستعمال الى الاعلى كقوله شفا جرف والى الاسفل كقوله شفا حفرة فشبه الله كفرهم

الذى كانوا عليه بالشفا لانهم كانوا يسقطون فى جهنم دأبا فانقذهم الله منها بالاسلام * وقوله تعالى فانقذكم منها اي من النار ويحتمل من الحفرة والاول احسن قال العراقي انقذكم اي خلصكم اه * وقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امر الله سبحانه الامة بان يكون منها علماء يفعلون هذه الافعال على وجوهها ويحفظون قوانينها ويكون سائر الامة متبعين لاولائك اذ هذه الافعال لا تكون الا بعلم واسع وقد علم الله سبحانه ان الكل لا يكونون علماء فمن هنا للتبعيض وهو تاويل الطبري وغيره وذهب الزجاج وغير واحد الى ان المعنى ولتكونوا كلكم امة يدعون ومن لبيان الجنس ومعنى الآية على هذا امر الامة بان يدعوا جميع العالم الى الخير فيدعون الكفار الى الاسلام والعصاة الى الطاعة ويكون كل واحد فى هذه الامور على منزلته من العلم والقدرة وروى الليث بن سعد قال حدثنى محمد بن عجلان ان وافدا النضري اخبره عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليوتين برجال يوم القيامة ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين يحببون الله الى الناس ويحببون الناس الى الله ويمشون فى الارض نصحا قلنا يا رسول الله هذا يحببون الله الى الناس فكيف يحببون الناس الى الله قال يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله تعالى اه من التذكرة للقرطبي قال * ع * قال اهل العلم وفرض الله سبحانه بهذه الآية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فروض الكفاية اذا قام به قائم سقط عن الغير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان والناس فى الامر بالمعروف وتغيير المنكر على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه الولاة وحملهم على

جادة العلم وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم هي اليد وفرض سائر الناس رفعه الى الولاة والحكام بعد النهي عنه قولا وهذا فى المنكر الذى له دوام واما ان رأى احد نازلة بديهية من المنكر كالسلب والزنا ونحوه فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة ويحسن لكل مومن ان يعتمل فى تغيير المنكر وان ناله بعض الاذى ويؤيد هذا المنزع ان فى قراءة عثمان وابن مسعود وابن الزبير يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم فهذا وان لم يثبت فى المصحف ففيه اشارة الى التعرض لما يصيب عقيب الامر والنهي كما هو فى قوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك * وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا الآية قال ابن عباس هي اشارة الى كل من افترق من الامم فى الدين فاهلكهم الافتراق وقال الحسن هي اشارة الى اليهود والنصارى قلت وروى ابو داود فى سننه عن معاوية بن ابى سفيان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهي الجماعة وروى ابو هريرة نحوه ولم يذكر النار اه * وقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية بياض الوجوه عبارة عن اشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله قاله الزجاج وغيره * وقوله تعالى اكفرتم تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم وفى هذا المحذوف جواب اما وهذا هو فحوى الخطاب وهو ان يكون فى الكلام شيء مقدر لا يستغنى المعنى عنه كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة المعنى فافطر فعدة * وقوله تعالى بعد ايمانكم يقتضى ان لهؤلاء المذكورين ايمانا متقدما واختلف اهل التاويل فى تعيينهم فقال ابي بن كعب هم جميع الكفار وايمانهم هو اقرارهم يوم قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وقال اكثر

المتأولين المراد اهل القبلة من هذه الامة ثم اختلفوا فقال الحسن الآية فى المنافقين وقال قتادة هي فى اهل الردة وقال ابو امامة هي فى الخوارج * وقوله تعالى تلك ءايات الله نتلوها عليك بالحق الاشارة بتلك الى هذه الآيات المتضمنة تعذيب الكفار وتنعيم المومنين ولما كان فى هذا ذكر التعذيب اخبر سبحانه انه لا يريد ان يقع منه ظلم لاحد من العباد واذا لم يرد ذلك فلا يوجد البتة لانه لا يقع من شيء الا ما يريده سبحانه وقوله بالحق معناه بالاخبار الحق ويحتمل ان يكون المعنى نتلوها عليك مضمنة الافعال التى هي حق فى نفسها من كرامة قوم وتعذيب ءاخرين ولما كان للذهن ان يقف هنا فى الوجه الذى به خص الله قوما بعمل يرحمهم من اجله وءاخرين بعمل يعذبهم عليه ذكر سبحانه الحجة القاطعة فى ملكه جميع المخلوقات وان الحق ان لا يعترض عليه وذلك فى قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض الآية * وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية اختلف فى تاويل هذه الآية فقيل نزلت فى الصحابة وقال الحسن بن ابى الحسن وجماعة من اهل العلم الآية خطاب لجميع الامة بانهم خير امة اخرجت للناس ويؤيد هذا التاويل كونهم شهداء على الناس واما قوله كنتم على صيغة المضي فانها التى بمعنى الدوام كما قال تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال قوم المعنى كنتم فى علم الله وهذه الخيرية التى خص الله بها هذه الامة انما ياخذ بحظه منها من عمل بهذه الشروط من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله مما جاء فى فضل هذه الامة ما خرجه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة وفى رواية سابقون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفى رواية نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى رواية المقضى

بينهم اه وخرج ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن ءاخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الآخرون الاولون وفى رواية عن ابن عباس فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من ءاثار الطهور فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وخرجه ايضا ابو داود الطيالسي فى مسنده بمعناه اه من التذكرة وروى ابو داود فى سننه قال حدثنا عثمان بن ابى شيبة عن ابيه عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اه وقد ذكرنا هذا الحديث ايضا عن غير ابى داود وهذا الحديث ليس هو على عمومه فى جميع الامة لثبوت نفوذ الوعيد فى طائفة من العصاة اه وقوله تامرون بالمعروف وما بعده احوال فى موضع نصب وفى الحديث خير الناس اتقاهم لله وءامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واوصلهم للرحم رواه البغوي فى منتخبه اه من الكوكب الدري * وقوله سبحانه منهم المومنون تنبيه على حال عبد الله بن سلام واخيه وثعلبة بن سَعْية وغيرهم ممن ءامن * وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى اي الا اذى بالالسنة فقط واخبر سبحانه فى قوله وان يقاتلوكم يولوكم الادبار بخبر غيب صححه الوجود فهي من ءايات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفائدة الخبر هي فى قوله ثم لا ينصرون اي لا تكون حرب اليهود معكم سجالا وخص الادبار بالذكر دون الظهر تخسيسا للفار وهكذا هو حيث تصرف * وقوله تعالى ضربت معناه اثبتت بشدة والزام وهذا وصف حال تقررت على اليهود فى اقطار الارض قبل مجيء الاسلام وثقفوا معناه اخذوا بحال المذنب المستحق الاهلاك وقوله الا بحبل من الله فى الكلام محذوف يدركه فهم السامع تقديره فلا نجاة لهم من القتل او الاستيصال الا بحبل وهو العهد * وقوله

ذلك اشارة الى الغضب وضرب الذلة والمسكنة وباقى الآية تقدم تفسير نظيره

* وقوله تعالى ليسوا سواء الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما اسلم عبد الله ابن سلام وثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد ومن اسلم من اليهود معهم قال الكفار من احبار اليهود ما ءامن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا خيارا ما تركوا دين ءابائهم فانزل الله سبحانه فى ذلك ليسوا سواء الآية وقال مثله قتادة وابن جريج وهو اصح التاويلات فى الآية واختلف فى قوله قائمة فقال ابن عباس وغيره معناه قائمة على كتاب الله وحدوده مهتدية وقال السدي القائمة القانتة المطيعة وهذا كله يرجع الى معنى واحد ويحتمل ان يراد بقائمة وصف حال التالين فى ءاناء الليل ومن كانت حاله هذه فلا محالة انه معتدل على امر الله وءايات الله فى هذه الآية هي كتبه والآناء الساعات واحدها انْي بكسر الهمزة وسكون النون وحكم هذه الآية لا يتفق فى شخص شخص بان يكون كل واحد يصلى جميع ساعات الليل وانما يقوم هذا الحكم من جماعة الامة اذ بعض الناس يقوم اول الليل وبعضهم ءاخره وبعضهم بعد هجعة ثم يعود الى نومه فياتى من مجموع ذلك فى المدن والجماعات عمارة ءاناء الليل بالقيام وهكذا كان صدر هذه الامة وعُرْف الناس القيام فى اول الثلث الآخر من الليل او قبله بشيء وحينئذ كان يقوم الاكثر والقيام طول الليل قليل وقد كان فى الصالحين من يلتزمه وقد ذكر الله سبحانه القصد من ذلك فى سورة المزمل وقيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجه الله داخل فى هذه الآية وهو افضل من التنفل لمن يرجى انتفاع المسلمين بعلمه قلت وقد تقدم فى اول السورة ما جاء من التاويل فى حديث النزول فلنذكر الآن الحديث بكماله لما فيه من الفوائد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له رواه الجماعة اعني الكتب الستة البخاري ومسلما وابا داود والترمذي والنساءي وابن ماجه وفي بعض الطرق حتى يطلع الفجر زاد ابن ماجه فلذلك كانوا يستحبون الصلاة آخر الليل على اوله وعن عمرو بن عنبسة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن رواه ابو داود والترمذي والنساءي والحاكم في المستدرك واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم اه من السلاح وعن ابي امامة قلت يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات رواه الترمذي والنساءي وقال الترمذي هذا حديث حسن وفي رواية جوف الليل الآخر ارجى او نحو هذا اه من السلاح ومما يدخل في ضمن قوله سبحانه ويسارعون في الخيرات ان يكون المرء مغتنما للخمس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرك فيكون متى اراد ان يصنع خيرا بادر اليه ولم يسوف نفسه بالامل فهذه ايضا مسارعة في الخيرات وذكر بعض الناس قال دخلت مع بعض الصالحين في مركب فقلت له ما تقول اصلحك الله في الصوم في السفر فقال لي انها المبادرة يا ابن الاخ قال المحدث فجاءني والله بجواب ليس من اجوبة الفقهاء قال * ص * قوله من الصالحين من للتبعيض ابن عطية ويحسن ايضا ان تكون لبيان الجنس وتعقب بانه لم يتقدم شيء فيه ابهام فيبين جنسه اه * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي فلن يغطى دونكم فلا تثابون عليه وفي قوله سبحانه والله

عليم بالمتقين وعد ووعيد * وقوله تعالى مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح الآية وقع فى الآية التشبيه بين شيئين وشيئين وترك من كل منهما ما دل عليه الكلام وهذه غاية الايجاز والبلاغة وجمهور المفسرين على ان ينفقون يراد به الاموال التى كانوا ينفقونها فى التحنث اي يبطلها كفرهم كما تبطل الريح الزرع والصر البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه والحرث شامل للزرع والثمار * وقوله سبحانه حرث قوم ظلموا انفسهم الآية من اهل العلم من يرى ان كل مصائب الدنيا فانما هي بمعاصى العبيد وينتزع ذلك من غير ما اية فى القرءان فيستقيم على قوله ان كل حرث تحرقه ريح فانما هو لمن قد ظلم نفسه والضمير فى قوله وما ظلمهم الله للكفار الذين تقدم ضميرهم فى ينفقون وليس هو للقوم ذوى الحرث * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة اي لا تتخذوا من الكفار واليهود والمنافقين اخلاء تانسون بهم فى الباطن وتفاوضونهم فى الآراء * وقوله سبحانه من دونكم يعنى من دون المومنين * وقوله سبحانه لا يالونكم خبالا معناه لا يقصرون لكم فيما فيه فساد عليكم تقول ما ألوت فى كذا اي ما قصرت بل اجتهدت والخبال الفساد قال ابن عباس كان رجال من المومنين يواصلون رجالا من اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم فى الجاهلية فنزلت الاية فى ذلك وقال ابن عباس ايضا وقتادة والربيع والسدي نزلت فى المنافقين قال * ع * ويدخل فى هذه الآية استكتاب اهل الذمة وتصريفهم فى البيع والشراء ونحو ذلك وما فى قوله ما عنتم مصدرية فالمعنى ودوا عنتكم والعنت المشقة والمكروه يلقاه المرء وعقبة عنوت اي شاقة قال * ص * قال الزجاج عنتكم اي مشقتكم وقال ابن جرير ضلالكم وقال الزبيدي العنت الهلاك اه * وقوله تعالى قد بدت البغضاء من

افواههم اي فهم فوق المستتر الذى تبدو البغضاء فى عينيه وخص سبحانه الافواه بالذكر دون الالسنة اشارة الى تشدقهم وثرثرتهم فى اقوالهم هذه ثم قال سبحانه للمومنين قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون تحذيرا وتنبيها وقد علم سبحانه انهم عقلاء ولكن هذا هز للنفوس كما تقول ان كنت رجلا فافعل كذا وكذا * وقوله هانتم اولاء تحبونهم الضمير فى تحبونهم للذين تقدم ذكرهم فى قوله بطانة من دونكم قال * ص * وتومنون بالكتاب كله قال ابو البقاء الكتاب هنا جنس اي بالكتب كلها اه * وقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه ومنه قول ابى طالب * يعضون غيظا خلفنا بالانامل * وقوله سبحانه قل موتوا بغيظكم قال فيه الطبري وكثير من المفسرين هو دعاء عليهم وقال قوم بل امر النبي صلى الله عليه وسلم وامته ان يواجهوهم بهذا فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع * وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور وعيد وذات الصدور ما تنطوى عليه * وقوله سبحانه ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية الحسنة والسيئة فى هذه الآية لفظ عام فى كل ما يحسن ويسوء قلت ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وروينا فى كتاب الترمذي عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتلك اه والكيد الاحتيال بالاباطيل وقوله تعالى واكيد كيدا من باب تسمية العقوبة باسم الذنب * وقوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال هذا ابتداء عتب المومنين فى امر احُد وفيه نزلت هذه الآيات كلها وكان من امر غزوة احُد ان المشركين اجتمعوا فى ثلاثة الاف رجل وقصدوا المدينة لياخذوا بثارهم فى يوم بدر فنزلوا عند احُد يوم الاربعاء الثانى عشر من شوال سنة ثلاث

من الهجرة على رأس احد وثلاثين شهرا من الهجرة واقاموا هنالك يوم الخميس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدبر وينتظر امر الله سبحانه فلما كان فى صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستشارهم واخبرهم انه كان يرى بقرا تذبح وثلما فى ذباب سيفه وانه يدخل يده فى درع حصينة وانه تأولها المدينة وقال لهم ارى ان لا نخرج الى هؤلاء الكفار فقال له عبد الله ابن ابي بن سلول اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس فان هم اقاموا اقاموا بشر محبس وان انصرفوا مضوا خائبين وان جاءونا الى المدينة قاتلناهم فى الافنية ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الآطام فوالله ما حاربنا قط عدو فى هذه المدينة الا غلبناه ولا خرجنا منها الى عدو الا غلبنا فوافق هذا الرأي رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأي جماعة عظيمة من المهاجرين والانصار وقال قوم من صلحاء المومنين ممن فاتته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا وشجعوا الناس ودعوا الى الحرب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس صلاة الجمعة وقد حشمه هؤلاء الداعون الى الحرب فدخل اثر صلاته بيته ولبس سلاحه فندم اولائك القوم وقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نريد ان نكرهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لنبي لبس سلاحه ان يضعها حتى يقاتل ثم خرج بالناس وسار حتى قرب من عسكر المشركين فعسكر هنالك وبات تلك الليلة وقد غضب عبد الله بن ابي بن سلول وقال اطاعهم وعصانى فلما كان فى صبيحة يوم السبت اعتزم النبي صلى الله عليه وسلم على المسير الى مناجزة المشركين فنهض وهو فى الف رجل فانخزل عنه عند ذلك عبد الله بن ابي بن سلول بثلاثمائة رجل من منافق ومتبع وقالوا نظن انكم لا تلقون

قتـالا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبـع مائة فـهمت عند ذلـك بنو حارثة من الاوس و بنو سَلِمة من الخزرج بالانصراف و رأوا كثافة المشركين وقلة المسلمين وكادوا ان يجبنوا و يفشلـوا فعصمهم الله تعالى وذم بعضهم بعضا ونهضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اطـل على المشركيـن فـتصاف الناس وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد امـر على الرماة عبد الله بن جبيـر وكانـوا خمسين رجلا وجعلهم يحمون الجبل وراء المسلمين واسنـد هو الى الجـبـل فلما اضطرمت نار الحرب انكشف المشركون وانهزمـوا وجعل نساء المشركين يشددن فى الجبل و يرفعن عن سوقـهن قد بدت خلاخيلهن فجعل الرماة يقولـون الغنيمة الغنيمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لهم لا تبرحوا من هنا ولو رأيتمونا تخطفنا الطير فـقال لهم عبد الله بن جبيروقوم منهم اتـقوا الله واثبتوا كما امركم نبيكم فعصوا وخالفـوا وانصرفـوا يريدون النهب وخلوا ظهـو ر المسلمين للخيل وجـاء خالد فى جريدة خيل من خلـفَ المسلـيـن حيث كان الرمـاة فحمل على النـاس ووقع التخاذل وصيح فى المسلـيـن من مقدمـتهم ومن ساقـتهم وصرخ صارخ قـتـل محمد فتخاذل الناس واستشهد من المسلـيـن سبعـون وتحيـز رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اعلى الجبل وتحاوز الناس هذا مختصر من القصة يتركب عليه تـفسيـر الآيات وامـر احد مستوعب فى السيـر وليس هذا التعليق مما يقـتضى ذكره وتبوئ معناه تعين لهم مقاعد يتمكنون فيها ويثبتون وقوله سبحانه مقاعد جمع مقعد وهو مكان القعـود وهذا بمنزلـة قولك مواقـف ولكن لفظـة القعـود ادل على الثبوت ولا سيما ان الرماة انما كانـوا قعودا وكذلك كانت صفـوف المسلمين اولا والمبـارِزة والسرعان يجـولـون * وقوله تعالى والله سميع اي ما تـقول وما يقال لك وقت المشاورة وغيره وهمت معناه ارادت ولم تـفعل والفشل فى هذا الموضع

هو الجبن الذى كاد يلحق الطائفتين ففى البخاري وغيره عن جابر قال نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان فى بنى سلمة وبنى حارثة وما احب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما * وقوله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة لما امر الله سبحانه بالتوكل عليه ذكّر بامر بدر الذى كان ثمرته التوكل على الله سبحانه والثقة به * وقوله سبحانه وانتم اذلة معناه قليلون واسم الذل فى هذا الموضع مستعار اذ نسبتهم الى عدوهم والى جميع الكفار فى اقطار الارض تقتضى عند المتأمل ذلتهم وانهم مغلوبون روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسُهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل الا قد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا رواه ابو داود والحاكم فى المستدرك على الصحيحين واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين اه من السلاح * وقوله سبحانه اذ تقول العامل فى اذ فعل مضمر ويحتمل ان يكون العامل نصركم وعلى هذا قول الجمهور انّ هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان ببدر قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى يوم من الايام الا يوم بدر وكانوا يكونون فى سائر الايام عددا ومددا لا يضربون قال الشعبي وهم يحضرون حروب المسلمين الى يوم القيامة وقال قتادة امد الله المومنين يوم بدر بخمسة ءالاف قال عكرمة كان الوعد يوم بدر فلم يصبروا يوم أُحُد ولا اتقوا فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا وقال الضحاك وابن زيد انما كان هذا الوعد والمقالة للمومنين يوم احد ففر الناس وولوا مدبرين فلم يمدهم الله وانما مدوا يوم بدر بالف من الملائكة مردفين والفور النهوض المسرع الى الشيء ماخوذ من فور القدر والماء ونحوه ومنه الفور فى الحج والوضوء ومسومين معناه معلمين بعلامات

وروي ان الملائكة اعلمت يوم بدر بعمائم بيض الا جبريل فانه كان بعمامة صفراء على مثال عمامة الزبير بن العوام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين يوم بدر سوموا فان الملائكة قد سومت * وقوله سبحانه وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم الضمير في جعله الله عائد على الانزال والامداد ومعنى الآية وما كان هذا الامداد الا لتستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وترون حفاية الله بكم والا فالكثرة لا تغنى شيئا الا ان ينصر الله واللام في قوله ليقطع متعلقة بقوله وما النصر ويحتمل ان تكون متعلقة بجعله فيكون قطع الطرف اشارة الى من قتل ببدر على قول ابن اسحاق وغيره او الى من قتل باحد على ما قال السدي وقتل من المشركين ببدر سبعون وقتل منهم يوم احد اثنان وعشرون رجلا والطرف الفريق * وقوله سبحانه او يكبتهم معناه يخزيهم والكبت الصرع لليدين وقال * ص * الكبت الهزيمة وقيل الصرع لليدين اه * وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية روي في سبب هذه الآية انه لما هزم اصحابه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكسرت رباعيته جعل يمسح وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وفي بعض طرق الحديث كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فنزلت الآية فقيل له ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله فامض انت لشأنك ودم على الدعاء الى ربك قلت وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ممتثلا امر ربه قال عياض روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رَباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابى وامى انت يا رسول الله لقد

دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية ولو دعوت علينا لهلكنا من عند ءاخرنا فلقد وُطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اه قال الطبري وغيره من المفسرين او يتوب عطف على يكبتهم والمعنى او يتوب عليهم فيسلمون او يعذبهم ان تمادوا على كفرهم فانهم ظالمون ثم اكد سبحانه معنى قوله ليس لك من الامر شيء بذكر الحجة الساطعة فى ذلك وهي ملكه الاشياء فقال سبحانه ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم اي فله سبحانه ان يفعل بحق ملكه ما يشاء لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه وذكر سبحانه ان الغفران او التعذيب انما هو بمشيئته وبحسب السابق فى علمه ثم رجّى سبحانه فى ءاخر ذلك تأنيسا للنفوس * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة الآية قال * ع * هذا النهي عن اكل الربا اعترض اثناء قصة احد ولا احفظ سببا فى ذلك مرويا ومعناه الربا الذى كانت العرب تضعف فيه الدين وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة * وقوله تعالى اعدت للكافرين اي انهم المقصود والمراد الاول وقد يدخلها سواهم من العصاة هذا مذهب اهل العلم فى هذه الآية وحكى الماوردي وغيره عن قوم انهم ذهبوا الى ان اكلة الربا انما توعدهم الله بنار الكفرة لا بنار العصاة * وقوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون قال محمد بن اسحاق هذه الآية من قوله تعالى واطيعوا الله هي ابتداء المعاتبة فى امر احُد وانهزام من فر وزوال الرماة عن مراكزهم * وقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض قرأ نافع وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي فى مصاحف اهل المدينة والشام وقرأ باقي السبعة بالواو والمسارعة المبادرة وهي مفاعلة اذ الناس كأن

كل واحد يسرع ليصل قبل غيره فبيّنهم فى ذلك مفاعلة الا ترى الى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات والمعنى سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب الى ربكم الى حال يغفر الله لكم فيها قالت وحق على من فهم كلام ربه ان يبادر ويسارع الى ما ندبه اليه ربه وان لا يتهاون بترك الفضائل الواردة فى الشرع قال النووي رحمه الله اعلم انه ينبغي لمن بلغه شيء فى فضائل الاعمال ان يعمل به ولو مرة ليكون من اهله ولا ينبغي ان يتركه جملة بل ياتى بما تيسر منه لقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته واذا امرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم اه من الحلية * وقوله سبحانه وجنة عرضها السموات والارض اي كعرض السموات والارض قال ابن عباس فى تفسير الآية تقرن السموات والارضون بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولا يعلم طولها الا الله سبحانه وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من ابواب الجنة مسيرة اربعين سنة وسياتى عليها يوم يزدحم الناس فيها كما تزدحم الابل اذا وردت خُمُصا ظِماء وفى الصحيح ان فى الجنة شجرة يسير الراكب المجِد فى ظلها مائة عام لا يقطعها فهذا كله يقوى قول ابن عباس وهو قول الجمهور ان الجنة اكبر من هذه المخلوقات المذكورة وهي ممتدة على السماء حيث شاء الله تعالى وذلك لا ينكر فان فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسي الا كدراهم القيت فى فلاة من الارض وما الكرسي فى العرش الا كحلقة من حديد القيت فى فلاة من الارض قال * ع * فهذه مخلوقات اعظم بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله قلت قال الفخر فى الآية وجه ثان ان الجنة التى عرضها مثل عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان يرغب فيما يكون ملكا له فلا بد

ان تصير الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا اه وقدرة الله تعالى اوسع وفضله اعظم وفى صحيح مسلم والترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فى سؤال موسى ربه عن ادنى اهل الجنة منزلة وانه رجل ياتى بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له اترضى ان يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت اي رب فيقال له لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت اي رب فيقال له لك ذلك وعشرة امثاله فيقول رضيت اي رب فيقال له فان لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفى البخاري من طريق ابن مسعود رضي الله عنه ان ءاخر اهل الجنة دخولا الجنة وءاخر اهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر مرات اه وفى جامع الترمذي عن ابن عمر رضيَ الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية الحديث قال ابو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا وفى الصحيح ما معناه اذا دخل اهل الجنة الجنة تبقى فيها فضلة فينشئ الله لها خلقا اوكما قال اه قال * ع * وخص العرض بالذكر لانه يدل متى ما ذكر على الطول والطول اذا ذكر لا يدل على قدر العرض بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه ثم وصف تعالى المتقين الذين اعدت لهم الجنة بقوله الذين ينفقون فى السراء والضراء وهما اليسر والعسر قاله ابن عباس اذ الاغلب ان مع اليسر النشاط وسرور النفس ومع العسر الكراهية وضر النفس وكظم الغيظ رده فى الجوف اذا كاد ان

يخرج من كثرته ومنعه كظم له والكظام السير الذى يشد به فم الـزق والغيظ اصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس تحرير الامر كذلك بل الغيظ حال للنفس لا تظهر على الجوارح والغضب حال لها تظهر فى الجوارح وفعل ما ولا بد ولهذا جاز اسناد الغضب الى الله سبحانه اذ هو عبارة عن افعاله فى المغضوب عليهم ولا يسند اليه تعالى الغيظ ووردت فى كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العبادات وجهاد النفس ففى حديث ابى هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا الى غير ذلك من الاحاديث قلت وروى ابو داود والترمذي عن معاذ بن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى اي الحور شاء قال ابو عيسى هذا حديث حسن اه وفى رواية اخرى لابى داود ملأه الله امنا وايمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشر احسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة وحدث الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره اه من صفوة التصوف والعفو عن الناس من اجل ضروب فعل الخير ثم قال سبحانه والله يحب المحسنين فعم انواع البر وظاهر الآية انها مدح بفعل المندوب * وقوله سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الآية ذكر سبحانه فى هذه الآية صنفا هو دون الصنف الاول فالحقهم بهم برحمته ومنه وهم التوابون وروي فى سبب نزول هاتين الآيتين ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله

منا حين كان المذنب منهم يصبح وعقوبته مكتوبة على باب داره فانزل الله هذه الآية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك الفعل ببني اسرايل وروي ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والفاحشة لفظ يعم جميع المعاصي وقد كثر استعماله فى الزنا حتى فسر السدي الفاحشة هنا بالزنا وقال قوم الفاحشة هنا اشارة الى الكبائر وظلم النفس اشارة الى الصغائر واستغفروا معناه طلبوا الغفران قال النووي وروينا فى سنن ابن ماجه باسناد جيد عن عبد الله بن بسْر بضم الباء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمِن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا اه من الحلية وذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحياء منه اذ هو المنعم المتطول ثم اعترض اثناء الكلام قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراضا موقّفا للنفس داعيا الى الله مرجّيا فى عفوه اذا رجع اليه وجاء اسم الله مرفوعا بعد الاستثناء والكلام موجب حملا على المعنى اذ هو بمعنى وما يغفر الذنوب الا الله وعن علي بن ابى طالب رضي الله عنه قال حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى ءاخر الآية رواه ابو داود والترمذي والنساي وابن ماجه وابن حِبّان فى صحيحه وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن اه من السلاح * وقوله سبحانه ولم يصروا الاصرار هو المقام على الذنب واعتقاد العودة اليه وقوله وهم يعلمون قال السدي معناه وهم يعلمون انهم قد اذنبوا وقال ابن اسحاق معناه وهم يعلمون بما حرمتُ عليهم وقيل وهم يعلمون ان باب التوبة مفتوح وقيل وهم يعلمون انى اعاقب على الاصرار ثم شرك سبحانه الطائفتين المذكورتين فى قوله اولائك جزاؤهم مغفرة مِن ربهم الآية قال * ص * قوله ونعم المخصوص

بالمدح محذوف اي المغفرة والجنة * وقوله سبحانه قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض الآية الخطاب للمومنين والمعنى لا يذهب بكم ان ظهر الكفار المكذبون عليكم باحُد فان العاقبة للمتقين وقديما ما ادال الله المكذبين على المومنين ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك فكذلك تكون عاقبة هؤلاء وقال النقاش الخطاب بقد خلت للكفار قال * ع * وذلك قلق وخلت معناه مضت والسنن الطرائق وقال ابن زيد سنن معناه امثال وهذا تفسير لا يخص اللفظة وقوله فانظروا هو عند الجمهور من نظر العين وقال قوم هو بالفكر * وقوله تعالى هذا بيان للناس يريد به القرءان قاله الحسن وغيره وقال جماعة الاشارة بهذا الى قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن وقال الفخر يعنى بقوله هذا بيان ما تقدم من امره سبحانه ونهيه ووعده ووعيده وذكره لانواع البينات والآيات اه ثم نهى سبحانه المومنين عن الوهن وهو الضعف وانسهم بانهم الاعلون اصحاب العاقبة ومن كرم الخُلق ان لا يهن الانسان فى حربه اذا كان محقا وانما يحسن اللين فى السلم والرضى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المومن هين لين وقوله سبحانه وانتم الاعلون اخبار بعلو كلمة الاسلام هذا قول الجمهور وهو ظاهر اللفظ قال * ص * وانتم الاعلون فى موضع نصب على الحال * وقوله سبحانه ان كنتم مومنين المقصد هز النفوس واقامتها ويترتب من ذلك الطعن على من نجم فى ذلك اليوم نفاقه او اضطرب يقينه اي لا يتحصل الوعد الا بالايمان فالزموه ثم قال تعالى تسلية للمومنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والاسوة مسلاة للبشر ومنه قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن * اعزى النفس عنه بالتأسى

والقرح القتل والجراح قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اخبر سبحانه على جهة التسلية ان الايام على قديم الدهر وغابره ايضا انما جعلها دولا بين البشر اي فلا تنكروا ان يدال عليكم الكفار * وقوله تعالى وليعلم الله الذين ءامنوا تقديره وليعلم الله الذين ءامنوا فعل ذلك والمعنى ليظهر فى الوجود ايمان الذين قد علم الله ازلا انهم يومنون والا فقد علمهم فى الازل ويتخذ منكم شهداء معناه اهل فوز فى سبيله حسبما ورد فى فضائل الشهداء وذهب كثير من العلماء الى التعبير عن ادالة المومنين بالنصر وعن ادالة الكفار بالادالة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك حديث انهم يدالون كما تنصرون والتمحيص التنقية قال الخليل التمحيص التخليص من العيب فتمحيص المومنين هو تنقيتهم من الذنوب والمحق الاذهاب شيئا فشيئا ومنه محاق القمر وقوله سبحانه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الآية حسبتم معناه ظننتم وهذه الآية وما بعدها عتب وتقريع لطوائف من المومنين الذين وقعت منهم الهنوات المشهورة فى يوم احُد ثم خاطب الله سبحانه المومنين بقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه والسبب فى ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة بدر يريد عير قريش مبادرا فلم يوعب الناس معه اذ كان الظن انه لا يلقى حربا فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز حاضروها بالمنزلة الرفيعة كان المتخلفون من المومنين عنها يتمنون حضور قتال الكفار ليكون منهم فى ذلك غناء يُلحقهم عند ربهم ونبيهم بمنزلة اهل بدر فلما جاء امر احُد لم يصدق كل المومنين فعاتبهم الله بهذه الآية والزمهم تمنى الموت من حيث تمنوا اسبابه وهو لقاء العدو ومضاربتهم والا فنفس قتل المشرك للمسلم لا يجوز ان يتمنى من حيث هو

قتل وانما تتمنى لواحقه من الشهادة والتنعيم قلت وفي كلام * ع * بعض اجمال وقد ترجم البخاري تمنى الشهادة ثم اسند عن ابى هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفسي بيده لولا ان رجالا من المومنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عني ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت عن سَرِيّة تغزو في سبيل الله والذى نفسي بيده لوددت انى اقتل في سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل وخرجه ايضا مسلم وخرج البخاري ومسلم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يموت له عند الله عزوجل خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان الدنيا له وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة اه فقد تبين لك تمنى القتل في سبيل الله بهذه النصوص لما فيه من الكرامة وصواب كلام * ع * ان يقول وانما يتمنى القتل للواحقه من الشهادة والتنعيم * وقوله سبحانه فقد رأيتموه يريد رأيتم اسبابه وقوله وانتم تنظرون تاكيد للرؤية واخراجها من الاشتراك الذى بين رؤية القلب ورؤية العين * وقوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية هذا استمرار في عتبهم واقامة الحجة عليهم المعنى ان محمدا عليه السلام رسول كسائر الرسل قد بلّغ كما بلغوا ولزمكم ايها المومنون العمل بمضمن الرسالة وليست حياته وبقاؤه بين اظهركم شرطا في ذلك لانه يموت كما ماتت الرسل قبله ثم توعد سبحانه المنقلب على عقبيه بقوله فلن يضر الله شيئا لان المعنى فانما يضر نفسه واياها يوبق ثم وعد الشاكرين وهم الذين صدقوا وصبروا ومضوا في دينهم ووفوا لله بعهدهم كسعد بن الربيع ووصيته يومئذ للانصار وانس بن النضر وغيرهما ثم يدخل في الآية الشاكرون الى يوم

القيامة وقال علي رضي الله عنه فى تفسير هذه الآية الشاكرون الثابتون على دينهم ابو بكر واصحابه وكان يقول ابو بكر امير الشاكرين اشارة منه الى صدع ابى بكر بهذه الآية يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم وثبوته فى ذلك الموطن وثبوته فى امر الردة وسائر المواطن التى ظهر فيها شكره وشكر الناس بسببه ثم اخبر عز وجل عن النفوس انها انما تموت باجل مكتوب محتوم عند الله تعالى اي فالجبن والخور لا يزيد فى الاجل والشجاعة والاقدام لا ينقص منه وفى هذه الآية تقوية للنفوس فى الجهاد وفيها رد على المعتزلة فى قولهم بالاجلين * وقوله سبحانه ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها الآية اي نوت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقرينة الكلام تقتضي انه لا يوتى شيئا من الآخرة لان من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له فى الآخرة والاعمال بالنيات وقرينة الكلام من قوله ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها لا تمنع ان يوتى نصيبا من الدنيا قال ابن فورك فى قوله تعالى وسنجزى الشاكرين اشارة الى انه ينعمهم بنعم الدنيا لا انهم يقصرون على الآخرة ثم ضرب سبحانه المثل للمومنين بمن سلف من صالح الامم الذين لم يَثنهم عن دينهم قتل الكفار لانبيائهم فقال وكاين من نبيء قتل معه ربيون كثير الآية وفى كاين لغات فهذه اللغة اصلها لانها كاف التشبيه دخلت على اىّ وكاين فى هذه الآية فى موضع رفع بالابتداء وهي بمنزلة كم وبمعناها تعطى فى الاغلب التكثير وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قتل مبني لما لم يسم فاعله وقرأ الباقون قاتل فقوله قتل قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري انه مستند الى ضمير نبيء والمعنى عندهم ان النبي قتل ونحا اليه ابن عباس واذا كان هذا فربيون مرتفع بالظرف بلا خلاف وهو متعلق

بمحذوف وليس متعلقا بقتل وقال الحسن بن ابى الحسن وجماعة ان قتل انما
هو مستند الى قوله ربيون وهم المقتولون قال الحسن وابن جبير لم يقتل نبي
فى حرب قط قال * ع * فعلى هذا القول يتعلق قوله معه بقتل ورجح
الطبري القول الاول بدلالة نازلة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المومنين
انما تخاذلوا يوم احد لما قيل قتل محمد فضرب المثل بنبي قتل وترجيح
الطبري حسن ويؤيد ذلك ما تقدم من قوله افاين مات او قتل وحجة من
قرأ قاتل انها اعم فى المدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي قال * ع *
ويحسن عندى على هذه القراءة استناد الفعل الى الربيين وقوله ربيون
قال ابن عباس وغيره معناه جموع كثيرة وهو من الربة بكسر الراء وهي الجماعة
الكثيرة وروي عن ابن عباس والحسن بن ابى الحسن وغيرهما انهم قالوا ربيون
معناه علماء ويقوى هذا القول قراءة من قرأ ربيون بفتح الراء منسوبون الى الرب
اما لانهم مطيعون له او من حيث انهم علماء بما شرع * وقوله سبحانه وما
استكانوا ذهبت طائفة من النحاة الى انه من السكون وذهبت طائفة الى انه
ماخوذ من كان يكون واصله استكونوا والمعنى انهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبا من
ذلك قلت واعلم رحمك الله ان اصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة
العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس لله وبذل مهجها للقتل فى سبيل الله
الا ترى الى حال الصحابة رضي الله عنهم وقلتهم فى صدر الاسلام وكيف فتح
الله بهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله انفسهم فى الجهاد وحالنا اليوم
كما ترى عدد اهل الاسلام كثير ونكايتهم فى الكفار نزر يسير وقد روى ابو داود فى
سننه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تتداعى
عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل

انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت اه فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان الا زماننا بعينه وتأمل حال ملوكنا انما همتهم جمع المال من حرام وحلال واعراضهم عن امر الجهاد فانا لله وانا اليه راجعون على مُصاب الاسلام * وقوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الآية هذه الآية فى ذكر الربيين اي هذا كان قولهم لا ما قاله بعضكم يا اصحاب محمد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا الى غير ذلك مما اقتضته تلك الحال من الاقوال قلت وهذه المقالة ترجح القول الثاني فى تفسير الربيين اذ هذه المقالة انما تصدر من علماء عارفين بالله قال * ع * واستغفار هؤلاء القوم الممدوحين فى هذا الموطن ينحو الى انهم رأوا ان ما نزل من مصائب الدنيا انما هو بذنوب من البشر كما نزلت قصة اُحُد بعصيان من عصى وقولهم ذنوبنا واسرافنا فى امرنا عبارتان عن معنى قريب بعضه من بعض جاء للتأكيد ولتعم مناحي الذنوب وكذلك فسره ابن عباس وغيره وقال الضحاك الذنوب عام والاسراف فى الامر اريد به الكبائر خاصة فآتاهم الله ثواب الدنيا بان اظهرهم على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة بلا خلاف قال الفخر ولا شك ان ثواب الآخرة هي الجنة وذلك غير حاصل فى الحال فيكون المراد انه سبحانه لما حكم لهم بحصولها فى الآخرة قام حكمه لهم بذلك مقام الحصول فى الحال ومحمل قوله آتاهم انه سيوتيهم قيل ولا يمتنع ان تكون هذه الآية خاصة بالشهداء وانه تعالى فى حال نزول هذه الآية كان قد آتاهم حسن ثواب الآخرة انتهى وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعنى المنافقين الذين خيبوا المسلمين وقالوا فى امر اُحُد لو كان محمد نبيا لم ينهزم وقوله سبحانه

بل الله مولاكم وهو خير الناصرين هذا تثبيت لهم وقوله سبحانه سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سبب هذه الآية انه لما ارتحل ابو سفيان بالكفار رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فتجهز واتبع المشركين وكان معبد بن ابى معبد الخزاعي قد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله يا محمد لقد ساءنا ما اصابك وكانت خزاعة تميل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب معبد حتى لحق بابى سفيان فلما رأى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله يتحرقون عليكم قد اجتمع معه من كان تخلف عنه وندموا على ما صنعوا قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ان ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة اليهم قال فاني انهاك عن ذلك ووالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت فيهم شعرا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

تردي باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوا اظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول

الى آخر الشعر فالقى الله الرعب في قلوب الكفار وقال صفوان بن امية لا ترجعوا فاني ارى انه سيكون للقوم قتال غير الذى كان فنزلت الآية في هذا الالقاء وهي بعدُ متناولة كل كافر قال الفخر لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف من الرعب اما عند الحرب واما عند المحاجة انتهى وقوله سبحانه بما اشركوا هذه باء السبب والسلطان الحجة والبرهان قال * ص * قوله وبيس المخصوص بالذم محذوف اي النار وقوله سبحانه ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه جاء الخطاب لجميع المومنين وان كانت الامور التى عاتبهم

سبحانه عليها لم يقع فيها جميعهم ولذلك وجوه من الفصاحة منها وعظ الجميع وزجره اذ من لم يفعل مُعد ان يفعل ان لم يزجر ومنها الستر والابقاء على من فعل وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد المومنين النصر يومئذ على خبر الله ان صبروا وجدّوا فصدقهم الله وعده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صاف المشركين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه قبل هذا واشتعلت نار الحرب وابلى حمزة بن عبد المطلب وابو دُجانة وعلي وعاصم بن ابى الاقلح وغيرهم وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا معنى قوله عزوجل اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الذريع يقال حسهم اذا استاصلهم قتلا وحس البرد النبات وقوله سبحانه حتى اذا فشلتم يحتمل ان تكون حتى غاية كانه قال الى ان فشلتم والاظهر الاقوى ان اذا على بابها تحتاج الى الجواب ومذهب الخليل وسيبويه وفرسان الصناعة ان الجواب محذوف يدل عليه المعنى تقديره انهزمتم ونحوه والفشل استشعار العجز وترك الجد والتنازع هو الذى وقع بين الرماة وعصيتم عبارة عن ذهاب من ذهب من الرماة وتأمل رحمك الله ما يوجبه الركون الى الدنيا وما ينشأ عنها من الضرر واذا كان مثل هؤلاء السادة على رفعتهم وعظيم منزلتهم حصل لهم بسببها ما حصل من الفشل والهزيمة فكيف بامثالنا وقد حذر الله عزوجل ونبيه عليه السلام من الدنيا وءافاتها بما لا يخفى على ذى لب وقد ذكرنا فى هذا المختصر جملة كافية لمن وفقه الله وشرح صدره وقد خرج البغوي فى المسند المنتخب له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفتح الدنيا على احد الا القت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة انتهى من الكوكب الدري وقال عليه السلام للانصار لما تعرضوا له اذ سمعوا بقدوم ابى عبيدة بمال البحرين ابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقرَ اخشى عليكم ولكنى اخشى ان تبسط الدنيا

عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم اخرجه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له وقال هذا حديث صحيح انتهى واعلم رحمك الله ان تيسير اسباب الدنيا مع اعراضك عن امر اخرتك ليس ذلك من علامات الفلاح وقد روى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا ابن لَهيعة قال حدثنى سعيد بن ابى سعيد ان رجلا قال يا رسول الله كيف لى ان اعلم كيف انا قال اذا رأيت كلما طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته يُسِّر لك واذا اردت شيئا من الدنيا وابتغيته عُسِّر عليك فانت على حال حسنة واذا رأيت كلما طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته عُسِّر عليك واذا اردت شيئا من امر الدنيا وابتغيته يسر لك فانت على حال قبيحة انتهى فتأمله راشدا وقوله من بعد ما اراكم ما تحبون يعنى هزيمة المشركين قال الزبير والله لقد رأيتنى انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفْنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فاوتينا من ادبارنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وانكفأ علينا القوم وقوله سبحانه منكم من يريد الدنيا يعنى بهم الذين حرصوا على الغنيمة وكان المال همهم قاله ابن عباس وسائر المفسرين وقال عبد الله بن مسعود ما كنت ارى ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم اُحُد منكم من يريد الدنيا * وقوله سبحانه ومنكم من يريد الآخرة اخبار عن ثبوت من ثبت من الرماة مع عبد الله بن جبير امتثالا للامر حتى قتلوا ويدخل فى هذا انس بن النضر وكل من جد ولم يضطرب من المومنين * وقوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد العامل فى اذ قوله عفا وقراءة الجمهور تصعدون بضم التاء وكسر العين من اصعد ومعناه ذهب فى الارض

والصعيد وجه الارض فاصعد معناه دخل فى الصعيد كما ان اصبح دخل فى الصباح
* وقوله سبحانه ولا تلوون على احد مبالغة فى صفة الانهزام وقرأ حميد بن قيس
على احد بضم الالف والحاء يريد الجبل والمعني بذلك نبي الله صلى الله
عليه وسلم لانه كان على الجبل والقراءة الشهيرة اقوى لان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن على الجبل الا بعد ما فر الناس وهذه الحال من اصعادهم انما كانت
وهو يدعوهم وروي انه كان ينادى صلى الله عليه وسلم الىّ عباد الله والناس
يفرون وفى قوله تعالى فى اخراكم مدح له صلى الله عليه وسلم فان
ذلك هو موقف الابطال فى اعقاب الناس ومنه قول الزبير بن
باطيا ما فعل مقدمتنا اذا حملنا وحاميتنا اذا فررنا وكذلك كان صلى
الله عليه وسلم اشجع الناس ومنه قول سلمة بن الاكوع كنا اذا
احمر الباس اتقيناه برسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى فاثابكم
معناه جازاكم على صنيعكم واختلف فى معنى قوله تعالى غما بغم فقال قوم
المعنى اثابكم غما بسبب الغم الذى ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسائر المسلمين بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم قال قتادة ومجاهد الغم الاول ان سمعوا
الا ان محمدا قد قتل والثانى القتل والجراح * وقوله تعالى لكي لا تحزنوا على
ما فاتكم اي من الغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح وذل الانهزام واللام
من قوله لكي لا متعلقة باثابكم المعنى لتعلموا ان ما وقع بكم انما هو بجنايتكم
فانتم اذيتم انفسكم وعادة البشر ان جاني الذنب يصبر للعقوبة واكثر قلق
المعاقَب وحزنه انما هو مع ظنه البراءة بنفسه ثم ذكر سبحانه امر النعاس الذى
امّن به المومنين فغشي اهل الاخلاص قلت وفى صحيح البخاري عن انس ان
ابا طلحة قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم احد قال فجعل سيفي يسقط

من يدى وءاخذه ويسقط وءاخذه ونحوه عن الزبير وابن مسعود والواو فى قوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم واو الحال ذهب اكثر المفسرين الى ان اللفظة من الهم الذى هو بمعنى الغم والحزن * وقوله سبحانه يظنون بالله غير الحق معناه يظنون ان دين الاسلام ليس بحق وان امر محمد صلى الله عليه وسلم يضمحل قلت وقد وردت احاديث صحاح فى الترغيب فى حسن الظن بالله عز وجل ففى صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عزوجل يقول سبحانه انا عند ظن عبدى بى الحديث وقال ابن مسعود والله الذى لا اله غيره لا يحسن احد الظن بالله عزوجل الا اعطاه الله ظنه وذلك ان الخير بيده وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه اهـ وقوله ظن الجاهلية ذهب الجمهور الى ان المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الاسلام وهذا كقوله سبحانه حمية الجاهلية وتبرج الجاهلية وذهب بعض المفسرين الى ان المراد فى هذه الآية ظن الفرقة الجاهلية وهم ابو سفيان ومن معه قال قتادة وابن جريج قيل لعبد الله ابن ابي بن سلول قتل بنو الخزرج فقال وهل لنا من الامر من شيء يريد ان الرأي ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم يخرج فلم يُقتل احد منا * وقوله سبحانه قل ان الامر كله لله اعتراض اثناء الكلام فصيح ومضمنه الرد عليهم وقوله سبحانه يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك الآية اخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين وهذه كانت سنته فى المنافقين لا اله الا هو * وقوله سبحانه يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا هي مقالة سمعت من مُعَتِّب بن قشير المغموص عليه بالنفاق وباقى الآية بين * وقوله تعالى وليبتلي الله ما فى صدوركم اللام فى ليبتلي متعلقة بفعل متأخر

تقديره وليبتلي وليمحص فعل هذه الامور الواقعة والابتلاء هنا الاختبار * وقوله سبحانه ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال عمر رضي الله عنه المراد بهذه الآية جميع من تولى ذلك اليوم عن العدو وقيل نزلت في الذين فروا الى المدينة قال ابن زيد فلا ادري هل عُفي عن هذه الطائفة خاصة ام عن المومنين جميعا * وقوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ظاهره عند جمهور المفسرين انه كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بتمكين الشيطان من استزلالهم بوسوسته وتخويفه والفرارُ من الزحف من الكبائر باجماع فيما علمت وقد عده صلى الله عليه وسلم في السبع الموبقات * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية نهى الله المومنين ان يكونوا مثل الكفار المنافقين في هذا المعتقد الفاسد الذى هو ان من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذى عرض فيه نفسه للسفر او للقتال وهذا هو معتقد المعتزلة في القول بالاجلين او نحوٍ منه وصرح بهذه المقالة عبد الله بن ابي المنافق واصحابه قاله مجاهد وغيره والضرب في الارض السير في التجارة وغزى جمع غاز * وقوله تعالى ليجعل الله ذلك الاشارة بذلك الى هذا المعتقد الذى جعله الله حسرة لهم لان الذى يتيقن ان كل قتل وموت انما هو باجل سابق يجد برد الياس والتسليم لله سبحانه على قلبه والذى يعتقد ان حميمه لو قعد في بيته لم يمت يتحسر ويتلهف وعلى هذا التأويل مشى المتأولون وهو اظهر ما في الآية والتحسر التلهف على الشيء والغمّ به * وقوله سبحانه والله بما تعملون بصير توكيد للنهي في قوله ولا تكونوا ووعيد لمن خالفه ووعد لمن امتثله * وقوله سبحانه ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اللام في ولئن قتلتم هي الموذنة بمجيء القسم واللام في قوله لمغفرة هي

المتلقية للقسم والتقدير والله لمغفرة وترتب الموت قبل القتل فى قوله تعالى ما ماتوا وما قتلوا مراعاة لترتب الضرب فى الارض والغزو وقدم القتل هنا لانه الاشرف الاهم ثم قدم الموت فى قوله تعالى ولئن متم او قتلتم لانها ءاية وعظ بالآخرة والحشر وءاية تزهيد فى الدنيا والحياة وفى الآية تحقير لامر الدنيا وحض على طلب الشهادة والمعنى اذا كان الحشر لا بد منه فى كلا الامرين فالمضي اليه فى حال شهادة اولى وعن سهل بن حُنَيف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه رواه الجماعة الا البخاري وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو لم تصبه انفرد به مسلم اه من سلاح المومن * وقوله سبحانه فبما رحمة من الله لنت لهم معناه فبرحمة قال القشيري فى التحبير واعلم ان الله سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ولا يرحم العبد الا اذا رحمه الله سبحانه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فبما رحمة من الله لنت لهم اه قال * ع * ومعنى هذه الآية التقريع لكل من اخل يوم اُحد بمركزه اي كانوا يستحقون الملام منك ولكن برحمة منه سبحانه لنت لهم وجعلك على خلق عظيم وبعثك لتتميم محاسن الاخلاق ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك وتفرقوا عنك والفظ الجافى فى منطقه ومقاطعه وفى صفته صلى الله عليه وسلم فى الكتب المنزلة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق والفظاظة الجفوة فى المعاشرة قولا وفعلا وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال فى الرغائب وقلة الاشفاق والرحمة والانفضاضُ افتراق الجموع * وقوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم الآية امر سبحانه نبيه عليه السلام بهذه الاوامر التى هي بتدريج بليغ فامره ان يعفو عنهم فيما له عليهم من حق ثم يستغفر

لهم فيما لله عليهم من تبعة فاذا صاروا فى هذه الدرجة كانوا اهلا للاستشارة قال * ع * ومن لا يستشير اهل العلم والدين فعزله واجب هذا مما لا خلاف فيه وقد وردت احاديث كثيرة فى الاستشارة ومشاورته عليه السلام انما هي فى امور الحرب والبعوث ونحوه من اشخاص النوازل فاما فى حلال او حرام او حد فتلك قوانين شرع ما فرطنا فى الكتاب من شيء والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر فى ذلك الخلاف ويتخير فاذا ارشده الله الى ما شاء منه عزم عليه وانفذه متوكلا على الله اذ هو غاية الاجتهاد المطلوب منه وبهذا امر الله تعالى نبيه فى هذه الآية وصفة المستشار فى الاحكام ان يكون عالما دينا وقلما يكون ذلك الا فى عاقل فقد قال الحسن ابن ابى الحسن ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله قال * ع * والتوكل على الله سبحانه وتعالى من فروض الايمان وفصوله ولكنه مقترن بالجد فى الطاعات والتشمير والحزامة بغاية الجهد وليس الالقاء باليد وما اشبهه بتوكل وانما هو كما قال عليه السلام قيدها وتوكل * وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين هذه غاية فى الرفعة وشرف المنزلة وقد جاءت آثار صحيحة فى فضل التوكل وعظيم منزلة المتوكلين ففى صحيح مسلم عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يَرْقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وخرج ابو عيسى الترمذي عن ابى امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى ان يدخل الجنة من امتى سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربى وخرجه ابن ماجه ايضا وخرج ابو بكر البزار وابو عبد الله الترمذي الحكيم عن عبد الرحمن بن ابى بكر

الصديق رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه اعطاني سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني مع كل واحد من السبعين الالف سبعين الفا فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطاني هكذا وفتح ابو وهب يديه قال ابو وهب قال هشام هذا من الله لا يدرى ما عدده وخرج ابو نعيم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي مائة الف فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا واشار سليمان بن حرب بيده فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا فقال عمر ان الله عز وجل قادر ان يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر اه من التذكرة وما وقع من ذكر الحَثْية والحَفْنة ليس هو على ظاهره فالله سبحانه منزه عن صفات الاجسام * وقوله تعالى وان يخذلكم اي يترككم والخذل الترك والضمير في من بعده يعود على اسم الله ويحتمل على الخذل * وقوله تعالى وما كان لنبيء ان يغل قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغل بفتح الياء وضم الغين وقرأ باقي السبعة ان يغل بضم الياء وفتح الغين واللفظة بمعنى الخيانة في خفاء تقول العرب اغل الرجل يغل اغلالا اذا خان واختلف على القراءة الاولى فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قطيفة حمراء فقدت من المغانم يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فقيل كانت هذه المقالة من مومن لم يظن في ذلك حرَجا وقيل كانت من منافقين وقد روي ان المفقود انما كان سيفا قال النقاش ويقال انما نزلت لان الرماة قالوا يوم احد الغنيمة الغنيمة فانا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وقال ابن اسحاق الآية انما انزلت اعلاما بان النبي صلى الله عليه وسلم

لم يكتم شيئا مما امر بتبليغه واما على القراءة الثانية فمعناها عند الجمهور اي ليس لاحد ان يغل النبي اي يخونه في الغنيمة لان المعاصي تعظم بحضرته لتعيين توقيره قال ابن العربي في احكامه وهذا القول هو الصحيح وذلك ان قوما غلوا من الغنائم او هموا فانزل الله تعالى الآية فنهاهم الله عن ذلك رواه الترمذي اه * وقوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة الآية وعيد لمن يغل من الغنيمة او في زكاته بالفضيحة يوم القيامة على رءوس الاشهاد قال القرطبي في تذكرته قال علماؤنا رحمهم الله في قوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ان ذلك على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه وسلم اي ياتى به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومروعا بصوته وموبّخا باظهار خيانته اه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ادوا الخائط والمخيط فان الغلول عار ونار وشنار على اهله يوم القيامة رواه مالك في الموطا قال ابو عمر في التمهيد الشنار لفظة جامعة لمعنى العار والنار ومعناها الشين والنار يريد ان الغلول شين وعار ومنقصة في الدنيا وعذاب في الآخرة اه وفي الباب احاديث صحيحة في الغلول وفي منع الزكاة * وقوله سبحانه افمن اتبع رضوان الله اي الطاعة الكفيلة برضوان الله قال * ص * افمن استفهام معناه النفي اي ليس من اتبع ما يئول به الى رضى الله تعالى عنه فباء برضاه كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه اه * وقوله سبحانه هم درجات عند الله قال ابن اسحاق وغيره المراد بذلك الجمعان المذكوران اهل الرضوان واصحاب السخط اي لكل صنف منهم تباين في نفسه في منازل الجنة وفي اطباق النار ايضا وقال مجاهد والسدي ما ظاهره ان المراد بقوله هم انما هو لمتبعي الرضوان اي لهم درجات كريمة عند ربهم وفي الكلام حذف تقديره هم ذوو درجات والدرجات المنازل

بعضها اعلى من بعض فى المسافة او فى التكرمة او فى العذاب وباقى الآية وعد ووعيد * وقوله تعالى لقد منّ الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية اللام فى لقد لام القسم ومنّ فى هذه الآية معناه تطول وتفضل سبحانه وقد يقال منّ بمعنى كدر معروفه بالذكر فهي لفظة مشتركة وقوله من انفسهم اي فى الجنس واللسان والمجاورة فكونه من الجنس يوجب الانس به وكونه بلسانهم يوجب حسن التفهيم وكونه جارًا ورَبِيّا يوجب التصديق والطمانينة اذ قد خبروه وعرفوا صدقه وامانته ثم وقف الله سبحانه المومنين على الخطإ فى قلقهم للمصيبة التى نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار فقال اولما اصابتكم مصيبة اي يوم احد قد اصبتم مثليها اي يوم بدر اذ قتل من الكفار سبعون واسر سبعون هذا تفسير ابن عباس والجمهور وقال الزجاج واحِد المثلين هو قتل السبعين يوم بدر والثانى هو قتل اثنين وعشرين يوم احد ولا مدخل للاسرى لانهم قد فدوا وانى معناها كيف ومن اين قل هو من عند انفسكم اي حين خالفتم النبي صلى الله عليه وسلم فى الرأي حين رأى ان يقيم بالمدينة ويترك الكفار بشر محبس فابيتم الا الخروج وهذا هو تاويل الجمهور وقالت طائفة هو من عند انفسكم اشارة الى عصيان الرماة وتسبيبهم الهزيمة على المومنين وقال علي والحسن بل ذلك لما قبلوا الفداء يوم بدر وذلك ان الله سبحانه اخبرهم على لسان نبيه بين قتل الاسرى او ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدة الاسرى فاختاروا اخذ الفداء ورضوا بالشهادة فقتل منهم يوم احد سبعون قلت وهذا الحديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احمد بن نصر الداودي وعن الضحاك انى هذا اي باي ذنب هذا قال ابن عباس قل هو من عند انفسكم عقوبة لمعصيتكم لنبيكم عليه السلام

اه * وقوله سبحانه وما اصابكم يوم التقى الجمعان يعنى يوم احد * وقوله سبحانه وليعلم المومنين اي ليعلم الله المومن من المنافق والاشارة بقوله سبحانه نافقوا وقيل لهم هي الى عبد الله بن ابي واصحابه حين انخزل بنحو ثلث الناس فمشى فى اثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر بن عبد الله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا ونحو هذا من القول فقال له ابن ابي ما ارى ان يكون قتالا ولو علمنا ان يكون قتال لكنا معكم فلما يئس منهم عبد الله قال اذهبوا اعداء الله فسيغنى الله رسوله عنكم ومضى مع النبي صلى الله عليه فاستشهد * وقوله تعالى او ادفعوا قال ابن جريج وغيره معناه كثروا السواد وان لم تقاتلوا فيندفع القوم لكثرتكم وذهب بعض المفسرين الى ان قول عبد الله بن عمرو او ادفعوا استدعاء للقتال حمية اذ ليسوا باهل للقتال فى سبيل الله والمعنى قاتلوا فى سبيل الله او قاتلوا دفاعا عن الحوزة الا ترى ان قُزمان قال فى ذلك اليوم والله ما قاتلت الا على احساب قومى وقول الانصاري يومئذ لما ارسلت قريش الظهر فى الزروع اترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب * وقوله تعالى الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا الذين بدل من الذين المتقدم لاخوانهم اي لاجل اخوانهم او فى شأن اخوانهم المقتولين ويحتمل ان يريد لاخوانهم الاحياء من المنافقين ويكون الضمير فى اطاعونا للمقتولين وقعدوا جملة فى موضع الحال معترضة اثناء الكلام وقولهم لو اطاعونا يريدون فى ان لا يخرجوا وباقى الآية بين ثم اخبر سبحانه عن الشهداء انهم فى الجنة احياء يرزقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يطلع على الشهداء فيقول يا عبادى ما تشتهون فازيدكم فيقولون يا ربنا لا فوق ما اعطيتنا هذه الجنة ناكل منها حيث نشاء لكنا نريد ان تردنا الى الدنيا

فنقاتل فى سبيلك فنقتل مرة اخرى فيقول سبحانه قد سبق انكم لا تردون والاحاديث فى فضل الشهداء كثيرة قال الفخر والروايات فى هذا الباب كانها بلغت حد التواتر ثم قال قال بعض المفسرين ارواح الشهداء احياء وهي تركع وتسجد تحت العرش الى يوم القيامة اه والعقيدة ان الارواح كلها احياء لا فرق بين الشهداء وغيرهم فى ذلك الا ما خصص الله به الشهداء من زيادة المزية والحياة التى ليست بمكيفة وفى صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا ابن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا فقد سألت عن ذلك فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى تلك القناديل الحديث الى اخره اه ومن الآثار الصحيحة الدالة على فضل الشهداء ما رواه مالك فى الموطإ انه بلغه ان عمرو ابن الجَموح وعبد الله بن عمرو الانصاريَّين ثم السُلميين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد فحفر عنهما ليغيَّرا من مكانهما فوجدا لم يغيرا كانما ماتا بالامس وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين احد وبين يوم حفر عنهما ست واربعون سنة قال ابو عمر فى التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد متقارب وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو ابن عمه ثم اسند ابو عمر عن جابر بن عبد الله قال لما اراد معاوية ان يجري العين باحُد نودي بالمدينة من كان له قتيل فليات قتيله قال جابر فاتيناهم فاخرجناهم رطابا يتثنون فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما قال

ابو سعيد الخدري لا ينكر بعد هذا منكر ابدا وفي رواية فاستخرجهم يعني معاوية بعد ست واربعين سنة لينة اجسادهم تتثنى اطرافهم قال ابو عمر الذى اصابت المسحاة اصبعه هو حمزة رضي الله عنه ثم اسند عن جابر قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كانهم رجال نوّم حتى اذا اصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانثعبت دما اه * وقوله سبحانه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الآية معناه يسرون ويفرحون وذهب قتادة وغيره الى ان استبشارهم هو انهم يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا فى الدنيا يقاتلون فى سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نلنا نحن فيسرون لهم بذلك اذ يحصلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذهب فريق من العلماء الى ان الاشارة فى قوله بالذين لم يلحقوا الى جميع المومنين الذين لم يلحقوا بهم فى فضل الشهادة وذلك لما عاينوا من ثواب الله فهم فرحون لانفسهم بما اتاهم الله من فضله ومستبشرون للمومنين انهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم اكد سبحانه استبشارهم بقوله يستبشرون بنعمة ثم بين سبحانه بقوله وفضل ان ادخاله اياهم الجنة هو بفضل منه لا بعمل احد واما النعمة فى الجنة والدرجات فقد اخبر انها على قدر الاعمال قلت وخرج ابو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان الشهداء فى قباب من حرير فى رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح فى انهار الجنة ياكل من كل رائحة فى انهار الجنة فاذا امسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فياكلون لحمه يجدون فى لحمه طعم كل رائحة ويبيت الثور فى افناء الجنة فاذا اصبح غدا عليه الحوت فوكزه بذنبه فيذكيه فياكلون فيجدون فى لحمه طعم كل رائحة فى الجنة ثم يعودون وينظرون الى منازلهم

من الجنة ويدعون الله عزوجل ان تقوم الساعة الحديث اه مختصرا وقد ذكره صاحب التذكرة مطولا وقرأ الكسائي وان الله بكسر الهمزة على استيناف الاخبار وقرأ باقي السبعة بالفتح على ان ذلك داخل فيما يستبشر به وقوله الذين استجابوا يحتمل ان يكون صفة للمومنين على قراءة من كسر الالف من ان والاظهر ان الذين ابتداء وخبره في قوله للذين احسنوا منهم الآية والمستجيبون لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد في طلب قريش * وقوله سبحانه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية الذين صفة للمحسنين وهذا القول هو الذى قاله الركب من عبد القيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين حمّلهم ابو سفيان ذلك فالناس الاول هم الركب والناس الثاني عسكر قريش هذا قول الجمهور وهو الصواب وقول من قال ان الآية نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى لميعاد ابي سفيان وان الناس هنا هو نُعيْم بن مسعود قول ضعيف وعن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه مسلم والبخاري انتهى وقوله سبحانه انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الآية اشارة الى جميع ما جرى من اخبار الركب عن رسالة ابي سفيان ومن جزَع مَن جزِع من الخبر وقرأ الجمهور يخوف اولياءه قال قوم معناه يخوف المنافقين ومن في قلبه مرض وحكى ابو الفتح بن جِني عن ابن عباس انه قرأ يخوفكم اولياءه فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان وهي مفسرة لقراءة الجماعة وفي قراءة ابي ابن كعب يخوفكم باوليائه وفي كتاب القصد الى الله تعالى للمحاسبي قال وكلها

عظمت هيبة الله عزوجل فى صدور الاولياء لم يهابوا معه غيره حياء منه عزوجل ان يخافوا معه سواه انتهى وقوله سبحانه ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر المسارعة فى الكفر هي المبادرة الى اقواله وافعاله والجد فى ذلك وسلى الله تعالى نبيه عليه السلام بهذه الآية عن حال المنافقين والمجاهرين اذ كلهم مسارع وقوله تعالى انهم لن يضروا الله شيئا خبر فى ضمنه وعيد لهم اي وانما يضرون انفسهم والحظ اذا اطلق فانما يستعمل فى الخير وقوله سبحانه ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم نملى معناه نمهل ونمد فى العمر والمعنى لا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم فالآية رد على الكفار فى قولهم ان كوننا مموّلين اصحة دليل على رضى الله بحالتنا وقوله تعالى ما كان الله ليذر اي ليدع المومنين مختلطين بالمنافقين مشكلا امرهم حتى يميز بعضهم من بعض بما يظهره من هؤلاء وهؤلاء فى احُد من الافعال والاقوال هذا تفسير مجاهد وغيره وقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي فى امر احُد وما كان من الهزيمة وايضا فما كان الله ليطلعكم على المنافقين تصريحا وتسمية لهم ولكن بقرائن افعالهم واقوالهم قال الفخر وذلك ان سنة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على غيبه اي لا سبيل لكم الى معرفة ذلك الامتياز الا بامتحانات كما تقدم فاما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا قال تعالى ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء انتهى وقال الزجاج وغيره روي ان بعض الكفار قال لِم لا يكون جميعنا انبياء فنزلت هذه الآية ويجتبى معناه يختار ويصطفى وقوله سبحانه ولا يحسبن الذين يبخلون بما ءاتاهم الله من فضله الآية قال السدي وجماعة من المتأولين الآية نزلت فى البخل بالمال والانفاق فى سبيل الله واداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك قال ومعنى سيطوقون

ما بخلوا به هو الذى ورد فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ذى رحم ياتى ذا رحمه فيسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه قلت وفى البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال من ءاتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ياخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما ءاتاهم الله من فضله الآية قلت واعلم انه قد وردت ءاثار صحيحة بتعذيب العصاة بنوع ما عصوا به كحديث من قتل نفسه بحديدة فهو يَجَأُ نفسه بحديدته فى نار جهنم والذى قتل نفسه بالسم فهو يتحساه فى نار جهنم ونحو ذلك قال الغزالي فى الجواهر واعلم ان المعاني فى عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة توازى معناه فيحشر المتكبرون فى صور الذر يطأهم من اقبل وادبر والمتواضعون اعزاء انتهى وهو كلام صحيح يشهد له صحيح الآثار ويؤيده النظر والاعتبار اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه قال ابن العربي فى احكامه قال علماؤنا البخل منع الواجب والشح منع المستحب والصحيح المختار ان هذه الآية فى الزكاة الواجبة لان هذا وعيد لمانعيها والوعيد اذا اقترن بالفعل المامور به او المنهي عنه اقتضى الوجوب او التحريم انتهى وتعميمها فى جميع انواع الواجب احسن وقوله سبحانه ولله ميراث السموات والارض خطاب على ما يفهمه البشر دال على فناء الجميع وانه لا يبقى مالك الا الله سبحانه * وقوله سبحانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء الآية نزلت بسبب فنحاص اليهودي واشباهه كحيي بن اخطب وغيره لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالوا يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقيرُ الغني وهذا من تحريف اليهود

للتاويل على نحو ما صنعوا فى توراتهم * وقوله تعالى قول الذين قالوا دال على انهم جماعة * وقوله تعالى سنكتب ما قالوا الآية وعيد لهم اي سنحصى عليهم قولهم و يتصل ذلك بفعل ءابائهم من قتل الانبياء بغير حق * وقوله سبحانه وان الله اي و بان الله ليس بظلام للعبيد قال * ص * قيل المراد هنا نفي القليل والكثير من الظلم كقول طرفة

ولست بحلّال التِلاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم ارفد

ولا يريد انه قد يحل التلاع قليلا و زاد ابو البقاء وجها ءاخر وهو ان يكون على النسب اي لا ينسب سبحانه الى ظلم فيكون من باب بزاز وعطار انتهى قلت وهذا القول احسن ما قيل هنا فمعنى وما ربك بظلام اي بذى ظلم * وقوله سبحانه الذين قالوا ان الله عهد الينا الآية هذه المقالة قالتها احبار اليهود مدافعة لامر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انك لم تاتنا بقربان تاكله النار فنحن قد عُهد الينا الا نومن لك * وقوله تعالى قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم من امر القربان والمعنى ان هذا منكم تعلل وتعنت ولو اتيتكم بقربان لتعللتم بغير ذلك ثم انس سبحانه نبيه بالاسوة والقدوة فيمن تقدم من الانبياء قال الفخر والمراد بالبينات المعجزات انتهى والزبر الكتاب المكتوب قال الزجاج زبرت كتبت * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الآية وعظ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته عن امر الدنيا واهلها ووعد بالفلاح فى الآخرة فبالفكرة فى الموت يهون امر الكفار وتكذيبهم وانما توفون اجوركم اي على الكمال ولا محالة ان يوم القيامة تقع فيه توفية الاجور وتوفية العقوبات و زحزح معناه ابعد والمكان الزحزاح البعيد وفاز معناه نجا من خطره وخوفه والغرور الخدع والترجية بالباطل والحياة الدنيا وكل ما فيها من الاموال هي متاع قليل

يخدع المرء ويمنّيه الاباطيل وعلى هذا فسر الآية جمهور المفسرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لَموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الآية قلت واسند ابو بكر بن الخطيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سكن حب الدنيا قلب عبد قط الا التاط منها بخصال ثلاث امل لا يبلغ منتهاه وفقر لا يدرك غناه وشغل لا ينفك عناه انتهى * وقوله تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والمعنى لتختبرن ولتمتحنن في اموالكم بالمصائب والارزاء وبالانفاق في سبيل الله وفي سائر تكاليف الشرع والابتلاء في الانفس بالموت والامراض وفقد الاحبة قال الفخر قال الواحدي اللام في لتبلون لام قسم انتهى * وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب الآية قال عكرمة وغيره السبب في نزولها اقوال فنحاص وقال الزهري وغيره نزلت بسبب كعب بن الاشرف حتى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله والاذى اسم جامع في معنى الضرر وهو هنا يشمل اقوالهم فيما يخص النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من سب واقوالهم في جهة الله سبحانه وانبيائه وندب سبحانه الى الصبر والتقوى واخبر انه من عزم الامور اي من اشدها واحسنها والعزم امضاء الامر المَرَوَّى المنقح وليس ركوب الرأي دون روِية عزما * وقوله سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية توبيخ لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم قال جمهور من العلماء الآية عامة في كل من علمه الله علما وعلماء هذه الامة داخلون في هذا الميثاق وقد قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار والضمير في لتبيننه ولا تكتمونه عائد على الكتاب والنبذ الطرح واظهر الاقوال في هذه الآية انها نزلت في اليهود وهم المعْنيون ثم كل كاتم من هذه الامة ياخذ بحظه

من هذه المذمة * وقوله سبحانه لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الآية ذهبت جماعة الى ان الآية فى المنافقين وقالت جماعة كبيرة انما نزلت فى اهل الكتاب احبار اليهود قال سعيد بن جبير الآية فى اليهود فرحوا بما اعطى الله ءال ابراهيم من النبوءة والكتاب فهم يقولون نحن على طريقهم ويحبون ان يحمدوا بذلك وهم ليسوا على طريقهم وقراءة سعيد بن جبير بما اوتوا بمعنى اعطوا بضم الهمزة والطاء وعلى قراءته يستقيم المعنى الذى قال والمفازة مفعلة من فاز يفوز اذا نجا وباقى الآية بين ثم دل سبحانه على مواضع النظر والعبرة فقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقب الليل والنهار اذ جعلهما سبحانه خلفة ويدخل تحت اختلافهما قصر احدهما وطول الآخر وبالعكس واختلافهما بالنور والظلام والآيات العلامات الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته سبحانه قال الفخر واعلم ان المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والارواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق فى معرفة الحق فلما طال الكلام فى تقرير الاحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد الى اثارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء والجلال وذكر الادعية فختم بهذه الآيات بنحو ما فى سورة البقرة انتهى * وقوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا الذين فى موضع خفض صفة لاولى الالباب وهذا وصف ظاهره استعمال التحميد والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله وان يحضر القلب اللسان وذلك من اعظم وجوه العبادات والاحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة وابن ءادم متنقّل فى هذه الثلاث الهيئات لا يخلو فى غالب امره منها فكانها تحصر زمنه وكذلك جرّت عائشة رضي الله عنها الى حصر الزمن فى قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه قلت خرجه ابو داود فدخل فى

ذلك كونه على الخلاء وغيره وذهب جماعة الى ان قوله تعالى الذين يذكرون الله انما هو عبارة عن الصلاة اي لا يضيعونها ففي حال العذر يصلونها قعودا وعلى جنوبهم ثم عطف على هذه العبادة التي هي ذكر الله باللسان او الصلاة فرضها وندبها بعبادة اخرى عظيمة وهي الفكرة في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر التي بث

وفي كل شيء له اية * تدل على انه واحد

قال الغزالي ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر انتهى من الاحياء ومر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدُرون قدره قال * ع * وهذا هو قصد الآية في قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال بعض العلماء المتفكر في ذات الله كالناظر في عين الشمس لانه سبحانه ليس كمثله شيء وانما التفكر وانبساط الذهن في المخلوقات وفي احوال الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عبادة كتفكر وقال ابن عباس وابو الدرداء فكرة ساعة خير من قيام ليلة وقال سَرِيٌّ السَّقَطي فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو الا ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها في الآخرة وقال الحسن بن ابي الحسن الفكرة مرءاة المومن ينظر فيها الى حسناته وسيئاته واخذ ابو سليمان الداراني قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده ضيف فرءاه لما ادخل اصبعه في اذن القدح اقام كذلك مفكرا حتى طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال انى لما طرحت اصبعى في اذن القدح تذكرت قول الله سبحانه اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل فتفكرت في حالى وكيف اتلقى الغل ان طرح في عنقى يوم القيامة فما زلت في ذلك حتى اصبح قال * ع * وهذه نهاية الخوف وخير الامور اوساطها وليس علماء

لامة الذين هم الحجة على هذا المنهاج وقراءة علم كتاب الله ومعانى سنة رسوله لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من هذا لكن يحسن ان لا تخلو البلاد من مثل هذا قال * ع * وحدثنى ابى رحمه الله عن بعض علماء المشرق قال كنت بائتا فى مسجد الاقدام بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع فى كساء له حتى اصبح وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا فلما اقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جرءته فى الصلاة بغير وضوء فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لاعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد

منسجن الجسم غائب حاضر * منتبه القلب صامت ذاكر

منبسط فى الغيوب منقبض * كذاك من كان عارفا ناكر

يبيت فى ليله اخا فكر * فهو مدى الليل نائم ساهر

قال فعلمت انه ممن يعبد الله بالفكرة فانصرفت عنه قال الفخر ودلت الآية على ان اعلى مراتب الصديقين التفكر انتهى وفى العتبية قال مالك قيل لام الدرداء ما كان اكثر شان ابى الدرداء قالت كان اكثر شانه التفكر قال مالك وهو من الاعمال وهو اليقين قال الله عز وجل ويتفكرون فى خلق السموات والارض قال ابن رشد والتفكر من الاعمال كما قاله مالك رحمه الله وهو من اشرف الاعمال لانه من اعمال القلوب التى هي اشرف الجوارح الا ترى انه لا يثاب احد على عمل من اعمال الجوارح من سائر الطاعات الامع مشاركة القلوب لها باخلاص النية لله عز وجل فى فعلها انتهى من البيان والتحصيل قال ابن بطال ان الانسان اذا كمل ايمانه وكثر تفكره كان الغالب عليه الاشفاق والخوف انتهى قال ابن عطاء الله الفكرة سير القلب فى ميادين الاعتبار والفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له قلت قال بعض المحققين

وذلك ان الانسان اذا تفكر علم واذا علم عمل قال ابن عباد قال الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه انتهى * وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ياربنا على النداء ما خلقت هذا باطلا يريد لغير غاية منصوبة بل خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيوحدوك ويعبدوك فمن فعل ذلك نعمته ومن ضل عن ذلك عذبته وقولهم سبحانك اي تنزيها لك عما يقول المبطلون وقولهم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فلا تفعل ذلك بنا والخزي الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر المرء قال انس بن مالك والحسن بن ابي الحسن وابن جريج وغيرهم هذه اشارة الى من يخلد في النار واما من يخرج منها بالشفاعة والايمان فليس بمخزي اي وما اصابه من عذابها انما هو تمحيص لذنوبه * وقوله سبحانه وما للظالمين من انصار هو من قول الداعين * وقوله سبحانه ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الآية حكاية عن اولي الالباب قال ابو الدرداء يرحم الله المومنين ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجيب لهم قال ابن جريج وغيره المنادي محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المنادي كتاب الله وليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه وقولهم ما وعدتنا على رسلك معناه على السنة رسلك وقولهم ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد اشارة الى قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبيء والذين ءامنوا معه فهذا وعده تعالى وهو دال على ان الخزي انما هو مع الخلود قال * ص * قال ابو البقاء الميعاد مصدر بمعنى الوعد اه * وقوله سبحانه فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع

عمل عامل منكم من ذكر او انثى الآية استجاب بمعنى اجاب روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله قد ذكر الله تعالى الرجال فى الهجرة ولم يذكر النساء فى شيء من ذلك فنزلت الآية وهي ءاية وعد من الله اي هذا فعله سبحانه مع الذين يتصفون بما ذكر قال الفخر روي عن جعفر الصادق انه قال من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية قال لان الله تعالى حكى عنهم انهم قالوا ربنا خمس مرات ثم اخبر انه استجاب لهم انتهى * وقوله تعالى بعضكم من بعض يعنى فى الاجر وتقبل الاعمال اي ان الرجال والنساء فى ذلك على حد واحد قال الفخر قوله سبحانه بعضكم من بعض اي شبه بعض او مثل بعض والمعنى انه لا تفاوت فى الثواب بين الذكر والانثى اذا استووا فى الطاعة وهذا يدل على ان الفضل فى باب الدين انما هو بالاعمال لا بسر صفات العاملين لان كونهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تاثير له فى هذا الباب انتهى وبين سبحانه حال المهاجرين ثم الآية بعد تنسحب على كل من اوذي فى الله وهاجر ايضا الى الله الى يوم القيامة * وقوله سبحانه واخرجوا من ديارهم عبارة فيها الزام الذنب للكفار واللام فى قوله لاكفرن لام القسم وثوابا مصدر موكد وباقى الآية بين * وقوله سبحانه لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد الآية نزلت لا يغرنك فى هذه الآية منزلة لا تظن ان حال الكفار حسنة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته والتقلب التصرف فى التجارات والارباح والحروب وسائر الآمال وقوله نزلا معناه تكرمة * وقوله تعالى وما عند الله خير للابرار يحتمل ان يريد خير مما هؤلاء فيه من التقلب والتنعم ويحتمل ان يريد خيرا مما هم فيه فى الدنيا وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر

قال القاضي ابن الطيب هذا بالاضافة الى ما يصير اليه كل واحد منهما فى الآخرة وقيل المعنى انها سجن المومن لانها موضع تعبه فى الطاعة * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله قال جابر بن عبد الله وغيره هذه الآية نزلت بسبب اصحمة النجاشي سلطان الحبشة ءامن بالله وبمحمد عليه السلام واصْحَمة تفسيره بالعربية عطية قاله سفيان وغيره وقال قوم نزلت فى عبد الله بن سلام وقال ابن زيد ومجاهد نزلت فى جميع من ءامن من اهل الكتاب * وقوله سبحانه لا يشترون بءايات الله ثمنا قليلا مدح لهم وذم لسائر كفار اهل الكتاب لتبديلهم وايثارهم مكاسب الدنيا على ءاخرتهم وعلى ءايات الله سبحانه ثم ختم الله سبحانه السورة بهذه الوَصاة التى جمعت الظهور فى الدنيا على الاعداء والفوز بنعيم الآخرة فحض سبحانه على الصبر على الطاعات وعن الشهوات وامر بالمصابرة فقيل معناه مصابرة الاعداء قاله زيد بن اسلم وقيل معناه مصابرة وعد الله فى النصر قاله محمد بن كعب القرظي اي لا تسأموا وانتظروا الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة قال الفخر والمصابرة عبارة عن تحمل المكاره الواقعة بين الانسان وبين الغير انتهى وقوله ورابطوا معناه عند الجمهور رابطوا اعداءكم الخيل اي ارتبطوها كما يرتبطها اعداؤكم قلت وروى مسلم فى صحيحه عن سلمان قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وخرج الترمذي عن فَضالة بن عُبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة ويامن من فتنة القبر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابو داود

بمعناه وقال ويومن من فتاني القبر وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا فى سبيل الله اجرى الله عليه اجر عمله الصالح الذى كان يعمل واجرى عليه رزقه وامن الفتان ويبعثه الله امنا من الفزع وروى مسلم والبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها انتهى وجاء فى فضل الرباط احاديث كثيرة يطول ذكرها قال صاحب التذكرة وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم فى رمضان افضل عند الله واعظم اجرا أُراه قال من عبادة الفي سنة صيامها وقيامها الحديث ذكره القرطبي مسندا انتهى والرباط هو الملازمة فى سبيل الله اصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لثَغر من ثغور الاسلام مرابطا فارسا كان او راجلا واللفظة ماخوذة من الربط قلت قال الشيخ زين الدين العراقي فى اختصاره لغريب القرءان لابى حيان معنى رابطوا دوموا واثبتوا ومتى ذكرت العراقي فمرادى هذا الشيخ انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه ان هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا انما نزلت فى انتظار الصلاة خلف الصلاة قاله ابو سلمة بن عبد الرحمن قال ولم يكن يومئذ عدو يرابط فيه انتهى وقوله سبحانه لعلكم تفلحون ترج فى حق البشر والحمد لله حق حمده

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء مدنية

الاءاية واحدة نزلت بمكة عام الفتح وهي ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى

اهلها الآية وفى البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنى قد بنى بها * قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الآية فى الآية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود وفيها حض على التواصل لحرمة هذا النسب والمراد بالنفس ءادم صلى الله عليه وسلم وقال واحدة على تانيث لفظ النفس وزوجها يعنى حواء قال ابن عباس وغيره خلق الله ءادم وحشا فى الجنة وحده ثم نام فانتزع الله احدى اضلاعه القُصَيْرى من شماله وقيل من يمينه فخلق منها حواء ويعضد هذا الحديث الصحيح فى قوله صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع اعوج الحديث وبث معناه نشر كقوله تعالى كالفراش المبثوث اي المنتشر وفى تكرير الامر بالتقوى تاكيد لنفوس المامورين وتساءلون معناه تتعاطفون به فيقول احدكم اسألك بالله وقوله والارحام اي واتقوا الارحام وقرأ حمزة والارحام بالخفض عطفا على الضمير كقولهم اسألك بالله وبالرحم قاله مجاهد وغيره قال * ع * وهذه القراءة عند نحاة البصرة لا تجوز لانه لا يجوز عندهم ان يعطف ظاهر على مضمر مخفوض الا فى ضرورة الشعر كقوله * فاذهب فما بك والايام من عجب * لان الضمير المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف واستسهل بعض النحاة هذه القراءة انتهى كلام * ع * قال * ص * والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كمذهب الكوفيين ولا ترد القراءة المتواترة بمثل مذهب البصريين قال وقد امعنا الكلام عليه فى قوله تعالى وكفر به والمسجد الحرام انتهى وهو حسن ونحوه للامام الفخر وفى قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا ضرب من الوعيد قال المحاسبي سألت ابا جعفر محمد بن موسى فقلت اجمل حالات العارفين ما هي فقال ان

الحال التى تجمع لك الحالات المحمودة كلها فى حالة واحدة هي المراقبة فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله اليك فى حركتك وسكونك وجميع احوالك فانك بعين الله عز وجل فى جميع تقلباتك وانك فى قبضته حيث كنت وان عين الله على قلبك وناظر الى سرك وعلانيتك فهذه الصفة يا فتى بحر ليس له شط بحر تجرى منه السواقى والانهار وتسير فيه السفن الى معادن الغنيمة انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه * وقوله سبحانه وءاتوا اليتامى اموالهم الآية قال ابن زيد هذه مخاطبة لمن كانت عادته من العرب ان لا يرث الصغير من الاولاد وقالت طائفة هذه مخاطبة للاوصياء قال ابن العربي وذلك عند الابتلاء والارشاد انتهى * وقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال ابن المسيب وغيره هو ما كان يفعله بعضهم من ابدال الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله والدرهم الطيب بالزائف وقيل المراد لا تاكلوا اموالهم خبيثا وتدعوا اموالكم طيبا وقيل غير هذا والطيب هنا الحلال والخبيث الحرام وقوله الى اموالكم التقدير ولا تضيفوا اموالهم الى اموالكم فى الاكل والضمير فى انه عائد على الاكل والحوب الاثم قاله ابن عباس وغيره وتحوّب الرجل اذا القى الحوب عن نفسه وكذلك تحنث وتأثم وتحرج فان هذه الاربعة بخلاف تفعّل كله لان تفعل معناه الدخول فى الشيء كتعبد وتكسب وما اشبهه ويلحق بهذه الاربعة تفكهون فى قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون اي تطرّحون الفُكاهة عن انفسكم * وقوله تعالى كبيرا نص على ان اكل مال اليتيم من الكبائر * وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى الآية قال ابو عبيدة خفتم هاهنا بمعنى ايقنتم قال * ع * وما قاله غير صحيح ولا يكون الخوف بمعنى اليقين بوجه وانما هو من افعال التوقع الا انه قد يميل فيه الظن

الى احدى الجهتين قلت وكذا رد الداودي على ابي عبيدة ولفظه وعن ابي عبيدة فان خفتم لا تعدلوا مجازه ايقنتم قال ابو جعفر بل هو على ظاهر الكلمة انتهى وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط الرجل اذا عدل وقسط اذا جار قالت عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية فى اولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم فيريدون ان يبخسوهن فى المهر لمكان ولايتهم عليهن فقيل لهم اقسطوا فى مهورهن فمن خاف لا يقسط فليتزوج ما طاب له من الاجنبيات اللواتى يكايسن فى حقوقهن وقاله ربيعة قال الحسن وغيره ما طاب معناه ما حل وقيل ما ظرفية اي ما دمتم تستحسنون النكاح وضعف قلت وفى تضعيفه نظر فتأمله قال الامام الفخر وفى تفسير ما طاب بما حل نظر وذلك ان قوله تعالى فانكحوا امر اباحة فلوكان المراد بقوله ما طاب لكم اي ما حل لكم لتنزلت الآية منزلة ما يقال ابحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك يخرج الآية عن الفائدة ويصيرها مجملة لا محالة اما اذا حملنا طاب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وقد ثبت فى اصول الفقه انه اذا وقع التعارض بين الاجمال والتخصيص كان رفع الاجمال اولى لان العام المخصص حجة فى غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا انتهى وهو حسن ومثنى وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب على البدل من ما طاب وهي نكرات لا تنصرف لانها معدولة وصفة * وقوله فواحدة اي فانكحوا واحدة او ما ملكت ايمانكم يريد به الاماء والمعنى ان خاف ان لا يعدل فى عشرة واحدة فما ملكت يمينه واسند الملك الى اليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن الا ترى انها المنفقة كما قال عليه السلام حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهي المعاهدة المبايعة قال ابن العربي قال علماؤنا وفى الآية دليل على ان ملك

اليميـن لا حـق لـه فى الـوطء والقسم لان المعنى فان خفتم الا تعدلـوا فى القسم فواخدة او ما ملكت ايمانكم فجعل سبحانه ملك اليمين كله بمنزلة الواحدة فانتفى بذلك ان يكون للامة حق فى وطء او قسم انتهى من الاحكام * وقوله ذلك ادنى الا تعولـوا ادنى معناه اقرب الا تعولـوا اي الا تميلـوا قاله ابن عباس وغيره وقالت فرقة معناه ادنى الا يكثر عيالكم وقدح فى هذا الزجاج وغيره * وقوله تعالى وءاتـوا النساء صدقاتهن نحلة الآية قـال ابن عباس وغيـره الآية خطاب للازواج وقال ابـو صالح هي خطاب لاوليـاء النسـاء لان عـادة بعض العرب كانت ان ياكل ولي المـرأة مهرها فرفـع الله ذلك بالاسلام وقيل ان الآية فى المتشاغرين الذين يتزوجون امرأة باخرى فامروا ان يضربـوا المهور قال * ع * والآية تتنـاول هذه التاويلات الثلاث ونحلة اي عطية منكم لهن وقيل نحلة معناه شرعة ماخوذ من النحل وقيـل التقـديـر نحلة من الله لهـن قـال ابن العربي وذلك ان النحلة في اللغة العطية عن غير عوض انتهى * وقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الآية الخطاب حسبما تقـدم من الاختـلاف والمعنى ان وهبن غيـر مكرهات طيبة نفوسهن والضميـر فى منه يعود على الصداق قاله عكرمة وغيره ومن تتضمن الجنس هاهنا ولذلك يجوز ان تهب المهر كله * وقوله تعالى هنيئـا مريئـا قـال اللغويون الطعام الهنيء هو السائغ المستحسن الحميد المغبة وكذلك المريء * وقوله سبحانه ولا توتوا السفهاء اموالكم قال ابو موسى الاشعري وغيـره نـزلت فى كل من اقتضى الصفة التى شرط الله من السفه كان من كان وقوله اموالكم يريـد امـوال المخاطبيـن قاله ابـو موسى الاشعـري وابـن عبـاس والحسن وغيرهم وقال ابن جبيـر يـريد اموال السفهاء واضافها الى المخاطبيـن اذ هي كاموالهم وقيما جمع قيمة * وقوله تعالى وارزقوهم فيـها الآية قيل معناه فيمـن

تلزم الرجل نفقته وقيل في المحجورين من اموالهم ومعروفا قيل معناه ادعوا لهم وقيل معناه عدوهم وعدا حسنا اي ان رشدتم دفعنا لكم اموالكم ومعنى اللفظة كل كلام تعرفه النفوس وتانس اليه ويقتضيه الشرع * وقوله وابتلوا اليتامى الآية الابتلاء الاختبار وبلغوا النكاح معناه بلغوا مبلغ الرجال بحُلم او حيض او غير ذلك ومعناه جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم وآنستم معناه علمتم وشعرتم وخبرتم ومالك رحمه الله يرى الشرطين البلوغ والرشد المختبر وحينئذ يدفع المال قال * ع * والبلوغ لم تسقه الآية سياق الشرط ولكنها حالة الغالب على بنى ءادم ان تلتئم عقولهم فيها فهو الوقت الذى لا يعتبر شرط الرشد الا فيه فقال اذا بلغ ذلك الوقت فلينظر الى الشرط وهو الرشد حينئذ وفصاحة الكلام تدل على ذلك لان التوقيت بالبلوغ جاء باذا والمشروط جاء بان التى هي قاعدة حروف الشرط واذا ليست بحرف شرط الا فى ضرورة الشعر قال ابن عباس الرشد فى العقل وتدبير المال لا غير وهو قول ابن القاسم فى مذهبنا وقال الحسن وقتادة الرشد فى العقل والدين وهو رواية ايضا عن مالك * وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا نهي منه سبحانه للاوصياء عن اكل اموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم والاسراف الافراط فى الفعل والسرف الخطأ فى مواضع الانفاق وبدارا معناه مبادرة كبرهم اي ان الوصي يستغنم مال محجوره وان يكبروا نصب ببدار ويجوز ان يكون التقدير مخافة ان يكبروا * وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف يقال عف الرجل عن الشيء واستعف اذا امسك فامر الغني بالامساك عن مال اليتيم واباح الله للوصي الفقير ان ياكل من مال يتيمه بالمعروف واختلف العلماء فى حد المعروف فقال ابن عباس وغيره انما ياكل الوصي بالمعروف اذا شرب من اللبن واكل من التمر بما يهنا الجرباء ويلط الحوض ويجد التمر وما اشبهه

قلت يقال للقطران الهِناء في لغة العرب كذا رأيته منصوصا عليه * وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم امر من الله تعالى بالتحرز والحزم وهذا هو الاصل في الاشهاد في المدفوعات كلها اذا كان حبسها اولا معروفا قال * ع * والاظهر ان حسيبا هنا معناه حاسبا اعمالكم ومجازيا بها ففي هذا وعيد لكل جاحد حق * وقوله سبحانه للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية قال قتادة وغيره سبب نزول هذه الآية ان العرب كان منها من لا يورِّث النساء ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرمح وقاتل بالسيف * وقوله تعالى واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية اختلف فيمن خوطب بهذه الآية فقيل الخطاب للوارثين وقيل للمحتضَرين والمعنى اذا حضركم الموت ايها المومنون وقسمتم اموالكم بالوصية وحضركم من لا يرث من ذوي القرابة واليتامى فارزقوهم منه*قاله ابن عباس وغيره واختلف هل هي منسوخة بآية المواريث او هي محكمة وعلى انها محكمة فهل الامر على الوجوب فيعطى لهم ما خف او على الندب خلاف والضمير في قوله فارزقوهم وفي قوله لهم عائد على الاصناف الثلاثة والقول المعروف كل ما يتأنس به من دعاء او عِدة او غير ذلك * وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الآية اختلف من المراد في هذه الآية فقال ابن عباس وغيره المراد من حضر ميتا حين يوصي فيقول له قدم لنفسك واعط لفلان وفلان ويوذي الورثة بذلك فكأن الآية تقول لهم كما كنتم تخشون على ورثتكم وذريتكم بعدكم فكذلك فاخشوا على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله وتركهم عالة وقال مقَسَم وحضرمي نزلت في عكس ذلك وهو ان يقول للمحتضَر امسك على ورثتك وابق لولدك وينهاه عن الوصية فيضر بذلك ذوي القربى واليتامى والمساكين وكل من يستحق ان يوصى له فقيل لهم كما كنتم تخشون على

ذريتكم وتسرون بان يحسن اليهم فكذلك فسددوا القول فى جهة اليتامى والمساكين قال * ع * والقولان لا يطردان فى كل الناس بل الناس صنفان يصلح لاحدهما القول الواحد وللآخر القول الثانى وذلك ان الرجل اذا ترك ورثة اغنياء حسن ان يندب الى الوصية ويحمل على ان يقدم لنفسه واذا ترك ورثة ضعفاء مقلين حسن ان يندب الى الترك لهم والاحتياط فان اجره فى قصد ذلك كاجره فى المساكين فالمراعى انما هو الضعف فيجب ان يمال معه وقال ابن عباس ايضا المراد بالآية ولاة الايتام فالمعنى احسنوا اليهم وسددوا القول لهم واتقوا الله فى اكل اموالهم كما تخافون على ذريتكم ان يفعل بهم خلاف ذلك وقالت فرقة بل المراد جميع الناس فالمعنى امرهم بالتقوى فى الايتام واولاد الناس والتسديد لهم فى القول وان لم يكونوا فى حجورهم كما يريد كل احد ان يفعل بولده بعده والسديد معناه المصيب للحق * وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية اكثر الناس ان الآية نزلت فى الاوصياء الذين ياكلون ما لم يبح لهم من اموال اليتامى وهى تتناول كل آكل وان لم يكن وصيا وورد فى هذا الوعيد احاديث منها حديث ابى سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال رأيت قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل فى افواههم صخرا من نار تخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما قلت تأمل رحمك الله صدر هذه السورة معظمه انما هو فى شان الاجوفين البطن والفرج مع اللسان وهما المهلكان واعظم الجوارح آفة وجناية على الانسان وقد روينا عن مالك فى الموطإ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه ما بين

لحييه وما بين رجليه ما بين لحييه وما بين رجليه قال ابو عمر بن عبد البر
في التمهيد ومعلوم انه اراد صلى الله عليه وسلم ما بين لحييه اللسان وما بين
رجليه الفرج والله اعلم ولهذا اردف مالك حديثه هذا بحديثه عن زيد بن
اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب دخل على ابى بكر رضي الله تعالى عنه وهو
يجبذ لسانه فقال له عمر مَهْ غفر الله لك فقال ابو بكر ان هذا اوردنى الموارد
قال ابو عمر وفى اللسان ءاثار كثيرة ثم قال ابو عمر وعن ابى هريرة ان اكثر ما
يدخل الناس النار الاجوفان البطن والفرج ثم اسند ابو عمر عن سهل بن سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتكفل لى بما بين لحييه وما بين
رجليه واضمن له الجنة ومن طريق جابر نحوه انتهى والصلى هو التسخن
بقرب النار او بمباشرتها والمحترق الذى يذهبه الحرق ليس بصال الا فى بدء
امره واهل جهنم لا تذهبهم النار فهم فيها صالون اعاذنا الله منها بجوده وكرمه
والسعير الجمر المشتعل وهذه ءاية من آيات الوعيد والذى يعتقده اهل السنة
ان ذلك نافذ على بعض العصاة ليلا يقع الخبر بخلاف مخبره ساقط بالمشيئة
عن بعضهم * وقوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم الآية تتضمن الفرض والوجوب
قيل نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع وقيل بسبب جابر بن عبد الله *
وقوله للذكر مثل حظ الانثيين اي حظ مثل حظ الانثيين * وقوله فوق اثنتين
معناه اثنتين فما فوقهما تقتضى ذلك قوة الكلام واما الوقوف مع اللفظ فيسقط
معه النص على الاثنتين ويثبت الثلثان لهما بالاجماع ولم يحفظ فيه خلاف الا ما
روي عن ابن عباس انه يرى لهما النصف ويثبت لهما ايضا ذلك بالقياس
على الاختين وبحديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للابنتين
بالثلثين * وقوله سبحانه فان لم يكن له ولد المعنى ولا ولد ولد ذكرا كان او انثى

فلامه الثلث اي وللاب الثلثان * وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس اي كانوا اشقاء او للاب او للام والاجماع على انهم لا ياخذون السدس الذى يحجبون الام عنه وكذا اجمعوا على ان اخوين فصاعدا يحجبون الام عنه الا ما روي عن ابن عباس من ان الاخوين فى حكم الواحد وقدم الوصية فى اللفظ اهتماما بها وندبا اليها اذ هي اقل لزوما من الديْن وايضا قدمها لان الشرع قد حض عليها فلا بد منها والديْن قد يكون وقد لا يكون وايضا قدمها اذ هي حظ مساكين وضعاف واخر الدين لانه حق غريم يطلبه بقوة وله فيه مقال واجمع العلماء على ان الدين مقدم على الوصية والاجماع على انه لا يوصى باكثر من الثلث واستحب كثير منهم ان لا يبلغ الثلث * وقوله تعالى ءاباؤكم وابناؤكم رفع بالابتداء والخبر مضمر تقديره هم المقسوم عليهم او هم المعطوْن وهذا عرْض للحكمة فى ذلك وتانيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة قال ابن زيد قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يعنى فى الدنيا والآخرة قال الفخر وفى الآية اشارة الى الانقياد الى الشرع وترك ما يميل اليه الطبع انتهى * وقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد الآية الولد هنا فى هذه الآية وفى التى بعدها هم بنو الصلب وبنو ذكورهم وان سفلوا والكلالة خلو الميت عن الوالد والولد هذا هو الصحيح * وقوله تعالى وله اخ او اخت الآية الاجماع على ان الاخوة فى هذه الآية الاخوة للام واما حكم سائر الاخوة سواهم فهو المذكور فى ءاخر السورة وقرأ سعد بن ابى وقاص وله اخ او اخت لامه والانثى والذكر فى هذه النازلة سواء باجماع * وقوله سبحانه غير مضار قال ابن عباس الضرار فى الوصية من الكبائر ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ضار فى وصيته القاه الله تعالى فى واد فى

جهنم قال * ع * ووجوه المضارة كثيرة من ذلك ان يقر بحق ليس عليه او يوصي باكثر من ثلثه او لوارثه قال * ص * غير مضار منصوب على الحال اي غير مضار ورثته انتهى قلت وتقدير ابى حيان ورثته ياباه فصاحة الفاظ الآية اذ مقتضاها العموم فلو قال غير مضار ورثة او غيرهم لكان احسن لكن الغالب مضارة الورثة فلهذا قدرهم * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية تلك اشارة الى القسمة المتقدمة فى المواريث وباقى الآية بين * وقوله تعالى واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم الآية الفاحشة فى هذا الموضع الزنا وقوله من نسائكم اضافة فى معناها الاسلام وجعل الله الشهادة على الزنا خاصة لا تتم الا باربعة شهداء تغليظا على المدعى وسترا على العباد قلت ومن هذا المعنى اشتراط رؤية كذا فى كذا كالمرود فى المكحلة قال * ع * وكانت اول عقوبة الزناة الامساك فى البيوت ثم نسخ ذلك بالاذى الذى بعده ثم نسخ ذلك بآية النور وبالرجم فى الثيب قاله عبادة بن الصامت وغيره وعن عمران بن حصين انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحي ثم اقلع عنه ووجهه محمر فقال قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم خرجه مسلم وهو خبر آحاد ثم ورد فى الخبر المتواتر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد فمن قال ان السنة المتواترة تنسخ القرءان جعل رجم الرسول دون جلد ناسخا لجلد الثيب وهذا الذى عليه الامة ان السنة المتواترة تنسخ القرءان اذ هما جميعا وحي من الله سبحانه ويوجبان جميعا العلم والعمل ويتجه عندى فى هذه النازلة بعينها ان يقال ان الناسخ لحكم الجلد هو القرءان المتفق على رفع لفظه وبقاء حكمه فى قوله تعالى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة وهذا نص فى الرجم وقد

قرره عمر على المنبر بمحضر الصحابة والحديث بكماله في مسلم والسنة هي المبينة ولفظ البخاري او يجعل الله لهن سبيلا الرجم للثيب والجلد للبكر انتهى * وقوله تعالى واللذان ياتيانها منكم الآية قال مجاهد وغيره الآية الاولى في النساء عموما وهذه في الرجال فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الاذى وهذا قول يقتضيه اللفظ ويستوفي نص الكلام اصناف الزناة عامة ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الاولى من نسائكم وقوله في الثانية منكم واجمع العلماء على ان هاتين الآيتين منسوختان كما تقدم * وقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية قال * ص * التوبة مبتدأ على حذف مضاف اي قبول التوبة انتهى قال * ع * انما حاصرة وهو مقصد المتكلم بها ابدا فقد تصادف من المعنى ما يقتضي العقل فيه الحصر كقوله تعالى انما الله اله واحد وقد لا تصادف ذلك كقوله انما الشجاع عنترة وهي في هذه الآية حاصرة اذ ليست التوبة الا لهذا الصنف المذكور وتصح التوبة وان نقضها التائب في ثاني حال بمعاودة الذنب فان التوبة الاولى طاعة قد انقضت وصحت وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الى توبة اخرى مستانفة وتصح ايضا التوبة من ذنب مع الاقامة على غيره من غير نوعه خلافا للمعتزلة في قولهم لا يكون تائبا من اقام على ذنب * وقوله تعالى على الله اي على فضل الله ورحمته لعباده وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم ما حق العباد على الله انما معناه ما حقهم على فضله ورحمته والعقيدة انه لا يجب على الله تعالى شيء عقلا والسوء في هذه الآية يعم الكفر والمعاصي وقوله تعالى بجهالة معناه بسفاهة وقلة تحصيل ادى الى المعصية وليس المعنى ان تكون الجهالة بان ذلك الفعل معصية لان المتعمد للذنوب كان يخرج من التوبة وهذا فاسد اجماعا وما ذكرته في الجهالة قاله اصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم ذكر ذلك عنهم ابو العالية وقال قتادة اجتمع اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم على ان كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت او جهلا وقال به
ابن عباس ومجاهد والسدي وروي عن مجاهد والضحاك انهما قالا الجهالة
هنا العمد وقال عكرمة امور الدنيا كلها جهالة قال * ع * يريد الخاصة
بها الخارجة عن طاعة الله سبحانه وهذا المعنى عندي جار مع قوله تعالى انما
الحياة الدنيا لعب ولهو واختلف المتأولون في قوله تعالى من قريب فقال ابن
عباس والسدي معنى ذلك قبل المرض والموت وقال الجمهور معنى ذلك قبل
المعاينة للملائكة والسوق وان يغلب المرء على نفسه وروى ابو قلابة ان
الله تعالى لما خلق ءادم فرءاه ابليس اجوف ثم جرى له ما جرى ولعن وانظر قال
وعزتك لا برحت من قلبه ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا احجب
عنه التوبة ما دام فيه الروح قال * ع * فابن عباس رضي الله عنه ذكر
احسن اوقات التوبة والجمهور حدوا ءاخر وقتها وروى بشير بن كعب والحسن
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ويغلب
على عقله قال * ع * لان الرجاء فيه باق ويصح منه الندم والعزم على
الترك وقوله تعالى من قريب انما معناه من قريب الى وقت الذنب ومدة
الحياة كلها قريب والمبادرة في الصحة افضل قلت بل المبادرة واجبة * وقوله تعالى
وكان الله عليما اي بمن يتوب وييسره هو سبحانه للتوبة حكيما فيما ينفذه من
ذلك وفي تأخير من يؤخر حتى يهلك ثم نفى بقوله تعالى وليست التوبة
الآية ان يدخل في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز اليأس كما كان
فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق فلم ينفعه ما اظهره من الايمان وبهذا قال
ابن عباس وجماعة المفسرين قال * ع * والعقيدة عندي في هذه الآيات

ان من تاب من قريب فله حكم التائب فيغلب الظن عليه انه ينعم ولا يعذب هذا مذهب ابى المعالى وغيره وقال غيرهم بل هو مغفور له قطعا لاخبار الله تعالى بذلك وابو المعالى يجعل تلك الاخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس فى حكم التائبين فان كان كافرا فهو يخلد وان كان مومنا فهو عاص فى المشيئة لكن يغلب الخوف عليه ويقوى الظن فى تعذيبه ويقطع من جهة السمع ان من هذه الصنيفة من يغفر الله تعالى له تفضلا منه لايعذبه وأعلم الله تعالى ايضا ان الذين يموتون وهم كفار فلا مستعتب لهم ولا توبة فى الآخرة * وقوله تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ان كانت الاشارة الى الذين يموتون وهم كفار فقط فالعذاب عذاب خلود مؤبد وان كانت الاشارة اليهم والى من ينفذ عليه الوعيد ممن لا يتوب الامع حضور الموت فهو فى جهة هؤلاء عذاب لا خلود معه واعتدنا معناه يسرناه واحضرناه * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها الآية قال ابن عباس كانوا فى الجاهلية اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته من اهلها ان شاءوا تزوجها احدهم وان شاءوا زوجوها من غيرهم وان شاءوا منعوها الزواج فنزلت الآية فى ذلك وقال بعض المتأولين معنى الآية لا يحل لكم عضل النساء اللواتى انتم اولياء لهن وامساكهن دون تزويج حتى يمتن فتورث اموالهن قال * ع * فعلى هذا القول فالموروث مالها لا هي وروي نحو هذا عن ابن عباس * وقوله تعالى ولا تعضلوهن الآية قال ابن عباس وغيره هي ايضا فى اولائك الاولياء الذين كانوا يرثون المرأة لانهم كانوا يتزوجونها اذا كانت جميلة ويمسكونها حتى تموت اذا كانت دميمة وقال نحوه الحسن وعكرمة وقال ابن عباس ايضا هي فى الازواج فى الرجل يمسك المرأة ويسيء عشرتها حتى تفتدي منه فذلك لا يحل له وقال مثله قتادة وهو

اقوى الاقوال ودليل ذلك قوله الا ان ياتين بفاحشة واذا اتت بفاحشة فليس للولي حبسها حتى يذهب بمالها اجماعا من الامة وانما ذلك للزوج على ما سنبينه الآن ان شاء الله وكذلك قوله عاشروهن الى اخر الآية يظهر منه تقوية ما ذكرته واختلف في معنى الفاحشة هنا فقال الحسن بن ابى الحسن هو الزنا قال ابو قلابة اذا زنت امرأة الرجل فلا باس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وقال السدي اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن قلت وحديث المتلاعنين يضعف هذا القول لقوله صلى الله عليه وسلم فذاك بما استحللت من فرجها الحديث وقال ابن عباس وغيره الفاحشة في هذه الآية البغض والنشوز فاذا نشزت حل له ان ياخذ مالها قال * ع * وهو مذهب مالك وقال قوم الفاحشة البذاء باللسان وسوء العشرة قولا وفعلا وهذا في معنى النشوز قال * غ * والزنا اصعب على الزوج من النشوز والاذى وكل ذلك فاحشة تحل اخذ المال * وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف امر يعم الازواج والاولياء ولكن المتلبس في الاغلب بهذا الامر الازواج والعشرة المخالطة والممازجة * وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال السدي الخير الكثير في المرأة الولد وقال نحوه ابن عباس قال * ع * ومن فصاحة القرءان العموم الذى في لفظة شيء لانه يطرد هذا النظر في كل ما يكرهه المرء مما يجمل الصبر عليه ويحسن اذ عاقبة الصبر الى خير اذا اريد به وجه الله * وقوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية لما مضى في الآية المتقدمة حكم الفراق الذى سببه المرأة وان للزوج اخذ المال منها عقب ذلك بذكر الفراق الذى سببه الزوج والمنع من اخذ مالها مع ذلك وقال بعض الناس يوخذ من الآية جواز المغالاة بالمهور وقال قوم لا تعطي الآية ذلك لان التمثيل انما جاء على جهة المبالغة والبهتان

مصدر فى موضع الحال ومعناه مبهتا ثم وعظ تعالى عباده وافضى معناه باشر وقال مجاهد وغيره الافضاء فى هذه الآية الجماع قال ابن عباس ولكن الله كريم يَكْنى واختلف فى المراد بالميثاق الغليظ فقال الحسن وغيره هو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقال مجاهد وابن زيد الميثاق الغليظ عقدة النكاح وقول الرجل نكحت وملكت النكاح ونحوه فهذه التى بها تستحل الفروج وقال عكرمة والربيع الميثاق الغليظ يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عَوان عندكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء الا ما قد سلف سبب الآية ما اعتادته بعض قبائل العرب ان يخلف ابن الرجل على امرأة ابيه وقد كان فى العرب من تزوج ابنته وهو حاجب بن زُرارة واختلف فى مقتضى الفاظ الآية فقالت فرقة قوله ما نكح يريد النساء اي لا تنكحوا النساء اللواتى نكح ءاباؤكم وقوله الا ما قد سلف معناه ولكن ما قد سلف فدعوه وقال بعضهم المعنى لكن ما قد سلف فهو معفو عنكم لمن كان واقعه فكانه قال ولا تفعلوا حاشا ما قد سلف وقالت فرقة معناه لا تنكحوا كما نكح ءاباؤكم من عقودهم الفاسدة الا ما قد سلف منكم من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم الاقامة عليه فى الاسلام اذا كان مما يقرر الاسلام عليه وقيل الا ما قد سلف فهو معفو عنكم وقال ابن زيد معنى الآية النهي عن ان يطأ الرجل امرأة وطئها الاب الا ما سلف من الآباء فى الجاهلية من الزنا بالنساء لا على وجه المناكحة فذلك جائز لكم لان ذلك الزنا كان فاحشة والمقت البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها الممقوت وساء سبيلا اي بئس الطريق والمنهج لمن يسلكه اذ عاقبته الى عذاب الله قال * ص * ساء للمبالغة فى الذم كبئس وسبيلا تفسيره والمخصوص بالذم

محذوف اي سبيل هذا النكاح كقوله تعالى بيس الشراب اي ذلك الماء انتهى * وقوله سبحانه حرمت عليكم امهاتكم الآية حكم حرم الله به سبعا من النسب وستا من بين رضاع وصهر والحقت السنة المتواترة سابعة وهي الجمع بين المرأة وعمتها ومضى عليه الاجماع وروي عن ابن عباس انه قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع وتلا هذه الآية وقال عمرو بن سالم مثل ذلك وجعل السابعة قوله تعالى والمحصنات * وقوله تعالى وامهات نسائكم اي سواء دخل بالبنت او لم يدخل فبالعقد على البنت حرمت الام هذا الذى عليه الجمهور * وقوله تعالى وربائبكم اللاتى فى حجوركم ذكر الاغلب من هذه الامور اذ هذه حالة الربيبة فى الاكثر وهي محرمة وان لم تكن فى الحجر ويقال حجر بكسر الحاء وفتحها وهو مقدم ثوب الانسان وما بين يديه منه ثم استعملت اللفظة فى الحفظ والستر * وقوله اللاتى دخلتم بهن قال ابن عباس وغيره الدخول هنا الجماع وجمهور العلماء يقولون ان جميع انواع التلذذ بالام يحرم الابنة كما يحرمها الجماع والحلائل جمع حليلة لانها تحل مع الزوج حيث حل فهي فعيلة بمعنى فاعلة وذهب الزجاج وقوم الى انها من لفظة الحلال فهي حليلة بمعنى محللة * وقوله تعالى الذين من اصلابكم يخرج من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وحرمت حليلة الابن من الرضاع وان لم يكن للصلب بالاجماع المستند الى قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب * وقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين لفظ يعم الجمع بنكاح وبملك يمين واجمعت الامة على منع جمعهما بنكاح ولا خلاف فى جواز جمعهما بالملك ومذهب مالك ان له ان يطأ ايتهما شاء والكف عن الاخرى موكول الى امانته فان اراد وطء الاخرى فيلزمه ان يحرم فرج الاولى بعتق اوكتابة او غير ذلك وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه نهى ان يجمع بيـن المرأة وعمتها و بيـن المرأة وخالتها واجمعت الامة على ذلك * وقوله تعالى الا ما قد سلف استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وازاله الاسلام فان الله تعالى يغفره والاسلام يَجُبّه * وقوله تعالى والمحصنات عطفا على المحرمات قيل والتحصن التمنع ومنه الحصن وحصنت المرأة امتنعت بوجه من وجوه الامتناع واحصنت نفسها واحصنها غيرها والاحصان تستعمله العرب فى اربعة اشياء وعلى ذلك تصرفت اللفظة فى كتاب الله عز وجل فتستعمله فى الزواج لان ملك الزوج منعة وحفظ وتستعمله فى الحرية لان الاماء كان عرفهن فى الجاهلية الزنا والحرة بخلاف ذلك الا ترى الى قول هند وهل تزنى الحرة وتستعمله فى الاسلام لانه حافظ وتستعمله فى العفة لانها اذا ارتبط بها انسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحفظ وحيث ما وقعت اللفظة فى القرءان فلا تجدها تخرج عن هذه المعانى لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعانى دون بعض كما سياتى بيانه فى اماكنه ان شاء الله فقوله سبحانه فى هذه الآية والمحصنات قال فيه ابن عباس وغيره هن ذوات الازواج محرمات الا ما ملكت اليمين بالسبي وروي عن ابن شهاب انه سئل عن هذه الآية والمحصنات من النساء فقال نُرى انه حرم فى هذه الآية ذوات الازواج والعفائف من حرائر ومملوكات ولم يحل شيء من ذلك الا بنكاح او شراء او تملك وهذا قول حسن عمّم لفظ الاحصان ولفظ ملك اليمين وذلك راجع الى ان الله حرم الزنا قال عَبيدة السَّلْماني وغيره قوله سبحانه كتاب الله عليكم اشارة الى ما ثبت من القرءان من قوله سبحانه مثنى وثلاث ورباع وفى هذا بعد والا ظهر ان قوله كتاب الله عليكم انما هو اشارة الى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت الجاهلية تفعله قال الفخر وكتاب الله عليكم مصدر من غير

لفظ الفعل قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون عليكم خبرا
له فيكون المعنى الزموا كتاب الله انتهى وفى التمهيد لابى عمر بن عبد البر
كتاب الله عليكم اي حكمه فيكم وقضاؤه عليكم انتهى * وقوله سبحانه واحل لكم
ما وراء ذلكم قال عطاء وغيره المعنى واحل لكم ما وراء من حرم قلت اي على ما
علم تفصيله من الشريعة قال * ع * وان تبتغوا باموالكم لفظ يجمع التزوج
والشراء ومحصنين معناه متعففين اي تحصنون انفسكم بذلك غير مسافحين اي
غير زناة والسّفاح الزنا * وقوله سبحانه فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن
قال ابن عباس وغيره المعنى فاذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء ولو مرة فقد
وجب اعطاء الاجر وهو المهر كله وقال ابن عباس ايضا وغيره ان الآية نزلت فى
نكاح المتعة قال ابن المسيب ثم نسخت قال * ع * وقد كانت المتعة فى صدر
الاسلام ثم نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به اي من حط اوتأخير بعد استقرار الفريضة ومن قال بان الآية المتقدمة فى
المتعة قال الاشارة بهذه الى ان ما تراضيا عليه من زيادة فى مدة المتعة وزيادة فى الاجر
جائز * وقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الآية قال ابن عباس وغيره الطول
هنا السعة فى المال وقاله مالك فى المدونة فعلى هذا التاويل لا يصح للحر ان يتزوج
الامة الا باجتماع شرطين عدم السعة فى المال وخوف العنت وهذا هو نص مالك فى
المدونة قال مالك فى المدونة وليست الحرة تحته بطول ان خشي العنت وقال فى
كتاب محمد ما يقتضي ان الحرة بمثابة الطول قال الشيخ ابو الحسن اللخمي وهو
ظاهر القرءان ونحوه عن ابن حبيب وقال ابو حنيفة وجود الحرة تحته لا يجوز معه
نكاح الامة وقاله الطبري وتقول طال الرجل طولا بفتح الطاء اذا تفضل ووجد
واتسع وطولا بضمها فى ضد القصر والمحصنات فى هذا الموضع الحرائر والفتاة وان

كانت فى اللغة واقعة على الشابة ايّة كانت فعرفها فى الاماء وفتى كذلك والمومنات فى هذا الموضع صفة مشترطة عند مالك وجمهور اصحابه فلا يجوز نكاح امة كافرة عندهم قلت والعلة فى منع نكاح الامة ما يئول اليه الحال من استرقاق الولد * وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض معناه والله اعلم ببواطن الامور ولكم ظواهرها فاذا كانت الفتاة ظاهرها الايمان فنكاحها صحيح وفى اللفظ ايضا تنبيه على انه ربما كان ايمان امة افضل من ايمان بعض الحرائر فلا تعجبوا بمعنى الحرية والمقصد بهذا الكلام ان الناس سواء بنو الحرائر وبنو الاماء اكرمهم عند الله اتقاهم وفى هذا توطئة لنفوس العرب التى كانت تستهجن ولد الامة * وقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن معناه بولاية اربابهن المالكين وءاتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف معناه بالشرع والسنة ومحصنات الظاهر انه بمعنى عفيفات قال * ص * محصنات منصوب على الحال والظاهر ان العامل وءاتوهن ويجوز ان يكون العامل فانكحوهن محصنات اي عفائف انتهى والمسافحات الزوانى المتبذلات اللواتى هن سوق للزنا ومتخذات الاخدان هن المستترات اللواتى يصحبن واحدا واحدا ويزنين خفية وهذان كانا نوعين فى زنا الجاهلية قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى فاذا احصن الآية اي تزوجن قال الزهري وغيره فالمتزوجة محدودة بالقرءان والمسلمة غير المتزوجة محدودة بالحديث وفى مسلم والبخاري انه قيل يا رسول الله الامة اذا زنت ولم تحصن فاوجب عليها الحد والفاحشة هنا الزنا قال * ص * وجواب اذا فان اتين وجوابه انتهى والمحصنات فى هذه الآية الحرائر اذ هي الصفة المشروطة فى الحد الكامل والرجم لا يتنصف فلم يُرَد فى الآية باجماع والعنت فى اللغة المشقة قال ابن عباس وغيره والمقصد به هنا الزنا * وقوله تعالى وان تصبروا خير لكم يعنى عن نكاح

الاماء قاله ابن عباس وغيره وهذا ندب الى الترك وعلته ما يؤدى اليه نكاح الاماء من استرقاق الولد ومهنتهن * وقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم الآية التقدير عند سيبويه يريد الله لان يبين لكم ويهديكم بمعنى يرشدكم والسنن الطرق ووجوه الامور وانحاؤها والذين من قبلنا هم المومنون من كل شريعة * وقوله سبحانه والله يريد ان يتوب عليكم الآية مقصد هذه الآية الاخبار عن ارادة الذين يتبعون الشهوات فقدمت ارادة الله تعالى توطئة مظهرة لفساد ارادة متبعي الشهوات واختلف المتأولون فى تعيين متبعى الشهوات فقال مجاهد هم الزناة وقال السدي هم اليهود والنصارى وقالت فرقة هم اليهود خاصة لانهم ارادوا ان يتبعهم المسلمون فى نكاح الاخوات من الاب وقال ابن زيد ذلك على العموم فى هؤلاء وفى كل متبع شهوة ورجحه الطبري * وقوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم الآية اي لما علمنا ضعفكم عن الصبر عن النساء خففنا عنكم باباحة الاماء قاله مجاهد وغيره وهو ظاهر مقصود الآية ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية مخرج التفضل لانها تتناول كل ما خففه الله سبحانه عن عباده وجعله الدين يسرا ويقع الاخبار عن ضعف الانسان عاما حسبما هو فى نفسه ضعيف يستميله هواه فى الاغلب * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة الآية الاستثناء منقطع المعنى لكن ان كانت تجارة فكلوها واخرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله انتهى * وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما اجمع المتأولون على ان المقصود بهذه الآية النهي عن ان يقتل بعض الناس بعضا ثم لفظها يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل او بان يحملها على غَرر رُبما مات منه فهذا كله يتناوله النهي وقد احتج

عمرو بن العاصي بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه منه فقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجه * وقوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الآية اختلف في المشار اليه بذلك فقال عطاء ذلك عائد على القتل لانه اقرب مذكور وقالت فرقة ذلك عائد على اكل المال بالباطل وقتل النفس وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نُهي عنه من اول السورة وقال الطبري ذلك عائد على ما نُهي عنه من ءاخر وعيد وذلك قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان كل ما نهي عنه قبله الى اول السورة قرن به وعيد قال ابن العربي في احكامه والقول الاول اصح وما عداه محتمل انتهى والعدوان تجاوز الحد قال * ص * عدوانا وظلما مصدران في موضع الحال اي متعدين وظالمين ابو البقاء او مفعول من اجله انتهى واختلف العلماء في الكبائر فقال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب او لعنة او ما اشبه ذلك وقال ابن عباس ايضا كل ما نهى الله عنه فهو كبير وعلى هذا القول ائمة الكلام القاضي وابو المعالي وغيرهما قالوا وانما قيل صغيرة بالاضافة الى اكبر منها والا فهي في نفسها كبيرة من حيث المعصي بالجميع واحد واختلف العلماء في هذه المسألة فجماعة من الفقهاء والمحدثين يرون ان باجتناب الكبائر تكفر الصغائر قطعا واما الاصوليون فقالوا محمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء لا على القطع ومحمل الكبائر عند الاصوليين في هذه الآية اجناس الكفر والآية التي قيدت الحكم فترد اليها هذه المطلقات كلها قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكريما يقتضي كرم الفضيلة ونفي العيوب كما تقول ثوب كريم وهذه ءاية رجاء وروى ابو حاتم البُسْتِي في المسند الصحيح له عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس

على المنبر ثم قال والذى نفسى بيده ثلاث مرات ثم سكت فاكب كل رجل منا يبكى حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يؤدى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبعَ الا فتحت له ثمانية ابواب من الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية انتهى من التذكرة للقرطبي ونحوه ما رواه مسلم عن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر قال القرطبي وعلى هذا جماعة اهل التاويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعْد الله الصدق وقوله الحق سبحانه واما الكبائر فلا تكفرها الا التوبة منها انتهى قلت وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات انتهى * وقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الآية سبب الآية ان النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال فى الميراث وشاركناهم فى الغزو وروي ان ام سلمة قالت ذلك او نحوه وقال الرجال ليت لنا فى الآخرة حظا زائدا على النساء كما لنا عليهن فى الدنيا فنزلت الآية قال * ع * لان فى تمنيهم هذا تحكما على الشريعة وتطرقا الى الدفع فى صدر حكم الله تعالى فهذا نهي عن كل تمن بخلاف حكم شرعي واما التمنى فى الاعمال الصالحة فذلك هو الحسن وقد قال صلى الله عليه وسلم وددت ان اقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا الحديث وفى غير موضع ولقوله تعالى واسألوا الله من

فضله قال القشيري سمعت الشيخ ابا علي يقول من علامات المعرفة ان لا تسأل حوائجك قلت اوكثرت الا من الله تعالى مثل موسى اشتاق الى الرؤية فقال رب ارنى انظر اليك واحتاج مرة الى رغيف فقال رب انى لما انزلت الي من خير فقير انتهى من التحبير * وقوله تعالى للرجال نصيب الآية قالت فرقة معناه من الاجر والحسنات فكانه قيل للناس لا تتمنوا فى امر مخالف لما حكم الله به لاختيار ترونه انتم فان الله تعالى قد جعل لكل احد نصيبا من الاجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له وهذا قول حسن وفى تعليقه سبحانه النصيب بالاكتساب حض على العمل وتنبيه على كسب الخير * وقوله سبحانه وسألوا الله من فضله قال ابن جبير وغيره هذا فى فضل العبادات والدين لا فى فضل الدنيا وقال الجمهور ذلك على العموم وهو الذى يقتضيه اللفظ فقوله وسألوا الله يقتضى مفعولا ثانيا تقديره واسألوا الله الجنة اوكثيرا من فضله * وقوله تعالى ولكل جعلنا موالي الآية اي ولكل احد قال ابن عباس وغيره الموالى هنا العصبة والورثة والمعنى ولكل احد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والاقربون * وقوله تعالى والذين رفع بالابتداء والخبر فى قوله فآتوهم نصيبهم واختلف من المراد بالذين فقال الحسن وابن عباس وابن جبير وغيرهم هم الاحلاف فان العرب كانت تتوارث بالحلف ثم نسخت بآيات الانفال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال ابن عباس ايضا هم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بينهم كانوا يتوارثون بهذه الآية حتى نسخ ذلك بما تقدم وقال ابن المسيب هم الذين كانوا يُتَبَنَّون قال * ع * ولفظة المعاقدة والايمان ترجح ان المراد الاحلاف * وقوله الرجال قوامون بناء مبالغة وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه فقيام الرجال على النساء هو على هذا

الحد وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضي ان للرجال عليهن استيلاء
قال ابن عباس الرجال امراء على النساء قال ابن العربي فى احكامه وللرجال
عليهن درجة لفضل القوامية فعليه ان يبذل المهر والنفقة وحسن العشرة
ويحجبها ويامرها بطاعة الله تعالى ويُنْهِيَ اليها شعائر الاسلام من صلاة
وصيام وما وجب على المسلمين وعليها الحفظ لماله والاحسان الى اهله
والالتزام لامره فى الحجبة وغيرها الا باذنه وقبول قوله فى الطاعات انتهى
وما مصدرية فى الموضعين والصلاح فى قوله فالصالحات هو الصلاح فى
الدين وقانتات معناه مطيعات لازواجهن او لله فى ازواجهن حافظات للغيب
معناه لكل ما غاب عن علم زوجها مما استُرْعِيَتْه وروى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها
اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الآية وقوله بما حفظ الله ما مصدرية تقديره بحفظ الله ويصح ان
تكون بمعنى الذى ويكون العائد فى حفظ ضمير نصب اي بالذى حفظه الله
ويكون المعنى اما حفظ الله ورعايته التى لا يتم امر دونها واما اوامره ونواهيه
للنساء فكانها حفظه بمعنى ان النساء يحفظن بازاء ذلك وبقدره * وقوله تعالى
واللاتى تخافون نشوزهن الآية النشوز ان تتعوج المرأة ويرتفع خلقها
وتستعلي على زوجها واهجروهن فى المضاجع قال ابن عباس يضاجعها ويوليها
ظهره ولا يجامعها وقال مجاهد جنبوا مُضاجعتهن وقال ابن جبير هي هجرة الكلام
اي لا تكلموهن واعرضوا عنهن فيقدر حذف تقديره واهجروهن فى سبب المضاجع
حتى يراجعنها * م * قوله فى المضاجع ذكر ابو البقاء فيه وجهين الاول
ان فى على بابها من الظرفية اي اهجروهن فى مواضع الاضطجاع اي اتركوا

مضاجعتهن دون ترك مكالمتهن الثاني انها بمعنى السبب اي اهجروهن بسبب المضاجع كما تقول فى هذه الجناية عقوبة انتهى وكونها للظرفية اظهر والله اعلم والضرب فى هذه الآية هو ضرب الادب غير المبرح وهو الذى لا يكسر عظما ولا يشين جارحة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا النساء اذا عصينكم فى معروف ضربا غير مبرح قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح قال بالشراك ونحوه قال ابن العربي فى احكامه قوله عز وجل واضربوهن ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ان لكم على نسائكم حقا لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه وعليهن الا ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد اذِن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفى هذا دليل على ان الناشز لا نفقة لها ولا كسوة وان الفاحشة هي البذاء ليس الزنا كما قال العلماء ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الضرب وبين انه لا يكون مبرحا اي لا يظهر له اثر على البدن انتهى قال * ع * وهذه العظة والهجر والضرب مراتب ان وقعت الطاعة عند احداها لم يتعد الى سائرها وتبغوا معناه تطلبوا وسبيلا اي الى الاذى وهو التعنيت والتعسف بقول او فعل وهذا نهي عن ظلمهن وحسُن هنا الاتصاف بالعلو والكبر اي قدره سبحانه فوق كل قدر ويده بالقدرة فوق كل يد فلا يستعلى احد بالظلم على امرأته فالله تعالى بالمرصاد وينظر الى هذا حديث ابى مسعود قال كنت اضرب غلامي فسمعت قائلا يقول اعلم ابا مسعود اعلم ابا مسعود فصرفت وجهي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا العبد الحديث * وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا الآية اختلف من المامور بالبعثة فقيل الحكام وقيل المخاطب الزوجان

واليهما تقديم الحكَمين وهذا فى مذهب مالك والاول لربيعة وغيره ولا يبعث الحكمان الا مع شدة الخوف والشقاق ومذهب مالك وجمهور العلماء ان الحكمين ينظران فى كل شيء ويحملان على الظالم ويمضيان ما رأياه من بقاء او فراق وهو قول علي بن ابى طالب فى المدونة وغيرها * وقوله ان يريدا اصلاحا قال مجاهد وغيره المراد الحكمان اي اذا نصحا وقصدا الخير بورك فى وساطتهما وقالت فرقة المراد الزوجان والاول اظهر وكذلك الضمير فى بينهما يحتمل الامرين والاظهر انه للزوجين والاتصاف بعليم خبير يناسب ما ذكر من ارادة الاصلاح * وقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و بالوالدين احسانا العبادة التذلل بالطاعة واحسانا مصدر والعامل فيه فعل تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا و بذى القربى هو القريب النسب من قبَل الاب والام قال ابن عباس وغيره والجار ذو القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الجار الاجنبي وقالت فرقة الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة قال ابن عباس وغيره الصاحب بالجنب هو الرفيق فى السفر وقال علي بن ابى طالب وابن مسعود وابن ابى ليلى وغيرهم هو الزوجة وقال ابن زيد هو الرجل يعتريك ويلم بك لتنفعه واسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من اصحابه وهما على راحلتين فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين احدهما معوج وخرج فاعطى صاحبه القويم وحبس هو المعوج فقال له الرجل كنت يا رسول الله احق بهذا فقال له يا فلان ان كل صاحب يصحب الآخر فانه مسئول عن صَحابته ولو ساعة من نهار قلت واسند الحافظ محمد بن طاهر المَقْدِسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند

الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره انتهى من صفوة التصوف وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه اخرجه البخاري واخرجه ايضا من طريق عائشة رضي الله عنها انتهى وابن السبيل المسافر وسمي ابنه للزومه له وما ملكت ايمانكم هم العبيد الارقاء قال ابن العربي في احكامه وقد امر الله سبحانه بالرفق بهم والاحسان اليهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخوانكم ملّككم الله رقابهم فاطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم انتهى ونفى سبحانه محبته عن مَن صفته الخُيَلاء والفخر وذلك ضرب من التوعد يقال خال الرجل يخول خولا اذا تكبر واعجب بنفسه وخص سبحانه هاتين الصفتين هنا اذ مقتضاهما العُجْب والزهو وذلك هو الحامل على الاخلال بالاصناف الذين تقدم امر الله بالاحسان اليهم * وقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الآية قالت فرقة الذين في موضع نصب بدل مِن مَن في قوله من كان مختالا ومعناه على هذا يبخلون باموالهم ويامرون الناس يعني اخوانهم ومن هو مظنة طاعتهم بالبخل بالاموال ان تنفَق في شيء من وجوه الاحسان الى من ذكر ويكتمون ما ءاتاهم الله من فضله يعني من الرزق والمال فالآية اذن في المومنين اي واما الكافرون فاعد لهم عذابا مهينا وروي ان الآية نزلت في احبار اليهود بالمدينة اذكتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم وبخلوا به والتوعد بالعذاب المهين لهم واعتدنا معناه يسّرنا واحضرنا والعتيد الحاضر والمهين الذي يقترن به خزي وذل وهو انكى واشد على المعذَّب * وقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس الآية الذين في موضع رفع على القطع والخبر محذوف وتقديره بعد اليوم الآخر معذبون والصحيح الذي عليه

الجمهور ان هذه الآية فى المنافقين والقرين فعيل بمعنى فاعل من المقارنة وهي
الملازمة والاصطحاب والانسان كله يقارنه الشيطان لكن الموفّق عاص له * وقوله
تعالى وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الآية التقدير واي شيء عليهم لو آمنوا
وفى هذا الكلام تفجع ما عليهم واستدعاء جميل يقتضي حيطة واشفاقا وكان الله
بهم عليما اخبار يتضمن وعيدا وينبه على سوء تواطئهم اي لا ينفعهم كتم مع علم
الله بهم * وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية مثقال مفعال من الثقل
والذرة الصغيرة الحمراء من النمل وروي عن ابن عباس انه قال الذرة راس
النملة وقرأ ابن عباس مثقال نملة قال قتادة عن نفسه ورواه عن بعض العلماء
لان تفضل حسناتى على سيئاتى بمثقال ذرة احب الي من الدنيا جميعا * وقوله
سبحانه وان تك حسنة التقدير وان تك زنة الذرة وفى صحيح مسلم وغيره
من حديث ابى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم يضرب الجسر
على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم وفيه فيمر المومنون كطرف العين
وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسَلّم ومخدوش مرسَل
ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذى نفسي بيده ما
من احد منكم باشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة
لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال
لهم اخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت
النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به
فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذَرْ فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن
وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم

يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه
مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقاكثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا
وكان ابو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقونى فى هذا الحديث فاقرءوا ان شئتم
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
فيقول الله عزوجل شفَعت الملائكةُ وشفع النبيئون وشفع المومنون ولم يبق
الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
الحديث انتهى ولفظ البخاري فما انتم باشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم
من المومنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا فى اخوانهم الحديث وقرأ نافع
وابن كثير حسنة بالرفع على تمام كان التقديروان توجد حسنة ويضاعفها جواب
الشرط وقرأ ابن كثير يضعفها وهو بناء تكثير يقتضى اكثر من مرتين الى اقصى ما
تريد من العدد قال بعض المتأولين هذه الآية خص بها المهاجرون لان الله
تعالى اعلم فى كتابه ان الحسنة لكل مومن مضاعفة عشر مرار وأعلم فى هذه الآية
انها مضاعفة مرارا كثيرة حسبما روى ابو هريرة من انها تضاعف الفي الف مرة
وروى غيره الف الف مرة وقال بعضهم بل وعد بذلك جميع المومنين قال
* ع * والآية تعم المومنين والكافرين فاما المومنون فيجازون فى الآخرة على
مثاقيل الذر فما زاد واما الكافرون فما يفعلونه من خير فانه تقع عليه المكافأة بنعم
الدنيا وياتون يوم القيامة ولا حسنة لهم قلت وقد ذكرنا فى هذا المختصر من
احاديث الرجاء واحاديث الشفاعة جملة صالحة لا توجد مجتمعة فى غيره على
نحو ما هي فيه عسى الله ان ينفع به الناظر فيه ومن اعظم احاديث الرجاء ما
ذكره عياض فى الشفا قال ومن حديث انس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا شفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من شجر وحجر اه وهذا الحديث

اخرجه النساءي ولفظه انى لاشفع يوم القيامة لا كثر مما على الارض من شجر وحجر الحديث انتهى من الكوكب الدري ومن لدنه معناه من عنده والاجر العظيم الجنة قاله ابن مسعود وغيره واذا من الله سبحانه بتفضله على عبده بلغ به الغاية اللهم من علينا بخير الدارين بفضلك * وقوله جلت قدرته فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الآية لما تقدم فى التى قبلها الاعلام بتحقيق الاحكام يوم القيامة حسن بعد ذلك التنبيه على الحالة التى يحضر ذلك فيها ويجاء فيها بالشهداء على الامم ومعنى الآية ان الله سبحانه ياتى بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق والتكذيب ومعنى الامة فى هذه الآية جميع من بعث اليه من آمن منهم ومن كفر وكذلك قال المتأولون ان الاشارة بهؤلاء الى كفار قريش وغيرهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه وكذلك ذَرَفت عيناه عليه السلام حين قرأها عليه ابن مسعود حسبما هو مذكور فى الحديث الصحيح وفى صحيح البخاري عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد صلاته على الميت بعد ثمان سنين كالمودّع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لا نظر اليه من مقامى هذا وانى لست اخشى عليكم ان تشركوا ولكنى اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوها قال فكانت اخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * وقوله تعالى لو تسوى قالت فرقة معناه تنشق الارض فيحصلون فيها ثم تتسوّى هي فى نفسها عليهم وبهم وقالت فرقة معناه لو تستوى هي معهم فى ان يكونوا ترابا كالبهائم * وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا معناه عند طائفة ان الكفار لما يرونه من الهول وشدة المخاوف يودون لو تسوى بهم الارض فلا

ينالهم ذلك الخوف ثم استانف الكلام فاخبر انهم لا يكتمون الله حديثا لنطق جوارحهم بذلك كله حين يقول بعضهم والله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله سبحانه كذبتم ثم تنطق جوارحهم فلا تكتم حديثا وهذا قول ابن عباس وقالت طائفة الكلام كله متصل ودهم ان لا يكتموا الله حديثا انما هو ندم على كذبهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والرسول فى هذه الآية الجنس شرف بالذكر وهو مفرد دل على الجمع * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية نزلت قبل تحريم الخمر وجمهور المفسرين على ان المراد سكر الخمر الا الضحاك فانه قال المراد سكر النوم وهذا قول ضعيف والمراد بالصلاة هنا الصلاة المعروفة وقالت طائفة الصلاة هنا المراد بها موضع الصلاة والصلاة معا قال ابن العربي فى الاحكام وروي فى سبب نزول هذه الآية عن علي رضي الله عنه انه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر يعني وذلك قبل تحريمها قال فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فانزل الله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية خرجه الترمذي وصححه انتهى * وقوله ولا جنبا الا عابري سبيل قال علي بن ابى طالب رضي الله عنه وغيره عابر السبيل المسافر وقال ابن مسعود وغيره عابر السبيل هنا الخاطر فى المسجد وعابر سبيل هو من العبور اي الخطور والجواز والمريض المذكور فى الآية هو الحضري واصل الغائط ما انخفض من الارض ثم كثر استعماله فى قضاء الحاجة واللمس فى اللغة لفظ يقع للمس الذى هو الجماع وللمس الذى هو جس اليد والقبلة ونحوه واختلف فى موقعها هنا فمالك رحمه الله يقول اللفظة هنا تقتضي الوجهين فالملامس بالجماع

يتيمم والملامس باليد يتيمم ومعنى قوله سبحانه فتيمموا اقصدوا والصعيد في اللغة وجه الارض قاله الخليل وغيره واختلف الفقهاء فيه من اجل تقييد الآية اياه بالطيب فقالت طائفة يتيمم بوجه الارض ترابا كان او رملا او حجارة او معدنا او سبخة وجعلت الطيب بمعنى الطاهر وهذا هو مذهب مالك وقالت طائفة منهم الطيب بمعنى المنبت كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فالصعيد عندهم هو التراب وهذه الطائفه لا تجيز التيمم بغيره فمكان الاجماع ان يتيمم في تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب وترتيب القرآن الوجه قبل اليدين وبه قال الجمهور وفي المدونة ان التيمم ضربتان وجمهور العلماء انه ينتهي في مسح اليدين الى المرافق * وقوله سبحانه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الآية الم تر من رؤية القلب وهي علم بالشيء والمراد بالذين اليهود قاله قتادة وغيره ثم اللفظ يتناول معهم النصارى وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودي والكتاب التوراة والانجيل ويشترون عبارة عن ايثارهم الكفر وتركهم الايمان وقالت فرقة اراد الذين كانوا يعطون اموالهم للاحبار على اقامة شرعهم فهو شراء حقيقة ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ان تكفروا * وقوله سبحانه والله اعلم باعدائكم خبر في ضمنه التحذير منهم وكفى بالله وليا اي اكتفوا بالله وليا * وقوله سبحانه من الذين هادوا قال بعض المتأولين من راجعةٌ على الذين الاولى وقالت فرقة من متعلقة بنصيرا والمعنى ينصركم من الذين هادوا فعلى هذين التاويلين لا يوقف في قوله نصيرا وقالت فرقة هي ابتداء كلام وفيه اضمار تقديره قوم يحرفون وهذا مذهب ابي علي وعلى هذا التاويل يوقف في نصيرا وقول سيبويه اصوب لان اضمار الموصول ثقيل واضمار الموصوف اسهل وتحريفهم للكلام على وجهين اما بتغيير اللفظ وقد

فعلوا ذلك فى الاقل واما بتغيير التاويل وقد فعلوا ذلك فى الاكثر واليه ذهب الطبري وهذا كله فى التوراة على قول الجمهور وقالت طائفة هو كلِم القران وقال مكي هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم فالتحريف على هذا فى التاويل * وقوله تعالى عنهم سمعنا وعصينا عبارة عن عتوهم فى كفرهم وطغيانهم فيه وغير مسمع يتخرج فيه معنيان احدهما غير مامور وغير صاغر كانهم قالوا غير ان تُسَمَّع مامورا بذلك والآخر على جهة الدعاء اي لا سمعت كما تقول امض غير مصيب ونحو ذلك فكانت اليهود اذا خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم بغير مسمع ارادت فى الباطن الدعاء عليه وأرت ظاهرا انها تريد تعظيمه قال ابن عباس وغيره نحوه وكذلك كانوا يريدون منه فى انفسهم معنى الرعونة وحكى مكي معنى رعاية الماشية ويظهرون منه معنى المراعاة فهذا معنى لي اللسان وقال الحسن ومجاهد غير مسمع اي غير مقبول منك وليا اصله لويا وطعنا فى الدين اي توهينا له واظهارا للاستخفاف به قال * ع * وهذا اللي باللسان الى خلاف ما فى القلب موجود حتى الآن فى بنى اسراءيل ويحفظ منه فى عصرنا امثلة الا انه لا يليق ذكرها بهذا الكتاب * وقوله تعالى ولو انهم الآية المعنى ولو انهم ءامنوا وسمعوا واطاعوا واقوم معناه اعدل واصوب وقليلا نعت اما لايمان واما لنفر او قوم والمعنى مختلف * وقوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم الآية هذا خطاب لليهود والنصارى ولما معكم معناه من شرع وملة لا لما معهم من مبدّل ومغيّر والطامس الداثر المغير الاعلام قالت طائفة طمس الوجوه هنا هو خلو الحواس منها وزوال الخلقة وقال ابن عباس وغيره طمس الوجوه ان تزال العينان خاصة منها وترد العينان فى القفا فيكون ذلك ردا على الادبار ويمشى القهقرى وقال مالك رحمه الله كان اول اسلام كعب الاحبار انه مر برجل من الليل وهو

يقرأ هذه الآية يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا الآية فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقرى الى بيته فاسلم مكانه وقال والله لقد خفت ان لا ابلغ بيتي حتى يطمس وجهي واصحاب السبت هم الذين اعتدوا في السبت في الصيد حسبما تقدم قال قتادة وغيره وامر الله في هذه الآية واحد الامور دال على جنسها لا واحد الاوامر فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللعنة هنا او ما اقتضاه كل موضع مما يختص به * وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد وتلخيص الكلام فيها ان يقال الناس اربعة اصناف كافر مات على كفره فهذا مخلد في النار باجماع ومومن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى باجماع وتائب مات على توبته فهو عند اهل السنة وجمهور فقهاء الامة لاحق بالمومن المحسن الا ان قانون المتكلمين انه في المشيئة ومذنب مات قبل توبته فهذا هو موضع الخلاف فقالت المرجئة هو في الجنة بايمانه ولا تضره سيئاته وجعلوا آيات الوعيد كلها في الكفار وآيات الوعد عامة في المومنين تقيهم وعاصيهم وقالت المعتزلة اذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد وقالت الخوارج اذا كان صاحب كبيرة او صغيرة فهو في النار مخلد ولا ايمان له لانهم يرون كل الذنوب كبائر وجعلوا آيات الوعد كلها في المومن الذي لم يعص قط والمومن التائب وقال اهل السنة هو في المشيئة وهذه الآية هي الحاكمة وهي النص في موضع النزاع وذلك ان قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فصل مجمع عليه وقوله ويغفر ما دون ذلك فصل قاطع للمعتزلة راد على قولهم ردا لا محيد لهم عنه ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة فجاء قوله لمن

يشاء ردا عليهم مبينا ان غفران ما دون الشرك انما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من انه مغفور لكل مومن ولما حتم سبحانه على انه لا يغفر الشرك ذكر قبح موقعه وقدره في الذنوب والفرية اشد مراتب الكذب قبحا وهو الاختلاق * وقوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء الآية لا خلاف بين المتأولين ان المراد بالآية اليهود وانما اختلفوا في المعنى الذى به زكوا انفسهم فقال الحسن وقتادة ذلك قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا الى غير ذلك من غرورهم قال * ع * فتقتضى هذه الآية الغض من المزكى لنفسه بلسانه والاعلام بان الزاكي المزكّىٰ من حسنت افعاله وزكاه الله عز وجل قال ابن عباس وغيره الفتيل الخيط الذى في شق نواة التمرة وذلك راجع الى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيرة وان الله لا يظلمه ولا شيء دونه في الصغر فكيف بما فوقه * وقوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب الآية يبين ان تزكيتهم انفسهم كانت بالباطل والكذب ويقوى ان التزكية كانت بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ان الافتراء اعظم في هذه المقالة وكيف يصح ان تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله يفترون وكفى به اثما مبينا خبر في ضمنه تعجب وتعجيب من امرهم قال * ص * وكفى به عائد على الافتراء وقيل على الكذب انتهى * وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الآية اجمع المتأولون ان المراد بها طائفة من اليهود والقصص يبين ذلك ومجموع ما ذكره المفسرون في تفسير الجبت والطاغوت يقتضى انه كل ما عبد واطيع من دون الله تعالى * وقوله تعالى ويقولون للذين كفروا الآية سببها ان قريشا قالت لكعب بن الاشرف حين ورد مكة انت سيدنا وسيد قومك انا قوم ننحر الكوماء

ونقري الضيف ونصل الرحم ونسقي الحجيج ونعبد ءالهتنا التي وجدنا عليها ءاباءنا وهذا محمد قد قطع الرحم فمن اهدى نحن او هو فقال كعب انتم اهدى منه واقوم دينا فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس فالضمير في يقولون عائد على كعب وعلى الجماعة التي معه من اليهود المحرضين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم والذين كفروا في هذه الآية هم كفار قريش والاشارة بهؤلاء اليهم والذين ءامنوا هم النبي صلى الله عليه وسلم وامته وقالت فرقة بل المراد حيي ابن اخطب واتباعه وهم المقصود من اول الآيات قال * ص * للذين اللام للتبليغ متعلقة بيقولون انتهى * وقوله تعالى ام لهم نصيب من الملك الآية عرف ام ان تعطف بعد استفهام متقدم كقولك اقام زيد ام عمرو فاذا وردت ولم يتقدمها استفهام كما هي هنا فمذهب سيبويه انها مضمنة معنى الاضراب عن الكلام الاول والقطع منه وهي متضمنة مع ذلك معنى الاستفهام فهي بمعنى بل مع همزة استفهام كقول العرب انها لإبل ام شاء التقدير عند سيبويه انها لإبل بل اهي شاء وكذلك هذا الموضع بل ألهم نصيب من الملك فاذا عرفت هذا فالمعنى على الارجح الذي هو مذهب سيبويه والحذاق ان هذا استفهام على معنى الانكار اي ألهم ملك فاذن لو كان لبخلوا به والنقير هي النكتة التي في ظهر النواة من التمر هذا قول الجمهور وهذا كناية عن الغاية في الحقارة والقلة وتكتب اذا بالنون وبالالف فالنون هو الاصل كعن ومن وجاز كتبها بالالف لصحة الوقوف عليها فاشبهت نون التنوين ولا يصح الوقوف على عن ومن * وقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله الآية ام هذه على بابها من العطف بعد الاستفهام وقال * ص * ام يحسدون ام ايضا منقطعة تتقدر ببل والهمزة انتهى قلت والظاهر ما قاله * ع * واختلف في

المراد بالناس هنا فقال ابن عباس وغيره هو النبي صلى الله عليه وسلم والفضل النبوءة فقط والمعنى فلِم يخصونه بالحسد ولا يحسدون ءال ابراهيم فى جميع ما ءاتيناهم من هذا وغيره من الملك وقال قتادة الناس هنا العرب حسدتها بنو اسراءيل فى ان كان النبي صلى الله عليه وسلم منها والفضل على هذا التاويل هو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر بن عبد البر وقد ذم الله قوما على حسدهم فقال ام يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله من فضله ثم حدث بسنده عن عمرو ابن ميمون قال لما رفع الله موسى نجيا رأى رجلا متعلقا بالعرش فقال يا رب من هذا فقال هذا عبد من عبادى صالح ان شئت اخبرتك بعمله فقال يا رب اخبرني فقال كان لا يحسد الناس على ما ءاتاهم الله من فضله ثم حدث ابو عمر بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وذكر عبد الرزاق عن معمر عن اسماعيل بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يسلَم منهن احد الطيَرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ انتهى من التمهيد * وقوله تعالى فمنهم من آمن به اختلف فى الضمير من به فقال الجمهور هو عائد على القرءان الذى فى قوله تعالى ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فأعلم الله سبحانه ان منهم من آمن كما امر فلذلك ارتفع الوعيد بالطمس ولم يقع وصد قوم ثبت الوعيد عليهم فى الآخرة بقوله سبحانه وكفى بجهنم سعيرا وقيل هو عائد على ابراهيم عليه السلام وقيل هو عائد على الفضل الذى ءاتاه الله النبي عليه السلام والعربَ على ما تقدم * وقوله تعالى ان الذين كفروا بـٔاياتنا سوف نصليهم نارا الآية لما تقدم فى الآية وصف المَردة من بنى اسراءيل وذِكْر افعالهم وذنوبهم

جاءت هذه الآية بالوعيد النص لهم بلفظ جلي عام لهم ولغيرهم ممن فعل فعلهم
من الكفرة واختلف فى معنى تبديل الجلود فقالت فرقة تبدل عليهم جلودٌ اغيار
اذ نفوسهم هي المعذبة والجلود لا تالم فى ذاتها وقالت فرقة تبديل الجلود هو
اعادة ذلك الجلد بعينه الذى كان فى الدنيا وانما سماه تبديلا لان اوصافه تتغير
قال الحسن بن ابى الحسن تبدل عليهم فى اليوم سبعين الف مرة عافانا الله
من عذابه برحمته ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار عقّب بوعد المومنين بالجنة على
الايمان والاعمال الصالحة وظليلا معناه عند بعضهم يقى الحر والبرد ويصح ان يريد
انه ظل لا يستحيل ولا يتنقّل وصح وصفه بظليل لامتداده فقد قال صلى الله
عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمّر فى ظلها مائة سنة ما
يقطعها ورأيت لبعضهم ما نصه وذكر الطبري فى كتابه قال لما خلق الله عزوجل
الجنة قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مائة الف
سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى
مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها
امتدى مقدار رحمتى فامتدت فهي تمتد ابد الآبدين فليس للجنة طرَف كما
انه ليس لرحمة الله طرف انتهى فهذا لا يُعلم الا من جهة السمع فهو مما اطلع
عليه الطبري وهو امام حافظ محدث ثقة قاله الخطيب احمد بن علي بن ثابت
* وقوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها الآية قال ابن جريج وغيره
الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فى امر مفتاح الكعبة حين اخذه من
عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبة فطلبه العباس بن عبد المطلب ليضيف
السدانة الى السقاية فدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسر ما كان فيها من
الاوثان واخرج مقام ابراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية قال عمر بن الخطاب

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وماكنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال لهما خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ثم الآية بعدُ تتناول الولاة فيما لديهم من الامانات فى قسمة الاموال ورد الظّلامات وعدل الحكومات وتتناول من دونهم من الناس فى حفظ الودائع والتحرز فى الشهادات وغير ذلك كالرجل يُحَكّم فى نازلة ما ونحوه والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات امانات لله تعالى قال ابن العربي فى احكامه هذه الآية فى اداء الامانة والحكِم بين الناس عامة فى الولاة والخلق لان كل مسلم عالم بل كل مسلم حاكم ووالٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وهم الذين يعدلون فى انفسهم واهليهم وما وَلُوا وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع فى اهل بيته وهو مسئول عنهم والعبد راع فى مال سيده وهو مسئول عنه وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فهذه الاحاديث الصحيحة تدل على ما قلناه انتهى ونعما اصله نعم ما سكنت الميم الاولى وادغمت فى الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين وخصت بالكسر اتباعا للنون وما المردوفة على نعم انما هي مهيئة لاتصال الفعل بها ومع انها موطئة فهي بمعنى الذى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول الآية لما تُقُدِّم الى الولاة فى الآية المتقدمة تُقُدِّم فى هذه الى الرعية فامر بطاعته عزوجل وهي امتثال اوامره ونواهيه وطاعة رسوله وطاعة الامراء على قول الجمهور وهو قول ابن عباس وغيره فالامر على هذا التاويل هو ضد النهي ومنه لفظة الامير وقال جابر وجماعة اولوا الامر اهل القرءان والعلم قال عطاء طاعة الرسول هي اتباع سنته يعنى بعد موته ولفظ ابن العربي فى احكامه قال قوله تعالى واولى الامر منكم فيها قولان الاول قال ميمون بن مِهْران

هم اصحاب السرايا وروى فى ذلك حديثا وهو اختيار البخاري وروي عن ابن عباس انها نزلت فى عبد الله بن حذافة اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فى سرية والثانى هم العلماء وبه قال اكثر التابعين واختاره مالك والطبري والصحيح عندي انهم الامراء والعلماء اما الامراء فلان الامر منهم والحكم اليهم واما العلماء فلان سؤالهم متعين على الخلق وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب ويدخل فيه تأمر الزوج على الزوجة لانه حاكم عليها انتهى * وقوله تعالى فان تنازعتم فى شيء الآية معنى التنازع ان كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها والرد الى الله هو النظر فى كتابه العزيز والرد الى الرسول هو سؤاله صلى الله عليه وسلم فى حياته والنظر فى سنته بعد وفاته هذا قول مجاهد وغيره وهو الصحيح * وقوله سبحانه ان كنتم تومنون بالله الآية فيه بعض وعيد وتاويلا معناه مآلا فى قول جماعة وقال قتادة وغيره المعنى احسن عاقبة وقالت فرقة المعنى ان الله ورسوله احسن نظرا وتأولا منكم اذا انفردتم بتأولكم * وقوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم ءامنوا بما انزل اليك الآية تقول العرب زعم فلان كذا فى الامر الذي يضعف فيه التحقيق وغاية درجة الزعم اذا قوي ان يكون مظنونا واذا قال سيبويه زعم الخليل فانما يستعملها فيما انفرد الخليل به وكان اقوى رتب زعم ان تبقى معها عهدة الخبر على المخبر قال عامر الشعبي نزلت الآية فى منافق اسمه بشر خاصم رجلا من اليهود فدعاه اليهودي الى المسلمين لعلمه انهم لا يرتشون وكان المنافق يدعو اليهودي الى اليهود لعلمه انهم يرتشون فاتفقا بعد ذلك على ان اتيا كاهنا كان بالمدينة فرضياه فنزلت هذه الآية فيهما وفى صنفيهما فالذين يزعمون انهم ءامنوا بما انزل على محمد عليه السلام هم المنافقون والذين يزعمون انهم ءامنوا بما انزل من قبله هم اليهود وكل قد أُمر فى كتابه بالكفر بالطاغوت والطاغوت

هنا الكاهن المذكور فهذا تانيب للصنفين وقال ابن عباس الطاغوت هنا هو كعب ابن الاشرف وهو الذى تراضيا به وقيل غير هذا وقوله رأيت هي رؤية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحا وهي رؤية قلب لمن صد منهم مكرا وتخابثا ومسارقة حتى لا يعلم ذلك منه الا بالقرائن الصادرة عنه * وقوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم قالت فرقة هي فى المنافقين الذين احتكموا حسبما تقدم فالمعنى فكيف بهم اذا عاقبهم الله بهذه الذنوب بنقمة منه ثم حلفوا ان اردنا بالاحتكام الى الطاغوت الا توفيق الحكم وتقريبه * وقوله تعالى اولائك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم تكذيب لهم وتوعد اي فهو سبحانه مجازيهم فاعرض عنهم وعظهم بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ * وقوله سبحانه وقل لهم فى انفسهم قال * ص * اي قل لهم خاليا بهم لان النصح اذا كان فى السر كان انجح او قل لهم فى حال انفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولا يبلغ منهم الزجر عن العود الى ما فعلوا انتهى واختلف فى القول البليغ فقيل هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول وقيل هو التوعد بالقتل ان استداموا حالة النفاق قاله الحسن وهذا ابلغ ما يكون فى نفوسهم والبلاغة ماخوذة من بلوغ المراد بالقول * وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله تنبيه على جلالة الرسل اي فانت يا محمد منهم تجب طاعتك وتتعين اجابة الدعوة اليك وباذن الله معناه بامر الله وظلموا انفسهم اي بالمعصية والنفاق وعن العتبي قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستعفيا من ذنوبي مستغفرا الى ربي ثم انشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا عُتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله تعالى قد غفر له انتهى من حلية النووي وسنن الصالحين للباجي وفيه مستغفرا من ذنوبي مستشفعا بك الى ربي * وقوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية قال الطبري قوله فلا رد على ما تقدم تقديره فليس الامر كما يزعمون انهم ءامنوا بما انزل اليك ثم استانف القسم وقال غيره انما قدم لا على القسم اهتماما بالنهي واظهارا لقوته قال ابن عطاء الله في التنوير وفي قوله سبحانه فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكّم الله ورسوله على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فتبين لك من هذا انه لا تحصل لك حقيقة الايمان بالله الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره سبحانه انتهى وشجر معناه اختلط والتف من امورهم وهو من الشجر شبه بالتفاف الاغصان والحرج الضيق والتكلف والمشقة قال مجاهد حرجا شكا * وقوله تسليما مصدر مؤكد منبئ عن التحقيق في التسليم لان العرب انما تردف الفعل بالمصدر اذا ارادت ان الفعل وقع حقيقة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما قال مجاهد وغيره المراد بهذه الآية من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى الطاغوت وفيهم نزلت ورجح الطبري هذا لانه اشبه بنسق الآية وقالت طائفة نزلت في رجل خاصم الزبير بن العوام في السقي بماء الحَرّة كما هو مذكور في البخاري وغيره وان الزبير قال فما احسب ان هذه الآية نزلت الا في ذلك وكتبنا معناه فرضنا ان اقتلوا انفسكم معناه يقتل بعضكم بعضا وقد تقدم نظيره في البقرة

وسبب الآية على ما حكي ان اليهود قالوا لما لم يرض المنافق بحكم النبي صلى
الله عليه وسلم ما رأينا اسخف من هؤلاء يؤمنون بمحمد ثم لا يرضون بحكمه ونحن
قد امرنا بقتل انفسنا ففعلنا وبلغ القتل فينا سبعين الفا فقال ثابت بن قيس
لو كتب ذلك علينا لفعلناه فنزلت الآية معلنة بحال اولائك المنافقين وانه لو كتب
ذلك على الامة لم يفعلوه وما كان يفعله الا قليل مؤمنون محققون كثابت قلت
وفي العتبية عن مالك عن ابي بكر رضي الله عنه نحو مقالة ثابت بن قيس
قال ابن رشد ولا شك ان ابا بكر من القليل الذي استثنى الله تعالى في الآية
فلا احد احق بهذه الصفة منه انتهى قال * ص * الا قليل الجمهور
بالرفع على البدل من واو فعلوه عند البصريين انتهى ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به اي لو ان هؤلاء المنافقين انعظوا وانابوا لكان خيرا لهم وتثبيتا معناه يقينا
وتصديقا ونحو هذا اي يثبتهم الله ثم ذكر تعالى ما كان يمن به عليهم من تفضله
بالاجر ووصفه اياه بالعظيم مقتض ما لا يحصيه بشر من النعيم المقيم والصراطُ
المستقيم الايمان المؤدي الى الجنة والمقصود تعديد ما كان ينعم به عليهم سبحانه
* وقوله جلت عظمته ومن يطع الله والرسول فاولائك مع الذين انعم الله عليهم
الآية لما ذكر الله سبحانه الامر الذي لو فعلوه لانعم عليهم ذكر بعد ذلك
ثواب من يفعله وهذه الآية تفسر قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم وقالت طائفة انما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن
زيد الانصاري الذي اري الاذان يا رسول الله اذا مت ومتنا كنت في عليين
فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر حزنه على ذلك فنزلت هذه الآية قال
* ع * ومعنى انهم معهم في دار واحدة ومتنعم واحد وكل من فيها قد رزق
الرضى بحاله وذهب عنه ان يعتقد انه مفضول وان كنا نحن قد علمنا من

الشريعة ان اهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر اعمالهم وعلى قدر فضل الله على من يشاء والصديق فعّيل من الصدق وقيل من الصدقة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الصديقون المتصدقون ولفظ الشهداء في هذه الآية يعم انواع الشهداء قال ❊ ص ❊ وحسن اولائك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولائك رفيقا وقد قدمنا في كلام ابن الحاج ما يدل على ان التعجب لازم لفَعُل المستعمل للمدح والذم على كل حال سواء استعملت استعمال نعم اولا انتهى ❊ وقوله تعالى ذلك الفضل من الله الاشارة بذلك الى كون المطيعين مع المنعَم عليهم ❊ وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الآية هذا خطاب للمخلصين من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامر لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الاسلام وخذوا حذركم اي احزموا واستعدوا بانواع الاستعداد وانفروا معناه اخرجوا وثُبات معناه جماعات متفرقات وهي السرايا والثُبة حكي انها فوق العشرة وجميعا معناه الجيش الكثير مع النبي صلى الله عليه وسلم هكذا قال ابن عباس وغيره ❊ وقوله تعالى وان منكم ايجاب والخطاب لجماعة المومنين والمراد بمن المنافقون وعبر عنهم بمنكم اذ هم في الظاهر في عِداد المومنين واللام الداخلة على من لام التأكيد والداخلة على يُبطِّئن لام القسم عند الجمهور وتقديره وان منكم لمن والله ليبطئن ويبطئن معناه يبطئ غيره اي يثبطه ويحمله على التخلف عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصيبة يعني من قتال واستشهاد وانما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد وانما الشهادة في الحقيقة نعمة من الله سبحانه لحسن مآلها وشهيدا معناه مشاهدا ❊ وقوله تعالى ولئن اصابكم فضل من الله اي ظفرتم وغنمتم ندم المنافق وقال يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما متمنيا شيئا قد

كان عاهد ان يفعله ثم غدر فى عهده * وقوله تعالى كان لم يكن بينكم و بينه مودة التفاتة بليغة واعتراض بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة فى قبح فعلهم وقال الزجاج قوله كان لم يكن بينكم و بينه مودة مؤخر وانما موضعه فان اصابتكم مصيبة قال * ع * وهذا ضعيف لانه يفسد فصاحة الكلام قال * ص * وقوله فافوز بالنصب هو جواب التمني انتهى * وقوله تعالى فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية هذا امر من الله سبحانه للمومنين بالجهاد ويشرون هنا معناه يبيعون ثم وصف سبحانه ثواب المقاتلين والاجر العظيم الجنة * وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله الآية ما استفهام والمستضعفين عطف على اسم الله عزوجل اي وفى سبيل المستضعفين لاستنقاذهم ويعنى بالمستضعفين من كان بمكة تحت اذلال كفرة قريش وفيهم كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انج المستضعفين من المومنين والولدان عبارة عن الصبيان والقرية هنا مكة باجماع والآية تتناول المومنين والاسرى فى حواضر الشرك الى يوم القيامة قال ابن العربي فى احكامه قال علماؤنا رحمهم الله اوجب الله تعالى فى هذه الآية القتال لاستنقاذ الاسرى من يد العدو وقد روى الائمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني يعنى الاسير قال مالك رحمه الله على الناس ان يفكوا الاسرى بجميع اموالهم وكذلك قالوا عليهم ان يواسوهم انتهى * وقوله تعالى الذين ءامنوا يقاتلون فى سبيل الله الآية هذه الآية تقتضى تقوية قلوب المومنين وتحريضهم وقرينة ذكر الشيطان بعدُ تدل على ان المراد بالطاغوت هنا الشيطان واعلامه تعالى بضعف كيد الشيطان فيه تقوية لقلوب المومنين وتجرئة لهم على مقارعة الكيد الضعيف فان العزم والحزم الذى يكون على حقائق الايمان يكسره ويهده

* وقوله تعالى الم ترالى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة الآية اختلف المتأولون فيمن المراد بقوله الذين قيل لهم فقال ابن عباس وغيره كان جماعة من المومنين قد انفوا من الذل بمكة قبل الهجرة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيح لهم مقاتلة المشركين فامرهم عن الله تعالى بكف الايدى فلما كتب عليهم القتال بالمدينة شق ذلك على بعضهم ولحقهم ما يلحق البشر من الخَوَر والكَعّ عن مقارعة العدو فنزلت الآية فيهم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد انما الآية حكاية عن حال اليهود انهم فعلوا ذلك مع نبيهم فى وقته فمعنى الحكاية عنهم تقبيح فعلهم ونهي المومنين عن فعل مثله وقيل المراد المنافقون واو تقدم شرحها فى سورة البقرة فى قوله تعالى او اشد قسوة لان الموضعين سواء وقولهم لم كتبت علينا القتال رد فى صدر اوامر الله سبحانه وقلة استسلام له والاجل القريب يعنون به موتهم على فرشهم هكذا قال المفسرون قال * ع * وهذا يحسن اذا كانت الآية فى اليهود او فى المنافقين وأمّا اذا كانت فى طائفة من الصحابة فانما طلبوا التأخر الى وقت ظهور الاسلام وكثرة عددهم ويحسن القول بانها فى المنافقين اطراد ذكرهم فيما ياتى بعد من الآيات * وقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا اي الاستمتاع بالحياة فيها الذى حرصتم عليه قليل وباقى الآية بين وهذا اخبار منه سبحانه يتضمن تحقير الدنيا قلت ولِمَا علم الله فى الدنيا من الآفات حمى منها اولياءه ففى الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يَظَل احدكم يحمى سقيمه الماء قال ابو عيسى وفى الباب عن صهيب وام المنذر وهذا حديث حسن وفى الترمذي عن ابن مسعود قال نام النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر فى جنبه فقلنا

يا رسول الله لو اتخذنا لك فراشا فقال مالي وما للدنيا ما انا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وفي الباب عن ابن عمروابن عباس قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه في بروج الاكثر والاصح الذي عليه الجمهور انه اراد بالبروج الحصون التي في الارض المبنية لانها غاية البشر في التحصن والمنعة فمثل الله لهم بها قال قتادة المعنى في قصور محصنة وقاله ابن جريج والجمهور وبرّج معناه ظهرومنه تبرج المرأة ومشيّدة قال الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة ومنه اشاد الرجل ذكر الرجل اذا رفعه وقالت طائفة مشيّدة معناه محسنة بالشيد وهو الجص وروى النسائي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت وخرجه ابن ماجه والترمذي وخرجه ابو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك بن انس عن يحيي بن سعيد عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر انه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي المومنين افضل قال احسنهم خُلُقا قال فاي المومنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم لما بعده استعدادا اولائك الاكياس واخرجه مالك ايضا انتهى من التذكرة * وقوله تعالى وان تصبهم حسنة الآية الضمير في تصبهم عائد على الذين قيل لهم كفوا ايديكم وهذا يدل على انهم المنافقون لان المومنين لا تليق بهم هذه المقالة ولان اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحت امر فتصيبهم بسببه اسواء والمعنى ان تصب هؤلاء المنافقين حسنة من غنيمة او غير ذلك رأوا ان ذلك بالاتفاق من صنع الله لا ببركة اتباعك والايمان بك وان

تصبهم سيئة اي هزيمة او شدة جوع او غير ذلك قالوا هذه بسببك وقوله قل كل من عند الله اعلام من الله سبحانه ان الخير والشر والحسنة والسيئة خلق له ومن عنده لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع سواه والمعنى قل يا محمد لهؤلاء ثم وبخهم سبحانه بالاستفهام عن علة جهلهم وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق والفقه في اللغة الفهم وفي الشرع الفهم في امور الدين ثم غلب عليه الاستعمال في علم المسائل الاحكامية * وقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيرُه داخل في المعنى ومعنى الآية عند ابن عباس وغيره على القطع واستينافي الاخبار من الله عز وجل بان الحسنة منه ومن فضله وبان السيئة من الانسان باذنابه وهي من الله تعالى بخلقه واختراعه لا خالق سواه سبحانه لا شريك له وفي مصحف ابن مسعود فمن نفسك وانا قضيتها عليك وقرأ بها ابن عباس وفي رواية وانا قدرتها عليك ويعضد هذا التاويل احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم معناها ان ما يصيب ابن آدم من المصائب فانما هو عقوبة ذنوبه قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي قوله تعالى وما اصابك من سيئة فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره انتهى * وفي قوله سبحانه وارسلناك للناس رسولا ثم تلاه بقوله وكفى بالله شهيدا توعد للكفار وتهديد تقتضيه قوة الكلام لان المعنى شهيدا على من كذبه * وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فالمعنى ان الرسول عليه السلام انما يامر وينهى بيانا وتبليغا عن الله وتولى معناه اعرض وحفيظا يحتمل معنيين اي لتحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه او لتحفظ مساويهم وتحسبها عليهم وهذه الآية تقتضي الاعراض عن من تولى والترك له وهي قبل نزول القتال وانما كانت توطئة ورفقا من الله

عز وجل حتى يستحكم امر الاسلام * وقوله تعالى ويقولون طاعة الآية نزلت في المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد امرنا طاعة فاذا خرجوا من عندك اجتمعوا ليلا وقالوا غير ما اظهروا لك وبيّت معناه فعل ليلا وهو ماخوذ من بات او من البيت لانه ملتزَم بالليل * وقوله تقول يحتمل ان يكون معناه تقول انت ويحتمل تقول هي لك والامر بالاعراض انما هو عند معاقبتهم ومجازاتهم واما استمرار عظتهم ودعوتهم فلازم ثم امر سبحانه بالتوكل عليه والتمسك بعروته الوثقى ثقة بانجاز وعده في النصر والوكيلُ القائم بالامور المصلح لما يخاف من فسادها * وقوله تعالى افلا يتدبرون القرءان الآية المعنى افلا يتدبر هؤلاء المنافقون كلام الله تعالى فتظهر لهم براهينه وتلوح لهم ادلته قلت اعلم رحمك الله تعالى ان تدبر القرءان كفيل لصاحبه بكل خير واما الهدرمة والعجلة فتاثيرها في القلب ضعيف قال النووي رحمه الله وقد كرِه جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة ويدل عليه ما رويناه بالاسانيد الصحيحة في سنن ابي داود والترمذي والنساءي وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفقه من قرأ القرءان في اقل من ثلاث انتهى قال * ع * والتدبر هو النظر في اعقاب الامور وتاويلات الاشياء هذا كله يقتضيه قوله سبحانه افلا يتدبرون القرءان وهذا امر بالنظر والاستدلال ثم عرف تعالى بموقع الحجة اي لو كان من كلام البشر لدخله ما في البشر من القصور وظهر فيه التناقض والتنافي الذى لا يمكن جمعه اذ ذلك موجود في كلام البشر والقرءان منزه عنه اذ هو كلام المحيط بكل شيء سبحانه قال * ع * فان عرضت لاحد شبهة وظن اختلافا في شيء من كتاب الله فالواجب ان يتهم نظره ويسأل من هو اعلم منه * وقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الآية

قال جمهور المفسرين ان الآية فى المنافقين حسبما تقدم والمعنى ان المنافقين
كانوا يتشوفون الى سماع ما يسيء النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طرأت لهم شبهة
امن للمسلمين اوفتح عليهم حقروها وصغروا شانها واذاعوا ذلك التحقير والتصغير
واذا طرأت لهم شبهة خوف للمسلمين او مصيبة عظموها واذاعوا ذلك
واذاعوا به معناه افشوه وهو فعل يتعدى بحرف الجر وبنفسه احيانا وقالت
فرقة الآية نزلت فى المنافقين وفيمن ضعف جلده وقلت تجربته من المومنين
وفى الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه جاء وقوم فى المسجد
يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ثم قال فقلت يا رسول الله
اطلقت نساءك فقال لا قال عمر فقمت على باب المسجد فقلت الا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم امر
من الامن او الخوف الآية قال وانا الذى استنبطته * وقوله تعالى ولو ردوه
الى الرسول الآية المعنى لو امسكوا عن الخوض واستقصوا الامر من قبل الرسول
واولى الامر وهم الامراء والعلماء لعلمه طلابه من اولى الامر والبحثة عنه وهم مستنبطوه
كما يستنبط الماء وهو استخراجه من الارض * وقوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم
ورحمته الآية خطاب لجميع المومنين باتفاق من المتأولين وقوله الا قليلا هو
مستثنى فى قول جماعة من قوله لا تبعتم الشيطان الا قليلا وقال ابن عباس وابن
زيد ذلك مستثنى من قوله اذاعوا به الا قليلا ورجحه الطبري وقال قتادة هو
مستثنى من قوله يستنبطونه الا قليلا * ت * قال الداودي قال ابو عبيدة
وانما كره العلماء ان يجعلوا الاستثناء من قوله لا تبعتم الشيطان الا قليلا لانه لا وجه له
فانه لولا فضل الله ورحمته لا تبعوا الشيطان كلهم انتهى وهو حسن واما قوله
لا وجه له ففيه نظر فقد وجهه العلماء بما لا نطيل بذكره * وقوله تعالى فقاتل

فى سبيل الله الآية هذا امر فى ظاهر اللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لكن لم نجد قط فى خبر ان القتال فرض على النبي صلى الله عليه وسلم دون الامة مدة ما والمعنى والله اعلم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فى اللفظ وهو مثال ما يقال لكل واحد فى خاصة نفسه اي انت يا محمد وكل واحد من امتك القول له فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ولهذا ينبغي لكل مومن ان يستشعر ان يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم والله لا قاتلنكم حتى تنفرد سالفتي وقول ابي بكر رضي الله عنه وقت الردة ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي وعسى اذا وردت من الله تعالى فقال عكرمة وغيره هي واجبة بفضل الله ووعده الجميل قلت اي واقع ما وعد به سبحانه والتنكيل الاخذ بانواع العذاب * وقوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة الآية قال مجاهد وغيره هي فى شفاعات الناس بينهم فى حوائجهم فمن يشفع لينفع فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل والكفل النصيب ويستعمل فى الخير وفى الشر وفى كتاب الله تعالى يوتكم كفلين من رحمته وروى ابو داود عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شفع لاحد شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد اتى بابا عظيما من ابواب الربا انتهى ومقيتا معناه قديرا ومنه قول الزبير بن عبد المطلب

وذي ضغن كففت النفس عنه * وكنت على اساءته مقيتا

اي قديرا وقيل مقيتا معناه شهيدا وقيل حفيظا وذهب مقاتل الى انه الذي يقوت كل حيوان قال الداودي قال الكلبي المقيت هو المُقْدِر بلغة قريش انتهى * وقوله سبحانه واذا حييتم بتحية الآية قالت فرقة معنى الآية تخيير الراد فاذا قال البادئ السلام عليك فللراد ان يقول وعليك السلام فقط وهذا هو

الرد وله ان يقول وعليك السلام ورحمة الله وهذا هو التحية باحسن وروي عن ابن عمر وغيره انتهاء السلام الى البركة وقالت فرقة المعنى اذا حييتم بتحية فان نقص المسلّم من النهاية فحيوا باحسن منها وان انتهى فردوها كذلك قال عطاء والآية فى المومنين خاصة ومن سلم من غيرهم فيقال له عليك كما فى الحديث وفى ابى داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بالله من بدأ بالسلام انتهى واكثر اهل العلم على ان الابتداء بالسلام سنة مؤكدة ورده فريضة لانه حق من الحقوق قاله الحسن وغيره قال النووي وروينا فى كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبدين متحابين فى الله عز وجل يستقبل احدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر وروينا فيه عن انس ايضا قال ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وروينا فيه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما وفى رواية اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما انتهى وحسيبا معناه حفيظا وهو فعيل من الحساب * وقوله سبحانه الله لا اله الا هو ليجمعنكم الآية لما تقدم الانذار والتحذير الذى تضمنه قوله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا تلاه الاعلام بصفة الربوبية وحال الوحدانية والاعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب اعلاما بقسم تقديره وحقه وعظمته ليجمعنكم والجمع بمعنى الحشر * وقوله سبحانه ومن اصدق من الله حديثا المعنى لا احد اصدق من الله تعالى * وقوله تعالى فما لكم فى

المنافقيـن فئتيـن الآية واختلف فى هـؤلاء المنافقيـن فقال ابن عباس هم قوم كانـوا بمكة اظهروا الايمان لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى كتب بعثوا بها الى المدينة ثم خرجوا مسافريـن الى الشام واعطتـهم قريش بضاعات وقالوا لهم انتم لا تخافـون اصحاب محمد لانكم تخدعونهم باظهار الايمان فاتصل خبرهم بالمدينة فاختلف المومنون فيهم فقـالت فرقـة نخرج اليـهم فانهم منافقـون وقالت فرقة بل هم مومنـون لا سبيل لنا اليهم فنـزلت الآية وعن مجاهد نحوه قال * ع * ويعضده ما فى ءاخر الآية من قوله تعالى حتى يهاجروا وقال زيد بـن ثابت نـزلت فى عبد الله بن ابي واصحابه المنافقيـن الذين رجعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وهو فى صحيح البخاري مسندا قال ابن العربي فى احكامه وهذا القول هو اختيار البخاري والترمذي انتهى قال * ع * وعلى هذا فقوله سبحانه حتى يهاجروا المراد هجر ما نهى الله عنه كما قال عليه السلام والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وفئتيـن معناه فرقتيـن واركسهم معناه ارجعهم فى كفرهم وضلالهم والركس الرجيع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى الروثة انهـا رِكْس وحكى النضر بن شُمَيْـل والكسائي ركس واركس بمعنى واحد اي ارجعهم ومن قال من المتأولين اهلكهم او اضلهم فانما هو بالمعنى وباقي الآية بيـن قال * ص * اركسهم اي ردهم فى الكفر وقال ابن العربي فى احكامه اخبر الله تعالى انه رد المنافقين الى الكفر وهو الاركاس وهو عبارة عن الرجوع الى الحالة المكروهة كما قـال فى الروثة انها ركس اي رجعت الى حالـة مكروهة فنهـى الله سبحانه الصحابة ان يتعلقـوا فيهم بظاهـر الايمـان اذ كان باطنهم الكفـر وامرهم بقتلهم حيث وجدوهم انتهى * وقوله تعالى الا الذيـن يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قـال * ص * الا الذيـن يصلـون استثناء متصل من

مفعول فخذوهم واقتلوهم انتهى قال * ع * هذه الآية من آيات الموادعة في اول الاسلام ثم نسخت بما في سورة براءة فالآية تقتضي ان من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم الى هؤلاء اهل العهد فدخل في عدادهم وفعل فعلهم من الموادعة فلا سبيل عليه * وقوله تعالى او جاؤكم عطف على يصلون ويحتمل ان يكون على قوله بينكم وبينهم ميثاق والمعنى في العطفين مختلف وهذا ايضا حكم قبل ان يستحكم امر الاسلام فكان المشرك اذا اعتزل القتال وجاء الى دار الاسلام مسالما كارها لقتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين مع قومه لا سبيل عليه وهذه نسخت ايضا بما في براءة ومعنى حصرت ضاقت وحرجت ومنه الحصر في القول وهو ضيق الكلام على المتكلم وحصرت في موضع نصب على الحال واللام في قوله لسلطهم جواب لو والمعنى ولو شاء الله لسلط هؤلاء الذين هم بهذه الصفة من المسالمة والمتاركة عليكم فان اعتزلوكم اي إذا وقع هذا فلم يقاتلوكم فلا سبيل لكم عليهم وهذا كله والذي في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله الآية منسوخ قاله قتادة وغيره والسلم هاهنا الصلح * وقوله تعالى ستجدون ءاخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الآية لما وصف الله سبحانه المحققين في المتاركة والقاء السلم نبه على طائفة مخادعة كانوا يريدون الاقامة في مواضعهم مع اهليهم يقولون لهم نحن معكم وعلى دينكم ويقولون ايضا للمسلمين نحن معكم وعلى دينكم خبثة منهم وخديعة وقوله الى الفتنة معناه الى الاختبار حكي انهم كانوا يرجعون الى قومهم فيقال لاحدهم قل ربي الخنفساء ربي العود ربي العقرب ونحوه فيقولها ومعنى اركسوا اي رجعوا رجع ضلالة اي اهلكوا في الاختبار بما واقعوه من الكفر وهذه الآية حض على قتل هؤلاء المخادعين اذا لم يرجعوا عن حالهم وثقفتموهم ماخوذ من الثقاف اي

ظفرتم بهم مغلوبين متمكّنا منهم والسلطان الحجة قال عكرمة حيثما وقع السلطان في كتاب الله عزوجل فهو الحجة * وقوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الآية قال جمهور المفسرين معنى الآية وما كان في اذن الله وفي امره للمومن ان يقتل مومنا بوجه ثم استثنى استثناء منقطعا ليس من الاول وهو الذي تكون فيه الا بمعنى لكن والتقدير لكن الخطأ قد يقع ويتجه في معنى الآية وجه آخر وهو ان تقدر كان بمعنى استقر ووجد كانه قال وما وجد ولا تقرر ولا ساغ لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ اذ هو مغلوب فيه فيجيء الاستثناء على هذا متصلا وتتضمن الآية على هذا اعظام العمد وبشاعة شانه * وقوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الآية حقيقة الخطإ ان لا يقصده بالقتل ووجوه الخطإ كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد قال ابن عباس وغيره الرقبة المومنة هي الكبيرة التي قد صلت وعقلت الايمان وقالت جماعة منهم مالك بن انس يجزئ كل من يحكم له بحكم الاسلام في الصلاة عليه ان مات قال مالك ومن صلى وصام احب الي ولا يجزئ ذو العيب الكثير كاقطع اليدين او الرجلين او الاعمى اجماعا فيما علمت ومسلمة معناه مؤداة مدفوعة وهي على العاقلة فيما جاوز ثلث الدية والا ان يصدقوا يريد اولياء القتيل وقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن الآية اي وان كان هذا المقتول خطأ مومنا قد آمن وبقي في قومه وهم كفرة عدو لكم فلا دية فيه وانما كفارته تحرير الرقبة قاله ابن عباس وغيره وسقطت الدية عندهم لوجهين احدهما ان اولياء المقتول كفار فلا يصح دفع الدية اليهم والآخر قلة حرمة هذا المقتول فلا دية فيه واحتجوا بقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقالت فرقة بل الوجه في سقوط الدية ان الاولياء

كفار فقط وسواء قتل بين اظهر المسلمين او بين قومه الكفار لانه لا يصح دفعها الى الكفار قال * ع * وقائل المقالة الاولى يقول ان قتل المومن فى بلد المسلمين وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة * وقوله تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال ابن عباس وغيره المقتول من اهل العهد خطأ لانبالى كان مومنا اوكافرا على عهد قومه فيه الدية والتحرير * وقوله فمن لم يجد فصيام شهرين الآية اي فمن لم يجد الرقبة ولا اتسع ماله لشرائها فيجزيه صيام شهرين متتابعة الايام لا يتخللها فطر وتوبة نصب على المصدر ومعناه رجوعا بكم الى التيسير والتسهيل * وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية المتعمد فى لغة العرب القاصد الى الشيء والجمهور ان المتعمد كل من قتل كان القتل بحديدة او غيرها وهذا هو الصحيح ورأى الشافعي وغيره ان القتل بغير الحديد المشحوذ هو شبه العمد ورأوا فيه تغليظ الدية ومالك لا يرى شبه العمد ولا يقول به وانما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمدا او خطأ لا غير * وقوله تعالى فجزاؤه جهنم تقديره عند اهل السنة فجزاؤه ان جازاه بذلك اي هو اهل لذلك ومستحقه لعظيم ذنبه قال * ع * ومن اقيم عليه الحد وقتل قودا فهو غير متبع فى الآخرة والوعيد غير نافذ عليه اجماعا وللحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت انه من عوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومعنى الخلود هنا مدة طويلة ان جازاه الله ويدل على ذلك سقوط لفظ التابيد قال * ع * والجمهور على قبول توبته وروي عن بعض العلماء انهم كانوا يقصدون الاغلاظ والتخويف احيانا فيطلقون ان لا تقبل توبته منهم ابن شهاب وابن عباس فكان ابن شهاب اذا سأله من يفهم منه انه قد قتل قال له توبتك مقبولة واذا سأله من لم يفعل قال لا توبة للقاتل وعن ابن عباس

نحوه قال الداودي وعن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله
للدنيا وما فيها اهون على الله من قتل نفس بغير حق ومن اعان على قتل مسلم
بشطر كلمة لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله وعن
معاوية انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره
الا من قتل مومنا متعمدا او مات كافرا وعن ابى هريرة انه سئل عن قاتل المومن
هل له من توبة فقال لا والله الذى لا اله الا هو لا يدخل الجنة حتى يلج
الجمل فى سم الخياط قال ولو ان اهل السموات والارض اشركوا فى دم مومن
لاكبهم الله جميعا فى النار انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا ضربتم
فى سبيل الله فتبينوا الآية تقول ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة او غزو
او غيره مقترنة بفى وضربت الارض دون فى اذا قصدت قضاء الحاجة وقال
* ص * ضربتم اي سافرتم قال * ع * وسبب هذه الآية ان سرية
من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت رجلا له جمل ومُتَيِّع وقيل
غُنَيْمة فسلم على القوم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم
فقتله واختلف فى تعيين القاتل والمقتول فى هذه النازلة والذى عليه
الاكثر وهو فى سِيَر ابن اسحاق وفى مصنَّف ابى داود وغيرهما ان القاتل
مُحَلِّم بن جُثامة والمقتول عامر بن الاضبط ولا خلاف ان الذى لفظته الارض
حين مات هو محلم بن جثامة وقرأ جمهور السبعة فتبينوا وقرأ حمزة والكساءي
فتثبتوا بالثاء المثلثة فى الموضعين هنا وفى الحجرات وقرأ نافع وغيره السلم ومعناه
الاستسلام اي القى بيده واستسلم لكم واظهر دعوتكم وقرأ باقى السبعة السلام
بالالف يريد سلام ذلك المقتول على السرية لان سلامه بتحية الاسلام
موذن بطاعته وانقياده وفى بعض طرق عاصم السلم بكسر السين المشددة وسكون

اللام وهو الصلح والمعنى المراد بهذه الثلاثة متقارب وقرئ لست مؤمنا بفتح الميم اي لسنا نؤمنك * وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة عِدَة منه سبحانه بما ياتى به من فضله من الحلال دون ارتكاب محظور اي فلا تتهافتوا واختلف فى قوله كذلك كنتم من قبل فقال ابن جبير معناه كذلك كنتم مستخفين من قومكم باسلامكم فمن الله عليكم باعزاز دينكم واظهار شريعتكم فهم الآن كذلك كل واحد منهم خائف من قومه متربص ان يصل اليكم فلم يصلح اذا وصل ان تقتلوه حتى تتبينوا امره وقال ابن زيد المعنى كذلك كنتم كفرة فمن الله عليكم بان اسلمتم فلا تنكروا ان يكون هو كافرا ثم يسلم لحينه ثم وكد تبارك وتعالى الوصية بالتبين وأعلم انه خبير بما يعمله العباد وذلك منه خبر يتضمن تحذيرا منه سبحانه اي فاحفظوا انفسكم وجنبوا الزلل الموبق لكم * وقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى الضرر الآية فى قوله تعالى لا يستوى ابهام على السامع وهو ابلغ من تحديد المنزلة التى بين المجاهد والقاعد فالمتأمل يمشي مع فكرته ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما والقاعدون عبارة عن المتخلفين قلت وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن ابى طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة تخرج من اعلاها الحلل ومن اسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات اجنحة فيجلس عليها اولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين اسفل منهم يا اهل الجنة ناصفونا يا رب ما بلغ هؤلاء هذه الكرامة فيقول الله تعالى انهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا يقومون بالليل وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون انتهى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير بالرفع صفة للقاعدين وقرأ نافع وغيره

غير بالنصب استثناء من القاعدين وروي من غير ما طريق ان الآية نزلت لا يستوى القاعدون من المومنين والمجاهدون فجاء ابن ام مكتوم حين سمعها فقال يا رسول الله هل من رخصة فاني ضرير البصر فنزلت عند ذلك غير اولى الضرر قال الفَلَتانِ بن عاصم رضي الله عنه كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزل عليه وكان اذا اوحي اليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرّغ سمعه وبصره لما ياتيه من الله وكنا نعرف ذلك في وجهه قال فلما فرغ قال للكاتب اكتب لايستوى القاعدون من المومنين والمجاهدون الى ءاخر الآية قال فقام الاعمى فقال يا رسول الله ما ذنبنا قال فانزل الله على رسوله فقلنا للاعمى انه ينزل عليه قال فخاف ان ينزل فيه شيء فبقي قائما مكانه يقول اتوب الى رسول الله حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للكاتب اكتب غير اولى الضرر واهل الضرر هم اهل الاعذار اذ قد اضرت بهم حتى منعتهم الجهاد قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى باموالهم وانفسهم هي الغاية في كمال الجهاد قال ابن جريج الفضل بدرجة هو على القاعدين من اهل العذر قال * ع * لانهم مع المومنين بنياتهم كما هو مذكور في الحديث الصحيح قال ابن جريج والتفضيل بالاجر العظيم والدرجات هو على القاعدين من غير عذر والحسنى الجنة التي وعدها الله المومنين وكذلك قال السدي وغيره وقال ابن مُحَيْريز الدرجات هي درجات في الجنة سبعون ما بين الدرجتين حُضْر الجواد المضمّر سبعين سنة قلت وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى

وقال ابن زيد الدرجات فى الآية هي السبع المذكورة فى براءة فى قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب الآية قال * ع * ودرجات الجهاد لو حصرت اكثر من هذه لكن يجمعها بذل النفس والاعتمال بالبدن والمال فى ان تكون كلمة الله هي العليا ولا شك ان بحسب مراتب الاعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها فالاقوال كلها متقاربة وباقى الآية وعد كريم وتانيس * وقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم الآية المراد بهذه الآية الى قوله مصيرا جماعة من اهل مكة كانوا قد اسلموا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقُتلوا ببدر فنزلت الآية فيهم قال * ع * والذى يجرى مع الاصول ان من مات من هؤلاء مرتدا فهو كافر ومأواه جهنم على جهة الخلود المؤبد وهذا هو ظاهر امر هؤلاء وان فرضنا فيهم من مات مومنا واكره على الخروج او مات بمكة فانما هو عاص فى ترك الهجرة مأواه جهنم على جهة العصيان دون خلود * وقوله تعالى توفاهم يحتمل ان يكون فعلا ماضيا ويحتمل ان يكون مستقبلا على معنى تتوفاهم فحذفت احدى التائين وتكون فى العبارة اشارة الى ما يأتى من هذا المعنى فى المستقبل بعد نزول الآية وظالمى انفسهم نصب على الحال اي ظالميها بترك الهجرة وتوفاهم الملائكة معناه تقبض ارواحهم قال الزجاج وحذفت النون من ظالمين تخفيفا كقوله بالغى الكعبة وقول الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ وقول هؤلاء كنا مستضعفين فى الارض اعتذار غير صحيح اذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السُبل ثم وقفتهم الملائكة على ذنبهم بقولهم الم تكن ارض الله واسعة والارض الاولى هي ارض مكة خاصة وارض الله هي الارض بالاطلاق والمراد فتهاجروا فيها

الى مواضع الامن وهذه المقاولة انما هي بعد توفى الملائكة لارواح هؤلاء وهي دالة على انهم ماتوا مسلمين ولا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا ثم استثنى سبحانه من كان استضعافه حقيقة من زمنى الرجال وضعفة النساء والولدان قال ابن عباس كنت انا وامى من المستضعفين والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبيل سبيل المدينة فيما قاله مجاهد وغيره والصواب انه عام فى جميع السبل ثم رجى الله تعالى هؤلاء بالعفو عنهم والمراغم المتحوّل والمذهب قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد المراغم المتزحزَح عما يُكره وقال ابن زيد المراغم المهاجَر وقال السدي المراغم المبتغى للمعيشة قال * ع * وهذا كله تفسير بالمعنى واما الخاص باللفظة فان المراغم هو موضع المراغمة فلو هاجر احد من هؤلاء المحبوسين بمكة لارغم انوف قريش بحصوله فى منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة قال ابن عباس وغيره السعة هنا هي السعة فى الرزق وقال مالك السعة سعة البلاد قال * ع * وهذا هو المشبه للفصاحة ان يريد سعة الارض وبذلك تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر وغير ذلك من وجوه الفرج وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة قال مالك بن انس رحمه الله الآية تعطى ان كل مسلم ينبغى له ان يخرج من البلاد التى تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق * وقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت الآية حكم هذه الآية باق فى الجهاد والمشي الى الصلاة والحج ونحوه قلت وفى الباب حديث عن ابى امامة وسياتى عند قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال * ع * والآية نزلت بسبب رجل من كنانة وقيل من خزاعة اسمه ضمرة فى قول الاكثر لما سمع قول الله تعالى الذين لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلا قال انى لذو مال وعبيد وكان مريضا فقال اخرجونى الى المدينة فاخرج فى سرير فادركه الموت بالتنعيم فنزلت الآية بسببه قال * ع * ومن هذه الآية رأى بعض العلماء ان من مات من المسلمين وقد خرج غازيا فله سهمه من الغنيمة قاسوا ذلك على الاجر ووقع عبارة عن الثبوت وكذلك هي وجب لان الوقوع والوجوب نزول فى الاجرام بقوة فشبه لازم المعانى بذلك وباقى الآية بين * وقوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الآية ضربتم معناه سافرتم قال مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابن راهويه تقصر الصلاة فى اربعة برد وهي ثمانية واربعون ميلا وحجتهم احاديث رويت فى ذلك عن ابن عمروابن عباس وقال الحسن والزهري تقصر فى مسيرة يومين وروي هذا ايضا عن مالك وروي عنه تقصر فى مسافة يوم وليلة وهذه الاقوال الثلاثة تتقارب فى المعنى والجمهور على جواز القصر فى السفر المباح وقال عطاء لا تقصر الا فى سفر طاعة وسبيل خير والجمهور انه لا قصر فى سفر معصية والجمهور انه لا يقصر المسافر حتى يخرج من بيوت القرية وحينئذ هو ضارب فى الارض وهو قول مالك وجماعة المذهب والى ذلك فى الرجوع وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين وليس بينهما ثلث يوم ويظهر من قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا ان القصر مباح او مخير فيه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المسافر مخير فيه وقاله الابهري وعليه حذاق المذهب وقال مالك فى المبسوط القصر سنة وهذا هو الذى عليه جمهور المذهب وعليه جواب المدونة بالاعادة فى الوقت لمن اتم فى سفره وقال ابن سحنون وغيره القصر فرض * وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا

الآية وفى حديث يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ان الله تعالى يقول ان خفتم وقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ويفتنكم معناه يمتحنكم بالحمل عليكم واشغال نفوسكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الظهر باصحابه قال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى فى اثرها فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى اخر صلاة الخوف * وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية قال جمهور الامة الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتناول الامراء بعده الى يوم القيامة وكذلك جمهور العلماء على ان صلاة الخوف تصلى فى الحضر اذا نزل الخوف قال الطبري فاقمت لهم معناه حدودها وهيئتها * وقوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك امر بالانقسام اي وسائرهم وجاه العدو ومعظم الروايات والاحاديث على ان صلاة الخوف انما نزلت الرخصة فيها فى غزوة ذات الرقاع واختلف من المامور باخذ الاسلحة هنا فقيل الطائفة المصلية وقيل بل الحارسة قال * ع * ولفظ الآية يتناول الكل ولكن سلاح المصلين ما خف قلت ومن المعلوم انه اذا كانت الطائفة المصلية هي المامورة باخذ السلاح فالحارسة من باب احرى واختلفت الآثار فى هيئة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الخوف وبحسب ذلك اختلف الفقهاء فروى يزيد بن رومان عن صالح بن خَوّات عن سهل بن ابى حَثْمة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذات الرقاع فصفت طائفة معه وطائفة وُجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التى بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم

بهم وروى القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن سهل هذا الحديث بعينه
الا انه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى بالطائفة الاخيرة ركعة
سلم ثم قضت بعد سلامه وبحديث القاسم بن محمد اخذ مالك واليه رجع
بعد ان كان اولا يميل الى رواية يزيد بن رومان وروى عبد الرزاق عن مجاهد
قال لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف الا مرتين مرة بذات
الرقاع من ارض بني سُلَيْم ومرة بعُسْفان والمشركون بضَجْنان بينهم وبين القبلة
قال * ع * وظاهر اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم
يقتضي انه صلى صلاة الخوف في غير هذين الموطنين وقد ذكر ابن عباس
انه كان في غزوة ذي قَرَد صلاة خوف * وقوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم الآية المعنى فاذا سجدوا معك الركعة الاولى فلينصرفوا هذا على
بعض الهيآت المروية وقيل المعنى فاذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على رواية
ابن ابي حثمة والضمير في قوله فليكونوا يحتمل ان يكون للذين سجدوا ويحتمل
ان يكون للطائفة القائمة اولا بازاء العدو ويجيء الكلام وصاة في حال الحذر
والحرب * وقوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون الآية اخبار عن معتقد
القوم وتحذير من الغفلة ليلا ينال العدو امله واسلحة جمع سلاح وفي قوله تعالى
ميلة واحدة مبالغة اي مستاصلة لا يحتاج معها الى ثانية * وقوله تعالى ولا
جناح عليكم الآية ترخيص قال ابن عباس نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف
كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس قال * ع * كانهم تلقوا
الامر باخذ السلاح على الوجوب فرخص الله تعالى في هاتين الحالتين وينقاس
عليهما كل عذر ثم قوى سبحانه نفوس المومنين بقوله انِ الله اعد للكافرين
عذابا مهينا * وقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا الآية

ذهب جمهور العلماء الى ان هذا الذكر المامور به انما هو اثر صلاة الخوف على حد ما امروا عند قضاء المناسك بذكر الله فهو ذكر باللسان والطمانينة فى الآية سكون النفوس من الخوف وقال بعض المتأولين المعنى فاذا رجعتم من سفركم الى الحضر فاقيموها تامة اربعا * وقوله تعالى كتابا موقوتا معناه منجما فى اوقات هذا ظاهر اللفظ وروي عن ابن عباس ان المعنى فرضا مفروضا فهما لفظان بمعنى واحد كرر مبالغة * وقوله تعالى ولا تهنوا فى ابتغاء القوم اي لا تلينوا وتضعفوا يقال حبل واهن اي ضعيف ومنه وهن العظم وابتغاء القوم طلبهم وهذا تشجيع لنفوس المومنين وتحقير لامر الكفرة ثم تأكد التشجيع بقوله وترجون من الله ما لا يرجون وهذا برهان بين ينبغي بحسبه ان تقوى نفوس المومنين وباقى الآية بين * وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله الآية فى هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتفويض اليه وتقويم ايضا على الجادة فى الحكم وتانيب ما على قبول ما رُفِع اليه فى امر بنى أُبَيْرِق بسرعة * وقوله تعالى بما اراك الله معناه على قوانين الشرع اما بوحي ونص او نظر جار على سنن الوحي وقد تضمّن الله تعالى لانبيائه العصمة * وقوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما قال الهروي خصيما اي مخاصما ولا دافعا انتهى قال * ع * سببها باتفاق من المتأولين امر بنى ابيرق وكانوا اخوة بشر وبشير ومبشر وطعيمة وكان بشير رجلا منافقا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وينحل الشعر لغيره فكان المسلمون يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث فقال شعرا يتنصل فيه فمنه قوله

افى كل ما قال الرجال قصيدةٌ * نُحِلت وقالوا ابن الابيرق قالها

قال قتادة بن النعمان وكان بنو ابيرق اهل فاقة فابتاع عمى رفاعة بن زيد

حملا من درمك الشام فجعله فى مشْرُبة له وفى المشربة درعان له وسيفان فعُدي
على المشربة من الليل فلما اصبح اتانى عمى رفاعة فقال يا ابن اخى اتعلم انه
قد عدي علينا فى ليلتنا هذه فنُقِبت مشربتنا وذُهب بطعامنا وسلاحنا قال
فتحسسنا فى الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بنى ابيرق استوقدوا نارا فى هذه
الليلة ولا نُراه الا على بعض طعامكم قال وقد كان بنو ابيرق قالوا ونحن نسأل
والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح واسلام فسمع ذلك
لبيد فاخترط سيفه ثم اتى بنى ابيرق فقال والله ليخالطنكم هذا السيف او
لتبينن هذه السرقة فقالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت بصاحبها فسألنا
فى الدار حتى لم نشك انهم اصحابها فقال لى عمى يا ابن اخى لو اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بهذه القصة فاتيته صلى الله عليه وسلم
فقصصتها عليه فقال انظُرُ فى ذلك فلما سمع بذلك بنو ابيرق اتوا رجلا منهم
يقال له اُسَيْر بن عروة فكلموه فى ذلك واجتمع اليه ناس من اهل الدار فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه رفاعة عمَدا
الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرميانهم بالسرقة على غير بينة قال قتادة
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمَدت الى اهل بيت ذكر منهم
اسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة من غير بينة قال فرجعت وقد وددت ان اخرج عن
بعض مالى ولم اكلمه فاتيت عمى فقال ما صنعت فاخبرته بما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الله المستعان فلم نلبث ان نزل القرءان انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق الآيات قال فالخائنون بنو ابيرق والبريء المرمى لبيد بن سهل
والطائفة التى همت اسير واصحابه قال * ع * قال قتادة وغير واحد
هذه القصة ونحوها انما كان صاحبها طعمة بن ابيرق ويقال فيه طعيمة قال

* ع * وطعمة بن ابيرق صرح بعد ذلك بالارتداد وهرب الى مكة فروي انه نقب حائط بيت ليسرقه فانهدم الحائط عليه فقتله ويروى انه اتبع قوما من العرب فسرقهم فقتلوه * وقوله تعالى واستغفر الله ذهب الطبري الى ان المعنى استغفر من ذنبك في خصامك للناس قال * ع * وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءتهم والمعنى واستغفر للمومنين من امتك والمتخاصمين بالباطل لا ان تكون ذا جدال عنهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك رواه ابو داود والترمذي والنساءي والحاكم وابن حِبّان في صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح غريب ورواه النساءي والحاكم ايضا من طرق عن عائشة وغيرها انتهى من السلاح * وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لفظ عام يندرج تحته اصحاب النازلة ويتقرر به توبيخهم وفي قوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما رفق وابقاء فان الخوان هو الذى تتكرر منه الخيانة كطعمة بن الابيرق والاثيم هو الذى يقصدها فيخرج من هذا التشديد الساقط مرة واحدة ونحو ذلك واختيان الانفس هو بما يعود عليها من الاثم والعقوبة في الدنيا والآخرة * وقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآية الضمير في يستخفون للصنف المرتكب للمعاصي ويندرج في طي هذا العموم اهل الخيانة في النازلة المذكورة واهل التعصب لهم والتدبير في خدع النبي صلى الله عليه وسلم والتلبيس عليه ويحتمل ان يكون الضمير لاهل هذه النازلة ويدخل في معنى هذا التوبيخ كل

من يفعل نحو فعلهم قال صاحب الكلم الفارقة والحكم الحقيقية النفوس المرتكبة للمحارم المحتقبة للمآثم والمظالم شبيهة بالاراقم تملأ افواهها سما وتقصد من تقذفه عليه عدوانا وظلما تجمع فى ضمائرها سموم شرورها وضررها وتحتال لالقائها على الغافلين عن مكائدها وخدعها انتهى ومعنى وهو معهم بالاحاطة والعلم والقدرة ويبيتون يدبرون ليلا ويحتمل ان تكون اللفظة ماخوذة من البيت اي يستترون فى تدبيرهم بالجدرات * وقوله تعالى هانتم هؤلاء خطاب للقوم الذين يتعصبون لاهل الريب والمعاصى ويندرج فى طي هذا العموم اهل النازلة وهو الاظهر عندى بحكم التأكيد بهؤلاء وهي اشارة الى حاضرين ومن مصابيح البغوي عن ابى داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ومن قال فى مومن ما ليس فيه اسكنه الله رَدْغة الخبال حتى يخرج مما قال ويروى من اعان على خصومة لا يدرى احق ام باطل فهو فى سخط الله حتى ينزع انتهى * وقوله تعالى فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة الآية وعيد محض ولما تمكن هذا الوعيد وقضت العقول بان لا مجادل لله سبحانه ولا وكيل يقوم بامر العصاة عنده عقّب ذلك بهذا الرجاء العظيم والمهل المنفسح فقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الآية وباقى الآية بين * وقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ذهب بعض الناس الى انهما لفظان بمعنى كرر لاختلاف اللفظ وقال الطبري انما فرق بين الخطيئة والاثم لان الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وهذه الآية لفظها عام ويندرج تحت ذلك العموم اهل النازلة المذكورة وبريء النازلة وهو لبيد كما تقدم اي ويتناول عموم الآية كل بريء * وقوله فقد احتمل بهتانا تشبيه اذ

الذنوب ثقل ووزر فهي كالمحمولات وبهتانا معناه كذبا ثم وقف الله تعالى نبيه على مقدار عصمته له وانها بفضل منه سبحانه ورحمة * وقوله تعالى لهمت معناه لجعلته همها وشغلها حتى تنفذه وهذا يدل على ان الالفاظ عامة في غير اهل النازلة والا فاهل التعصب لبني ابيرق قد وقع همهم وثبت ثم اخبر تعالى انهم لا يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء قلت ثم ذكر سبحانه ما انعم به على نبيه من انزال الكتاب والحكمة وتعليمه ما لم يكن يعلم قال ابن العربي في رحلته اعلم ان علوم القرءان ثلاثة اقسام توحيد وتذكير واحكام وعلم التذكير هو معظم القرءان فانه مشتمل على الوعد والوعيد والخوف والرجاء والقرب وما يرتبط بها ويدعو اليها ويكون عنها وذلك معنى تتسع ابوابه وتمتد اطنابه انتهى وباقي الآية وعد كريم لنبيه عليه السلام وتقرير نعمه لديه سبحانه لا اله غيره * وقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الآية الضمير في نجواهم عائد على الناس اجمع وجاءت هذه الآيات عامة التناول وفي عمومها يندرج اصحاب النازلة وهذا من الفصاحة والايجاز المضمن الماضي والغابر في عبارة واحدة قال النووي وروينا في كتابي الترمذي وابن ماجه عن ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن ءادم عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكرا لله تعالى انتهى والنجوى المسارة وقد تسمى بها الجماعة كما يقال قوم عدل وليست النجوى بمقصورة على الهمس في الاذن والمعروف لفظ يعم الصدقة والاصلاح وغيرهما ولكن خصا بالذكر اهتماما اذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد ثم وعد تعالى بالاجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضى الله تعالى * وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول الآية لفظ عام نزل بسبب طعمة بن ابيرق لانه ارتد وسار الى مكة فاندرج

لانحاء عليه فى طي هذا العموم المتناول لمن اتصف بهذه الصفات الى يوم القيامة
* وقوله نوله ما تولى وعيد بان يترك مع فاسد اختياره فى تودد الطاغوت ثم اوجب
تعالى انه لا يغفر ان يشرك به وقد مضى تفسير مثل هذه الآية * وقوله تعالى
ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا الآية الضمير فى يدعون
عائد على من ذكر فى قوله ومن يشاقق الرسول وان نافية بمعنى ما ويدعون عبارة
مغنية موجزة فى معنى يعبدون ويتخذون الهة قلت وفى البخاري الا اناثا يعنى
الموات حجرا ومدرا وما اشبهه انتهى وفى مصحف عائشة الا اوثانا ونحوه عن
ابن عباس والمراد بالشيطان هنا ابليس قاله الجمهور وهو الصواب لان سائر المقالة
به تليق ومريدا معناه متمردا عاتيا صليبا فى غوايته واصل اللعن الابعاد والمفروض
معناه فى هذا الموضع المنحاز وهو ماخوذ من الفرض وهو الحز فى العود وغيره قال
* ع * ويحتمل ان يريد واجبا ان اتخذه وبعث النار هو نصيب ابليس * وقوله
ولاضلنهم الآية معنى اضلنهم اصرفهم عن طريق الهدى ولامنينهم لاسولن لهم
وامانيّه لا تنحصر فى نوع واحد والبتك القطع * وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق
الله اختلف المتأولون فى معنى تغيير خلق الله وملاك تفسير هذه الآية ان كل
تغيير ضار فهو داخل فى الآية وكل تغيير نافع فهو مباح وفى مختصر الطبري
فليغيرن خلق الله قال ابن عباس خلق الله دين الله وعن ابراهيم ومجاهد
والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد مثله وفسر ابن زيد لا تبديل
لخلق الله اي لدين الله واختار الطبري هذا القول واستدل له بقوله تعالى
ذلك الدين القيم واجاز ان يدخل فى الآية كل ما نهى الله عنه من معاصيه
والترك لطاعته انتهى وهو حسن قال * ع * واللامات كلها للقسم قال
* ص * ولاضلنهم مفعوله محذوف اي عن الهدى وكذا ولامنينهم اي

الباطل وكذا ولآمرنهم اي بالبتك فليبتكن وكذا ولآمرنهم اي بالتغيير فليغيرن كل ما اوجده الله للطاعة فيستعينون به فى المعصية انتهى ولما ذكر الله سبحانه عتو الشيطان وما توعد به من بث مكره حذر تبارك وتعالى عباده بان شرط لمن يتخذه وليا جزاء الخسران * وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم اي يعدهم بأباطيله من المال والجاه وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك لكل احد ما يليق بحاله ويمنيهم كذلك ثم ابتدأ سبحانه الخبر عن حقيقة ذلك بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم اخبر سبحانه بمصير المتخذين الشيطان وليا وتوعدهم بان مأواهم جهنم لا يدافعونها بحيلة ولا يتروغون ومحيصا من حاص اذا راغ ونفر ومنه قول الشاعر

ولم ندر انْ جِضْنَا من الموت حَيْصَةً * كَمِ العمرُ باق والمدى متطاول

ومنه الحديث فحاصوا حيصة حمر الوحش ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الوعيد واقتضى ذلك التحذير عقب ذلك عز وجل بالترغيب فى ذكره حالة المومنين واعلم بصحة وعده ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه فى قوله ومن اصدق من الله قيلا والقيل والقول واحد ونصبه على التمييز * وقوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الآية الاماني جمع امنية وهي ما يتشهاه المرء ويطمّع نفسه فيه قال ابن عباس وغيره الخطاب لامة النبي صلى الله عليه وسلم وفى مختصر الطبري عن مسروق وغيره قال احتج المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون نحن اهدى وقال اهل الكتاب نحن اهدى فانزل الله هذه الآية وعن مجاهد قالت العرب لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قال الطبري وقول مجاهد اولى بالصواب وذلك ان المسلمين لم يجر لامانيهم ذكر

فيما مضى من الآي وانما جرى ذكر اماني نصيب الشيطان انتهى وعليه عول
* ص * في سبب نزول الآية اعني على تاويل مجاهد * وقوله تعالى من
يعمل سوءا يجز به قال جمهور الناس لفظ الآية عام فالكافر والمومن مجازى فاما
مجازات الكافر فالنار واما مجازات المومن فبنكبات الدنيا فمن بقي له سوأ
الى الآخرة فهو في المشيئة يغفر الله لمن يشاء ويجازى من يشاء * وقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات دخلت من للتبعيض اذ الصالحات على الكمال مما لا
يطيقه البشر ففي هذا رفق بالعباد لكن في هذا البعض الفرائض وما امكن من
المندوب اليه ثم قيد الامر بالايمان اذ لا ينفع عمل دونه والنقير النكتة التي
في ظهر النواة ومنه تنبت وعن ابن عباس ما تنقره باصبعك ثم اخبر تعالى
اخبارا موقفا على انه لا احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص مقصده
وتوجهه واحسن في اعماله واتبع الحنيفية ملة ابراهيم امام العالَم وقدوة الاديان
ثم ذكر سبحانه تشريفه لنبيه ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وسماه خليلا
اذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على الغاية التي يجرى اليها المحب المبالغ
وذهب قوم الى انه سمي خليلا من الخلة بفتح الخاء اي لانه انزل خلته
وفاقته بالله تعالى وكذلك شرف الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالخلة
كما هو مصرح به في الحديث الصحيح * وقوله تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض الآية ذكر سبحانه سعة ملكه واحاطته بكل شيء عقب ذكر الدين
وتبيين الجادة منه ترغيبا في طاعته والانقطاع اليه سبحانه * وقوله تعالى
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم الآية معنى قوله يفتيكم فيهن اي يبين
لكم حكم ما سألتم عنه قال * ع * تحتمل ما ان تكون في موضع رفع
عطفا على اسم الله عز وجل اي ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب يعني القروان

والاشارة بهذا الى ما تقدم من الآية فى امر النساء وهو قوله تعالى فى صدر السورة وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الآية قالت عائشة نزلت هذه الآية اولا ثم سأل ناس بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر النساء فنزلت ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية

* وقوله تعالى فى يتامى النساء اللاتى لا توتونهن ما كتب لهن معناه النهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة الجميلة بدون ما تستحقه من المهر ومن عضل الدميمة الغنية حتى تموت فيرثها العاضل والذى كتب الله لهن هو توفية ما تستحقه من مهر * وقوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن اي ان كانت الجارية غنية جميلة فالرغبة فى نكاحها وان كانت بالعكس فالرغبة عن نكاحها * وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والذى يتلى فى المستضعفين من الولدان هو قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم الآية وذلك ان العرب كانت لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير ففرض الله تعالى لكل واحد حقه * وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف ايضا على ما تقدم والذى تُلي فى هذا المعني هو قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم الآية الى غير ذلك مما ذكر فى مال اليتيم والقسط العدل وباقى الآية بين

* وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا الآية هذه الآية حكم من الله تعالى فى امر المرأة التى تكون ذات سن ونحو ذلك مما يرغب زوجها عنها فيعرض عليها الفرقة او الصبر على الاثرة فتريد هي بقاء العصمة فهذه التى اباح الله بينهما الصلح ورفع الجناح فيه واختلف فى سبب نزول الآية فقال ابن عباس وجماعة نزلت فى النبي عليه السلام وسَوْدة بنت زَمْعة وفى المصنفات ان سودة لما كبرت وهبت يومها لعائشة وقال ابن المسيب وغيره نزلت بسبب

رافع بن خديج وامرأته خولة وقال مجاهد نزلت بسبب ابى السنابل وامرأته
ولفظ ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا
او اعراضا الآية قالت عائشة رضي الله تعالى عنها هي المرأة تكون عند الرجل
ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول له اجعلك من شانى فى حل
فنزلت الآية قال الفقيه ابو بكر بن العربي فرضوان الله على الصديقة المطهرة
لقد وفت بما حملها ربها من العهد فى قوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن
من آيات الله والحكمة انتهى * وقوله تعالى والصلح خير لفظ عام مطلق
يقتضى ان الصلح الحقيقي الذى تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف
خير على الاطلاق ويندرج تحت هذا العموم ان صلح الزوجين على ما ذكرنا خير
من الفرقة * وقوله تعالى واحضرت الانفس الشح معذرة عن عَبيده تعالى
اي لا بد للانسان بحكم خلقته وجبلته من ان يشح على ارادته حتى يحمل
صاحبه على بعض ما يكره وخصص المفسرون هذه اللفظة هنا فقال ابن جبير هو
شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها ايامها وقال ابن زيد الشح هنا منه
ومنها قال * ع * وهذا حسن والشح الضبط على المعتقدات وفى الهمم
والاموال ونحو ذلك فما افرط منه ففيه بعض المذمة وهو الذى قال تعالى فيه
ومن يوق شح نفسه وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعية او التى تقتضيها
المروءة فهو البخل وهي رذيلة لكنها قد تكون فى المومن ومنه الحديث قيل يا
رسول الله ايكون المومن بخيلا قال نعم واما الشح ففى كل احد وينبغى ان لا
يفرط الا على الدين ويدلك على ان الشح فى كل احد قوله تعالى واحضرت
الانفس الشح وقوله ومن يوق شح نفسه فقد اثبت ان لكل نفس شحا
وقول النبي عليه السلام وان تصدق وانت صحيح شحيح وهذا لم يرد به واحدا

بعينه وليس يجمل ان يقال هنا ان تصدق وانت صحيح بخيل * وقوله تعالى وان تحسنوا ندب الى الاحسان فى تحسين العشرة والصبر على خلُق الزوجة وتتقوا معناه تتقوا الله فى وصيته بهن اذ هن عوان عندكم * وقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا الآية معناه العدل التام على الاطلاق والمستوى فى الافعال والاقوال والمحبة والجماع وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما املك فلا تواخذنى بما تملك ولا املك فوصف الله سبحانه حالة البشر انهم بحكم الخِلْقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض الازواج دون بعض ثم نهى سبحانه عن الميل كل الميل وهو ان يفعل فعلا يقصده من التفضيل وهو يقدر ان لا يفعله فهذا هو كل الميل وان كان فى امر حقير * وقوله سبحانه فتذروها كالمعلقة اي لا هي أُيم ولا ذات زوج وجاء فى التى قبل وان تحسنوا وفى هذه وان تصلحوا لان الاولى فى مندوب اليه وفى هذه فى لازم اذ يلزمه العدل فيما يملك * وقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الآية اي ان شح كل واحد من الزوجين فلم يتصالحا لكنهما تفرقا بطلاق فان الله تعالى يغنى كل واحد منهما عن صاحبه بفضله ولطائف صنعه فى المال والعشرة والسعة وجَوْد المرادات والتمكن منها والواسع معناه الذى عنده خزائن كل شيء * وقوله سبحانه ولله ما فى السموات وما فى الارض تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين ثم جاء بعد ذلك قوله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض تنبيها على استغنائه عن العباد ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذلك قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا مقدمة للوعيد فهذه وجوه تكرار هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة * ت * وفى تمشيته هذه عندى نظر والاحسن

بقاء الكلام على نسقه فقوله رحمه الله تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين حسن وانما الذى فيه قلق ما بعده من توجيههم * وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم الآية لفظ عام لكل من اوتي كتابا فان وصيته سبحانه لعباده لم تزل منذ اوجدهم * ت * قال الاستاذ ابو بكر الطُّرطوشي فى سراج الملوك ولما ضَرَب ابن مُلْجِم عليا رضي الله عنه ادخل منزله فاعترته غشية ثم افاق فدعا اولاده الحسنَ والحسينَ ومحمدا فقال اوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء يا بُنَيَّ ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف بغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب اخيه كشف عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن اعجب برأيه ضل ومن جالس العلماء وقِّر ومن خالط الانذال احتُقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح استخِف به ومن اكثر من شيء عُرف به ومن كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بنِيَّ الادب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين يا بنِيَّ العافية عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله وواحد فى ترك مجالسة السفهاء يا بنِيَّ زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بنِيَّ لا شرف اعز من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى يا بنِيَّ الحرص مفتاح البغي ومطية النصب طوبى

لمن اخلص لله عمَلَه وعلْمَه وحبَّه و بغضَه واخْذَه وتركَه وكلامَه وصمتَه وقولَه وفعلَه انتهى والوكيل القائم بالامور المنفِّذ فيها ما رءاه وقوله ايها الناس مخاطبة للحاضرين من العرب وتوقيف للسامعين لتحضر اذهانهم وقوله بآخرين يريد من نوعكم وتحتمل الآية ان تكون وعيدا لجميع بنى ءادم ويكون الآخرون من غير نوعهم كالملائكة وقول الطبري هذا الوعيد والتوبيخ للشافعين والمخاصمين فى قصة بني أُبيرق بعيد واللفظ انما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالَم جملة او العالَم الحاضر * وقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة الآية اي من كان لا مراد له الا فى ثواب الدنيا ولا يعتقد ان ثَم سواه فليس كما ظن بل عند الله سبحانه ثواب الداريـن فمن قصد الآخرة اعطاه الله من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن قصد الدنيا فقط اعطاه من الدنيا ما قدر له وكان له فى الآخرة العذاب والله تعالى سميع للاقوال بصير بالاعمال والنيات وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى الحديث قال النووي بلغنا عن ابن عباس انه قال انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم انتهى ثم خاطب سبحانه المومنين بقوله كونوا قوامين بالقسط وهو العدل ومعنى شهداء لله اي لذاته ولوجهه ولمرضاته سبحانه وقوله ولو على انفسكم متعلق بشهداء هذا هو الظاهر الذى فسر عليه الناس وان هذه الشهادة المذكورة هي فى الحقوق ويحتمل ان يكون المعنى شهداء لله بالوحدانية ويتعلق قوله ولو على انفسكم بقوامين بالقسط والتاويل الاول ابين وشهادة المرء على نفسه هو اقراره بالحقائق قال * ص * وقوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا ضمير يكن عائد الى المشهود عليه والضمير فى بهما عائد على جنسي الغني والفقير

انتهى قال * ع * وقوله اولى بهما اي هو انظر لهما وروى الطبري ان هذه الآية هي بسبب نازلة بني ابيرق وقيام من قام فيها بغير القسط * وقوله تعالى فلا تتبعوا الهوى نهي بين واتباع الهوى مرد مهلك * وقوله تعالى ان تعدلوا يحتمل ان يكون معناه مخافة ان تعدلوا ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن الحق ويحتمل ان يكون معناه محبة ان تعدلوا ويكون العدل بمعنى القسط * وقوله تعالى وان تلووا او تعرضوا الآية قال ابن عباس هي في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الآخر وقال ابن زيد وغيره هي في الشهود يلوى الشهادة بلسانه او يعرض عن ادائها قال * ع * ولفظ الآية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس وكل انسان ماخوذ بان يعدل والخصوم مطلوبون بعدل ما في القضاة فتأمله وقد تقدم تفسير الي وباقي الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ءامنوا بالله ورسوله الآية اختلف من المخاطب بهذه الآية فقيل الخطاب للمومنين ومضمن هذا الامر الثبوت والدوام وقالت فرقة الخطاب لاهل الكتابين ورجحه الطبري وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين ءامنوا في الظاهر ليكن ايمانكم حقيقة * وقوله سبحانه ومن يكفر بالله الى ءاخر الآية وعيد وخبر مضمنه تحذير المومنين من حالة الكفر * وقوله تعالى ان الذين ءامنوا ثم كفروا الآية قال مجاهد وابن زيد الآية في المنافقين فان منهم من كان يومن ثم يكفر ثم يومن ثم يكفر ثم ازداد كفرا بان تم على نفاقه حتى مات قال * ع * وهذا هو التاويل الراجح وتأمل قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فانها عبارة تقتضي ان هؤلاء محتوم عليهم من اول امرهم ولذلك ترددوا وليست هذه العبارة مثل ان يقول لا يغفر الله لهم بل هي اشد فتأمل الفرق بين العبارتين فانه من

دقيق غرائب الفصاحة التي في كتاب الله سبحانه * وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الآية في هذه الآية دليل ما على ان التي قبلها انما هي في المنافقين ثم نص سبحانه من صفات المنافقين على اشدها ضررا وهي موالاتهم الكافرين واطراحهم المومنين ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى ان يقع في نوع منه من المومنين غفلة او جهالة او مسامحة ثم وقفهم سبحانه على جهة التوبيخ فقال ايبتغون عندهم العزة والاستكثار اي ليس الامر كذلك فان العزة لله جميعا يوتيها من يشاء وقد وعد بها المومنين وجعل العاقبة للمتقين والعزة اصلها الشدة والقوة ومنه وعزني في الخطاب اي غلبني بشدته * وقوله سبحانه وقد نزل عليكم في الكتاب الآية مخاطبة لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر الايمان فقد لزمه امتثال اوامر كتاب الله تعالى والاشارة بهذه الآية الى قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في ءاياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره الى نحو هذا من الآيات والكتاب في هذا الموضع القرءان وفي الآية دليل قوي على وجوب تجنب اهل البدع والمعاصي وان لا يجالسوا وقد قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتد

وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات ثم توعد سبحانه المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم فتأكد بذلك النهي عن مجالستهم وخلطتهم * وقوله تعالى الذين يتربصون بكم الآية هذه صفة المنافقين ويتربصون بكم معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فان كان فتح للمومنين ادّعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الايمان وان كان للكافرين نيل من المومنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاة الكفار وهذا حال المنافقين ونستحوذ معناه نغلب على امركم ونحوطكم

ومنه استحوذ عليهم الشيطان معناه غلب على امرهم ثم سلى سبحانه المومنين وانسهم بما وعدهم به فى قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة اي وبينهم وينصفكم من جميعهم وبقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اي يوم القيامة قاله علي رضي الله عنه وعليه جميع اهل التاويل والسبيل هنا الحجة والغلبة قلت الا ابن العربي لم يرتض هذا التاويل قال وانما معنى الآية احد ثلاثة وجوه الاول لن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا يمحو به دولة المومنين ويستبيح بيضتهم الثاني لن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا الا ان يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ويتباعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبَلهم وهذا نفيس جدا الثالث لن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا بالشرع فان وجد ذلك فبخلاف الشرع ونزع بهذا علماؤنا بالاحتجاج على ان الكافر لا يملك العبد المسلم انتهى ومخادعة المنافقين هي لاولياء الله ففي الكلام حذف مضاف اذ لا يقصد احد من البشر مخادعة الله سبحانه

* وقوله تعالى وهو خادعهم عبارة عن عقوبتهم سماها باسم الذنب وقال ابن جريج والحسن والسدي وغيرهم من المفسرين ان هذا الخدع هو ان الله تعالى يعطى لهذه الامة يوم القيامة نورا لكل انسان مومن او منافق فيفرح المنافقون ويظنون انهم قد نجوا فاذا جاءوا الى الصراط طفئ نور كل منافق ونهض المومنون فذلك قول المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم فذلك هو الخدع الذى يجرى على المنافقين ثم ذكر سبحانه كسلهم فى الصلاة وتلك حال كل من يعمل كارها غير معتقد فيه الصواب بل تقية او مصانعة قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ولا يذكرون الله الا قليلا روى الائمة مالك وغيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين

تلك صلاة المنافقين يجلس احدهم حتى اذا اصفرّت الشمس وكانت بين
قرني الشيطان قام ينقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا قال ابن العربي وقد بين
تعالى صلاة المومنين بقوله قد افلح المومنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ومن
خشع خضع واستمر ولم ينقر صلاته ولم يستعجل انتهى ومذبذبين معناه
مضطربين لا يثبتون على حال والتذبذب الاضطراب فهؤلاء المنافقون مترددون
بين الكفار والمومنين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال صلى الله عليه وسلم مثل
المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين والاشارة بذلك الى حالتي الكفر
والايمان * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من
دون المومنين الآية خطابه سبحانه للمومنين يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون
المظهرون للايمان ففى اللفظ رفق بهم وهم المراد بقوله سبحانه اتريدون ان
تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا لان هذا التوقيف انما هو لمن الم بشيء من الفعل
المؤدى الى هذه الحال والمومنون المخلصون ما ألمّوا قطّ بشيء من ذلك ويقوى
هذا المنزع قوله تعالى من دون المومنين اي والمومنون العارفون المخلصون
غيّب عن هذه الموالاة وهذا لا يقال للمومنين المخلصين بل المعنى يا ايها الذين
اظهروا الايمان والتزموا لوازمه والسلطان الحجة ثم اخبر تعالى عن المنافقين انهم
فى الدرك الاسفل من نار جهنم وذلك لانهم اسرى غوائل من الكفار واشد
تمكنا من اذى المسلمين قلت وايضا لانهم شاهدوا من معجزات النبى صلى الله
عليه وسلم وما جعل الله على يديه من الخوارق ما لم يشاهد غيرهم من الكفار فكانت
الحجة عليهم اعظم وكان كفرهم محض عناد وروي عن ابى هريرة وابن مسعود
وغيرهما انهم قالوا المنافقون فى الدرك الاسفل من النار فى توابيت من النار
تقفل عليهم ثم استثنى عز وجل التائبين من المنافقين ومن شروط التائب ان

يصلح فى قوله وفعله ويعتصم بالله اي يجعله منعته وملجأه ويخلص دينه لله تعالى والا فليس بتائب وقوله فاولائك مع المومنين اي فى رحمة الله سبحانه وفى منازل الجنة ثم وعد سبحانه المومنين الاجر العظيم وهو التخليد فى الجنة وقال * ص * فاولائك خبره مضمر والتقدير فاولائك مومنون مع المومنين قاله ابو البقاء انتهى ثم قال سبحانه للمنافقين ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الآية اي ايى منفعة له سبحانه فى ذلك او حاجة قال ابو عبد الله اللخمي زعم الطبري ان قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم خطاب للمنافقين ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطع به وليس فى ذكر المنافقين قبله ما يقتضى ان يحمل عليهم خاصة مع احتمال الآية للعموم فقطعه بان الآية فى المنافقين حكم لايقوم به دليل انتهى وهو حسن اذ حمل الآية على العموم احسن والعجب من * ع * كيف تبع الطبري فى هذا التخصيص ويظهر والله اعلم انهما عولا فى تخصيص الآية على قوله تعالى وءامنتم وهو محتمل ان يحمل فى حق المنافقين على ظاهره وفى حق المومنين على معنى دمتم على ايمانكم والله اعلم والشكر على الحقيقة لا يكون الا مقترنا بالايمان لكنه ذكر الايمان تاكيدا وتنبيها على جلالة موقعه ثم وعد سبحانه بقوله وكان الله شاكرا عليما اي يتقبل اقل شيء من العمل وينميه فذلك شكر منه سبحانه لعباده والشكور من البهائم الذى ياكل قليلا ويظهر به بدنه والعرب تقول فى مثل اشكر من بَرْوقة لانها يقال تخضر وتتنضر بظل السحاب دون مطر وفى قوله عليما تحذير وندب الى الاخلاص * وقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية قراءة الجمهور بضم الظاء وقرئ شاذا بفتحها واختلف على قراءة الجمهور فقالت فرقة المعنى لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا من

ظلم فلا يكره له الجهر به ثم اختلفت هذه الفرقة فى كيفية الجهر بالسوء وما هو
المباح منه فقال ابن عباس وغيره لا باس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل
ظلمه ويجهر له بالسوء من القول اي بما يوازى الظّلامة وقال مجاهد وغيره
نزلت فى الضيف المحوَّل رحلُه فانه رخص له ان يجهر بالسوء من القول للذى
لم يكرمه يريد بقدر الظلم والظلامة وفى صحيح البخاري عن ابى هريرة قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن
كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يوذى جاره ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا او ليصمت انتهى وسميع عليم صفتان لائقتان بالجهر بالسوء و بالظلم
ايضا فانه يعلمه ويجازى عليه ولما ذكر سبحانه عذر المظلوم فى ان يجهر بالسوء
لظالمه اتبع ذلك عرض ابداء الخير واخفائه والعفو عن السوء ثم وعد عليه سبحانه
بقوله فان الله كان عفوا قديرا وعدا خفيا تقتضيه البلاغة ورغب سبحانه فى
العفو اذ ذكر انها صفته مع القدرة على الانتقام قال * ع * ففى هذه
الالفاظ اليسيرة معان كثيرة لمن تأملها قال الداودي وعن ابن عمر انه قال لا يحب
الله سبحانه ان يدعو احد على احد الا ان يظلم فقد رخص له فى ذلك انتهى
* وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الى ءاخر الآية نزل فى اليهود
والنصارى وقد تقدم بيان هذه المعانى * وقوله تعالى والذين ءامنوا بالله ورسله
الآية لما ذكر سبحانه ان المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقا عقّب ذلك
بذكر المومنين بالله ورسله جميعا وهم المومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ليصرح
بوعد هؤلاء كما صرح بوعيد اولائك فبين الفرق بين المنزلتين * وقوله
تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الآية قال قتادة
سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بكتاب من عند الله خاص

لليهود يامرهم فيه بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوه عن ابن جريج
وزاد الى فلان والى فلان انك رسول الله ثم قال سبحانه على جهة التسلية
لنبيه صلى الله عليه وسلم فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وفى الكلام محذوف
يدل عليه المذكور تقديره فلا تبال يا محمد من سؤالهم وتشططهم فانها عادتهم وجمهور
المتأولين على ان جهرة معمول لارنا اي حتى نراه جهارا اي عيانا واهل السنة
معتقدون ان هؤلاء لم يسألوا محالا عقلا لكنه محال من جهة الشرع اذ قد
اخبر تعالى على السنة انبيائه انه لا يرى سبحانه فى هذه الدنيا والرؤية فى
الآخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر المتواتر وهي جائزة عقلا من
غير تحديد ولا تكييف ولا تحيز كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات كذلك هو مرئي
لا كالمرئيات سبحانه هذه حجة اهل السنة وقولهم وقد تقدم قصص القوم فى البقرة
وظلمهم هو تعنتهم وسؤالهم ما ليس لهم ان يسألوه * وقوله تعالى ثم اتخذوا
العجل ثم للترتيب فى الاخبار لا فى نفس الامر التقدير ثم قد كان من امرهم ان
اتخذوا العجل وذلك ان اتخاذ العجل كان عند امر المضي الى المناجاة ولم يكن
الذين صعقوا ممن اتخذ العجل لكن الذين اتخذوه كانوا قد جاءتهم البينات
* وقوله سبحانه فعفونا عن ذلك يعنى بما امتحنهم به من القتل لانفسهم
ثم وقع العفو عن الباقين منهم * وقوله سبحانه فبما نقضهم ما زائدة مؤكدة
التقدير فبنقضهم فالآية مخبرة عن اشياء واقعوها هي ضد ما امِروا به وحذف
جواب هذا الكلام بليغ مُبْهَم متروك مع ذهن السامع تقديره لعنّاهم ونحوه ثم
قال سبحانه وبكفرهم اي بعيسى وقولهم على مريم بهتانا هو رميهم اياها بالزنا بعد
رؤيتهم الآية فى كلام عيسى فى المهد وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الآية
هذه الآية والتى قبلها عدّد الله تعالى فيهما اقوال بني اسراءيل وافعالهم على

اختلاف الازمان وتعاقب القرون فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الطائفة التى قالت انا قتلنا المسيح غير الذين نقضوا الميثاق فى الطور وغير الذين اتخذوا العجل وقول بنى اسرائيل انما هو الى قوله عيسى ابن مريم * وقوله تعالى رسول الله انما هو اخبار من الله تعالى بصفة لعيسى وهي الرسالة على جهة اظهار ذنب هؤلاء المقرين بالقتل ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى لانهم صلبوا ذلك الشخص على انه عيسى وعلى ان عيسى كذاب ليس برسول الله فلزمهم الذنب من حيث اعتقدوا ان قتلهم وقع فى عيسى قال * ص * وعيسى بدل او عطف بيان من المسيح ورسول الله كذلك ويجوز ان يكون صفة لعيسى وان يكون نصبا على اضمار اعنى قلت وهذا الاخير احسنها من جهة المعنى انتهى ثم اخبر سبحانه ان بنى اسرائيل ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفت الرواة فى هذه القصة والذى لا يشك فيه ان عيسى عليه السلام كان يسيح فى الارض ويدعو الى الله وكانت بنو اسرائيل تطلبه وملكهم فى ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل وكان عيسى قد انضوى اليه الحواريون يسيرون معه حيث سار فلما كان فى بعض الاوقات شعر بامر عيسى فروي ان رجلا من اليهود جعِل له جعل فما زال ينقر عنه حتى دل على مكانه فلما احس عيسى واصحابه بتلاحق الطالبين بهم دخلوا بيتا بمرأى من بنى اسرائيل فروي انهم عدوهم ثلاثة عشر وروي ثمانية عشر وحصِروا ليلا فروي ان عيسى فرق الحواريين عن نفسه تلك الليلة ووجههم الى الآفاق وبقي هو ورجل معه فرُفع عيسى والقي شبهه على الرجل فصلب ذلك الرجل وروي ان الشبه القي على اليهودي الذى دل عليه فصلب وروي ان عيسى عليه السلام لما احيط بهم قال لاصحابه ايكم يلقى

عليه شبهي فيقتل ويخلص هؤلاء وهو رفيقي في الجنة فقال سرجس انا فالقي
عليه شبه عيسى وروي ان شبه عيسى القي على الجماعة كلها فلما اخرجهم
بنو اسراءيل نقصوا واحدا من العدة فاخذوا واحدا ممن عليه الشبه حسب هذه
الروايات التى ذكرناها فصلبوه وروي ان الملك والمتناولين لم يخف عليهم
امر رفع عيسى لما رأوه من نقصان العدة واختلاط الامر * وقوله تعالى وان الذين
اختلفوا فيه لفى شك منه الآية يعنى اختلاف المحاولين لاخذه لانهم حين
فقدوا واحدا من العدد وتحدِّث برفع عيسى اضطربوا واختلفوا لكن اجمعوا على
صلب واحد من غير ثقة ولا يقين انه هو * وقوله تعالى وما قتلوه يقينا قال
ابن عباس وجماعة المعنى وما صح ظنهم عندهم ولا تحققوه يقينا فالضمير في قتلوه
عندهم عائد على الظن كما تقول ما قتلت هذا الامر علما قلت وعبارة السدي وما
قتلوا امره يقينا ان الرجل هو عيسى انتهى من مختصر الطبري وقال قوم الضمير
عائد على عيسى اخبر سبحانه انهم ما قتلوه في الحقيقة جملة واحدة لا يقينا
ولا شكا لكن لما حصلت في ذلك الدعوى صار قتله عندهم مشكوكا فيه وقال قوم
من اهل اللسان الكلام تام في قوله وما قتلوه ويقينا مصدر مؤكد للنفي في قوله
وما قتلوه المعنى نخبركم يقينا او نقص عليكم يقينا او ايقنوا بذلك يقينا وقال
* ص * بعد كلام والظاهر ان الضمير في قتلوه عائد الى عيسى لتتحد الضمائر
ويقينا منصوب في موضع الحال من فاعل قتلوه اي مستيقنين انه عيسى او نعت
لمصدر محذوف اي قتلا يقينا انتهى * وقوله تعالى بل رفعه الله اليه يعنى
الى سمائه وكرامته وعيسى عليه السلام في السماء على ما تضمنه حديث الاسراء
في ذكر ابني الخالة عيسى ويحيي ذكره البخاري في حديث المعراج وذكره غيره
وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله تعالى لقتل الدجال وليملأ الارض عدلا ويحيى

فيها اربعين سنة ثم يموت كما يموت البشر * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته اختلف في معنى الآية فقال ابن عباس وغيره الضمير في موته راجع الى عيسى والمعنى انه لايبقى من اهل الكتاب احد اذا نزل عيسى الى الارض الا يومن بعيسى كما يومن سائر البشر وترجع الاديان كلها واحدا يعني يرجعون على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ عيسى واحد من امته وعلى شريعته وائمتنا منا كما ورد في الحديث الصحيح وقال مجاهد وابن عباس ايضا وغيرهما الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي لكن عند المعاينة للموت فهو ايمان لا ينفعه وقال عكرمة الضمير في به لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبل موته للكتابي قال وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو غرق او سقط عليه جدار فانه يومن في ذلك الوقت وفي مصحف ابي بن كعب قبل موتهم ففي هذه القراءة تقوية لعود الضمير على الكتابي قال * ص * وان من اهل الكتاب الآية ان هنا نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه اي وما احد من اهل الكتاب كما حذف في قوله تعالى وان منكم الا واردها وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما احد منا وما احد منكم قال الشيخ ابو حيان ليومنن به جواب قسم محذوف والقسم وجوابه هو الخبر وكذلك ايضا الا له مقام والا واردها هما الخبر قال الزجاج وحذف احد مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو ما قام الازيد اي ما قام احد الازيد انتهى * وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية فبظلم معطوف على قوله سبحانه فبما نقضهم والطيبات هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والطير والحوت وغير ذلك وقرأ ابن عباس طيبات كانت احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل

ان يريد صدهم فى ذاتهم ويحتمل ان يريد صدهم غيرهم واخذهم الربوا هو الدرهم بالدرهمين الى اجل ونحو ذلك مما هو مفسدة وقد نهوا عنه ثم استثنى سبحانه الراسخين فى العلم منهم كعبد الله بن سلَام ومُخَيْريق ومن جرى مجراهم واختلف الناس فى قوله سبحانه والمقيمين وكيف خالف اعرابها اعراب ما تقدم وما تأخر فقال بعض نحاة البصرة والكوفة انما هذا من قطع النعوت اذا كثرت على النصب باعنى والرفع بعد ذلك بهُم وقال قوم والمقيمين عطف على ما فى قوله وما انزل من قبلك والمعنى ويومنون بالمقيمين الصلاة وهم الملائكة او من تقدم من الانبياء وقال قوم والمقيمين عطف على الضمير فى منهم وقال اخرون بل على الكاف فى قوله من قبلك وزاد * ص * والمقيمين منصوب على المدح قال وقرأ جماعة والمقيمون انتهى * وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده الآية سبب نزولها قول بعض احبار يهود ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله سبحانه الآية تكذيبا لهم قال * ع * اسماعيل هو الذبيح فى قول المحققين والوحي القاء المعنى فى خفاء وعرفه فى الانبياء بوساطة جبريل عليه السلام وكلم الله سبحانه موسى بكلام دون تكييف ولا تحديد ولا حرف ولا صوت والذى عليه الراسخون فى العلم ان الكلام هو المعنى القائم فى النفس ويخلق الله لموسى ادراكا من جهة السمع يتحصل به الكلام وكما ان الله تعالى موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات فكذلك كلامه لا كالكلام * وقوله سبحانه رسلا مبشرين ومنذرين الآية رسلا بدل من الاول واراد سبحانه ان يقطع بالرسل احتجاج من يقول لو بعث الي رسول لامنت والله سبحانه عزيز لا يغالبه شيء ولا حجة لاحد عليه حكيم فى افعاله فقطع الحجة بالرسل حكمة منه سبحانه * وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك الآية

سببها قول اليهود ما انزل الله على بشر من شيء وقال * ص * لكن استدراك ولا يبتدأ بها فيتعين تقدير جملة قبلها يبينها سبب النزول وهو انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انتهى * وقوله تعالى انزله بعلمه هذه الآية من اقوى متعلقات اهل السنة في اثبات علم الله عز وجل خلافا للمعتزلة في انهم يقولون عالم بلا علم والمعنى عند اهل السنة انزله وهو يعلم انزاله ونزوله * وقوله سبحانه والملائكة يشهدون تقوية لامر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وردّ على اليهود * وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا تقديره وكفى الله شهيدا لكنه دخلت الباء لتدل على ان المراد اكتفوا بالله وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الآية خطاب لجميع الناس وهي دعاء الى الشرع ولو كانت في امر من اوامر الاحكام ونحو هذا لكانت يا ايها الذين ءامنوا والرسول في الآية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال سبحانه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وهذا خبر بالاستغناء وان ضرر الكفر انما هو نازل بهم ثم خاطب سبحانه اهل الكتاب من النصارى وهو ان يدعوا الغلو وهو تجاوز الحد * وقوله في دينكم معناه في دين الله الذي انتم مطلوبون به بان توحدوا الله ولا تقولوا على الله الا الحق وليست الاشارة الى دينهم المضلل وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل رواه مسلم والبخاري والنسائي وفي مسلم ادخله الله من اي ابواب الجنة الثمانية شاء انتهى * وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسله اي الذين من جملتهم عيسى

ومحمد عليهما السلام * وقوله تعالى انما الله اله واحد انما فى هذه الآية حاصرة وسبحانه معناه تنزيها له وتعظيما والاستنكاف اباية بأنفة قال * ع * وقوله سبحانه ولا الملائكة المقربون زيادة فى الحجة وتقريب من الاذهان اي وهؤلاء الذين هم فى اعلى درجات المخلوقين لا يستنكفون عن ذلك فكيف بسواهم وفى هذه الآية دليل على تفضيل الملائكة على الانبياء * وقوله سبحانه فسيحشرهم عبارة وعيد قال * ع * وهذا الاستنكاف انما يكون من الكفار عن اتباع الانبياء وما جرى مجراه * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم الآية اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبرهان الحجة النيرة الواضحة التى تعطى اليقين التامّ والنورُ المبين يعنى القرءان لان فيه بيان كل شيء وفى صحيح مسلم عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال اما بعد الا ايها الناس فانما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتينى رسول ربى فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى اذكركم الله ثلاثا فى اهل بيتى الحديث وفى رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل وفى رواية الا وانى تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله وهو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة انتهى * وقوله سبحانه فاما الذين ءامنوا بالله واعتصموا به اي اعتصموا بالله ويحتمل اعتصموا بالقرءان كما قال عليه السلام القرءان حبل الله المتين من تمسك به عصم والرحمة والفضل الجنة ونعيمها ويهديهم معناه الى الفضل وهذه هداية طريق الجنان كما قال تعالى سيهديهم ويصلح

بالهم الآية لان هداية الارشاد قد تقدمت وتحصلت حين ءامنوا بالله واعتصموا بكتابه فيهديهم هنا بمعنى يعرفهم وباقى الآية بين * وقوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة قد تقدم القول فى تفسير الكلالة فى صدر السورة وكان امر الكلالة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشكلا والله اعلم ما الذى اشكل عليه منها وقول النبي صلى الله عليه وسلم له تكفيك منها ءاية الصيف التى نزلت فى ءاخر سورة النساء بيان فيه كفاية قال كثير من الصحابة هذه الآية هي من ءاخر ما نزل * وقوله سبحانه يبين الله لكم ان تضلوا التقدير لئلا تضلوا والله بكل شيء عليم سبحانه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع

قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اوفوا بالعقود الآية عامة فى الوفاء بالعقود وهي الربوط فى القول كان ذلك فى تعاهد على برّ او فى عقدة نكاح او بيع او غيره فمعنى الآية امر جميع المومنين بالوفاء على عقد جار على رسم الشريعة وفسر بعض الناس لفظ العقود بالعهود وقال ابن شهاب قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفى صدره هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين ءامنوا اوفوا بالعقود فكتب الآيات الى قوله ان الله سريع الحساب قال * ع * واصوب ما يقال فى هذه الآية ان تعمم الفاظها بغاية ما تتناول فيعمم لفظ المومنين فى مومنى اهل الكتاب وفى كل مظهر للايمان

وان لم يبطنه وفى المومنين حقيقة ويعمم لفظ العقود فى كل ربط بقول موافق
للحق والشرع * وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام اختلف فى معنى بهيمة
الانعام فقال قتادة وغيره هي الانعام كلها * ع * كانه قال احلت لكم الانعام
وقال الطبري قال قوم بهيمة الانعام وحشها وهذا قول حسن وذلك ان الانعام
هي الثمانية الازواج وانضاف اليها من سائر الحيوان ما يقال له انعام بمجموعه معها
والبهيمة فى كلام العرب ما ابهم من جهة نقص النطق والفهم * وقوله الا ما يتلى
عليكم استثناء ما تُلي فى قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية وما فى موضع نصب
على اصل الاستثناء * وقوله سبحانه غير محلى الصيد نصب غير على الحال
من الكاف والميم فى قوله احلت لكم وهو استثناء بعد استثناء قال * ص *
وهذا هو قول الجمهور واعترض بانه يلزم منه تقييد الحلية بحالة كونهم غير محليين
الصيد وهم حرم والحلية ثابتة مطلقا قال * ص * والجواب عندى عن هذا
ان المفهوم هنا متروك لدليل خارجي وكثير فى القرءان وغيره من المفهومات المتروكة
لمعارض ثم ذكر ما نقله ابو حيان من الوجوه التى لم يرتضها * م * وما فيها من
التكلف ثم قال ولا شك ان ما ذكره الجمهور من ان غير حال وان لزم عنه الترك
بالمفهوم فهو اولى من تخريج تنبو عنه الفهوم انتهى * وقوله سبحانه ان الله يحكم
ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود احكام الجاهلية اي فانت ايها
السامع لنسخ تلك التى عهدتَّ تنبَّهْ فان الله الذى هو مالك الكل يحكم ما
يريد لا معقب لحكمه سبحانه قال * ع * وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة
معانيها على قلة الفاظها لكل ذى بصر بالكلام ولمن عنده ادنى ابصار وقد حكى
النقاش ان اصحاب الكندي قالوا للكندي ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرءان
فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج فقال والله ما اقدر عليه

ولا يطيق هذا احد انى فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو
قد امر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء
ثم اخبر عن قدرته وحكمته فى سطرين ولا يستطيع احد ان ياتي بهذا الا فى أجلاد
* وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله خطاب للمومنين حقا
ان لا يتعدوا حدود الله فى امر من الامور قال عطاء بن ابى رَباح شعائر الله
جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه وهذا قول راجح فالشعائر جمع شعيرة اي قد
اشعر الله انها حده وطاعته فهي بمعنى معالم الله * وقوله تعالى ولا الشهر الحرام
اي لا تحلوه بقتال ولا غارة والاظهر ان الشهر الحرام اريد به رجب ليشتد
امره وهو شهر كان تحريمه مختصا بقريش وكانت تعظمه ويحتمل انه اريد به
الجنس فى جميع الاشهر الحُرُم * وقوله سبحانه ولا الهدي اي لا يستحل
ولا يغار عليه ثم ذكر المقلّد منه تأكيدا ومبالغة فى التنبيه على الحرمة فى التقليد
هذا معنى كلام ابن عباس وقال الجمهور الهدْي عام فى انواع ما يهدى قُربة
والقلائد ما كان الناس يتقلدونه من لِحاء السَّمُر وغيره امنة لهم وقال * ص *
ولا القلائد اي ولا ذوات القلائد وقيل بل المراد القلائد نفسها مبالغة فى النهي
عن التعرض للهدْي انتهى * وقوله تعالى ولا ءامين البيت الحرام اي
قاصدينه من الكفار المعنى لا تحلوهم فتغيرون عليهم وهذا منسوخ بآية السيف
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فكل ما فى هذه الآية مما يتصور
فى مسلم حاج فهو محكَم وكل ما كان منها فى الكفار فهو منسوخ * وقوله سبحانه
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال فيه جمهور المفسرين معناه يبتغون
الفضل من الارباح فى التجارة ويبتغون مع ذلك رضوانه فى ظنهم وطمعهم
وهذه الآية نزلت عام الفتح وفيها استيلاف من الله سبحانه للعرب ولطف بهم

لتنبسط النفوس بتداخل الناس ويردون الموسم فيسمعون القران ويدخل الايمان فى قلوبهم وتقوم عليهم الحجة كالذى كان ثم نسخ الله ذلك كله بعد عام فى سنة تسع اذ حج ابو بكر رضي الله عنه ونودي فى الناس بسورة براءة * وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مجيء اباحة الصيد عقب التشديد فيه حسن فى فصاحة القول * وقوله سبحانه فاصطادوا امر ومعناه الاباحة باجماع * وقوله تعالى ولا يجرمنكم معناه لا يكسبنكم وجرم الرجل معناه كسب وقال ابن عباس معناه لا يحملنكم والمعنى متقارب والتفسير الذى يخص اللفظة هو معنى الكسب * وقوله تعالى شنئان قوم الشنئان هو البغض فاما من قرأ شنئان بفتح النون فالاظهر فيه انه مصدر كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم من اجل أن صدوكم عدوانا عليهم وظلما لهم وهذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان حين اراد المسلمون ان يستطيلوا على قريش والفافها المتظاهرين على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية وذلك سنة ست من الهجرة فحصلت بذلك بغضة فى قلوب المومنين وحيكة للكفار فنهي المومنون عن مكافأتهم واذ لله فيهم ارادة خير وفى علمه ان منهم من يومن كالذى كان وقرأ ابو عمرو وابن كثير إن صدوكم ومعناه ان وقع مثل ذلك فى المستقبل وقراءة الجمهور امكن ثم امر سبحانه الجميع بالتعاون على البر والتقوى قال قوم هما لفظان بمعنى وفى هذا تسامح والعرف فى دلالة هذين ان البر يتناول الواجب والمندوب والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما بدل الآخر فبتجوز قلت قال احمد بن نصر الداودي قال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه انتهى وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ان لفظ التقوى يطلق على معان وقد بيناها فى ءاخر سورة النور وفى الحديث الصحيح والله فى عون العبد ما كان

العبد فى عون اخيه قال ابن الفاكهاني عند شرحه لهذا الحديث وقد روينا فى بعض الاحاديث من سعى فى حاجة اخيه المسلم قضيت له اولم تقض غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق انتهى من شرح الاربعين حديثا ثم نهى تعالى عن التعاون على الاثم والعدوان ثم امر بالتقوى وتوعد توعدا مجملا قال النووي وعن وابصة بن معبد انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر والاثم قال نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث حسن رويناه فى مسند احمد يعني ابن حنبل والدارمي وغيرهما وفى صحيح مسلم عن النَوّاس ابن سَمْعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس انتهى * وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم الآية تعديد لما يتلى على الامة مما استثني من بهيمة الانعام والدم معناه المسفوح ولحم الخنزير مقتض لشحمه باجماع وما اهل لغير الله به قد تقدم والمنخنقة معناه التى تموت خنقا والموقوذة التى تُرمى او تضرب بعصا وشبهها والمتردية هي التى تتردى من علو الى سُفْل فتموت والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة وما اكل السبع يريد كل ما افترسه ذو ناب واظفار من الحيوان وكانت العرب تاكل هذه المذكورات ولم تعتقد ميتة الا ما مات بالوجع ونحو ذلك واختلف العلماء فى قوله تعالى الا ما ذكيتم فقال ابن عباس وجمهور العلماء الاستثناء من هذه المذكورات فما ادرِك منها يطرف بعين او يحرك ذَنَبا وبالجملة ما يتحقق انه لم تفض نفسه بل له حياة فانه يذكى على سنة الذكاة ويوكل وما فاضت نفسه فهو الميتة وقال مالك مرة بهذا القول وقال ايضا وهو المشهور عنه وعن

اصحابه من اهل المدينة ان قوله تعالى الا ما ذكيتم معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها وهو ما لم تنفذ مقاتلها ويتحقق انها لا تعيش ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة فالاستثناء عند مالك متصل كقول الجمهور لكنه يخالف في الحال التي يصح فيها ذكاة هذه المذكورات واحتج لمالك بان هذه المذكورات لو كانت لا تحرم الا بموتها لكان ذكر الميتة اولا يغني عنها ومن حجة المخالف ان قال انما ذكرت بسبب ان العرب كانت تعتقد ان هذه الحوادث كالذكاة فلو لم يذكرلها غير الميتة لظنت انها ميتة الوجع حسبما كانت عليه والذكاة في كلام العرب الذبح * وقوله سبحانه وما ذبح على النصب عطف على المحرمات المذكورة والنصب حجارة تنصب يذبحون عليها قال ابن جريج وليست النصب باصنام فان الصنم يصور وينقش وهذه حجارة تنصب وكانت العرب تعبدها قال ابن زيد ما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به شيء واحد قال * ع * ما ذبح على النصب جزء مما اهل به لغير الله لكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة امره * وقوله سبحانه وان تستقسموا بالازلام حرم سبحانه طلب القِسم وهو النصيب او القسم بفتح القاف وهو المصدر بالازلام وهي سهام قال صاحب سلاح المومن والاستقسام هو الضرب بها لاخراج ما قسم لهم وتمييزه بزعمهم انتهى وازلام العرب على انواع منها الثلاثة التي كان يتخذها كل انسان لنفسه على احدها افعل وعلى الآخر لا تفعل وثالث مهمل لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه فاذا اراد فعل شيء ادخل يده وهي متشابهة فاخرج احدها وائتمر له وانتهى بحسب ما يخرج له وان خرج القِدْح الذي لا شيء فيه اعاد الضرب وقوله سبحانه ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام بالازلام * وقوله تعالى

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم معناه عند ابن عباس وغيره من ان ترجعوا الى دينهم وظاهر امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه وظهور الدين يقتضي ان ياس الكفار عن الرجوع الى دينهم قد كان وقع منذ زمان وانما هذا الياس عندي من اضمحلال امر الاسلام وفساد جمعه لان هذا امر كان يترجاه من بقي من الكفار الا ترى الى قول اخي صفوان بن امية في يوم هوازن حين انكشف المسلمون وظنها هزيمة الا بطل السحر اليوم الى غير هذا من الامثلة وهذه الآية في قول الجمهور عمر بن الخطاب وغيره نزلت في عشية يوم عرفة يوم الجمعة وفي ذلك اليوم امحى امر الشرك من مشاعر الحج ولم يحضر من المشركين الموسم بشر فيحتمل قوله تعالى اليوم ان تكون اشارة الى اليوم بعينه ويحتمل ان تكون اشارة الى الزمن والوقت اي هذا الاوان يئس الكفار من دينكم * وقوله الذين كفروا يعم سائر الكفار من العرب وغيرهم وهذا يقوى ان الياس انما هو من انحلال امر الاسلام وامر سبحانه بخشيته التي هي راس كل عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم ومفتاح كل خير * وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم تحتمل الاشارة باليوم ما قد ذكرناه حكى الطبري ان النبي عليه السلام لم يعش بعد نزول هذه الآية الا احدى وثمانين ليلة والظاهر انه عاش صلى الله عليه وسلم اكثر بايام يسيرة قلت وفي سماع ابن القاسم قال مالك بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في اليوم الذي توفي فيه وقف على بابه فقال اني لا احل الا ما احل الله في كتابه ولا احرم الا ما حرم الله في كتابه يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله اعملا لما عند الله فاني لا اغني عنكما من الله شيئا قال ابن رشد هذا حديث يدل على صحته قول الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال تعالى تبيانا لكل شيء فالمعنى في ذلك ان الله عزوجل نص على بعض الاحكام واجمل القول في

بعضها واحال على الادلة فى سائرها بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم ما اجمله الله فى كتابه كما امره حيث يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فما احل صلى الله عليه وسلم او حرم ولم يوجد فى القرءان نصا فهو مما بين من مجمل القرءان او علمه بما نصب من الادلة فيه فهذا معنى الحديث والله اعلم فما ينطق صلى الله عليه وسلم عن الهوى ان هو الا وحي يوحى انتهى من البيان والتحصيل وفى الصحيح ان عمر بن الخطاب قال له يهودي ءاية فى كتابكم تقرءونها لو علينا نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له عمر اي ءاية هي فقال اليوم اكملت لكم دينكم فقال له عمر قد علمنا ذلك اليوم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة يوم الجمعة قال * ع * ففى ذلك اليوم عيدان للاسلام الى يوم القيامة واتمام النعمة هو فى ظهور الاسلام ونور العقائد وكمال الدين وسعة الاحوال وغير ذلك مما اشتملت عليه هذه الملة الحنيفية الى دخول الجنة والخلود فى رحمة الله سبحانه جعلنا الله ممن شملته هذه النعمة * وقوله سبحانه ورضيت لكم الاسلام دينا يحتمل الرضى فى هذا الموضع ان يكون بمعنى الارادة ويحتمل ان يكون صفة فعل عبارة عن اظهار الله اياه لان الرضى من الصفات المترددة بين صفات الذات وصفات الافعال والله تعالى قد اراد لنا الاسلام ورضيه لنا وثَم اشياء يريد الله وقوعها ولا يرضاها * وقوله سبحانه فمن اضطر فى مخمصة يعنى من دعته ضرورة الى اكل الميتة وسائر تلك المحرمات وسئل صلى الله عليه وسلم متى تحل الميتة للناس فقال اذا لم يصطبحوا ولم يغتبقوا ولم يحتفئوا بَقلا والمخمصة المجاعة التى تخمص فيها البطون اي تضمر * وقوله سبحانه غير متجانف لاثم هو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم تفسيره قال * ص * متجانف اي

مائل منحرف انتهى وقد تقدم فى البقرة * وقوله تعالى يسألونك ما ذا احل لهم سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب سأله عاصم ابن عدي وغيره ما ذا يحل لنا من هذه الكلاب قال * ع * وظاهر الآية ان سائلا سأل عما يحل للناس من المطاعم لان قوله تعالى قل احل لكم الطيبات ليس بجواب عما يحل للناس اتخاذه من الكلاب الا ان يكون من باب اجابة السائل باكثر مما سأل عنه وهو موجود كثيرا من النبي صلى الله عليه وسلم والطيب الحلال * وقوله سبحانه وما علمتم اي وصيد ما علمتم قال الضحاك وغيره وما علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة قال العراقي فى مكلبين اصحاب اكلب لها معلمين انتهى واعلى مراتب التعليم ان يشلى الحيوان فينشلى ويدعى فيجيب ويزجر بعد ظفره بالصيد فينزجر وجوارح جمع جارح اي كاسب يقال جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم من حسنة وسيئة قال * ع * وقرأ جمهور الناس وما علمتم بفتح العين واللام وقرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام اي من امر الجوارح والصيد بها وقرأ جهور الناس مكلبين بفتح الكاف وشد اللام والمكلِّب معلم الكلاب ومُضَرِّيها ويقال لمن يعلم غير كلب مكلب لانه يرد ذلك الحيوان كالكلب * وقوله سبحانه تعلمونهن مما علمكم الله اي تعلمونهن الحيلة فى الاصطياد والتأتي لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علمه الله الانسان فمن للتبعيض * وقوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم يحتمل مما امسكن فلم ياكلن منه شيئا ويحتمل مما امسكن وان اكلن منه وبحسب هذا الاحتمال اختلف العلماء فى جواز اكل الصيد اذا اكل منه الجارح * وقوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه امر بالتسمية عند الارسال وذهب مالك وجمهور العلماء ان التسمية واجبة

مع الذكر ساقطة مع النسيان فمن تركها عامدا فقد افسد الذبيحة والصيد ومن تركها ناسيا سمى عند الاكل وكانت الذبيحة جائزة وفقه الصيد والذبح في معنى التسمية واحد ثم امر سبحانه بالتقوى على الجملة والاشارة الى ما تضمنته هذه الآيات من الاوامر والنواهي وفي قوله ان الله سريع الحساب وعيد وتحذير * وقوله سبحانه اليوم احل لكم الطيبات اشارة الى الزمن والاوان والخطاب للمومنين * وقوله سبحانه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الطعام في هذه الآية الذبائح كذا قال اهل التفسير واختلفوا في لفظة طعام فقال الجمهور هي الذبيحة كلها وقالت جماعة انما احل لنا طعامهم من الذبيحة اي الحلال لهم منها لا ما لا يحل لهم كالطريف والشحوم المحضة واختلف في لفظة اوتوا الكتاب فقالت طائفة انما احل لنا ذبائح الصرحاء منهم لا من كان دخيلا في هذين الدينين وقال جمهور الامة ابن عباس والحسن ومالك وغيرهم ان ذبيحة كل نصراني حلال كان من بني تغلب او غيرهم وكذلك اليهود وتأولوا قول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم * وقوله سبحانه وطعامكم حل لهم اي ذبائحكم فهذه رخصة للمسلمين لا لاهل الكتاب لما كان الامر يقتضي ان شيئا قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغي لنا ان نحميه منهم رخص الله تعالى لنا في ذلك دفعا للمشقة بحسب التجاور * وقوله سبحانه والمحصنات عطف على الطعام المحلل ذهب جماعة منهم مالك الى ان المحصنات في هذه الآية الحرائر فمنعوا نكاح الامة الكتابية وذهب جماعة الى انهن العفائف فاجازوا نكاح الامة الكتابية والاجور في الآية المهور وانتزع بعض العلماء من لفظ آتيتموهن انه لا ينبغي ان يدخل زوج بزوجته الا بعد ان يبذل من المهر ما يستحلها به ومحصنين معناه متزوجين على السنة * وقوله

سبحانه ومن يكفر بالايمان اي بالامور التي يجب الايمان بها وباقى الآية بين
* وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية
قال ابن العربي فى احكامه لا خلاف بين العلماء ان هذه الآية مدنية كما انه
لا خلاف ان الوضوء كان معقولا قبل نزولها غير متلو ولذلك قال علماؤنا ان
الوضوء كان بمكة سنة ومعناه كان مفعولا بالسنة وقوله اذا قمتم معناه اذا اردتم
القيام الى الصلاة انتهى قال زيد بن اسلم والسدي معنى الآية اذا قمتم من
المضاجع يعنى النوم والقصد بهذا التاويل ان يعم الاحداث بالذكر وفى الآية
على هذا التاويل تقديم وتأخير تقديره يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة
من النوم او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء يعنى الملامسة الصغرى
فاغسلوا وهنا تمت احكام الحدث الاصغر ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا فهذا
حكم نوع ءاخر ثم قال للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا وقال بهذا التاويل محمد بن مسلمة من اصحاب مالك
وغيره وقال جمهور اهل العلم معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة محدثين وليس فى
الآية على هذا تقديم ولا تأخير بل ترتب فى الآية حكمُ واجدِ الماء الى قوله
فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى فى قولنا محدثين ثم ذكر بعد ذلك بقوله
وان كنتم مرضى الى ءاخر الآية حكم عادم الماء من النوعين جميعا وكانت
الملامسة هي الجماع وقال * ص * اذا قمتم اي اذا اردتم وعبر بالقيام عن
ارادته لانه مسبب عنها انتهى ومن احسن الاحاديث واصحها فى فضل
الطهارة والصلاة ما رواه مالك فى الموطإ عن العَلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما يمحو الله به
الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخُطى الى المساجد

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث من احسن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الاعمال قال صاحب كتاب العين الرباط ملازمة الثغور قال والرباط مواظبة الصلاة ايضا انتهى والغسل في اللغة ايجاد الماء في المغسول مع امرار شيء عليه كاليد والوجه ما واجه الناظر وقابله والناس كلهم على ان داخل العينين لا يلزم غسله الا ما روي عن ابن عمر انه كان ينضح الماء في عينيه واليد لغة تقع على العضو من المنكب الى اطراف الاصابع وحد الله سبحانه موضع الغسل منه بقوله الى المرافق واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل ام لا وتحرير العبارة في هذا المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما قبلها فالحد اول المذكور بعدها واذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط يعطى ان الحد اخر المذكور بعدها ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل والروايتان عن مالك قال ابن العربي في احكامه وقد روى الدارقطني وغيره عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توضأ ادار الماء على مرفقيه انتهى واختلف في رد اليدين في مسح الراس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على ان المسحة الاولى فرض فالجمهور على انه سنة وقيل هو فرض والاجماع على استحسان مسح الراس باليدين جميعا وعلى الاجزاء بواحدة واختلف فيمن مسح باصبع واحدة والمشهور الاجزاء ويترجح عدم الاجزاء لانه خروج عن سنة المسح وكانه لعب الا ان يكون ذلك عن ضرر مرض ونحوه فينبغي ان لا يختلف في الاجزاء والباء في قوله تعالى برووسكم موكدة زائدة عند من يرى عموم الراس والمعنى عنده وامسحوا رووسكم وهي للالصاق المحض عند من يرى اجزاء بعض الراس كان المعنى اوجدوا مسحا برووسكم فمن مسح ولو شعرة فقد فعل ذلك

* ت * قال ابن العربي فى احكامه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى صفة مسح الراس انه اقبل بيده وادبر بدأ بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه وفى البخاري فادبر بهما واقبل وهما صحيحان متوافقان وهي مسألة من اصول الفقه فى تسمية الفعل بابتدائه او بغايته انتهى وقرأ حمزة وغيره وارجلكم بالخفض وقرأ نافع وغيره بالنصب والعامل اغسلوا ومن قرأ بالخفض جعل العامل اقرب العاملين وجمهور الامة من الصحابة والتابعين على ان الفرض فى الرجلين الغسل وان المسح لا يجزئ وفى الصحيح ويل للاعقاب من النار اذ رأى صلى الله عليه وسلم اعقابهم تلوح قال ابن العربي فى القبس ومن قرأ وارجلكم بالخفض فانه اراد المسح على الخفين وهو احد التاويلات فى الآية انتهى وهذا هو الذى صححه فى احكامه والكلام فى قوله الى الكعبين كما تقدم فى قوله الى المرافق وفى صحيح مسلم وغيره عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذه فقال عمر التى قبلها اجود قال ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء واخرجه الترمذي من حديث ابى ادريس الخَوْلانى عن عمر زاد فى ءاخره اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين انتهى مختصرا واختلف اللغويون فى الكعبين والجمهور على انهما العظمان الناتئان فى جنبتي الرجل والفاظ الآية تقتضى الموالاة بين الاعضاء قال مالك هو فرض مع الذكر ساقط مع النسيان وروى الدارقطي فى سننه من

توضأ فذكر اسم الله على وضوءه كان طهورا لجسده ومن توضأ ولم يذكر اسم الله على وضوءه كان طهورا لاعضائه انتهى من الكوكب الدري وكذلك تتضمن الفاظ الآية الترتيب واطّهروا امر لواجد الماء عند الجمهور وقال عمر بن الخطاب وغيره لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء * وقوله سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج الآية الارادة صفة ذات وجاء الفعل مستقبلا مراعاة للحوادث التى تظهر عن الارادة والحرج الضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ويجرى مع معنى هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وجاء لفظ الآية على العموم والشيء المذكور بقرب هو امر التيمم والرخصة فيه وزوال الحرج فى تحمل الماء ابدا ولذلك قال اسيد ما هي باول بركتكم يا ءال ابى بكر * وقوله سبحانه ولكن يريد ليطهركم الآية اعلام بما لا يوازى بشكر من عظيم تفضله تبارك وتعالى ولعلكم ترج فى حق البشر وفى الحديث الصحيح عن ابى مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطّهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملئان او تملأ ما بين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرءان حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم والترمذي وفى رواية له التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملأه والتكبير يملأ ما بين السماء والارض والصوم نصف الصبر وزاد فى رواية اخرى ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه انتهى * وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الآية خطاب للمومنين ونعمة الله اسم جنس يجمع الاسلام وحسن الحال وحسن المآل والميثاق هو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة

و بيعة الرضوان وكل موطن قال الناس فيه سمعنا واطعنا هذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال مجاهد المراد الميثاق الماخوذ على النسم حين استخرجوا من ظهر ادم عليه السلام والاول ارجح واليق بنمط الكلام و باقى الآية بين متكرر قال ابو عمر بن عبد البر فى كتابه بهجة المجالس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والجمهور ان سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استعان بيهود فى دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري وصاحبه قالوا نعم يا ابا القاسم انزل حتى نصنع لك طعاما وننظر فى معونتك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل جدار وكان معه ابو بكر وعمر وعلي فتآمرت يهود فى قتله وقالوا من رجل يظهر على الحائط فيصب عليه حجرا يشدخه فجاء جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر فقام صلى الله عليه وسلم من المكان وتوجه الى المدينة ونزلت الآية فى ذلك ويترجح هذا القول بما يأتى بعد من الآيات فى وصف غدر يهود ونقضهم المواثيق * وقوله سبحانه ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسراءيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذه الآية المتضمنة للخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوّى ان الآية المتقدمة فى كف الايدى انما كانت فى امر بنى النضير والاجماع على ان النقيب كبير القوم القائم باورهم قال قتادة وغيره هؤلاء النقباء قوم كبار من كل سبط تكفل بكل واحد سبطه بان يومنوا ويلتزموا التقوى قال * ع * ونحو هذا كانت النقباء ليلة بيعة العقبة مع النبي صلى الله

عليه وسلم والضمير فى معكم لبنى اسراءيل اي معكم بنصرى وحياطتى وتأييدى
واللام فى قوله لئن هي الموذنة بمجيء القسم ولام القسم هي قوله لأكفرن
والدليل على ان هذه اللام انما هي موذنة انها قد يستغنى عنها احيانا ويتم
الكلام دونها ولو كانت لام قسم لم يترتب ذلك واقامة الصلاة توفية شروطها
والزكاة هنا شيء من المال كان مفروضا عليهم فيما قال بعض المفسرين وعزرتموهم
معناه وقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم وقرأ عاصم الجحدري وعزرتموهم خفيفة
الزاي حيث وقع وقرأ فى سورة الفتح وتعزروه بفتح التاء وسكون العين وضم
الزاي وسواء السبيل وسطه وسائر ما فى الآية بين والله المستعان * وقوله
تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية الآية اي فبنقضهم والقسوة
غلظ القلب ونُبُوُّه عن الرقة والموعظة وصلابته حتى لا ينفعل لخير * وقوله
تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به نص على سوء فعلهم بانفسهم اي قد كان لهم حظ
عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلام انه لا يزال فى
مستانف الزمان يطلع على خائنة منهم وغائلة وامور فاسدة قالت فرقة خائنة
مصدر والمعنى على خيانة وقال ءاخرون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل
صفةٌ لمؤنث * وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح منسوخ بما فى براءة وباقى
الآية بين * وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى من متعلقة باخذنا
التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم ويحتمل ان تكون معطوفة
على خائنة منهم والاول ارجح وعلق قولهم نصارى بقولهم ودعواهم من حيث هو
اسم شرعي يقتضى نصر دين الله وسموا به انفسهم دون استحقاق * وقوله
سبحانه فاغرينا بينهم العداوة اي اثبتناها بينهم والصقناها والاغراء ماخوذ من
الغراء الذى يلصق به وقال البخاري الاغراء التسليط انتهى والضمير فى بينهم

يحتمل ان يعود على اليهود والنصارى لان العداوة بينهم موجودة مستمرة ويحتمل ان يعود على النصارى فقط لانها امة متقاتلة بينها الفتن الى يوم القيامة ثم توعدهم بعذاب الآخرة اذ صنعهم كفر يوجب الخلود فى النار واعلم رحمك الله انه قد جاءت ءاثار صحيحة فى ذم الشحناء والتباغض والهجران لغير موجب شرعي ففى صحيح مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا وفى رواية تعرض الاعمال فى كل خميس واثنين فيغفر الله فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا الحديث انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرئ مسلم ان يهاجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما فاولهما فيئا يكون سبقه بالفيء كفارة له وان سلم عليه فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة وردت على الآخر الشياطين واذا ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة أراه قال ابدا انتهى وسنده جيد ونصه قال ابن المبارك اخبرنا شعبة عن يزيد الرِّشْك عن مُعاذة العدوية قالت سمعت هشام بن عامر يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وقوله لم يدخلا الجنة ليس على ظاهره اي لم يدخلا الجنة ابدا حتى يقتص لبعضهم من بعض اويقع العفو او تحل الشفاعة حسبما هو معلوم فى صحيح الآثار * وقوله سبحانه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الآية اهل الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى ولكن نوازل الاخفاء كالرجم وغيره انما حفظت لليهود لانهم كانوا مجاورى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مُهاجَره وفى اعلامه صلى الله

عليه وسلم بخفي ما في كتبهم وهو امي لا يكتب ولا يصحب القراء دليل على صحة نبوءته لو الهمهم الله للخير ويعفوا عن كثير اي لم يفضحهم فيه ابقاء عليهم والضمير في يعفوا للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين هو القرءان ويحتمل ان يريد موسى عليه السلام والتوراة اي لو اتبعتموها حق الاتباع والاول هو ظاهر الآية وهو اظهر وسبل السلام اي طرق السلامة والنجاة ويحتمل ان يكون السلام هنا اسما من اسماء الله عزوجل فالمعنى طرق الله والظلمات الكفر والنور الايمان و باقي الآية بين متكرر * وقوله سبحانه قل فمن يملك اي لا مالك ولا راد لارادة الله تعالى في المسيح ولا في غيره * وقوله سبحانه يخلق ما يشاء اشارة الى خلقه المسيح في رحم مريم من غير والد بل اختراعا كآدم عليه السلام * وقوله تعالى والله على كل شيء قدير عموم معناه الخصوص فيما عدا الذات والصفات والمحالات * وقوله سبحانه وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية البنوة في قولهم هذا بنوة الحنان والرأفة لانهم ذكروا ان الله سبحانه اوحى الى اسراءيل ان اول اولادك بِكْرِي فضلوا بذلك وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولو صح ما رووا لكان معناه بكرا في التشريف او النبوءة ونحوه وكانت هذه المقالة منهم عند ما دعاهم النبي عليه السلام الى الايمان به وخوفهم العذاب فقالوا نحن لا نخاف ما تقول لانا ابناء الله واحباؤه ذكر ذلك ابن عباس وقد كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في غير ما موطن نحن ندخل النار فنقيم فيها اربعين يوما فرد الله عليهم قولهم فقال لنبيه عليه السلام قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لو كانت منزلتكم منه فوق منازل البشر لما عذبكم وانتم قد اقررتم انه يعذبكم ثم ترك الكلام الاول واضرب عنه غير مفسد له ودخل في غيره فقال بل انتم بشر

كسائر الناس والخلق اكرمُهم عند الله اتقاهم يهدى من يشاء للايمان فيغفر له ويورّط من يشاء في الكفر فيعذبه وله ملك السموات والارض وما بينهما فله بحق الملك ان يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه واليه مصير العباد بالحشر والمعاد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام * وقوله على فترة من الرسل اي على انقطاع من مجيئهم مدة ما والفترة سكون بعد حركة فى الاجرام ويستعار ذلك للمعاني وقد قال عليه السلام لكل عمل شِرَّة ولكل شرة فترة وفى الصحيح ان الفترة التى كانت بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى ستمائة سنة وهذه الآية نزلت بسبب قول اليهود ما انزل الله على بشر بعد موسى من شيء قاله ابن عباس وقوله ان تقولوا معناه حِذارا ان تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقامت الحجة عليكم والله على كل شيء قدير فهو الهادى والمضل لا رب غيره * وقوله سبحانه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الآية المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة اعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوءتك ثم عدد عيون تلك النعم فقال اذ جعل فيكم انبياء اي حاطة ومنقذون من النار وشرف فى الدنيا والآخرة وجعلكم ملوكا اي فيكم ملوكا لان الملك شرف فى الدنيا وحاطة فى نوائبها وءاتاكم ما لم يوت احدا من العالمين قال مجاهد هو المن والسلوى والحجر والغمام وقال غيره كثرة الانبياء وعلى هذا القول فالعالَمون على العموم وعلى القول بان المؤتى هو ءايات موسى فالعالمون عالم زمانهم لان ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم من آيات الله اكثر من ذلك والمقدسة معناه المطهرة قال ابن عباس هي الطور وما حوله وقال قتادة هي الشام قال الطبري ولا يختلف انها بين الفرات وعريش مصر

قال * ع * وتظاهرت الروايات ان دمشق هي قاعدة الجبارين ثم حذرهم موسى الارتداد على الادبار وذلك هو الرجوع القهقرى والخاسر الذى قد نقص حظه ثم ذكر عز وجل انهم تعنتوا ونكصوا فقالوا ان فيها قوما جبارين والجبار من الجبر كانه لقدرته وغشمه و بطشه يجبر الناس على ارادته والنخلة الجبارة العالية التى لا تنال بيد وكان من خبر الجبارين انهم كانوا اهل قوة فلما بعث موسى الاثني عشر نقيبا مطلعين من امر الجبارين واحوالهم رأوا لهم قوة و بطشا وتخيلوا ان لا طاقة لهم بهم فتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك من بني اسراءيل وان يعلموا به موسى ليرى فيه امر ربه فلما انصرفوا الى بني اسراءيل خان منهم عشرة فعرّفوا قراباتهم ومن وثقوا به ففشا الخبر حتى اعوج امر بني اسراءيل وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا ولم يف من النقباء الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا ويقال فيه كالوث بثاء مثلثة * وقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله سبحانه قال اكثر المفسرين الرجلان يوشع بن نون وهو ابن اخت موسى وكالب بن يوفنا انعم الله عليهما بالايمان الصحيح وربط الجاش والثبوت وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا الآية عبارة تقتضي كفرا وقيل المعنى فاذهب انت وربك يعينك وان الكلام معصية لا كفر وذكر ابن اسحاق وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم الناس يوم بدر وقال لهم اشيروا علي ايها الناس فقال له المقداد بن الاسود يا رسول الله لسنا نقول كما قالت بنو اسراءيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ثم تكلم سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولما سمع موسى عليه السلام قولهم ورأى عصيانهم تبرأ الى الله منهم وقال داعيا عليهم رب انى لا املك الا نفسي واخي يعني هارون

وقوله فافرق بيننا دعاء حرج والمعنى فافرق بيننا و بينهم حتى لا نشقى بفسقهم قال فانها محرمة عليهم اي قال الله وحرم الله تعالى على بنى اسراءيل دخول تلك المدينة اربعين سنة يتيهون فى الارض اي فى ارض تلك النازلة وهو فحص التيه وهو على ما يحكى طول ثلاثين ميلا فى عرض ستة فراسخ ويروى انه لم يدخل المدينة احد من ذلك الجيل الا يوشع وكالوث وروي ان يوشع نبّئ بعد كمال الاربعين سنة وخرج ببنى اسراءيل من التيه وقاتل الجبارين وفتح المدينة وفى تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة حتى استمر هزم الجبارين والتيه الذهاب فى الارض الى غير مقصد معلوم * وقوله تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين معناه فلا تحزن والخطاب بهذه الآية لموسى عليه السلام قال ابن عباس ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم فقال الله له فلا تاس على القوم الفاسقين * وقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا الآية اتل معناه اسرد واسمعهم اياه وهذه من علوم الكتب الاول فهي من دلائل نبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من غامض كتب بنى اسراءيل قال الفخر وفى الآية قولان احدهما اتل على الناس والثانى اتل على اهل الكتاب انتهى وابني آدم هما لصلبه وهما هابيل وقابيل روت جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود ان سبب هذا التقريب ان حواء كانت تلد فى كل بطن ذكرا وانثى وكان الذكر يتزوج انثى البطن الآخر ولا تحل له اخته توءمته فولدت مع قابيل اختا جميلة ومع هابيل اختا ليست كذلك فلما اراد ءادم ان يزوجها من هابيل قال قابيل انا احق باختى فامره ءادم فلم ياتمر فاتفقوا على التقريب فتقبل قربان هابيل ووجب ان ياخذ اخت قابيل فحينئذ قال لاقتلنك وقول هابيل انما يتقبل الله من المتقين كلام

قبله محذوف تقديره ولمَ تقتلُني وليس لي ذنب في قبول الله قرباني وانما يتقبل الله من المتقين واجماع اهل السنة في معنى هذه الالفاظ انها اتقاء الشرك فمن اتقاه وهو موحد فاعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة واما المتقي للشرك وللمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والحتم بالرحمة علم ذلك باخبار الله تعالى لا ان ذلك يجب على الله تعالى عقلا قلت قول * ع * في معنى هذه الالفاظ يعني حيث وقعت في الشرع واما في هذه الآية فليس باتقاء شرك على ما سياتي وقول هابيل ما انا بباسط يدي اليك الآية قال عبد الله بن عمر وجمهور الناس كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكنه تحرج وهذا هو الاظهر قال * ع * ومن هنا يقوى ان قابيل انما هو عاص لا كافر لانه لوكان كافرا لم يكن للتحرج هنا وجه وتبوء معناه تمضي متحملا وقوله باثمي واثمك قيل معناه باثم قتلي وسائر اثامك وقيل المعنى باثمي الذي يختص بي فيما فرط لي وهذا تاويل يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة فيوخذ من حسنات الظالم فتزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه * وقوله وذلك جزاء الظالمين يحتمل ان يكون من قول هابيل لاخيه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى لمحمد عليه السلام قال الفخر وقوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قال المفسرون معناه سهلت له نفسه قتل اخيه انتهى * وقوله سبحانه فاصبح من الخاسرين اصبح عبارة عن جميع اوقاته وهذا مهيع كلام العرب ومنه * اصبحت لا احمل السلاح * البيت وقول سعد فاصبحت بنو اسد تعزرني الى غير ذلك من استعمال العرب ومن خسران قابيل ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قتلت نفس ظلما الا كان على ابن ءادم الاول كفل منها وذلك لانه

اول من سن القتل * وقوله تعالى فبعث الله غرابا الآية قيل اصبح فى ثانى يوم قتله يطلب اخفاء امر قتله فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابا حيا الى غراب ميت فجعل يبحث فى الارض ويلقى التراب على الغراب الميت وظاهر الآية ان هابيل هو اول ميت من بنى ءادم ولذلك جهل سنة المواراة وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحاق عن بعض اهل العلم بما فى الكتب الاول والسوءة العورة ويحتمل ان يراد الحالة التى تسوء الناظر ثم ان قابيل وارى اخاه وندم على ما كان منه من معصية فى قتله حيث لا ينفعه الندم واختلف العلماء فى قابيل هل هو من الكفار او من العصاة والظاهر انه من العصاة قال الفخر ولم ينتفع قابيل بندمه لان ندمه كان لاسباب منها سخط ابويه واخوته وعدم انتفاعه بقتله ونحو ذلك ولما كان ندمه لهذه الاسباب لا لاجل الخوف من الله تعالى فلا جرم لم ينفعه هذا الندم * وقوله تعالى من اجل ذلك هو اشارة الى ما تضمنته هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام لا انه اشارة الى قصة قابيل وهابيل انتهى * وقوله سبحانه من اجل ذلك كتبنا على بنى اسراءيل الآية جمهور الناس على ان قوله من اجل ذلك متعلق بقوله كتبنا اي من اجل هذه النازلة ومن جَرّاها كتبنا وقال قوم بل هو متعلق بقوله من النادمين اي ندم من اجل ما وقع والوقف على هذا على ذلك والناس على ان الوقف من النادمين ويقال فعلت ذلك من اجلك بفتح الهمزة ومن اجلك بكسرها * وقوله سبحانه بغير نفس اي بغير ان تقتل نفس نفسا والفساد فى الارض يجمع الزنا والارتداد والحرابة * وقوله سبحانه فكانما قتل الناس جميعا روي عن ابن عباس انه قال المعنى من قتل نفسا واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها مخافتى

واستحياها فهوكمن احيا الناس جميعا قال الحسن وابن زيد ومن احياها اي
عفا عن من وجب له قتله بعد القدرة وقيل غير هذا ثم اخبر تعالى عن بنى
اسراءيل انهم جاءتهم الرسل بالبينات فى هذا وفى سواه ثم ان كثيرا منهم بعد
ذلك فى كل عصر يسرفون ويتجاوزون الحدود * وقوله سبحانه انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله الآية روى انس بن مالك وغيره ان الآية نزلت
فى قوم من عُكْل وعُرَيْنة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم انهم
مرضوا واستوخموا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا فى لقاح
الصدقة وقال اشربوا من البانها وابوالها فخرجوا فيها فلما صحوا قتلوا الراعي
واستاقوا الابل فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فبعث الطلب فى ءاثارهم
فاخذوا قال جميع الرواة فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم وارجلهم
من خلاف وسمر اعينهم ويروى وسمل وتركهم فى جانب الحَرّة يستسقون
فلا يسقون فقيل ان هذه الآية ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين
ووقف الامر على هذه الحدود وقال جماعة انها غير ناسخة لذلك الفعل لان
العرنيين مرتدون لا سيما وفى بعض الطرق انهم سَمَلوا اعين الرِّعاء وقالوا هذه
الآية هي فى المحارب المومن قال مالك المحارب عندنا من حمل على الناس
السلاح فى مصر او برية فكابرهم عن انفسهم واموالهم دون نائرة ولا دخل ولا عداوة
وبهذا القول قال جماعة من اهل العلم قالوا والامام مخير فيه بان يعاقبه بما رأى
من هذه العقوبات فاما قتل المحارب فبالسيف ضربة للعنق واما صلبه فبعد
القتل عند جماعة وقال جماعة بل يصلب حيا ويقتل بالطعن على الخشبة وروي
هذا عن مالك وهو الاظهر من الآية وهو الانكى فى النكال واما القطع فاليد
اليمنى من الرسغ والرِّجل الشمال من المفصل * وقوله سبحانه او ينفوا من

لارض الظاهر ان لارض فى هذه الآية هي ارض النازلة وقد جنب الناس قديما لارض التى اصابوا فيها الذنوب ومنه حديث الذى ناء بصدره نحو لارض المقدسة وينبغى للامام ان كان هذا المحارب المنفي مخوف الجانب يظن به ان يعود الى حرابة وافساد ان يسجنه فى البلد الذى يغرب اليه وان كان غير مخوف الجانب ترك مسرحا وهذا هو صريح مذهب مالك * وقوله تعالى ذلك لهم خزي فى الدنيا الآية اشارة الى هذه الحدود التى توقع بهم فيحتمل الخزي لمن عوقب وعذاب الآخرة لمن سلم فى الدنيا وبالجملة فهم فى المشيئة * وقوله سبحانه الا الذين تابوا الآية استثنى عزوجل التائب قبل ان يقدَر عليه واخبر سبحانه بسقوط حقوقه عنه بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم والعلماء على ان الآية فى المومنين ويوخذ المحارب بحقوق الناس وان تاب هذا هو الصحيح * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الآية هذه الآية وعظ من الله تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي خائفة وجلة وابتغوا معناه اطلبوا والوسيلة القربة واما الوسيلة المطلوبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي ايضا من هذا لان الدعاء له بالوسيلة والفضيلة انما هو ان يوتاهما فى الدنيا ويتصف بهما ويكون ثمرة ذلك فى الآخرة التشفيع فى المقام المحمود قلت وفى كلامه هذا ما لا يخفى وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة التى كان يرجوها من ربه وانها درجة فى الجنة لا ينبغى ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو الحديث وخص سبحانه الجهاد بالذكر وان كان داخلا فى معنى الوسيلة تشريفا له اذ هو قاعدة الاسلام * وقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار اخبار بانهم يتمنون هذا وقال الحسن بن ابى الحسن اذا فارت بهم النار

قربوا من حاشيتها فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون به وتأول هو وغيره الآية على هذا قلت ويؤيده ما خرجه البخاري فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حيث اتاه ءاتيان فاخذا بيده وفيه فاقبل الرجل الذى فى النهر فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه وفيه ايضا فانطلقنا الى ثقب مثل التنور اعلاه ضيق واسفله واسع تتوقد تحته نار فاذا اقترب ارتفعوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا فقالا انطلق الحديث واخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم فيها مقيم مؤبد * وقوله سبحانه والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الآية قلت المسروق مال او غيره فشرط المال ان يكون نصابا بعد خروجه مملوكا لغير السارق ملكا محترما تاما لا شبهة له فيه محرَزا مخرَجا منه الى ما ليس بحرز له استسرارا فالنصاب ربع دينار او ثلاثة دراهم او ما يساوى ثلاثة دراهم وقوله ايديهما يعنى أيمان النوعين والنكال العذاب والنكل القيد * وقوله سبحانه فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه الآية جمهور العلماء على ان توبة السارق لا تسقِط عنه القطع وقال الشافعي اذا تاب السارق قبل ان يتلبس الحكام باخذه فتوبته تدفع عنه حكم القطع قياسا على توبة المحارب * وقوله سبحانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء اي فلا معقب لحكمه سبحانه ولا معترض عليه يفعل ما يشاء لا اله الا هو * وقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر الآية تسلية لنبيه عليه السلام وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف المنافقين واليهود والمعنى قد وعدناك النصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم ومعنى المسارعة فى الكفر البدار الى نصره والسعي فى كيد الاسلام واطفاء نوره قال مجاهد وغيره قوله تعالى من الذين قالوا ءامنا

بافواههم ولم تومن قلوبهم يراد به المنافقون * وقوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين يراد به اليهود ويحتمل ان يراد به اليهود مع المنافقين لان جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه ولذلك جاءت عبارة سماعهم فى صيغة المبالغة اذ المراد انهم يقبلون ويستزيدون من ذلك * وقوله سبحانه سماعون لقوم آخرين يحتمل ان يريد يسمعون منهم وذكر الطبري عن جابر ان المراد بالقوم الآخرين يهود فَدَك وقيل يهود خيبر ويحتمل ان يكون معنى سماعون لقوم آخرين بمعنى جواسيس مسترقين الكلام لينقلوه لقوم آخرين وهذا مما يمكن ان يتصف به المنافقون ويهود المدينة قلت وهذا هو الذى نص عليه ابن اسحاق فى السير قال * ع * وقيل لسفيان بن عيينة هل جرى للجاسوس ذكر فى كتاب الله عز وجل فقال نعم وتلا هذه الآية سماعون لقوم آخرين * وقوله سبحانه يحرفون الكلم من بعد مواضعه هذه صفة اليهود فى معنى ما حرفوه من التوراة وفيما يحرفونه من الاقوال عند كذبهم من بعد مواضعه اي من بعد ان وضع مواضعه وقصدت به وجوهه القويمة يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه روي ان يهود فدك قالوا ليهود المدينة استفتوا محمدا فان افتاكم بما نحن عليه من الجلد والتجبية فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا الرجم قاله الشعبي وغيره وقيل غير هذا من وقائعهم فالاشارة بهذا الى التحميم والجلد فى الزنا على قول ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام على جهة قطع الرجاء منهم ومن يرد الله فتنته اي محنته بالكفر فلن تملك له من الله شيئا ثم اخبر تعالى عنهم انهم الذين سبق لهم فى علمه ان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا مُدَنَّسين بالكفر لهم فى الدنيا خزي بالذلة والمسكنة التى ضربت عليهم فى اقطار الارض وفى كل امة قال * ص * سماعون اي هم سماعون ومثله اكالون انتهى * وقوله سبحانه اكالون للسحت فعالون

بناء مبالغة اي يتكرر اكلهم ويكثر والسحت كل ما لا يحل كسبه من المال

* وقوله تعالى فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم ولحكام امته بعده وقال ابن عباس وغيره هذا التخيير منسوخ بقوله سبحانه وان احكم بينهم بما انزل الله وقال كثير من العلماء هي محكمة وهذا هو الاظهر ان شاء الله وفقه هذه الآية ان الامة مجمعة فيما علمت على ان حاكم المسلمين يحكم بين اهل الذمة فى تظالمهم واما نوازل الاحكام التى لا تظالم فيها فالحاكم مخير واذا رضي به الخصمان فلا بد من رضى اساقفتهم او احبارهم قاله ابن القاسم فى العتبية قلت وعبارة الداودي قال مالك ولا يحكُم بينهم اذا اختار الحكم الا فى المظالم فيحكم بينهم بما انزل الله ولا يحكم فيهم فى الزنا الا ان يعلنوه فيعاقبون بسبب اعلانه ثم يردون الى اساقفتهم قال مالك وانما رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين قبل ان تكون لهم ذمة انتهى وقال ابن العربي فى احكامه انما انفذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بينهم ليحقق تحريفهم وتبديلهم وكذبهم وكتمهم ما فى التوراة ومنه صفته صلى الله عليه وسلم فيها والرجم على زناتهم وعنه اخبر الله تعالى بقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير فيكون ذلك من آياته الباهرة وحججه البينة وبراهينه القاطعة الدامغة للامة المخزية اليهودية انتهى

* وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا امّن الله سبحانه نبيه من ضررهم اذا اعرض عنهم وحقر فى ذلك شانهم وان حكمت اي اخترت الحكم فى نازلة ما فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل ثم قال سبحانه وكيف يحكمونك المعنى وكيف يحكمونك بنية صادقة وهم قد خالفوا حكم التوراة التى يصدقون بها وتولوا عن حكم الله فيها فانت الذى لا يومنون بك احرى بان يخالفوا

حكمك وهذا بين انهم لا يحكمونه عليه السلام الا رغبة فى ميله الى اهوائهم
* وقوله سبحانه من بعد ذلك اي من بعد كون حكم الله فى التوراة فى الرجم
وما اشبهه * وقوله تعالى وما اولئك بالمومنين يعنى بالتوراة وبموسى * وقوله
سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى اي ارشاد فى المعتقَد والشرائع والنور ما يستضاء
به من اوامرها ونواهيها والنبيئون الذين اسلموا هم مَن بعِث من لدن موسى
ابن عمران الى مدة نبينا محمد عليه السلام واسلموا معناه اخلصوا وجوههم ومقاصدهم
لله سبحانه وقوله للذين هادوا متعلق بيحكم اي يحكمون بمقتضى التوراة
لبنى اسراءيل وعليهم والربانيون عطف على النبيئين اي ويحكم بها الربانيون
وهم العلماء وقد تقدم تفسير الرباني والاحبار ايضا العلماء واحدهم حبر بكسر الحاء
وفتحها وكثُر استعمال الفتح فرقا بينه وبين الحبر الذى يكتب به وانما اللفظ
عام فى كل حبر مستقيم فيما مضى من الزمان قبل مبعث نبينا محمد عليه السلام
* وقوله سبحانه بما استحفظوا اي بسبب استحفاظ الله تعالى اياهم امر التوراة
واخذه العهد عليهم فى العمل والقول بها وعرفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه وهؤلاء
ضيعوا لمّا استحفظوا حتى تبدلت التوراة والقرءان بخلاف هذا لقوله تعالى
وانا له لحافظون * وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشون حكاية لما قيل لعلماء
بنى اسراءيل * وقوله ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا نهي عن جميع المكاسب
الخبيثة بالعلم والتحيل للدنيا بالدين وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الامة
وحكامها ويحتمل ان يكون قوله فلا تخشوا الناس الى ءاخر الآية خطابا لامة نبينا
محمد عليه السلام واختلف العلماء فى المراد بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون فقالت جماعة المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين وروي
فى هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق البراء بن عازب قال

الفخر وتمسكت الخوارج بهذه الآية فى التكفير بالذنب واجيب بان الآية نزلت فى اليهود فتكون مختصة بهم قال الفخر وهذا ضعيف لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قلت وهذه مسألة خلاف فى العام الوارد على سبب هل يبقى على عمومه او يُقصَر على سببه انتهى وقالت جماعة عظيمة من اهل العلم الآية متناولة كل من لم يحكم بما انزل الله ولكنها فى امراء هذه الامة كفر معصية لا يخرجهم عن الايمان وهذا تاويل حسن وقيل لحذيفة بن اليمان انزلت هذه الآية فى بنى اسراءيل فقال نعْم الاخوة لكم بنو اسراءيل إن كانت لكم كل حلوة ولهم كل مرة لتسلكن طريقهم قذ الشراك * وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية اي وكتبنا على بنى اسراءيل فى التوراة ومعنى هذه الآية الخبر بان الله تعالى كتب فرضا على بنى اسراءيل انه من قتل نفسا فيجب فى ذلك اخذ نفسه ثم هذه الاعضاء المذكورة كذلك ثم استمر هذا الحكم فى هذه الامة بما علم من شرع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس و رخص الله لهذه الامة ووسع لها بالدية ولم يجعل لبنى اسراءيل دية فيما نزل على موسى والجمهور ان النفس بالنفس عموم يراد به الخصوص فى المتماثلين كما ورد فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر وكذلك قوله سبحانه والجروح قصاص عموم يراد به الخصوص فيما لا يخاف منها على النفس وكتب الفقه محل استيعاب الكلام على هذه المعانى قال * ص * والجروح قصاص اي ذات قصاص انتهى * وقوله سبحانه فمن تصدق به فهو كفارة له المعنى ان من تصدق بجرحه او دم وليه وعفا فان ذلك العفو كفارة لذنوبه يعظم الله اجره بذلك قاله ابن عمر وغيره وفى معناه حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يصاب

بشيء في جسده فتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة رواه الترمذي انتهى وقيل المعنى فذلك العفو كفارة للجارح عن ذلك الذنب كما ان القصاص كفارة فكذلك العفو كفارة واما اجر العافي فعلى الله تعالى قاله ابن عباس وغيره وقيل المعنى اذا جنى جان فجهل وخفي امره فتصدق هذا الجاني بان اعترف بذلك ومكن من نفسه فذلك الفعل كفارة لذنبه * وقوله سبحانه وقفينا على ءاثارهم بعيسى ابن مريم الآية الضمير في ءاثارهم للنبيئين * وقوله وهدى وموعظة للمتقين خص المتقون بالذكر لانهم المقصود به في علم الله وان كان الجميع يدعى الى توحيد الله ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمى وحيرة وقرأ حمزة وحده وليحكم بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب الفعل بها والمعنى وءاتيناه الانجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق وليحكم اهله بما انزل الله فيه وقرأ باقي السبعة وليحكم بسكون لام الامر وجزم الفعل ومعنى امره لهم بالحكم اي هكذا يجب عليهم قلت واذ من لازم حكمهم بما انزل الله فيه اتباعهم لنبينا محمد عليه السلام والايمان به كما يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل قال الفخر قيل المراد وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل والمراد بالفاسقين من لم يمتثل من النصارى انتهى وحسن عقب ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما انزل الله * وقوله سبحانه ومهيمنا اي جعل الله القرءان مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما نسبه المحرفون اليها فيصحح الحقائق ويبطل التحريف وهذا هو معنى مهيمنا اي شاهد ومصدق ومؤتمن وامين حسب اختلاف عبارة المفسرين في اللفظة وقال المبرد مهيمن اصله مؤتمن بني من امين ابدلت همزته هاء كما قالوا ارقت الماء وهرقته واستحسنه الزجاج * وقوله

سبحانه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق المعنى
عند الجمهور ان اخترت ان تحكم فاحكم بينهم بما انزل الله وليست هذه الآية
بناسخة لقوله او اعرض عنهم ثم حذر الله تعالى نبيه عليه السلام من اتباع اهوائهم
* وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي لكل امة قاله الجمهور وهذا عندهم
في الاحكام واما في المعتقدات فالدين واحد لجميع العالم ويحتمل ان يكون
المراد الانبياء لا سيما وقد تقدم ذكرهم وذكر ما انزل عليهم وتجيء الآية مع هذا
الاحتمال تنبيها لنبينا محمد عليه السلام اي فاحفظ شرعتك ومنهاجك لئلا
تستزلك اليهود او غيرهم في شيء منه واكثر المتأولين على ان الشرعة والمنهاج
بمعنى واحد وهي الطريق وقال ابن عباس وغيره شرعة ومنهاجا سبيلا وسنة ثم
اخبر سبحانه انه لو شاء لجعل الناس امة واحدة ولكنه لم يشأ لانه اراد اختبارهم
وابتلاءهم فيما اتاهم من الكتب والشرائع كذا قال ابن جريج وغيره ثم امر سبحانه
باستباق الخيرات في امتثال الاوامر وختم سبحانه بالموعظة والتذكير بالمعاد فقال
الى الله مرجعكم جميعا والمعنى فالبدار البدار * وقوله سبحانه فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون معناه في الثواب والعقاب فتخبرون به اخبار ايقاع وهذه الآية
بارعة الفصاحة جمعت المعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة وكل كتاب الله كذلك
الا انا بقصور افهامنا يبين لنا في بعض اكثر مما يبين لنا في بعض * وقوله
تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم الآية الهوى مقصور يجمع
على اهواء والهواء ممدود يجمع على اهوية ثم حذر تعالى نبيه عليه السلام من
اليهود ان يفتنوه بان يصرفوه عن شيء مما انزل الله عليه من الاحكام لانهم كانوا
يريدون ان يخدعوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له مرارا احكم لنا في نازلة
كذا بكذا ونتبعك على دينك * وقوله سبحانه فان تولوا قبله محذوف تقديره

فان حكموك واستقاموا فنعما ذلك وان تولوا فاعلم الآية وخصص سبحانه اصابتهم ببعض الذنوب دون كلها لان هذا الوعيد انما هو في الدنيا وذنوبهم نوعان نوع يخصهم ونوع يتعدى الى النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وبه توعدهم الله في الدنيا وانما يعذبون بالكل في الآخرة وقال الفخر وجُوزوا ببعض الذنوب في الدنيا لان مجازاتهم بالبعض كاف في اهلاكهم وتدميرهم انتهى * وقوله سبحانه فاعلم الآية وعد للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجزه بقصة بني قَيْنُقاع وقصة قُرَيْظة والنضير واجلاء عمر اهل خيبر وفدك وغيرهم * وقوله تعالى وان كثيرا من الناس لفاسقون اشارة اليهم ويندرج في عموم الآية غيرهم * وقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون اشارة الى الكهان الذين كانوا ياخذون الحلوان ويحكمون بحسب الشهوات ومن احسن من الله حكما اي لا احد احسن منه حكما تبارك وتعالى * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء نهى الله سبحانه المومنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء في النصرة والخلطة المؤدية الى الامتزاج والمعاضدة وحكم هذه الآية باق وكل من اكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذى تضمنه قوله تعالى فانه منهم وسبب نزول هذه الآية انه لما انقضت بدر وشجر امر بنى قينقاع اراد النبي صلى الله عليه وسلم قتلهم فقام دونهم عبد الله ابن ابي ابن سلول مخاصما وقال يا محمد احسن في موالى فاني امرؤ اخاف الدوائر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد وهبتهم لك ونزلت الآية في ذلك * وقوله عزوجل بعضهم اولياء بعض جملة مقطوعة من النهي * وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم انحاء على عبد الله بن ابي وعلى كل من اتصف بهذه الصفة * وقوله سبحانه فترى الذين المعنى فترى يا محمد الذين في قلوبهم

مرض اشارة الى عبد الله بن ابي ومن تبعه من المنافقين على مذهبه فى حماية بنى قينقاع * وقوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لفظ محفوظ عن عبد الله ابن ابي ومن تبعه من المنافقين ودائرة معناه نازلة من الزمان وانما كان ابن ابي يظهر انه يستبقيهم لنصرة النبي عليه السلام وانه الرأي وكان يبطن خلاف ذلك * وقوله سبحانه فعسى الله ان ياتي بالفتح وهو ظهور نبيه عليه السلام وعلو كلمته وتمكينه من بنى قينقاع وقريظة والنضير وفتح مكة او امر من عنده يهلك به اعداء الشرع وهو ايضا فتح لا يقع فيه للبشر سبب وقرأ ابن الزبير فيصبح الفساق على ما اسروا فى انفسهم نادمين * وقوله تعالى يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم قرأ نافع وغيره يقول بغير واو وقرأ حمزة وغيره ويقول وقرأ ابو عمرو وحده ويقول بالواو ونصب اللام فذهب كثير من المفسرين الى ان هذا القول من المومنين انما هو اذا جاء الفتح وحصلت ندامة المنافقين وفضحهم الله تعالى فحينئذ يقول المومنون اهؤلاء الذين اقسموا الآية وتحتمل الآية ان تكون حكاية لقول المومنين فى وقت قول الذين فى قلوبهم مرض نخشى ان تصيبنا دائرة اذ فهم منهم ان تمسكهم باليهود انما هو ارصاد لله ولرسوله فمقتهم النبي عليه السلام والمومنون وترك لهم النبي عليه السلام بنى قينقاع رغبة فى المصلحة والالفة واما قراءة ابى عمرو ويقول بالنصب فلا يتجه معها ان يكون قول المومنين الا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم * وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب جهد على المصدر المؤكد والمعنى اهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم فى الايمان انهم لمعكم قد ظهر الآن منهم من موالاة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب ايمانهم * وقوله حبطت اعمالهم يحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه ويحتمل ان يكون من قول المومنين ويحتمل ان يكون قوله

حبطت دعاء اي بطلت اعمالهم * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا من يرتدد منكم عن دينه الآية خطاب للمومنين الى يوم القيامة ومعنى الآية ان الله عزوجل وعد هذه الامة ان من ارتد منها فانه يجيء سبحانه بقوم ينصرون الدين ويغنون عن المرتدين قال الفخر وقدم الله تعالى محبته لهم على محبتهم له اذ لولا حبه لهم لما وفقهم ان صاروا محبين له انتهى وفى كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قلت للشيخ فهل يلحق المحبين لله عزوجل خوف قال نعم الخوف لازم لهم كما لزمهم الايمان لا يزول الا بزواله وهذا هو خوف عذاب التقصير فى بدايتهم حتى اذا صاروا الى خوف الفوت صاروا الى الخوف الذى يكون فى اعلى حال فكان الخوف الاول يطرقهم خطرات وصار خوف الفوت وطنات قلت فما الحالة التى تكشف عن قلوبهم شديد الخوف والحزن قال الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم بسعة فضل الله عزوجل واملهم منه ان يظفروا بمرادهم اذا وردوا عليه ولولا حسن ظنهم بربهم لتقطعت انفسهم حسرات وماتوا كمدا قلت اي شيء اكثر شغلهم وما الغالب على قلوبهم فى جميع احوالهم قال كثرة الذكر لمحبوبهم على طريق الدوام والاستقامة لا يملون ولا يفترون وقد اجمع الحكماء ان من احب شيأ اكثر من ذكره ثم قال قال ذو النون ما اولع احد بذكر الله الا افاد منه حب الله تعالى انتهى وفى الآية انحاء على المنافقين وعلى من ارتد فى مدة النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر وهذه الآية اخبار بغيب وقد وقع الخبر على وفقه فيكون معجزا وقد ارتدت العرب وغيرهم ايام ابى بكر فنصر الله الدين واتى بخير منهم انتهى * وقوله سبحانه اذلة على المومنين معناه متذللين من قبل انفسهم غير متكبرين وهذا كقوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وكقوله عليه السلام المومن هين لين وفى قراءة

ابن مسعود اذلة على المومنين غلظاء على الكافريـن * وقوله تعالى ولا يخافون لومة لائم اشارة الى الرد على المنافقيـن فى انهم يعتـذرون بمـلاة الاحلاف والمعارف من الكفـار ويراعون امرهم قلت وخرج ابو بكـر بن الخطيب بسنده على ابى ذر قال اوصانى النبي صلى الله عليه وسلم بسبع اوصانى ان انظر الى من هو دونـي ولا انظـر الى من هو فوقـي (يعني فى شان الدنيا) واوصانى بحب المساكيـن والدنو منهم واوصانى ان اقول الحق وان كان مـرا واوصانى ان اصل رحمي وان ادبرت واوصانى ان لا اخاف فى الله لومة لائم واوصانى ان لا اسأل الناس شيأ واوصانى ان استكثـر من لا حول ولا قوة الا بالله انتهى * وقوله سبحانه ذلك فضل الله الاشارة بذلك الى كون القوم يحبون الله عز وجل ويحبهم وواسع معنـاه ذو سعة فيما يملك ويعطي وينعم به سبحانه * وقوله تعالى انمـا وليكم الله ورسوله الآية انمـا فى هذه الآية حاصرة وقـرأ ابـن مسعود انما مـولاكم الله والزكـاة هنا لفظ عام للزكـاة المفـروضة والتطـوع بالصدقـة ولـكل افعـال البـراذ هي منميـة للحسنـات مطهـرة للمـرء مـن دنس السيئـات ثم وصفهم سبحانه بتكثير الركـوع وخص بالذكر لكونه من اعظم اركان الصلاة وهي هيئة تواضع فعبر به عن جميع الصلاة كما قال سبحانه والركع السجود هذا هو الصحيح وهو تاويـل الجمهور ولكن انفق مع ذلـك ان علي بن ابى طالب رضي الله عنه اعطى خاتمه وهو راكع قال السدي وان اتفق ذلـك لعلي فالآية عامة فى جميع المومنيـن ثم اخبر تعالى ان من يتولى الله ورسوله والمومنيـن فانه غالب كل من ناواه وجاءت العبـارة عامة فى ان حزب الله هم الغالبـون ثم نهى سبحانـه المومنيـن عن اتخاذ الذيـن اتخذوا دينـنا هزؤا ولعبا وقد ثبت استهزاء الكفار فى قوله سبحانه انا كفينـاك المستهزءيـن وثبت استهزاء اهل الكتـاب فى لفظ هذه

الآية وثبت استهزاء المنافقين فى قولهم لشياطينهم انا معكم انما نحن مستهزؤون ثم امر سبحانه بتقواه ونبه النفوس بقوله ان كنتم مومنين * وقوله سبحانه واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزؤا ولعبا الآية انحاء على اليهود وتبيين لسوء فعلهم * وقوله وان اكثركم فاسقون معنى المحاورة هل تنقمون منا الا مجموع هذه الحال من انا مومنون وانتم فاسقون كما تقول لمن تخاصمه هل تنقم منى الا ان صدقت انا وكذبت انت وقال بعض المتأولين وان اكثركم معطوف على ما كانه قال الا ان آمنا بالله وبكتبه وبان اكثركم فاسقون وهذا مستقيم المعنى وقال اكثركم من حيث ان فيهم من آمن كابن سلام وغيره * وقوله سبحانه قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة يعنى مرجعا عند الله يوم القيامة ومنه واذ جعلنا البيت مثابة للناس ومشى المفسرون فى هذه الآية على ان الذين امر عليه السلام ان يقول لهم هل انبئكم هم اليهود والكفار المتخذون ديننا هزؤا ولعبا قال ذلك الطبري وتوبع عليه ولم يسند فى ذلك الى متقدم شيأ والآية تحتمل ان يكون القول للمومنين اي قل يا محمد للمومنين هل انبئكم بشر من حال هؤلاء الفاسقين فى وقت المرجع الى الله اولائك اسلافهم الذين لعنهم الله وغضب عليهم * وقوله سبحانه وجعل هي بمعنى صير وقد تقدم قصص مسخهم قردة فى البقرة وعبد الطاغوت تقديره ومن عبد الطاغوت وقرأ حمزة وحده وعَبُدَ الطاغوتِ بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت وذلك ان عبد لفظ مبالغة كقَدُس قال الفخر قيل الطاغوت هنا العجل وقيل الطاغوت احبارهم وكل من اطاع احدا فى معصية الله فقد عبده انتهى ومكانا يحتمل ان يريد فى الآخرة فالمكان على وجهه اي المحل اذ محلهم جهنم ويحتمل ان يريد فى الدنيا فهي استعارة للمكانة والحالة * وقوله سبحانه واذا جاؤكم يعنى اليهود وخاصة المنافقين منهم قاله ابن عباس

وغيره * وقوله والله اعلم بماكانوا يكتمون اي من الكفر والرؤيةُ هنا تحتمل ان تكون قلبية وان تكون بصرية وفى الاثم اي موجبات الاثم واللام فى لبيس لام قسم * وقوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار تحضيض فى ضمنه توبيخ لهم قال الفخر والمعنى هلا ينهاهم انتهى قال الطبري كان العلماء يقولون ما فى القروان ءاية هي اشد توبيخا للعلماء من هذه الآية ولا اخوف عليهم منها وقال الضحاك بن مزاحم ما فى القروان ءاية اخوف عندي منها انا لا ننهى وقال نحو هذا ابن عباس * وقوله سبحانه عن قولهم الاثم ظاهره ان الاثم هنا يراد به الكفر ويحتمل ان يراد سائر اقوالهم المنكرة فى النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وقرأ ابن عباس بيس ما كانوا يصنعون بغير لام قسم * وقوله سبحانه وتعالى وقالت اليهود يد الله الى قوله لا يحب المفسدين هذه الآية تعديد كبيرة فى اقوالهم وكفرهم اي فمن يقول هذه العظيمة فلا يستنكر نفاقه وسعيه فى رد امر الله تعالى قال ابن عباس وجماعة معنى قولهم التبخيل وذلك انهم لحقتهم سنة وجهد فقالوا هذه المقالة يعنون بها ان الله بخل عليهم بالرزق والتوسعة تعالى الله عن قولهم وهذا المعنى يشبه ما فى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فان المراد لا تبخل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق الحديث وذكر الطبري والنقاش ان هذه الآية نزلت فى فنحاص اليهودي وانه قالها * وقوله سبحانه غلت ايديهم خبر يحتمل فى الدنيا ويحتمل فى الآخرة فان كان خبرا عن الدنيا فالمعنى غلت ايديهم عن الخير والانفاق فى وجوه البر ونحوه واذا كان خبرا عن الآخرة فالمعنى غلت فى النار قلت ويحتمل الامرين معا * وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان العقيدة فى هذا المعنى نفي التشبيه عن الله سبحانه وانه ليس بجسم ولا له جارحة ولا يشبّه ولا يُكيّف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث تعالى عما يقول

المبطلون علوا كبيرا قال ابن عباس فى هذه الآية يداه نعمتاه ثم اختلفت عبارة الناس فى تعيين النعمتين فقيل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة والظاهر ان قوله سبحانه بل يداه مبسوطتان عبارة عن انعامه على الجملة وعبر عنها باليدين جريا على طريقة العرب فى قولهم فلان ينفق بكلتا يديه ومنه قول الاعشى

يداك يدا مجدٍ فكف مفيدة * وكف اذا ماضنّ بالمال تنفق

ويؤيد ان اليدين هنا بمعنى الانعام قرينة الانفاق ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام وليزيدن كثيرا منهم يعنى اليهود ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ثم قال سبحانه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو فهو يبغض وقد يبغض من ليس بعدو والبغضاء قد لا تتجاوز النفوس وقد القى الله سبحانه الامرين على بنى اسراءيل قال الفخر وقد اوقع الله بين فرقهم الخصومة الشديدة وانتهى امرهم الى ان يكفر بعضهم بعضا وفى قوله والقينا بينهم العداوة الآية قولان احدهما ان المراد ما بين اليهود والنصارى من العداوة لانه جرى ذكرهم فى قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وهذا قول الحسن ومجاهد والثانى ما وقع من العداوة بين فرق اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم موحدة وبعضهم مشبهة وكذلك بين فرق النصارى كالملكانية والنسطورية واليعقوبية انتهى * وقوله سبحانه كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله استعارة بليغة قال مجاهد معنى الآية كلما اوقدوا نارا لحرب النبي صلى الله عليه وسلم اطفأها الله فالآية بشارة لنبينا محمد عليه السلام وللمومنين وباقى الآيه بين * وقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب ءامنوا الآية هذه الآية تحتمل ان يراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم وتحتمل ان يراد بها الاسلاف والمعاصرون

* وقوله سبحانه ولو انهم اقاموا التوراة اي اظهروا احكامها فهي كاقامة السوق واقامة الصلاة * وقوله سبحانه والانجيل يقتضي دخول النصارى فى لفظ اهل الكتاب فى هذه الآية قلت وقال مكي معنى اقاموا التوراة والانجيل اي عملوا بما فيهما واقروا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبنبوته انتهى من الهداية * وقوله وما انزل اليهم من ربهم معناه من وحي وسنن على السنة الانبياء عليهم السلام واختلف فى معنى من فوقهم ومن تحت ارجلهم فقال ابن عباس وغيره المعنى لاعطتهم السماء مطرها والارض نباتها بفضل الله تعالى وقال الطبري وغيره ان الكلام استعارة ومبالغة فى التوسعة كما يقال فلان قد عمه الخير من قرنه الى قدمه * وقوله سبحانه منهم امة مقتصدة معناه معتدلة والقصد والاقتصاد الاعتدال والرفق والتوسط الحسن فى الاقوال والافعال قال ابن زيد وهؤلاء هم اهل طاعة الله من اهل الكتاب قال * ع * وهذا هو الراجح * وقوله سبحانه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية هذه الآية امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لانه قد كان بلغ صلى الله عليه وسلم وانما امر فى هذه الآية بان لا يتوقف عن شيء مخافة احد وذلك ان رسالته عليه السلام تضمنت الطعن على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقى منهم صلى الله عليه وسلم عنتا وربما خافهم احيانا قبل نزول هذه الآية فقال الله تعالى له بلغ ما انزل اليك من ربك اي كاملا والله يعصمك من الناس قالت عائشة ام المومنين رضي الله عنها من زعم ان محمدا كتم شيأ من الوحي فقد اعظم الفرية والله تعالى يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية وقال عبد الله ابن شقيق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبه اصحابه يحرسونه فلما نزلت والله يعصمك من الناس خرج فقال يا ايها الناس الحقوا بملاحقكم فان الله

قد عصمني قلت وخرج الترمذي هذا الحديث ايضا من طريق عائشة وكما وجب عليه التبليغ عليه السلام وجب على علماء امته وقد قال عليه السلام بلغوا عنى ولو ءاية وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه رواه ابو داود واللفظ له والترمذي والنساءي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذي هذا حديث حسن ورواه من حديث ابن مسعود وقال حسن صحيح انتهى من السلاح وقال محمد بن كعب القرظي نزلت هذه الآية بسبب الاعرابي الذى اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله به قال ابن العربي قوله تعالى والله يعصمك من الناس معناه يجعل بينك وبينهم حجابا يمنع من وصول مكروههم اليك كعصام القربة الذى يمنع سيلان الماء منها ولعلمائنا فى الآية تاويلات اصحها ان العصمة عامة فى كل مكروه وان الآية نزلت بعد ان شج وجهه وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وقيل انه اراد من القتل خاصة والاول اصح وقد كان صلى الله عليه وسلم اوتي بعض هذه العصمة بمكة فى قوله تعالى انا كفيناك المستهزءين ثم كملت له العصمة بالمدينة فعصم من الناس كلهم انتهى من كتابه فى تفسير افعال الله الواقعة فى القرءان ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لاهل الكتاب الحاضرين معه لستم على شيء اي على شيء مستقيم حتى تقيموا التوراة والانجيل وفى اقامتهما الايمان بنبينا محمد عليه السلام قلت وهذه الآية عندى من اخوف ءاية فى القرءان كما اشار الى ذلك سفيان فتأملها حق التأمل * وقوله سبحانه وما انزل اليكم من ربكم الآية يعنى به القرءان * وقوله تعالى ان الذين ءامنوا والذين هادوا والصابون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر

وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا لفظ عام لكل مومن من ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن غيرها من الملل فكأنّ الفاظ الآية حصر بها الناس كلهم وبينت الطوائف على اختلافها وهذا هو تاويل الجمهور وقد مضى الكلام فى سورة البقرة فراجعه هناك وقرأ الجمهور والصابون وقرئ خارج السبعة والصابين وهي بينة الاعراب واما على قراءة الجمهور فاختلف فى اعرابها ومذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة انه من المقدم الذى معناه التأخير كانه قال ان الذين ءامنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والصابون والنصارى كذلك قال * ص * ووجه ثان ان خبر ان محذوف اي ان الذين ءامنوا لهم اجرهم وخبر الصابين من آمن وما بعده قال ابن عصفور وهو حسن جدا اذ ليس فيه اكثر من حذف خبر ان للفهم وهو جائز فى فصيح الكلام انتهى قلت قال ابن مالك وهو اسهل من التقديم والتأخير وقيل ان الصابين فى موضع نصب ولكنه جاء على لغة بلحارث الذين يجمعون التثنية بالالف على كل حال والجمع بالواو على كل حال قاله ابو البقاء وقيل غير هذا * وقوله سبحانه وحسبوا الا تكون فتنة المعنى فى هذه الآية وظن هؤلاء الكفرة بالله والعصاة من بنى اسراءيل ان لا يكون من الله ابتلاء لهم واخذ فى الدنيا فلجوا فى شهواتهم وعموا فيها اذ لم يبصروا الحق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم * وقوله سبحانه ثم تاب الله عليهم قالت جماعة من المفسرين هذه التوبة هي ردهم الى بيت المقدس بعد الاخراج الاول ورد ملكهم وحالهم ثم عموا وصموا بعد ذلك حتى اخرجوا الخرجة الثانية ولم ينجبروا ابدا ومعنى تاب الله عليهم اي رجع بهم الى الطاعة والحق ومن فصاحة القرءان استناد هذا الفعل الشريف الى الله تعالى واستناد

العمى والصمم اللذين هما عبارة عن الضلال اليهم ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا بلام القسم عن كفر القائليين ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية من النصارى ثم اخبر تعالى عن قول المسيح لهم فقال وقال المسيح يا بنى اسراءيل اعبدوا الله ربى وربكم الآية فضلوا هم وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات * وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون من قول عيسى عليه السلام لبنى اسراءيل ويحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه لنبيه محمد عليه السلام * وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الآية اخبار مؤكد كالذى قبله عن هذه الطائفة الناطقة بالتثليث وهم فرق منهم النسطورية وغيرهم ولا معنى لذكر اقوالهم فى كتب التفسير * وقوله سبحانه ثالث ثلاثة لا يجوز فيه الا الاضافة وخفض ثلاثة لان المعنى احد ثلاثة فان قلت زيد ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز لك ان تضيف كما تقدم وجاز ان لا تضيف وتنصب ثلاثة على معنى زيد يربع ثلاثة * وقوله سبحانه وما من اله الا اله واحد الآية خبر صادع بالحق وهو سبحانه الخالق المبدع المتصف بالصفات العلى سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم توعدهم ان لم ينتهوا عما يقولون ثم رفق جل وعلا بهم بتحضيضه اياهم على التوبة وطلب المغفرة ثم وصف نفسه سبحانه بالغفران والرحمة استجلابا للتائبين وتانيسا لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم قال * ص * ليمسن اللام فيه جواب قسم محذوف قبل اداة الشرط انتهى * وقوله تعالى وامه صديقة بناء مبالغة من الصدق ويحتمل من التصديق وبه سمي ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال انها نبية * وقوله سبحانه كانا ياكلان الطعام تنبيه على نقص البشرية وعلى حال من الاحتياج الى الغذاء تنتفى معها الالوهية ويوفكون معناه

يصرفون ومنه قوله عزوجل يوفك عنه من افك والارض المافوكة التي صرفت عن ان ينالها المطر والمطر في الحقيقة هو المصروف ولكن قيل ارض مافوكة لما كانت مافوكا عنها * وقوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم الآية الضر بفتح الضاد المصدر و بضمها الاسم وهو عدم الخير والسميع لاقوالهم والعليم بنياتهم والغلو تجاوز الحد من غلا السهم اذا تجاوز الغرض المقصود وتلك المسافة هي غلوته وهذه المخاطبة هي للنصارى الذين غلوا في عيسى والقوم الذين نهي النصارى عن اتباع اهوائهم هم بنواسرايل ووصف تعالى اليهود بانهم ضلوا قديما واضلوا كثيرا من اتباعهم ثم أكد الامر بتكرار قوله تعالى وضلوا عن سواء السبيل * وقوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرايل الآية قال ابن عباس رضي الله عنه لعنوا بكل لسان لعنوا في التوراة وفي الزبور والانجيل والفرقان * وقوله سبحانه كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه الآية ذم الله سبحانه هذه الفرقة الملعونة بانهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي انهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وان نَهَى منهم ناه لم يمتنع عن مواصلة العاصي ومواكلته وخلطته وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من بني اسرايل كان اذا رأى اخاه على ذنب نهاه عنه تعذيرا فاذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه ان يكون اكيله او خليطه فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى قال ابن مسعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكأ فجلس وقال لا والله حتى تاخذوا على يد الظالم فتأطُروه على الحق اطْرا والاجماع على ان النهي عن المنكر واجب لمن اطاقه ونهى بمعروف اي برفق وقول معروف وامن الضرر عليه وعلى المومنين فان تعذر على احد النهي لشيء من

هذه الوجوه ففرض عليه الانكار بقلبه وان لا يخالط ذا المنكر وقال حذاق اهل العلم ليس من شروط الناهي ان يكون سليما من المعصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا * وقوله سبحانه لبيس ما كانوا يفعلون اللام لام قسم وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق او قال كلمة عدل عند سلطان جائر او امير جائر انتهى * وقوله تعالى لنبيه محمد عليه السلام ترى كثيرا يحتمل ان تكون رؤية عين فلا يريد الا معاصريه ويحتمل ان تكون رؤية قلب وعلى هذا فيحتمل ان يريد المعاصرين له ويحتمل ان يريد اسلافهم والذين كفروا عبدة الاوثان * وقوله سبحانه لبيس ما قدمت لهم انفسهم الآية اي قدمته للآخرة واجترحته ثم فسر ذلك قوله تعالى ان سخط الله عليهم فان سخط فى موضع رفع بدل من ما ويحتمل ان يكون التقدير هو ان سخط الله عليهم * وقوله تعالى والنبيء ان كان المراد الاسلاف فالنبيء داود وعيسى وان كان المراد معاصرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بالنبيء هو صلى الله عليه وسلم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله سبحانه ترى كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر بنى اسراءيل وانه يعنى به المنافقين ونحوه لمجاهد * وقوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين اشركوا الآية اللام فى قوله لتجدن لام ابتداء وقال الزجاج هي لام قسم وهذا خبر مطلق منسحب على الزمان كله وهكذا هو الامر حتى الآن وذلك ان اليهود مرنوا على تكذيب الانبياء وقتلهم ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة فهم قد لجت عداوتهم وكثر حسدهم فهم اشد الناس عداوة للمومنين وكذلك المشركون عبدة الاوثان والنيران واما النصارى فانهم يعظمون من اهل الاسلام من استشعروا

منه صحة دين ويستهينون من فهموا منه الفسق فهم ان حاربوا فانما حربهم
انفة لا ان شرعهم ياخذهم بذلك واذا سالموا فسلمهم صاف واليهود لعنهم الله
ليسوا على شيء من هذه الخلال بل شانهم الخبث والليّ بالالسنة والمكر والغدر
ولم يصف الله تعالى النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم اقرب من اليهود
والمشركين وفي قوله سبحانه الذين قالوا انا نصارى اشارة الى معاصرى نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم من النصارى بانهم ليسوا على حقيقية النصرانية وانما هو
قول منهم وزعم * وقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا الآية معناه
ذلك بان منهم اهل خشية وانقطاع الى الله تعالى وعبادة وان لم يكونوا على
هدى فهم يميلون الى اهل العبادة والخشية وليس عند اليهود ولا كان قط اهل
ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا بل هم معظمون لها متطاولون في البنيان
وامور الدنيا حتى كانهم لا يومنون بالآخرة فلذلك لا يرى فيهم زاهد قال الفخر
القس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس
والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين انتهى
ووصف الله سبحانه النصارى بانهم لا يستكبرون وهذا موجود فيهم حتى الآن
واليهودي متى وجد عزا طغى وتكبر ثم مدحهم سبحانه فقال واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع الآية قال النووي ينبغي للقارئ ان
يكون شانه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود المطلوب وبه تنشرح
الصدور وتستنير القلوب ودلائله اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر
وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم اية واحدة ليلة كاملة او معظم
ليلة يتدبرها وصعق جماعات منهم عند سماع القرءان وقراءته ومات جماعات
منهم ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة

العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله عز وجل ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقد وردت ءاثار كثيرة فى ذلك انتهى من الحلية للنووي وذكر ابن عباس وابن جبير ومجاهد ان هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليروه و يعرفوا حاله فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم عليهم القرءان فبكوا وءامنوا ورجعوا الى النجاشي فـءامن ولم يزل مومنا حتى مات فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان نعش النجاشي كشف للنبي عليه السلام فكان يراه من موضعه بالمدينة وجاء الخبر بعد مدة ان النجاشي دفن فى اليوم الذى صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال ابو صالح كانوا سبعة وستين رجلا وقال ابن جبير كانوا سبعين عليهم ثياب الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي وصدر الآية فى قرب المودة عام فيهم ولا يتوجه ان يكون صدر الآية خاصا فيمن آمن وانما وقع التخصيص من قوله تعالى واذا سمعوا وجاء الضمير عاما اذ قد تحمد الجماعة بفعل واحد منهم وفى هذا استدعاء للنصارى ولطف من الله بهم ليومنوا قال * ص * مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية قال ابو البقاء ومعناها من اجل الذى عرفوا ومن الثانية لبيان ما الموصولة انتهى قال العراقي تفيض اي تسيل منها العَبرة وفى الحديث اقرءوا القرءان وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا خرجه البزار انتهى من الكوكب الدري وفيه عن البزار ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج من عينيه مثل جناح ذباب دموعا من خشية الله لم يدخل النار حتى يعود اللبن فى ضرعه انتهى وقولهم مع الشاهدين يعنى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قاله ابن عباس وغيره وقال الطبري لو قال قائل معنى ذلك مع الشاهدين بتوحيدك من جميع العالم لكان صوابا وهو كلام صحيح

وكأن ابن عباس خصص امة محمد لقول الله سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا
الآية وقولهم وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق توقيف لانفسهم او محاجة
لمن عارضهم من الكفار والقوم الصالحون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله
ابن زيد وغيره من المفسرين ثم ذكر تعالى ما اثابهم به من النعيم على ايمانهم
واحسانهم ثم ذكر سبحانه حال الكافرين المكذبين وانهم قرناء الجحيم * وقوله
تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية قال ابن
عباس وغيره نزلت بسبب جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بلغت منهم المواعظ وخوف الله تعالى الى ان حرم بعضهم النساء و بعضهم النوم
بالليل والطيب وهمّ بعضهم بالاختصاء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اما انا فاقوم وانام واصوم وافطر وءاتى النساء وانال الطيب فمن رغب عن
سنتى فليس منى قال الطبري كان فيما يتلى من رغب عن سنتك فليس من
امتك وقد ضل عن سواء السبيل والطيبات في هذه الآية المستلذات بدليل
اضافتها الى ما احل الله و بقرينة ما ذكر من سبب الآية * وقوله سبحانه
ولا تعتدوا قال عكرمة وغيره معناه في تحريم ما احل الله وقال الحسن بن ابى
الحسن المعنى ولا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله فالنهيانِ على هذا تضمنا الطرفين
كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما قلت وروى
مالك في الموطإ عن ابى النضر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
مات عثمان بن مظعون ومُر بجنازته ذهبْتَ ولم تلتبس منها بشيء قال ابو عمر
في التمهيد هذا الحديث في الموطإ مقطوع وقد رويناه متصلا مسندا من وجه
صالح حسن ثم اسند ابو عمر عن عائشة قالت لما مات عثمان بن مظعون
كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكى

بكاء طويلا فلما رُفع على السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها قال ابو عمر كان عثمان بن مظعون احد الفضلاء العباد الزاهدين فى الدنيا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبتلين منهم وقد كان هو وعلي بن ابى طالب هما ان يترهبا و يتركا النساء و يقبلا على العبادة ويحرما طيبات الطعام على انفسهما فنزلت يا ايها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية ونقل هذا معمر وغيره عن قتادة انتهى * وقوله سبحانه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان معناه شددتم وعقد اليمين كعقد الحبل والعهد قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عَقدا لجارهمُ * شدوا العِناج وشدوا فوقه الكَرَبا

قال الفخر واما وجه المناسبة بين هذه الآية والتى قبلها فهو ما تقدم من ان قوما من الصحابة رضي الله عنهم حرموا على انفسهم المطاعم والملاذ وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله تعالى عن ذلك قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا فانزل الله تعالى هذه الآية انتهى * وقوله سبحانه فكفارته اطعام عشرة مساكين اي اشباعهم مرة واحدة وحكم هؤلاء ان لا يتكرر واحد منهم فى كفارة يمين واحدة واختلف فى معنى قوله سبحانه من اوسط فرأى مالك وجماعة معه هذا التوسط فى القدر ورأى ذلك جماعة فى الصنف والوجه ان يُعم بلفظ الوسط القدر والصنف فرأى مالك ان يطعم المسكين بالمدينة مُدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك رطل وثلث وهذا لضيق المعيشة بالمدينة ورأى فى غيرها ان يتوسع ورأى من يقول ان التوسط انما هو فى الصنف ان يكون الرجل المكفر يتجنب ادنى ما ياكل الناس فى البلد وينحط عن الاعلى ويكفّر بالوسط من ذلك ومذهب المدونة ان يراعي المكفر عيش البلد وتاويل العلماء فى الحانث

فى اليمين بالله انه مخير فى الاطعام او الكسوة او العتق والعلماء على ان العتق افضل ذلك ثم الكسوة ثم الاطعام وبدأ الله تعالى عباده بالايسر فالايسر قال الفخر وبدأ سبحانه بالاطعام لانه اعم وجودا والمقصود منه التنبيه على انه سبحانه يراعي التخفيف والتسهيل فى التكاليف وثانيها ان الاطعام افضل قلت وهذا هو مشهور مذهب مالك انتهى ويجزئ عند مالك من الكسوة فى الكفارة ما يجزئ فى الصلاة * وقوله سبحانه او تحرير رقبة اي مومنة قاله مالك وجماعة لان هذا المطلق راجع الى المقيد فى عتق الرقبة فى قتل الخطإ * وقوله سبحانه فمن لم يجد معناه لم يجد فى ملكه احد هذه الثلاث المذكورة واختلف العلماء فى حد هذا العادم ومتى يصح له الصيام فقال الشافعي ومالك وجماعة من العلماء اذا كان المكفر لا يملك الا قوته وقوت عياله يومه وليلته فله ان يصوم فان كان عنده زائد على ذلك ما يطعم عشرة مساكين لزمه الاطعام قال الطبري وقال ءاخرون جائز لمن لم يكن له فضل على راس ماله الذى يتصرف به فى معايشه ان يصوم وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود ثلاثة ايام متتابعات وقال بذلك جماعة وقال مالك وغيره ان تابع فحسن وان فرق اجزأ وقوله اذا حلفتم معناه واردتم الحنث او وقعتم فيه * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الآية قال * ع * وفى معنى الازلام الزجر بالطير واخذ الفال فى الكتب ونحوه مما يصنعه الناس واخبر سبحانه ان هذه الاشياء رجس قال ابن عباس فى هذه الآية رجس سخط وقال ابن زيد الرجس الشر قال * ع * الرجس كل مكروه ذميم وقد يقال للعذاب والرجز العذاب لا غير والركس العَذِرة لا غير والرجس يقال للامرين * وقوله سبحانه فاجتنبوه امر باجتنابه فحرمت الخمر بظاهر القرءان

ونص الاحاديث واجماع الامة وامر الخمر انما كان بتدريج ونوازل كثيرة كقصة حمزة حين جَبّ الاسْنِمة وقولِه وهل انتم الا عبيد ابى ثم اعلم سبحانه عباده ان الشيطان انما يريد ان تقع العداوة بسبب الخمر وما يعترى عليها بين المومنين وبسبب الميسر اذ كانوا يتقامرون على الاموال حتى ربما بقي المقمور فقيرا فتحدث من ذلك ضغائن وعداوات فان لم يصل الامر الى حد العداوة كانت بغضاء ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وباجتماع النفوس والكلمة يحمى الدين ويجاهَد العدو والبغضاء تنقض عُرَى الدين وتهدم عماد الحماية وكذلك ايضا يريد الشيطان ان يصد المومنين عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغلهم عنها باتباع الشهوات والخمر والميسر والقمار كله من اعظم الآفات فى ذلك وفى قوله سبحانه فهل انتم منتهون وعيد زائد على معنى انتهوا

* وقوله سبحانه ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية قال ابن عباس وغيره لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات منا وهو يشربها وياكل الميسر ونحو هذا من القول فنزلت هذه الآية وهذا نظير سؤالهم عن من مات على القبلة الاولى والجناح الاثم والحرج والتكرار فى قوله سبحانه اتقوا يقتضى فى كل واحدة زيادة على التى قبلها وفى ذلك مبالغة فى هذه الصفات لهم وليست الآية وقفا على من عمل الصالحات كلها واتقى كل التقوى بل هي لكل مومن وان كان عاصيا احيانا اذا كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به ان يوصف بانه مومن عامل للصالحات متق فى غالب امره محسن فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه وطعموا معناه ذاقوا فصاعدا فى رتب الاكل والشرب وقد

يستعار للنوم وغيره وحقيقته في حاسة الذوق * وقوله سبحانه يا ايها الذين
ءامنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد اي ليختبرنكم ليرى طاعتكم من معصيتكم
وقوله بشيء يقتضي تبعيضا ومن يحتمل ان تكون للتبعيض ويحتمل ان تكون
لبيان الجنس كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان * وقوله تعالى ليعلم
الله من يخافه بالغيب معناه ليستمر علمه تعالى عليه وهو موجود اذ قد علم تعالى
ذلك في الازل وبالغيب قال الطبري معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه
فهو غائب عنه والظاهر ان المعنى بالغيب من الناس اي في الخلوة ممن خاف
الله انتهى قلت وقول الطبري اظهر ثم توعد تعالى من اعتدى بعد النهي بالعذاب
الاليم وهو عذاب الآخرة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم الآية الصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فاوقع على الحيوان المصيد
ولفظ الصيد هنا عام ومعناه الخصوص فيما عدا ما استثني وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحِدأة والفارة
والعقرب والكلب العقور واجمع الناس على اباحة قتل الحية وبسط هذا في
كتب الفقه وحرم جمع حرام وهو الذى يدخل في الحرم او في الاحرام واختلف
في قوله متعمدا فقال مجاهد وغيره معناه متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فهذا يكفّر
واما ان كان ذاكرا لاحرامه فهو اعظم من ان يكفر وقد حل ولا رخصة له وقال
جماعة من اهل العلم منهم ابن عباس ومالك والزهري وغيرهم المتعمد القاصد
للقتل الذاكر لاحرامه فهو يكفر وكذلك الناسي والقاتل خطأ يكفران وقرأ نافع
وغيره فجزاء مثل باضافة الجزاء الى مثل وقرأ حمزة وغيره فجزاء بالرفع مثل بالرفع
ايضا واختلف في هذه المماثلة كيف تكون فذهب الجمهور الى ان الحكمين
ينظران الى مثل الحيوان المقتول في الخلقة وعظم المرأى فيجعلان ذلك من

النعم جزاءه وذهب الشعبي وغيره الى ان المماثلة انما هي فى القيمة يقوم الصيد المقتول ثم يشتري بقيمته ند من النعم ورد الطبري وغيره هذا القول والنعم لفظ يقع على الابل والبقر والغنم اذا اجتمعت هذه الاصناف فان انفرد كل صنف لم يُقل نعم الا للابل وحدها وقصَرَ القرءانُ هذه النازلة على حكمين عدلين عالمين بحكم النازلة وبالتقدير فيها وعلى هذا جمهور الناس قال ابن وهب فى العتبية من السنة ان يخيّر الحكمان من اصاب الصيد كما خيره الله تعالى فى ان يخرج هديا بالغ الكعبة اوكفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدي حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما وبين ان يكون عدل ذلك شاة لانها ادنى الهدي فما لم يبلغ شاة حكَما فيه بالطعام ثم خير فى ان يطعمه او يصوم مكان كل مُد يوما وكذلك قال مالك فى المدونة اذا اراد المصيب ان يطعم او يصوم فان كان لما اصاب نظير من النعم فانه يقوّم صيده طعاما لا دراهم قال وان قوماه دراهم واشتري بها طعام لرجوت ان يكون واسعا والاول اصوب فان شاء اطعمه والا صام مكان كل مد يوما وان زاد ذلك على شهرين او ثلاثة وقال يحي بن عمر من اصحابنا انما يقال كم من رجل يَشبَع من هذا الصيد فيعرف العدد ثم يقال كم من الطعام يُشبِع هذا العدد فان شاء اخرج ذلك الطعام وان شاء صام عدد امداده وهذا قول حسن احتاط فيه لانه قد تكون قيمة الصيد من الطعام قليلة فبهذا النظر يكثر الاطعام * وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة ذكرت الكعبة لانها ام الحرم والحرم كله منحر لهذا الهدي ولا بد ان يجمع فى هذا الهدي بين الحل والحرم حتى يكون بالغ الكعبة فالهدي لا ينحر الا فى الحرم واختلف فى الطعام فقال جماعة الاطعام والصوم حيث شاء المكفر من البلاد وقال عطاء بن ابى رباح وغيره الهدي والاطعام بمكة والصوم

حيث شئت * وقوله سبحانه ليذوق وبال امره الذوق هنا مستعار والوبال سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذى يتأذى به بعد اكله وعبر بامره عن جميع حاله من قتل وتكفير وحكم عليه ومُضيّ ماله او تعبه بالصوم واختلف فى معنى قوله سبحانه عفا الله عما سلف الآية فقال عطاء بن ابى رباح وجماعة معناه عفا الله عما سلف فى جاهليتكم من قتلكم الصيد فى الحرمة ومن عاد الآن فى الاسلام فان كان مستحلا فينتقم الله منه فى الآخرة ويكفّر فى ظاهر الحكم وان كان عاصيا فالنقمة هي فى الزام الكفارة فقط قالوا وكلما عاد المحرم فهو يكفّر قال * ع * ويخاف المتورعون ان تبقى النقمة مع التكفير وهذا هو قول الفقهاء مالك ونظرائه واصحابه رحمهم الله وقال ابن عباس وغيره اما المتعمد فانه يكفر اول مرة وعفا الله عن ذنبه فان اجترأ وعاد ثانيا فلا يحكم عليه ويقال له ينتقم الله منك كما قال الله تعالى * وقوله سبحانه والله عزيز ذو انتقام تنبيه على صفتين تقتضيان خوف من له بصيرة ومن خاف ازدجر ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل قلت والصيد للهو مكروه وروى ابو داود فى سننه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن انتهى * وقوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم الآية البحر الماء الكثير ملحا كان او عذبا وكل نهر كبير بحر وطعامه هو كل ما قذف به وما طفا عليه قاله جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب مالك ومتاعا نصب على المصدر والمعنى متعكم به متاعا تنتفعون به وتأتدمون ولكم يريد حاضرى البحر ومدنه وللسيارة المسافرين واختلف فى مقتضى قوله سبحانه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فتلقاه بعضهم على العموم من

جميع جهاته فقالوا ان المحرم لا يحل له ان يصيد ولا ان يامر من يصيد ولا ان ياكل صيدا صيد من اجله ولا من غير اجله وان لحم الصيد باي وجه كان حرام على المحرم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يرى باسا للمحرم ان ياكل ما صاده حلال لنفسه او لحلال مثله وقال بمثل قول عمر عثمان بن عفان والزبير ابن العوام وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من الحمار الذى صاده ابو قتادة وهو حلال والنبي عليه السلام محرم ثم ذكّر سبحانه بامر الحشر والقيامة مبالغة فى التحذير ولما بان فى هذه الآيات تعظيم الحرم والحرمة بالاحرام من اجل الكعبة وانها بيت الله تعالى وعنصر هذه الفضائل ذكر سبحانه فى قوله جعل الله الكعبة البيت تنبيها سَنّه فى الناس وهداهم اليه وحمل عليه الجاهلية الجهلاء من التزامهم ان العكبة قوام والهدي قوام والقلائد قوام اي امر يقوم للناس بالتامين ووضع الحرب او زارها وأعلم تعالى ان التزام الناس لذلك هو مما شرعه وارتضاه وجعل فى هذه الآية بمعنى صير والكعبة بيت مكة وسمي كعبة لتربيعه قال اهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة. وذهب بعض المتأولين الى ان معنى قوله تعالى قياما للناس اي موضع وجوب قيام بالمناسك والتعبدات وضبط النفوس فى الشهر الحرام ومع الهدي والقلائد قال مكي معنى قياما للناس اي جعلها بمنزلة الرويس الذى يقوم به امر اتباعه فهي تحجزهم عن ظلم بعضهم بعضا وكذلك الهدي والقلائد جعل ذلك ايضا قياما للناس فكان الرجل اذا دخل الحرم امن من عدوه واذا ساق الهدي كذلك لم يعرض له وكان الرجل اذا اراد الحج تقلد بقلادة من شعر واذا رجع تقلد بقلادة من لحاء شجر الحرم فلا يعرض له ولا يوذى حتى يصل الى اهله قال ابن زيد كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ولم يكن فى العرب ملوك

تدفع عن بعضهم ظلم بعض فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض انتهى من الهداية والشهر هنا اسم جنس والمراد الاشهر الثلاثة باجماع من العرب وشهر مصر وهو رجب واما الهدي فكان امانا لمن يسوقه لانه يعلم انه فى عبادة لم يات لحرب واما القلائد فكذلك كان الرجل اذا خرج يريد الحج تقلد من لحاء السَمُر او غيره شيأ فكان ذلك امانا له وكذلك اذا انصرفوا تقلدوا من شجر الحرم وقوله ذلك اشارة الى ان جعل الله هذه الامور قياما * وقوله سبحانه بكل شيء عليم عام عموما تاما فى الجزئيات ودقائق الموجودات والقول بغير هذا الحاد فى الدين وكفر * وقوله سبحانه ما على الرسول الا البلاغ الآية اخبار للمومنين مضمنه الوعيد ان انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ الرسول اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قلت قال الشيخ ابو مدين رضي الله عنه الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر فى كل نفَس وحال فايما قلب رءاه موثرا له حفظه من الطوارق والمحن ومضلات الفتن وقال رحمه الله ما عرف الحق من لم يؤثره وما اطاعه من لم يشكره انتهى * وقوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب الآية لفظ عام فى جميع الامور فيتصور فى المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة والطيب وان قل نافع جميل العاقبة وينظر الى هذه الآية قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا والخبث هو الفساد الباطن فى الاشياء حتى يظن بها الصلاح وهي بخلاف ذلك * وقوله سبحانه فاتقوا الله يا اولى الالباب تنبيه على لزوم الطيب فى المعتقَد والعمل وخُص اولوا الالباب بالذكر لانهم المتقدمون فى ميز هذه الامور والذين لا ينبغي لهم اهمالها مع البابهم وادراكهم * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تسألوا عن

اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية اختلف الرواة فى سببها والظاهر من الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحت عليه الاعراب والجهال بانواع من السؤالات حسبما هو معلوم فى الروايات فزجرهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية واشياء اسم لجمع شيء قال ابن عباس معنى الآية لا تسألوا عن اشياء فى ضمن الانباء عنها مساءة لكم اما بتكليف شرعي يلزمكم واما بخبر يسوءكم ولكن اذا نزل القرءان بشيء وابتدأكم ربكم بامر فحينئذ ان سألتم عن تفصيله و بيانه بُين لكم وابدي ويحتمل قوله وان تسألوا عنها حين ينزل القرءان تبد لكم ان يكون فى معنى الوعيد كانه قال لا تسألوا وان سألتم لقيتم غب ذلك وصعوبته قال النووي وعن ابى ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها رويناه فى سنن الدارقطني انتهى وفى صحيح البخاري عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعونى ما تركتكم انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم انتهى وعفا الله عنها معناه تركها ولم يُعَرِّف بها قد سألها قوم من قبلكم الآية قال الطبري كقوم صالح فى سؤالهم الناقة وكبنى اسراءيل فى سؤالهم المائدة اي وكطلب الامم قديما التعمق فى الدين من انبيائها ثم لم تف بما كلفت * وقوله سبحانه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الآية اي لم يجعل سبحانه شيئا من ذلك ولا سنه لعباده المعنى ولكن الكفار فعلوا ذلك كعمرو بن لحي وغيره من رؤسائهم يفترون على الله الكذب بقولهم هذه قربة الى الله واكثرهم يعنى الاتباع لا يعقلون بل يتبعون هذه

الامور تقليدا وجعل فى هذه الآية لا يتجه ان تكون بمعنى خلق ولا بمعنى صيروانما هي بمعنى ماسن ولا شرع قال * ص * ما جعل ذهب ابن عطية والزمخشري الى انها بمعنى شرع قال ابن عطية ولا تكون بمعنى خلق لان الله تعالى خلق هذه الاشياء كلها ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثانى قال ابو حيان ولم يذكر النحويون لها هذا وقد جاء حذف احد مفعولي ظن واخواتها قليلا فتحمل هذه على حذف المفعول الثانى اي ما صير الله بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاميا مشروعا وهو اولى من اثبات معنى لم يسمع فيها وذكر ابو البقاء انها هنا بمعنى سَمّى انتهى قلت وحاصل كلام ابى حيان انه شهادة على نفي وعلى تقدير صحته فيحمل كلام ابن عطية على انه تفسير معنى لا تفسير اعراب وبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة وبَحَرَشَقّ كانوا اذا نتجت الناقة عشرة بطون شقوا اذنها بنصفين طولا فهي مبحورة وتركت ترعى وترد الماء ولا ينتفع بشيء منها ويحرّم لحمها اذا ماتت على النساء ويحلّل للرجال وذلك كله ضلال والسائبة هي الناقة تسيب للآلهة والناقة ايضا اذا تابعت ثنتي عشرة اناثا ليس فيهن ذكر سيبت وكانت السوائب ايضا فى العرب كالقربة عند المرض يُبرأ منه والقدوم من السفر واذا نزل باحدهم امر يشكر الله تعالى عليه تقرب بان يسيب ناقة فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهرولا غيره يرون ذلك كعتق بنى ءادم ذكره السدي وغيره وكانت العرب تعتقد ان من عرض لهذه النوق فاخذها او انتفع منها بشيء فانه تلحقه عقوبة من الله والوصيلة قال اكثر الناس ان الوصيلة فى الغنم قالوا اذا ولدت الشاة ثلاثة بطون او خمسة فان كان ءاخرها جديا ذبحوه لبيت الآلهة وان كان عَناقا استحيوها وان كان جدي وعناق استحيوهما وقالوا هذه العناق وصلت اخاها فمنعته من ان يذبح

وعلى ان الوصيلة فى الغنم جاءت الروايات عن اكثر الناس وروي عن ابن المسيب ان الوصيلة من الابل واما الحامى فانه الفحل من الابل اذا ضرب فى الابل عشر سنين وقيل اذا ولد من صلبه عشر وقيل اذا ولد من ولد ولده قالوا حمى ظهره فسيبوه لا يركب ولا يسخر فى شيء وعبارة الفخر وقيل الحامى الفحل اذا ركب ولد ولده انتهى قات والذى فى البخاري والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود واذا قضى ضرابه وَدَعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل شيء عليه وسموه الحامي انتهى * وقوله سبحانه واذا قيل لهم يعنى لهؤلاء الكفار المستنّين بهذه الاشياء تعالوا الى ما انزل الله يعنى القرءان الذى فيه التحريم الصحيح قالوا حسبنا معناه كفانا * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الآية قال ابو ثعلبة الخشني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا موثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذى رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذَرْ عوامهم فان وراءكم اياما اجر العامل فيها كاجر خمسين منكم وهذا هو التاويل الذى لا نظر لاحد معه لانه مستوف للصلاح صادر عن النبي عليه السلام وجملة ما عليه اهل العلم فى هذا ان الامر بالمعروف متعين متى رجي القبول او رجي رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الآمر ضررا يلحقه فى خاصته او فتنة يُدخِلها على المسلمين اما بشق عصا واما بضرر يلحق طائفة من الناس فاذا خيف هذا فعليكم انفسكم محكَم واجب ان يوقف عنده * وقوله سبحانه الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون هذا تذكير بالحشر وما بعده وذلك مسلٍّ عن امور الدنيا مكروهها ومحبوبها روي عن بعض الصالحين انه قال ما من يوم لا ويجيء الشيطان فيقول ما تاكل وما

تلبس واين تسكن فاقول له آكل الموت والبس الكفن واسكن القبر قال * ع *
فمن فكر في مرجعه الى الله سبحانه فهذا حاله قلت وخرج البغوي في
المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس انكم
تعملون اعمالا تعزب عنكم الى يوم القيامة وتوشك العوازب ان تثوب الى اهلها
فمسرور بها ومكظوم انتهى من الكوكب الدري والله المستعان * وقوله تعالى
يا ايها الذين ءامنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان
الآية الى قوله يوم يجمع الله الرسل قال مكي هذه الآيات عند اهل المعاني
من اشكل ما في القرءان اعرابا ومعنى وحكما قال * ع * وهذا كلام من لم
يقع له الثلج في تفسيرها وذلك بين من كتابه وبالله نستعين لا نعلم خلافا
ان سبب هذه الآية ان تميما الداري وعدي بن بداء وكانا نصرانيين سافرا الى
المدينة يريدان الشام لتجارتهما وقدم المدينة ايضا ابن ابي مارية مولى
عمرو بن العاصي يريد الشام تاجرا قال الفخر وكان مسلما فخرجوا رفاقة فمرض
ابن ابي مارية في الطريق واوصى الى تميم وعدي ان يؤديا رحله الى اوليائه
من بني سهم وروى ابن عباس عن تميم الداري انه قال برئ الناس من هذه
الآية غيري وغير عدي بن بداء وذكر القصة الا انه قال وكان معه جام فضة
يريد به الملك فاخذته انا وعدي فبعناه بالف وقسمنا ثمنه فلما اسلمت بعد
قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فاتيت اهله
فاخبرتهم الخبر واديت خمسمائة فوثبوا الى عدي فاتوا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحلف عمرو بن العاصي ورجل ءاخر معه ونزعت من عدي خمسمائة
قال * ع * واختلفت الفاظ هذه القصة وما ذكرته هو عمود الامر ولم تصح
لعدي صحبة فيما علمت ولا ثبت اسلامه وقد صنفه في الصحابة بعض

المتأخرين ولا وجه عندى لذكره فى الصحابة واما معنى الآية من اولها الى اخرها فهو ان الله سبحانه اخبر المومنين ان حكمه فى الشهادة على الموصى اذا حضره الموت ان تكون شهادة عدلين فان كان فى سفر وهو الضرب فى الارض ولم يكن معه من المومنين احد فليشهد شاهدين ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة انهما ماكذبا ولا بدّلا وان ما شهدنا به حق ما كتمنا فيه شهادة الله وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك على انهما كذبا او خانا او نحو هذا مما هو اثم حلف رجلان من اولياء الموصى فى السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما هذا معنى الآية على مذهب ابى موسى الاشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وابن جبير وابى مِجْلَز وابراهيم وشُريح وعَبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وغيرهم قالوا ومعنى قوله منكم اي من المومنين ومعنى من غيركم اي من الكافرين قال بعضهم وذلك ان الآية نزلت ولا مومن الا بالمدينة وكانوا يسافرون فى التجارة مع انواع الكفرة واختلفت هذه الجماعة المذكورة فمذهب ابى موسى الاشعري وغيره ان الآية محكمة ومذهب جماعة منهم انها منسوخة بقوله واشهدوا ذوى عدل منكم وبما عليه اجماع جمهور الناس ان شهادة الكفار لا تجوز قال * ع * ولنرجع الآن الى الاعراب ولنقصد القول المفيد لان الناس خلطوا فى تفسير هذه الآية تخليطا شديدا وذكر ذلك والرد عليه يطول وفى تبيين الحق الذى تتلقاه الاذهان بالقبول مقنع والله المستعان فقوله تعالى شهادة بينكم هي الشهادة التى تحفظ لتؤدى ورفعها بالابتداء والخبر فى قوله اثنان وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت معناه اذا قارب الحضور والعامل فى اذا المصدر الذى هو شهادة وهذا على ان تجعل اذا بمنزلة حين لا تحتاج الى جواب ولك ان

تجعل اذا فى هذه الآية المحتاجة الى الجواب لكن استغني عن جوابها بما
تقدم فى قوله شهادة بينكم اذ المعنى اذا حضر احدكم الموت فينبغى ان
يُشهِد وقوله حين الوصية ظرف زمان والعامل فيه حضروان شئت جعلته
بدلا من اذا وقوله ذوا عدل صفة لقوله اثنان ومنكم صفة ايضا بعد صفة
وقوله من غيركم صفة ءلاخران وقوله تحبسونهما صفة ءلاخران ايضا واعترض
بين الموصوف والصفة بقوله ان انتم الى الموت وافاد الاعتراض ان
العدول الى ءاخرين من غير الملة انما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت
فيه واستغني عن جواب ان لما تقدم من قوله او آخران من غيركم وقال
جمهور من العلماء الصلاة هنا صلاة العصر وقال ابن عباس انما هي صلاة الذميين
واما العصر فلا حرمة لها عندهما والفاء فى قوله فيقسمان عاطفة جملة على
جملة لان المعنى تم فى قوله من بعد الصلاة وقوله ان ارتبتم شرط لا يتجه
تحليف الشاهدين الا به والضمير فى قول الحالفين لا نشترى به عائد على
القسم او على اسم الله وقوله لا نشترى جواب يقتضيه قوله فيقسمان بالله
لان اقسم ونحوه يتلقى بما تتلقى به الايمان وقوله ثمنا اي ذا ثمن وخُص
ذو القربى بالذكر لان العرب اميل الناس الى قراباتهم واستسهالهم فى جنب
نفعهم ما لا يستسهل وقوله ولا نكتم شهادة الله اضاف الشهادة اليه تعالى
من حيث هو الآمِر باقامتها الناهى عن كتمانها و روي عن الشعبي وغيره شهادة
بالتنوين الله بقطع الالف دون مد وخفض الهاء وقال ايضا يقف على الهاء
من شهادة بالسكون ثم يقطع الالف المكتوبة من غير مد كما تقدم و روي عنه
كان يقرأ آلله بمد الف الاستفهام فى الوجهين اعنى بسكون الهاء من شهادة
وتحريكها منونة منصوبة و رويت هذه التى هي تنوين شهادة ومد الف

لاستفهام بعدُ عن علي بن ابى طالب قال ابو الفتح انما تسكن هاء شهادة فى الوقف عليها * وقوله سبحانه فان عثر استعارة لما يوقع على علمه بعد خفائه واستحقا اثما معناه استوجباه من الله وكانا اهلا له لانهما ظلَما وخانا * وقوله تعالى فآخران اي اذا عثر على خيانتهما فالأَوْلَيان باليمين واقامة القضية آخران من القوم الذين هم ولاة الميت واستحق عليهم حظهم او نصيبهم او مالهم او ما شئت من هذه التقديرات وقرأ نافع وغيره استحق مضمومة التاء والاوليان على تثنية الاولى وروي عن ابن كثير استحق بفتح التاء وكذلك روى حفص عن عاصم وفى قوله استحق استعارة لانه لا وجه لهذا الاستحقاق الا الغلبة على الحال بحكم انفراد هذا الميت وعدمه لقرابته او لاهل دينه فاستحق هنا كما تقول لظالم يظلمك هذا قد استحق علي مالى او منزلى بظلمه فتشبهه بالمستحق حقيقة اذ تصور تصوره وتملك تملكه وهكذا هي استحق فى الآية على كل حال وان اسندت الى النصيب ونحوه وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابى بكر استحق بضم التاء الاولين على جمع اول ومعناها من القوم الذين استحق عليهم امرهم اذ غُلبوا عليه ثم وصفهم بانهم اولون اي فى الذكر فى هذه الآية وذلك فى قوله اثنان ذوا عدل منكم ثم بعد ذلك قال او آخران من غيركم وقوله فيقسمان يعنى الآخرين اللذين يقومان مقام شاهدي الزور وقولهما لشهادتنا اي لَما اخبرنا نحن به وذكرناه من نص القصة احق مما ذكراه اوّلا وحرفاه وما اعتدينا فى قولنا هذا وقولهما انا اذا لمن الظالمين تبرٍّ فى صيغة الاستعظام والاستقباح للظلم * وقوله تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم الآية الاشارة بذلك هى الى جميع ما حد قبل من حبس الشاهدين من بعد الصلاة لليمين

ثم ان عثر على جورهما ردت اليمين وغرِما فذلك كله اقرب الى اعتدال هذا الصنف فيما عسى ان ينزل من النوازل لانهم يخافون الفضيحة ورد اليمين هذا قول ابن عباس وجمع الضمير فى ياتوا او يخافوا اذ المراد صنف ونوع من الناس والمعنى ذلك الحكم كله اقرب الى ان ياتوا واقرب الى ان يخافوا وباقى الآية بين * وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ذهب قوم الى ان العامل فى يوم ما تقدم من قوله تعالى لا يهدى وذلك ضعيف ورصف الآية وبراعتها انما هو ان يكون هذا الكلام مستانفا والعامل مقدر اما اذكر او تذكروا او احذروا ونحو هذا مما حسن اختصاره لعلم السامع به والاشارة بهذا اليوم الى يوم القيامة وخص الرسل بالذكر لانهم قادة الخلق وهم المكلمون اولا وما ذا اجبتم معناه ما ذا اجابتكم الامم وهذا السؤال للرسل انما هو لتقوم الحجة على الامم واختلف الناس فى معنى قولهم عليهم السلام لا علم لنا قال الطبري ذهلوا عن الجواب لهول المطلع وقاله الحسن وعن مجاهد انه قال يفزعون فيقولون لا علم لنا وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال ابن عباس معنى الآية لا علم لنا الا ما علمتنا انت اعلم به منا وقول ابن عباس حسن وهو اصوب هذه المناحى لانه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الامر اليه اذ هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال فرأوا التسليم والخضوع لعلمه المحيط سبحانه قال مكي قال ابن عباس المعنى لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهو اختيار الطبري وقيل لما كان السؤال عاما يقتضى بعمومه سؤالهم عن سر الامم وعلانيتها ردوا الامر اليه اذ ليس عندهم الا علم الظاهر قال مكي وهذا القول احب الاقوال الي قال ومعنى مسألة الله الرسل عما اجيبوا انما هو لمعنى التوبيخ لمن ارسلوا اليه كما قال تعالى واذا الموءودة سئلت

انتهى من الهداية * وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك الآية قال هنا بمعنى يقول لان ظاهر هذا القول انه في القيامة تقدمة لقوله سبحانه ءانت قلت للناس * وقوله سبحانه واذ تخرج الموتى اي من قبورهم وكف بني اسراءيل عنه عليه السلام هو رفعه حين احاطوا به في البيت مع الحواريين وكذلك منعه منهم قبل ذلك الى تلك النازلة الاخيرة فهناك ظهر عظم الكف * وقوله سبحانه واذ اوحيت الى الحواريين هو من جملة تعديد النعم على عيسى عليه السلام واوحيت في هذا الموضع اما ان يكون وحي الهام او وحي امر وبالجملة فهو القاء معنى في خفاء اوصله سبحانه الى نفوسهم كيف شاء والرسول في هذه الآية عيسى وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون مخاطبة منهم لله سبحانه ويحتمل ان يكون لعيسى * وقوله سبحانه اذ قال الحواريون الآية اعتراض اثناء وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة مضمن الاعتراض اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته بنازلة الحواريين في المائدة اذ هي مثال نافع لكل امة مع نبيها تقتدى بمحاسنه وتزدجر عما ينفر منه من طلب الآيات ونحوه وقرأ الجمهور هل يستطيع ربك بالياء ورفع الباء من ربك والمعنى هل يفعل ربك هذا وهل تقع منه اجابة اليه ولم يكن منهم هذا شك في قدرة الله سبحانه اذ هم اعرف بالله من ان يشكوا في قدرته وقرأ الكساءي هل تستطيع ربك بالتاء ونصب الباء من ربك والمعنى هل تستطيع سؤال ربك وادغم اللام في التاء اعنى الكساءي وقال قوم قال الحواريون هذه المقالة في صدر الامر قبل علمهم بانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويظهر من قوله عليه السلام اتقوا الله ان كنتم مومنين انكار لقولهم واقتراحهم الآيات والتعرض لسخط الله بها وقلة طمانينتهم الى ما قد ظهر ولما خاطبهم عليه السلام بهذه المخاطبة صرحوا

بمقاصدهم التى حملتهم على طلب المائدة فقالوا نريد ان ناكل منها فنشرف فى العالم وتطمئن قلوبنا اي تسكن فكرنا فى امرك بالمعاينة لامر نازل من السماء باعيننا ونعلم علم الضرورة والمشاهدة ان قد صدقتنا فلا تعرضنا الشبه التى تعرض فى علم الاستدلال وهذا يؤيد ان مقالتهم كانت فى مبدإ امرهم ثم استمروا على ايمانهم وصبروا وهلك من كفر وقولهم ونكون عليها من الشاهدين اي من الشاهدين بهذه النازلة الناقلين لها الى غيرنا الداعين الى هذا الشرع بسببها وروي ان الذى نحا بهم هذا المنحى من الاقتراح هو ان عيسى قال لهم مرة هل لكم فى صيام ثلاثين يوما لله سبحانه ثم ان سألتموه حاجة قضاها فلما صاموها قالوا يا معلم الخير ان حق من عمل عملا ان يطعم فهل يستطيع ربك فارادوا ان تكون المائدة عيد ذلك الصوم * وقوله سبحانه قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآية اي اجابهم عيسى عليه السلام الى ما سألوا فيروى انه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلي ويبكى والعيد المجتمع وقوله لاولنا وءاخرنا روي عن ابن عباس ان المعنى يكون مجتمعا لجميعنا اوّلنا وءاخرنا قال فاكل من المائدة حين وضعت اول الناس كما اكل ءاخرهم وءاية منك اي وعلامة على صدقى فاجاب الله تعالى دعوة عيسى عليه السلام وقال انى منزلها عليكم ثم شرط عليهم سبحانه شرطه المتعارف فى الامم انه من كفر بعد ءاية الاقتراح عذب اشد عذاب والجمهور ان المائدة نزلت كما اخبر الله سبحانه واختلفوا فى كيفية ذلك فقال ابو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزا وسمكا وقال عطية المائدة سمكة فيها طعم كل طعام وقال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك ياكلون منه اين ما نزلوا اذا شاءوا وقال عمار بن ياسر سألوا عيسى مائدة يكون عليها طعام لا ينفد فقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تخبئوا او تخونوا فان فعلتم عذبتم قال

فما مضى يوم حتى خبثوا وخانوا يعني بني اسرايل فمسخوا قردة وخنازير وقال ميسرة كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرايل اختلفت عليهم الايدى بكل طعام الا اللحم واكثرَ الناسُ في قصص المائدة مما رأيت اختصاره لعدم سنده * وقوله سبحانه واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الآية اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا القول فقال السدي وغيره لما رفع الله عيسى الى السماء قالت النصارى ما قالت وزعموا ان عيسى امرهم بذلك فسأله تعالى عن قولهم فقال سبحانك الآية ويجيء على هذا قوله وان تغفر لهم اي في التوبة من الكفر لان هذا قاله وهم احياء في الدنيا وقال ابن عباس وجمهور الناس هذا القول من الله انما هو يوم القيامة يقوله الله له على روس الخلائق فيرى الكفار تبريه منهم ويعلمون ان ما كانوا فيه باطل فقال على هذا التاويل بمعنى يقول ونزل الماضي موضع المستقبل لدلالته على كون الامر وثبوته وقوله ءاخرا وان تغفر لهم معناه ان عذبت العالم كله فبحقك فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا اعتراض عليك وان غفرت وسبق ذلك في علمك فلانك اهل لذلك لا معقب لحكمك ولا منازع لك فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتعزى عنهم مع علمه بانهم كفرة قد حتم عليهم العذاب وهذا القول عندى ارجح ويتقوى بما ياتي بعد وهو قوله سبحانه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله سبحانك اي تنزيها لك عن ان يقال هذا وينطق به ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اي ما يكون لبشر محدث ان يدعي الالوهية ثم قال ان كنت قلته فقد علمته لانك احطت بكل شيء علما واحصيت كل شيء عددا فوفق الله عيسى لهذه الحجة البالغة وقوله تعلم ما في نفسي خص النفس بالذكر لانها مظنة الكتم والانطواء

على المعلومات والمعنى ان الله سبحانه يعلم ما فى نفس عيسى ويعلم كل امرة مما
عسى ان لا يكون فى نفسه وقوله ولا اعلم ما فى نفسك معناه ولا اعلم ما عندك
من المعلومات وما احطت به وذكر النفس هنا مقابلة لفظية فى اللسان العربي
يقتضيها الايجاز وهذا ينظر من طرف خفي الى قوله تعالى ومكروا ومكر الله
والله يستهزئ بهم فتسمية العقوبة باسم الذنب انما قاد اليها طلب المقابلة
اللفظية اذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة ثم اقر عيسى عليه السلام لله تعالى
بانه سبحانه علام الغيوب اي ولا علم لى انا بغيب وقوله فلما توفيتنى اي
قبضتنى بالرفع والتصيير فى السماء والرقيب الحافظ المراعى وقوله فانك انت
العزيز اي فى قدرتك الحكيم فى افعالك والمعنى ان يكن لك فى الناس
معذبون فهم عبادك وان يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضى هذا كله
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت هذه العبارة كل مومن
بالله سبحانه وكل ما كان اتقى فهو ادخل فى العبارة وجاءت هذه العبارة مشيرة
الى عيسى عليه السلام فى حاله وصدقه فيحصل له بذلك فى الموقف شرف
عظيم وان كان اللفظ يعمه وسواه ثم ذكر تعالى ما اعده لهم برحمته وطوله جعلنا الله
منهم بمنه وسعة جوده لا رب غيره ولا مرجو فى الداريين سواه وباقى الآية بين
جعل الله ما كتبناه من هذه الاحرف نورا يسعى بين ايدينا بمنه والحمد لله كما
هو اهله وصلى الله على سيد نا محمد وعلى ءاله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام قيل كلها مكية الا ءايات يسيرة

قال ابن عباس نزلت سورة الانعام وحولها سبعون الف ملك لهم زجل يَجْأرون

بالتسبيح قالت وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح * قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور قال علي بن عبد الرحمن اليفرني في شرحه للبرهانية قال الامام الفخر لفظ الحمد معرفا لا يقال الا في حق الله عزوجل لانه يدل على التعظيم ولا يجوز ان يقال الحمد لزيد قاله سيبويه وذكر ابن العربي في القانون عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء احب الى الله من الحمد وابلغ الحمد الحمد لله على كل حال قال ابن العربي وفي بعض الآثار ما من نعمة عظمت الا والحمد لله اعظم منها انتهى قال * ع * وجعل هاهنا بمعنى خلق ولا يجوز غير ذلك قال قتادة والسدي وجمهور من المفسرين الظلمات الليل والنور النهار وقالت فرقة الظلمات الكفر والنور الايمان قال * ع * وهذا على جهة التشبيه صحيح وعلى ما يفهمه عباد الاوثان غير جيد لانه اخراج لفظ بين في اللغة عن ظاهره الحقيقي الى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذى برئ القرءان منه والنور ايضا هنا للجنس * وقوله تعالى ثم دالة على قبح فعل الذين كفروا لان المعنى ان خلقه السموات والارض وغيرها الموجبة لحمده وتوحيده قد تقرر وءاياته قد سطعت وانعامه بذلك على العباد قد تبين فكان الواجب عليهم اخلاص التوحيد له ثم هم بعد هذا كله بربهم يعدلون اي يُسَوّون ويمثلون وعدل الشيء قرينه ومثيله والذين كفروا في هذا الموضع كل من عبد شيئا سوى الله الا ان السابق من حال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاشارة الى عبدة الاوثان من العرب لمجاورتهم له ولفظ الآية ايضا يشير الى المانوية العابدين للنور

القائلين ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام * وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين فالمعنى خلق ءادم من طين * وقوله سبحانه ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده اختلف فى هذين الاجلين فقال الحسن بن ابى الحسن وغيره اجلا اجل الانسان من لدن ولادته الى موته والاجل المسمى عنده من وقت موته الى حشره ووصفه بمسمى عنده لانه استاثر سبحانه بعلم وقت القيامة وقال ابن عباس اجلا الدنيا واجل مسمى الآخرة وقيل غير هذا وتمترون معناه تشكون * وقوله سبحانه وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم قاعدة الكلام فى هذه الآية ان حلول الله فى الاماكن مستحيل تعالى ان يحويه مكان كما تقدس ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان واذا تقرر هذا فقالت فرقة من العلماء تاويل ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة فى المعنى كانه قال وهو الله المعبود فى السموات وفى الارض وعبر بعضهم بان قدر وهو الله المدبر للامر فى السموات والارض وقال الزجاج فى متعلقة بما تضمنه اسم الله من المعانى كما يقال امير المومنين الخليفة فى المشرق والمغرب قال * ع * وهذا عندى افضل الاقوال واكثرها احرازا لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه انه اراد ان يدل على خلقه وءاثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه كلها فى قوله وهو الله اي الذى له هذه كلها فى السموات وفى الارض كانه قال وهو الله الخالق الرازق المحي المحيط فى السموات وفى الارض كما تقول زيد السلطان فى المشرق والمغرب والشام والعراق فلو قصدت ذات زيد لقلت محالا واذا كان مقصد قولك الآمر الناهى الناقض المبرم الذى يعزل ويولى فى المشرق والمغرب فاقمت السلطان مقام هذه كان فصيحا صحيحا فكذلك فى الآية اقام لفظة الله مقام تلك الصفات المذكورة وقالت

فرقة وهو الله ابتداء وخبر تم الكلام عنده ثم استانف وتعلق قوله فى السموات بمفعول يعلم كانه قال وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض * وقوله تعالى يعلم سركم وجهركم و يعلم ما تكسبون خبر فى ضمنه تحذير و زجر وتكسبون لفظ عام لجميع الاعتقادات والاقوال والافعال * وقوله سبحانه وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين تضمنت هذه الآية مذمة هؤلاء الذين يعدلون بالله سواه بانهم يعرضون عن كل آية وكذبوا بالحق وهو محمد عليه السلام وما جاء به قال * ص * من آية من آيات ربهم من الاولى زائدة للاستغراق وما بعدها فاعل بقوله تاتيهم ومن الثانية للتبعيض انتهى * وقوله تعالى فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون هذا وعيد لهم شديد وهذه العقوبات التى توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدر وغيرها وعقوبات الآخرة * وقوله سبحانه الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم هذا حض على العبرة والرؤية هنا رؤية القلب والقرن الامة المقترنة فى مدة من الزمن واختلف فى مدة القرن كم هي فالاكثر على انها مائة سنة وقيل غير هذا وقيل القرن الزمن نفسه وهو على حذف مضاف تقديره من اهل قرن قال عياض فى الاكمال واختلف فى لفظ القرن وذكر الحربي فيه الاختلاف من عشر سنين الى مائة وعشرين ثم قال يعنى الحربي وليس منه شيء واضح وأرى القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى والضمير فى مكناهم عائد على القرن والمخاطبة فى لكم هي للمومنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس والسماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير ومعناه يدرّ عليهم بحسب المنفعة * وقوله سبحانه وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين انشأنا اخترعنا وخلقنا و يظهر من الآية ان القرن انما هو وفاة الاشياخ ثم ولادة الاطفال * وقوله تعالى ولو نزلنا

عليك كتابا فى قرطاس الآية لمّا اخبر عنهم سبحانه بانهم كذبوا بكل ما جاءهم
من آية اتبع ذلك باخبار فيه مبالغة والمعنى ولو نزلنا بمرأى منهم عليك
كتابا اي كلاما مكتوبا فى قرطاس اي فى صحيفة فلمسوه بايديهم يريد انهم
بالغوا فى ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا
سحر مبين * وقوله سبحانه وقالوا لولا انزل عليه ملك اي يصدّق محمدا فى
نبوته ثم رد الله عليهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر قال ابن عباس وغيره
فى الكلام حذف تقديره ولو انزلنا ملكا فكذبوه لقضي الامر بعذابهم ولم ينظروا
حسبما سلف فى كل امة اقترحت بآية وكذبت بعد ان اظهرت اليها وقالت
فرقة لقضي الامر اي لماتوا من هول رؤية الملك فى صورته ويؤيد هذا التاويل
ما بعده من قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فان اهل التاويل مجمعون ان ذلك
لانهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك فى صورته فاذ قد تقعّد انهم لا يطيقون
رؤية الملك فى صورته فالاولى فى قوله لقضي الامر اي لماتوا لهول رؤيته
ثم لا ينظرون اي لا يؤخرون ومما يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين
اللذين صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون فى حرب النبي صلى الله عليه
وسلم للمشركين فسمعا حس الملائكة وقائلا يقول فى السحاب اقدم حيزوم
فانكشف قناع قلب احدهما فمات لهول ذلك فكيف برؤية ملك فى
خلقته وللبسنا اي لفعلنا لهم فى ذلك فعلا ملبسا يطرق لهم الى ان يلبسوا به
وذلك لا يحسن قلت وفى البخاري وللبسنا عليهم ما يلبسون لشبهنا * وقوله
سبحانه ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
بالاسوة فى الرسل وتقوية لنفسه على محاجة المشركين واخبار يتضمن وعيد
مكذبيه والمستهزءين به وحاق معناه نزل واحاط وهي مخصوصة فى الشر يقال

حاق يحيق حيقا * وقوله سبحانه قل سيروا فى الارض حض على الاعتبار بـآثار من مضى ممن فعل مثل فعلهم * وقوله سبحانه قل لمن ما فى السموات والارض قل لله قال بعض اهل التاويل تقدير الكلام قل لمن ما فى السموات والارض فاذا تحيروا فلم يجيبوا قل لله والصحيح من التاويل ان الله عزوجل امر نبيه عليه السلام ان يقطعهم بهذه الحجة والبرهان القطعي الذى لا مدافعة فيه عندهم ولا عند احد ليتقعّد هذا المعتقد الذى بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجه عليه فكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يا ايها الكافرون العادلون بربهم لمن ما فى السموات والارض ثم سبقهم فقال لله اي لا مدافعة فى هذا عندكم ولا عند احد تم ابتدأ يخبر عن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة معناه قضاها وانفذها وفى هذا المعنى احاديث صحيحة ففى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء فاسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه ولمسلم فى طريق آخر كل رحمة منها طباق ما بين السماء والارض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة وخرج مسلم والبخاري وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتى تغلب غضبى وفى طريق سبقت غضبى الى غير ذلك من الاحاديث انتهى قال * ع * فما اشقى من لم تسعه هذه الرحمات تغمدنا الله بفضل منه ويتضمن هذا الاخبار عن الله سبحانه بانه كتب الرحمة تانيس الكفار ونفي ياسهم من رحمة الله اذا انابوا واللام فى قوله ليجمعنكم لام قسم والكلام مستانف وهذا اظهر الاقوال واصحها * وقوله سبحانه الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون الذين رفع بالابتداء وخبره فهم لا يومنون

* وقوله تعالى وله ما سكن فى الليل والنهار الآية وله عطف على قوله لله وسكن هي من السكنى ونحوه اي ما ثبت وتقرر قاله السدي وغيره وقالت فرقة هو من السكون وهو ضعيف * وقوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الآية قال الطبري وغيره امِر عليه السلام ان يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه الى عبادة اوثانهم فتجيء الآية على هذا جوابا لكلامهم قال * ع * وهذا يحتاج الى سند والفصيح انه لما قرر معهم ان الله تعالى له ما فى السموات والارض وله ما سكن فى الليل والنهار امِر ان يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف اغير الله الذى هذه افعاله اتخذ وليا بمعنى ان هذا خطأ بيّن ممن يفعله والولي لفظ عام لمعبود وغير ذلك ثم اخذ فى صفات الله تعالى فقال فاطر بخفض الراء نعت لله عز وجل قال * ص * فاطر الجمهور بالجر ووجّهه ابن عطية وغيره على انه نعت لله وابو البقاء على انه بدل وكانه رأى الفصل بين البدل والمبدل اسهل لان البدل فى المشهور على نية تكرار العامل انتهى وفطر معناه ابتدع وخلق وانشأ وفطر ايضا فى اللغة شق ومنه هل ترى من فطور اي من شقوق ويطعم ولا يطعم المقصود به يرزق ولا يرزق * وقوله قل اني امرت الى عظيم قال المفسرون المعنى اول من اسلم من هذه الامة وبهذه الشريعة ولفظة عصيت عامة فى انواع المعاصي ولكنها هاهنا انما تشير الى الشرك المنهي عنه واليوم العظيم هو يوم القيامة وقرأ نافع وغيره من يصرف عنه مسندا الى المفعول وهو الضمير العائد على العذاب وقرأ حمزة وغيره من يصرف باسناد الفعل الى الضمير العائد الى ربى ويعمل فى ضمير العذاب المذكور لكنه محذوف وقوله وذلك اشارة الى صرف العذاب وحصول الرحمة والفوزُ النجاة * وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو يمسسك معناه يصبك وينلك

والضر بضم الضاد سوء الحال فى الجسم وغيره وبفتحها ضد النفع ومعنى الآية
الاخبار ان الاشياء كلها بيد الله ان ضر فلا كاشف لضره غيره وان اصاب بخير
فكذلك ايضا وعن ابن عباس قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما
فقال يا غلام انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تُجاهك
واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعِن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعتْ
على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف رويناه فى الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفى رواية غير
الترمذي زيادة احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى
الشدة واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك
وفى اخره واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قال
النووي هذا حديث عظيم الموقع انتهى من الحلية وقرأت فرقة وأوْحَى اليّ
هذا القرانَ على بناء الفعل للفاعل ونصب القران وفى اوحى ضمير يعود على الله
تعالى * وقوله لا نذركم به ومن بلغ معناه على قول الجمهور بلاغ القران اي لا
نذركم وانذر من بلغه ففى بلغ ضمير محذوف لانه فى صلة من فحذف
لطول الكلام وقالت فرقة ومن بلغ الحلمَ وروي فى معنى التاويل الاول احاديث
وظاهر الآية انها فى عبدة الاصنام وذكر الطبري انه قد ورد من وجه لم تثبت
صحته انها فى قوم من اليهود قالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال لهم لا اله
الا الله وبذلك امرت فنزلت الآية والله اعلم وامر الله سبحانه نبيه عليه
السلام ان يعلن بالتبرى من شهادة الكفرة والاعلان بالتوحيد لله عز وجل والتبرى
من اشراكهم قال الغزالي فى الاحياء وينبغى للتالى ان يقدر انه المقصود بكل خطاب

فى القرءان فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وكذا ان سمع وعدا او وعيدا وكذا ما يقف عليه من القصص فالمقصود به الاعتبار قال تعالى وكل نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال واوحي الي هذا القرءان لا نذركم به ومن بلغ قال محمد ابن كعب القرظي من بلغه القرءان فكانما كلمه الله عز وجل انتهى * وقوله سبحانه الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال قتادة وغيره يعرفون محمدا عليه السلام وقوله الذين خسروا انفسهم الآية روي ان كل عبد له منزل فى الجنة ومنزل فى النار فالمومنون ينزلون منازل اهل الكفر فى الجنة والكافرون ينزلون منازل اهل الجنة فى النار فهنا هي الخسارة البينة والربح للآخرين وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون المعنى واذكر يوم نحشرهم * وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين الفتنة فى كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى حب الشيء والاعجاب به وتقال بمعنى الاختبار ومن قال ان اصل الفتنة الاختبار من فتنتُ الذهبَ فى النار ثم يستعار بعد ذلك فى غير ذلك فقد اخطأ لان الاسم لا يحكم عليه بمعنى الاستعارة حتى يقطع عليه باستحالة حقيقته فى الموضع الذى استعير له كقول ذى الرمة * ولَفّ الثريا فى ملاءته الفجرُ * ونحوه والفتنة لا يستحيل ان تكون حقيقة فى كل موضع قيلت عليه وباقى الآية مضى تفسيره عند قوله سبحانه ولا يكتمون الله حديثا فانظره هناك قال * ع * وعبر قتادة عن الفتنة هنا بان قال معذرتهم وقال الضحاك كلامهم وقيل غير هذا مما هو فى ضمن ما ذكرناه * وقوله سبحانه انظر كيف كذبوا على انفسهم هذا خطاب للنبي صلى

الله عليه وسلم والنظر نظر القلب وقال كذبوا فى امرلم يقع اذ هي حكاية عن يوم القيامة فلا اشكال فى استعمال الماضى فيها موضع المستقبل ويفيدنا استعمال الماضى تحقيقا فى الفعل واثباتا له وهذا مهيع فى اللغة وضل عنهم معناه ذهب افتراؤهم فى الدنيا وكذبهم على الله * وقوله سبحانه ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة الآية اكنة جمع كنان وهو الغطاء ان يفقهوه اي يفهموه والوقر الثقل * وقوله سبحانه وان يروا كل ءاية لا يومنوا بها الرؤية هنا رؤية العين يريد كانشقاق القمر وشبهه وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اشارة الى القرءان والاساطير جمع اسطار كاقوال واقاويل واسطار جمع سطْر او سطَر وقيل اساطير جمع إسْطارة وهي التُرّهات وقيل جمع أُسْطورة كاعجوبة واضحوكة وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشماطيط والمعنى اخبار الاولين وقصصهم واحاديثهم التى تسطر وتحكى ولا تحقق كالتواريخ وانما شبهها الكفار باحاديث النضر بن الحارث وعبد الله بن ابى امية عن رستم ونحوه ومجادلة الكفار كانت مرادّتهم نور الله باقوالهم المبطلة وهم ينهون عنه قال قتادة وغيره المعنى ينهون عن القرءان وقال ابن عباس وغيره ينهون عن النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ينهون غيرهم ويبعدون هم بانفسهم والنأي البعد قال * ص * وان يهلكون ان نافية بمعنى ما وانفسهم مفعول بيهلكون انتهى وما يشعرون معناه ما يعلمون علم حس ونفيُ الشعور مذمة بالغة اذ البهائم تشعر وتحس فاذا قلت فلان لا يشعر فقد نفيت عنه العلم النفي العام الذى يقتضى انه لا يعلم ولا المحسوسات * وقوله جلّت عظمته ولو ترى اذ وقفوا على النار الآية المخاطبة فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف تقديره فى ءاخر الاية لرايت هولا عظيما ونحوه ووقفوا معناه حسبوا ويحتمل

قوله وقفوا على النار بمعنى دخلوها قاله الطبري ويحتمل ان يكون اشرفوا عليها وعاينوها وقولهم يا ليتنا نرد معناه الى الدنيا * وقوله سبحانه بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل الآية يتضمن انهم كانوا يخفون امورا في الدنيا فظهرت لهم يوم القيامة اوظهر وبالُ ذلك وعاقبته فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان الكفار كانوا اذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا واخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بهم اتباعهم فظهر لهم ذلك يوم القيامة ويصح ان يكون مقصد الآية الاخبار عن هول ما لقوه فعبر عن ذلك بانهم ظهرت لهم مستوراتهم في الدنيا من معاص وغيرها فكيف الظن بما كانوا يعلنونه من كفر ونحوه وينظر الى هذا التاويل قوله تعالى في تعظيم شان يوم القيامة يوم تبلى السرائر * وقوله سبحانه ولو ردوا لعادوا اخبار عن امر لا يكون كيف كان يوجد وهذا النوع مما استاثر الله تعالى بعلمه فان اعلم بشيء منه علم والا لم يُتكلم فيه قال الفخر قال الواحدي هذه الآية من الادلة الظاهرة على فساد قول المعتزلة لان الله تعالى حكى عن هؤلاء انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وما ذاك الا للقضاء السابق فيهم انتهى * وقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين هذا على تاويل الجمهور ابتداء كلام واخبار عنهم بهذه المقالة وان نافية ومعنى الآية عنهم التكذيب بالحشر والعودة الى الله * وقوله سبحانه اليس هذا بالحق الاشارة بهذا الى البعث الذى كذبوا به في الدنيا وقولهم بلى وربنا ايمان ولكنه حين لا ينفع * وقوله فذوقوا استعارة بليغة والمعنى باشروه مباشرة الذائق وبغتة معناه فجأة تقول بغتني الامر اي فجأني ومنه قول الشاعر

ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة * وافظع شيء حين يفجأك البغت

ونصبها على المصدر في موضع الحال وقولهم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها نداء

الحسرة على تعظيم الامر وتشنيعه وفرطنا معناه قصّرنا والضمير فى قوله فيها عائد على الساعة اي فى التقدمة لها قاله الحسن ويحتمل ان يعود الضمير على الدنيا اذ المعنى يقتضيها وتجيء الظرفية امكن قلت قال عبد الحق فى العاقبة لا يعرف مقدار الحياة الا الموتى لانهم قد ظهرت لهم الامور وانكشفت لهم الحقائق وتبدت لهم المنازل وعلموا مقدار الاعمال الصالحة ولما استبان لهم ذلك وعلموا مقدار ما ضيعوا وقيمة ما فيه فرطوا ندموا واسفوا وودوا انهم الى الدنيا رجعوا فالذى عمل صالحا ودّ ان لو رجع الى الدنيا ليزداد من عمله الصالح ويكثر من تجره الرابح والمقصر يود انه لو رد ليستدرك ما فيه فرّط وقد قال عليه السلام ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع خرجه الترمذي انتهى * وقوله تعالى وهم يحملون الواو واو الحال والاوزار جمع وزر بكسر الواو وهو الثقل من الذنوب والوزر هنا تجوز وتشبيه بثقل الاحمال ومن قال انه من الوزَر وهو الجبل الذى يلجأ اليه فهو قول غير بين وقال الطبري وغيره هذا على جهة الحقيقة ورووا فى ذلك خبرا ان المومن يلقاه عمله فى احسن صورة وافوحها فيسلم عليه ويقول طال ما ركبتك فى الدنيا واجهدتك فاركبنى اليوم قال فيحمله تمثال العمل وان الكافر يلقاه عمله فى اقبح صورة وانتنها فيشتمه ويقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتنى فى الدنيا بشهواتك فانا اركبك اليوم قال فيحمل تمثال عمله الخبيث واوزاره على ظهره قلت والاحاديث الصحيحة فى معنى ما ذكره الطبري كثيرة كاحاديث مانعى الزكاة وغيرها قال مكي وروى المقبري عن ابى هريرة فى حديث يرفعه قال اذا كان يوم القيامة بعث الله مع كل امرئ مومن عمله وبعث مع الكافر عمله فلا يرى المومن شيئا يروعه ولا

شيـئـا يفزعه ويخافه الا قال له عمله ابشر بالذى يسرك فانك لست بالذى يراد
بهذا ولا يرى الكافر شيئـا يفـزعه ويروعه ويخـافه الا قال له عمـله ابشر يا عدو الله
بالذى يسوءك فوالله انك لانت الذى تراد بهذا انـتهـى * وقوله سبحانه
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو الآية هذا ابتداء خبر عن حال الدنيا والمعنى انها
اذ كانت فانية لا طائـل لها اشبهـت اللعب واللهـو الذى لا طائل له اذا تـقضـى
وهذه الآية تـتضمن الرد على قولهـم ان هي الا حياتـنـا الدنيا وهو المقصود بها قال
عبد الحـق فى العاقبة اعلم رحمك الله ان حب الدنيا هو سبـب طول الامـل
والاكبـابُ عليها يمنـع من الفكـرة فى الخـروج عنها والجهـل بغوائلها يحمل على
الارادة لها والازديـاد منها لان من احب شيـئـا احب الكون معه والازديـاد منه
ومن كان مشغوفـا بالدنيا محبا لها قد خدعته بزخرفها وامالته برونـقهـا كيف يحب
مفارقـتهـا او يحب مزايلـتـهـا هذا امر لم تجر العادة به ولاحُدِّثْـنـا عنه بل نجد من
كان على هذه الصفـة اعمى عن طريـق الخير اصم عن داعى الرشد أفِـن الرأي
سيّئ النظر ضعيف الايمـان لم تـتـرك له الدنيا ما يسمـع به ولا ما يرى انما دينه
وشغلـه وحديثـه دنياه لها ينظر ولها يسمع قد ملأت عينه وقلبه ثم قال واعلم ان اهل
القبور انما ينـدَمـون على ما يتركـون ويفرحون بما يُـقـدِّمـون فما عليه اهل القبـور
يندمون اهل الدنيا عليه يقـتـتـلون انـتهى * وقوله سبحانه قد نعلم الآية نعلم
اذا كانت من الله تعالى تـتـضمن استمرار العلم وقِـدَمـه فهي تعم الماضي والحال
والاستـقبال قلت ونحوهذا لابى حيان قال وعبر هنا بالمضارع لان المراد الاتصاف
بالعلم واستمراره ولم يلحظ فيه الزمان كقولهم فلان يعطى ويمنـع انـتهى وقرأ نافع
وحده ليحزنـك من احزن وقرأ الباقون ليحزُنـك من حزنت الرجل وقرأ ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة لا يكذبونـك بتشديد الذال وفتـح الكاف

وقرأها ابن عباس وردها على قارئى قرأ عليه يكذبونك بضم الياء وقال انهم كانوا يسمونه الامين وقرأ نافع والكساءي بسكون الكاف وتخفيف الذال وهما قراءتان مشهورتان صحيحتان وهما بمعنى واحد فمعنى لا يكذبونك اي لا يعتقدون كذبك وانهم يعلمون صدقك ولكنهم يجحدون عنادا وظلما وهذا تاويل قتادة والسدي وغيرهما وحكي عن طائفة من الكفار انها كانت تقول انا لنعلم ان محمدا صادق ولكن اذا امنا به فضلنا بنو هاشم بالنبوءة فنحن لا نومن به ابدا رويت هذه المقالة عن ابى جهل ومن جرى مجراه واسند الطبري ان جبريل وجد النبي صلى الله عليه وسلم حزينا فسأله فقال كذبنى هؤلاء فقال انهم لا يكذبونك بل يعلمون انك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وجحد العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظواهر القرءان تعطيه ويجحدون حقيقته فى كلام العرب الانكار بعد معرفة وهو ضد الاقرار * وقوله سبحانه ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية قال ابن جريج والضحاك عزى الله بهذه الآية نبيه عليه السلام ثم قوّى سبحانه رجاء نبيه فيما وعده من النصر بقوله ولا مبدل لكلمات الله اي لاراد لامره وكلماته السابقة بما يكون فكأن المعنى فاصبر كما صبروا وانتظر ما ياتى وثق بهذا الاخبار فانه لا مبدل له * وقوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية فيها الزام الحجة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم الاحوال عليه حتى يبين ان لا وجه الا الصبر والمعنى ان كنت تعظم تكذيبهم وكفرهم على نفسك وتلتزم الحزن فان كنت تقدر على دخول سَرَب فى اعماق الارض او على ارتقاء سلم فى السماء فافعل اي ولست بقادر على شيء من هذا ولا بُد لك من التزام الصبر واحتمال المشقة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين فى ان تأسف وتحزن على امر اراده الله وامضاه

وروى الدارقطني فى سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصاب
احدكم هم او حزن فليقل سبع مرات الله الله ربى لا اشرك به شيئا انتهى
من الكوكب الدري وتاتيهم بئاية اي بعلامة وقال مكي والمهدوي الخطاب
بقوله فلا تكونن من الجاهلين للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وهذا
ضعيف لا يقتضيه اللفظ قلت وما قاله * ع * فيه عندى نظر لان هذا
شان التاويل اخراج اللفظ عن ظاهره لموجب على ان ابا محمد مَكِّيا رحمه الله
نقل هذا القول عن غيره نقلا ولفظه فلا تكونن من الجاهلين اي ممن لا يعلم
ان الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه وقيل معنى الخطاب لامة النبي
صلى الله عليه وسلم والمعنى فلا تكونوا من الجاهلين ومثله فى القرءان كثير انتهى
من الهداية * وقوله سبحانه انما يستجيب الذين يسمعون هذا من النمط
المتقدم فى التسلية اي لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لداعى الايمان
الذين يفهمون الآيات ويتلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون
اذ هو طريق العلم وهذه لفظة تستعملها الصوفية رضي الله عنهم اذا بلغت الموعظة
من احد مبلغا شافيا قالوا سمع ثم قال تعالى والموتى يريد الكفار اي هم بمثابة
الموتى فعبر عنهم بضد ما عبر عن المومنين وبالصفة التى تشبه حالهم فى العمى
عن نور الله والصمم عن وعي كلماته قاله مجاهد والحسن وقتادة ويبعثهم الله
يحتمل معنيين قال الحسن معناه يبعثهم بان يومنوا حين يوفقهم وقراءة الحسن
ثم اليه ترجعون بالتاء من فوق فتناسبت الآية وقال مجاهد وقتادة والموتى
يريد الكفار يبعثهم الله اي يحشرهم يوم القيامة ثم اليه اي الى سطوته وعقابه
يرجعون * وقوله سبحانه وقالوا لولا نزل عليه ءاية من ربه لولا تحضيض
بمعني هلا ومعنى الآية هلا نزل على محمد ببيان واضح كملك يشهد له او كنز

او غير ذلك من تشططهم المحفوظ فى هذا ثم امر عليه السلام بالرد عليهم بان الله عزوجل قادر على ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون انها لو نزلت ولم يومنوا لعوجلوا بالعذاب ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون انه سبحانه انما جعل الانذار فى ءايات معرضة للنظر والتأمل ليهتدي قوم ويضل ءاخرون * وقوله سبحانه وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم المعنى فى هذه الآية التنبيه على ءايات الله الموجودة فى انواع مخلوقاته المنصوبة لمن فكّر واعتبر كالدواب والطير ويدخل فى هذين جيع الحيوان وهي امم اي جماعات مماثلة للناس فى الخلق والرزق والحياة والموت والحشر ويحتمل ان يريد بالمماثلة فى كونها امما لا غير الا ان الفائدة فى هذه الآية بان تكون المماثلة فى اوصاف غير كونها امما قال الطبري وغيره والمماثلة فى انها يهتبل باعمالها وتحاسب ويقتص لبعضها من بعض على ما روي فى الاحاديث اي فاذا كان هذا يفعل بالبهائم فانتم احرى اذ انتم مكلفون عُقَلاء وروى ابو ذر انه انتطحت عنزان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتعلمون فيما انتطحتا قلنا لا قال فان الله يعلم وسيقضي بينهما وقال مكي المماثلة فى انها تعرف الله وتعبده وقوله بجناحيه تاكيد وبيان وازالة للاستعارة المتعاهدة فى هذه اللفظة اذ يقال طائر السعد والنحس وقال تعالى الزمناه طائره فى عنقه ويقال طار لفلان طائر كذا اي سهمه فى المقتسمات فقوله تعالى بجناحيه اخراج للطائر عن هذا كله * وقوله سبحانه ما فرطنا فى الكتاب من شيء التفريط التقصير فى الشيء مع القدرة على ترك التقصير قال ابو حيان اصل فرطنا ان يتعدى بفى ثم يضمن معنى اغفلنا فيتعدى الى مفعول به وهو هنا كذلك فيكون من شيء فى موضع المفعول به انتهى والكتاب القرءان وهو الذى يقتضيه نظام المعنى فى هذه الآيات وقيل اللوح المحفوظ ومن شيء

على هذا القـول عام فى جميع الاشياء وعلى القول بانه القـرءان خاص ويحشـرون قالت فرقـة من العلماء حشر البهائم بعثها واحتجـوا بالاحاديـث المضمنة ان الله تعالى يقتص للجماء من القرناء ومن قال انما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة فهو قول مردود ينحو الى القول بالرموز ونحوها * وقوله سبحانه والذيـن كذبوا بـئـاياتنا صم وبكم الآية كانه قال وما من دابة ولا طائر ولا شيء الا وفيه ءاية منصوبة دالة على وحدانيـة الله تعالى ولكن الذيـن كذبوا بـئـاياتـنا صم وبكم لا يتلقـون ذلك ولا يقبلونه وظاهر الآيـة انها تعم كل مكذب وقال النقـاش نـزلت فى بنى عبد الدار قال * ع * ثم تنسحب على سواهم وقوله فى الظلمات ينـوب عن عمي وفى الظلمـات اهول عبارة وافصح واوقـع فى النفـس قال ابو حيـان فى الظلمـات خبر مبتدإ محذوف اي هم فى الظلمات او صفـة لبكم اي كائنـون فى الظلمات او حال من الضمير المقدر فى الخبر اي صالـون فى الظلمـات انتهى * وقوله سبحانه قل ارأيتكم ابتداء احتجاج على الكفار الجاعلين لله شركاء والمعنى ارأيتم اذا خفتم عذاب الله او خفتم هلاكا او خفتم الساعـة اتدعـون اصنامكم وتلجـئـون اليها فى كشف ذلك ان كنتم صادقين فى قولكم انها ءالهة بل انما تدعون الله الخالـق الرازق فيكشف ما خفتموه ان شاء وتنسون اصنامكم اي تتركونهم فعبر عن الترك باعظم وجوهه الذى هو مع الترك ذهول واغفال فكيف يجعل الاها من هذه حاله فى الشدائـد والازمـات * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا الى امم من قبلـك فاخذناهـم فى الكلام حذف تقديـره فكذبـوا فاخذناهم اي تابعناهم بالبـأسـاء الآية والبـأسـاء المصائب فى الاموال والضراء فى الابدان هذا قول الاكثر وقيل قد يوضـع كل واحد بدل الآخر والتضـرع التذلل والاستكانـة ومعنى الآيـة توعد الكفـار وضرب المثل لهم ولولا تحضيض وهي التى تلى الفعل بمعنى

هلا وهذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب واظهار سوء فعله مع تحسر ما عليه قلت اي مع تحسر ما باعتبار حالة البشر * وقوله سبحانه فلما نسوا ما ذكروا به الآية عبر عن الترك بالنسيان وفتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من النعم الدنيوية بعد الذى اصابهم من البأساء والضراء وفرحوا معناه بطروا واعجبوا وظنوا ان ذلك لا يَبيد وانه دال على رضى الله عنهم وهو استدراج من الله تعالى وقد روي عن بعض العلماء رحم الله عبدا تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاءون على معاصيهم فذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية كلها واخذناهم فى هذا الموضع معناه استأصلناهم بغتة اي فجأة والمبلس الحزين الباهت اليائس من الخير الذى لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال * وقوله تعالى فقطع دابر القوم الآية الدابر آخر القوم الذى ياتى من خلفهم وهذه كناية عن استيصال شافتهم ومحو آثارهم كانهم وردوا العذاب حتى ورد آخرهم الذى دَبَرهم وحُسن الحمد عقب هذه الآية لجمال الافعال المتقدمة فى ان ارسل سبحانه الرسل ولطف فى الاخذ بالبأساء والضراء ليتضرع اليه فيرحم وينعم وقطع فى آخر الامر دابر ظَلمة وذلك حسن فى نفسه ونعمة على المومنين فحسن الحمد عقب هذه الافعال وبحمده سبحانه ينبغى ان يُختم كل فعل وكل مقال اذ هو المحمود على كل حال لا رب غيره ولا خير الا خيره * وقوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الآية اخذ معناه اذهب والضمير فى به عائد على الماخوذ ويصدفون معناه يعرضون و ينفرون ومنه قول الشاعر

اذا ذكرن حديثا قلن احسنه * وهنّ عن كل سوء يُتقّى صُدُفُ

* وقوله تعالى قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة الآية وعيد وتهديد قال

* ع * ارأيتم عند سيبويه تتنزل منزلة اخبروني ولذلك لا تحتاج الى مفعولين وقوله بغتة معناه لم يتقدم عندكم منه علم وجهرة معناه تبدو لكم مخايله ومباديه ثم يتوالى حتى ينزل قال الحسن بن ابى الحسن بغتة ليلا وجهرة نهارا وقال مجاهد بغتة فُجاءة آمنين وجهرة وهم ينظرون قال ابو حيان هل يهلك هل حرف استفهام معناه هنا النفي اي ما يهلك ولذلك دخلت الا على ما بعدها انتهى * وقوله سبحانه وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي الا ليبشروا بانعامنا ورحمتنا من آمن ومنذرين بعذابنا وعقابنا من كذب وكفر قال ابو حيان مبشرين ومنذرين حال فيها معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير والانذار انتهى ثم وعد سبحانه من سلك طريق البشارة فآمن واصلح فى امتثال الطاعة واوعد الآخرين * وقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك الآية هذا من الرد على القائلين لولا نزل عليه آية والطالبين ان ينزل ملك او تكون له جنة اوكنز ونحو هذا والمعنى انما انا بشر وانما اتبع ما يوحى الي وهو القرآن وسائر ما ياتيه من الله سبحانه اي وفى ذلك عبر وآيات لمن تأمل * وقوله سبحانه قل هل يستوى الاعمى والبصير اي هل يستوى المومن المفكِّر فى الآيات مع الكافر المعرض عن النظر افلا تتفكرون وجاء الامر بالفكرة فى عبارة العرض والتحضيض * وقوله تعالى وانذر به اي وانذر بالقرآن الذين هم مظنة الايمان واهل للانتفاع والضمير فى به عائد على ما يوحى * وقوله سبحانه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اخبار من الله سبحانه عن صفة الحال يوم الحشر قال الفخر قوله لعلهم يتقون قال ابن عباس معناه وانذرهم لكي يخافوا فى الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصى انتهى * وقوله سبحانه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي المراد

بالذين ضعفة المومنيـن فى ذلـك الوقت فى امـور الدنيا كبلال وصهيب وعمار وخباب وصُبيْح وذى الشِّمالين والمقداد ونحوهم وسبب الآيـة ان بعض اشراف الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن لشرفنـا واقدارنـا لا يمكننـا ان نختلط بهـؤلاء فلو طردتهم لا تبعناك ورد فى ذلك حديث عن ابن مسعود وظاهر الامر انهـم ارادوا بذلـك الخديعة فنـزلت الآية ويدعـون ربهم بالغداة والعشي قـال الحسن بن ابى الحسن المـراد به صلاة مكة التى كانت مرتيـن فى اليوم بكرة وعشيا وقيـل قولـه بالغداة والعشي عبـارة عن استمـرار الفعـل وان الزمـان معمور به والمراد على هذا التأويل قيل الصلوات الخمس قـاله ابن عباس وغيره وقيـل الدعاء وذكـر الله واللفظة على وجهها وقيـل القرءان وتعلمه قاله ابو جعفر وقيـل العبـادة قاله الضحاك * وقوله تعـالى يريـدون وجهه قلت قال الغزالي فى الجواهـر النية والعمـل بهمـا تمـام العبادة فالنيـة احد جزءي العبـادة لكنها خير الجزءين ومعنى النيـة ارادة وجه الله سبحانه بالعمل قـال الله تعالى ولا تطـرد الذيـن يدعـون ربهم بالغـداة والعشي يريـدون وجهه ومعنى اخلاصها تصفية الباعث عن الشوائب ثم قال الغـزالي واذا عرفت فضل النية وانها تحل حدقة المقصود فاجتهد ان تستكثر من النية فى جميع اعمالـك حتى تـنوي بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك لهديت لطريـق رشدك انتهـى * وقوله سبحانه ما عليك من حسابهم من شيء قـال الحسن والجمهور اي من حساب عملهم والمعنى انك لم تكـلف شيـئـا غيـر دعائهم وقوله فـتطردهم هو جواب النـفي فى قولـه ما عليـك وقوله فتكـون جواب النهـي فى قوله ولا تطرد * وفتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا وليقولوا معناه ليصير بحكم القدر امرهم الى ان يقولـوا على جهة الاستخفاف والـهزء اهـؤلاء من الله عليهم من بيننا فاللام

فى ليقولوا لام الصيرورة * وقوله سبحانه اليس الله باعلم بالشاكرين اي يا ايها المستخفون ليس الامر امر استخفاف فالله اعلم بمن يشكر نعمه * وقوله سبحانه واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية قال جمهور المفسرين هؤلاء هم الذين نهى الله عن طردهم وشفع ذلك بان امر سبحانه ان يسلم النبي عليه السلام عليهم ويؤنسهم قال خباب بن الارت لما نزلت واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا الآية فكنا ناتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لنا سلام عليكم ونقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية فكان يقعد معنا فاذا بلغ الوقت الذى يقوم فيه قمنا وتركناه حتى يقوم وسلام عليكم ابتداء والتقدير سلام ثابت اوواجب عليكم والمعنى امنة لكم من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ولفظه لفظ الخبر وهو فى معنى الدعاء قال الفخر قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة النفس هاهنا بمعنى الذات والحقيقة لا بمعنى الجسم والله تعالى مقدس عنه انتهى قلت قال ابن العربي فى كتاب تفسير الافعال الواقعة فى القروان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة قال علماؤنا كتب معناه اوجب وعندى انه كتب حقيقة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة انتهى وقرأ عاصم وابن عامر انه بفتح الهمزة فى الاولى والثانية فانه الاولى بدل من الرحمة وانه الثانية خبر ابتداء مضمر تقديره فامره انه غفور رحيم هذا مذهب سيبويه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكساءي انه بكسر الهمزة فى الاولى والثانية وقرأ نافع بفتح الاولى وكسر الثانية والجهالة فى هذا الموضع تعم التى تضاد العلم والتى تشبه بها وذلك ان المتعمد لفعل الشيء الذى قد نهي عنه تسمى معصيته تلك جهالة قال مجاهد من

الجهالة ان لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته ان يركب الامر قلت اي يتعمده ومن الجهالة التى لا تضاد العلم قوله صلى الله عليه وسلم فى استعاذته او اجهل او يُجهل علي ومنها قول الشاعر

الا لا يجهلنْ احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال الفخر قال الحسن كل من عمل معصية فهو جاهل فقيل المعنى انه جاهل بمقدار ما فاته من الثواب وما استحقه من العقاب قلت وايضا فهو جاهل بقدر من عصاه انتهى والاشارة بقوله تعالى وكذلك نفصل الآيات الى ما تقدم من النهي عن طرد المومنين وبيان فساد منزع العارضين لذلك وتفصيل الآيات تبيينها وشرحها واظهارها قلت ومما يناسب هذا المحل ذكر شيء مما ورد فى فضل المصافحة وقد اسند ابو عمر فى التمهيد عن عبد الرحمن بن الاسود عن ابيه وعلقمة انهما قالا من تمام التحية المصافحة وروى مالك فى الموطإ عن عطاء الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغِل . وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء قال ابو عمر فى التمهيد هذا الحديث يتصل من وجوه شتى حسان كلها ثم اسند ابو عمر من طريق ابى داود وغيره عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ثم اسند ابو عمر عن البراء بن عازب قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدى فقلت يا رسول الله ان كنت لاحسب ان المصافحة للعجم فقال نحن احق بالمصافحة منهم ما من مسلمين يلتقيان فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما واسند ابو عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان فتصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذى بدأ

بالمصافحة وعشرة للذى صوفح وكان احبهما الى الله احسنهما بشرا بصاحبه انتهى
وقد ذكرنا طرفا من آداب المصافحة فى غير هذا الموضع فقف عليه واعمل به
ترشد فان العلم انما يراد للعمل وبالله التوفيق وخص سبيل المجرمين بالذكر
لانهم الذين آثروا ما تقدم من الاقوال وهو اهم فى هذا الموضع لانها ءايات رد
عليهم وايضا فتبيين سبيلهم يتضمن بيان سبيل المومنين وتأول ابن زيد ان
قوله المجرمين معنيّ به الآمرون بطرد الضعفة * وقوله سبحانه قل انى
نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم الآية امر الله
سبحانه نبيه عليه السلام ان يجاهرهم بالتبرى مما هم فيه وتدعون معناه
تعبدون ويحتمل ان يريد تدعون فى اموركم وذلك من معنى العبادة واعتقادهم
الاصنام ءالهة * وقوله تعالى قل انى على بينة من ربى المعنى قل انى
على امر بين وكذبتم به الضمير فى به عائد على بين او على الرب وقيل على
القرءان وهو جلي وقال بعض المفسرين الضمير فى به الثانى عائد على ما والمراد
بها الآيات المقترحة على ما قال بعض المفسرين وقيل المراد به العذاب وهو
يترجح من وجهين احدهما من جهة المعنى وذلك ان قوله وكذبتم به يتضمن
انكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب الا انه ليس عندى والآخر من جهة لفظ
الاستعجال الذى لم يات فى القرءان الا للعذاب واما اقتراحهم للآيات فلم
يكن باستعجال * وقوله ان الحكم الا لله اي القضاء والانفاذ ويقص الحق اي
يخبر به والمعنى يقص القصص الحق وقرأ حمزة والكساءي وغيرهما يقضى الحق
اي ينفذه * وقوله سبحانه قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضي الامر
بينى وبينكم المعنى لو كان عندى الآيات المقترحة او العذاب على التاويل
الآخر لقضي الامر اي لوقع الانفصال وتم النزاع لظهور الآية المقترحة او لنزول

العـذاب بحسب التأويلين وقيـل المعنـى لقامت القيامـة وقوله والله اعلـم بالظالميـن يتضمن الوعيـد والتهديـد * وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو مفاتح جمع مفتح وهذه استعـارة عبارة عن التوصل الى الغيـوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتـاح الى المغيب ولو كان جمع مفتـاح لقال مفاتيح ويظهر ايضا ان مفاتح جمع مفتح بفتح الميـم اي مواضع تـفتح عن المغيبـات ويؤيـد هذا قول السدي وغيره مفاتح الغيب خزائن الغيب فاما مفتح بالكسر فهو بمعنى مفتاح قـال الزهراوي ومفتح افصح وقـال ابـن عباس وغيـره الاشارة بمفاتح الغيب هي الى الخمسة في اخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الآية قلت وفي صحيح البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنـده علم الساعة وينـزل الغيث ويعلـم ما في الارحام وما تدري نـفس ما ذا تكسب غدا وما تـدري نـفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير انتهى * وقوله سبحانه من ورقـة اي من ورق النبـات ولا حبة في ظلمات الارض يريـد في اشـد حال التغييب وحكى بعض الناس عن جعفـر بن محمد قـولا ان الورقة يـراد بها السقط من اولاد بني ادم والحبة يراد بها الذى ليس بسقط والرطب يـراد به الحي واليابس يـراد به الميت وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه * وقوله تعالى الا في كتاب مبيـن قيل يعني كتابا على الحقيقة ووجه الفائدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة وذلك انه روي ان الحفظة يرفعون ما كتبوه ويعارضونه بهذا الكتـاب المشار اليه ليتحققـوا صحة ما كتبوه وقيل المراد بقوله الا في كتاب علم الله عـز وجل المحيط بكل شي. قـال الفخر وهذا هو الاصوب ويجوز ان يقال ذكـر تعالى ما ذكـر من الورقة والحبة تنبيها للمكلفين على امر

الحساب انتهى قال مكي قال عبد الله بن الحارث ما فى الارض شجر ولا مغرز ابرة الا عليها ملك موكل ياتى الله بعلمها بيبسها اذا يبست ورطوبتها اذا رطبت وقيل المعنى فى كتبها انه لتعظيم الامر ومعناه اعلموا ان هذا الذى ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف ما فيه ثواب او عقاب انتهى من الهداية

* وقوله سبحانه وهو الذى يتوفاكم بالليل يعنى به النوم ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم بالنهار ويحتمل ان يكون جرحتم هنا من الجرح كأن الذنب جرح فى الدين والعرب تقول جرح اللسان كجرح اليد ويبعثكم يريد به الايقاظ والضمير فى فيه عائد على النهار قاله مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود الضمير على التوفى اي يوقظكم فى التوفى اي فى خلاله وتضاعيفه قاله عبد الله بن كثير وليقضى اجل مسمى المراد به اجال بنى ءادم ثم اليه مرجعكم يريد بالبعث والنشور ثم ينبئكم اي يعلمكم اعلام توقيف ومحاسبة ففى هذه الآية ايضاح الآيات المنصوبة للنظر وفيها ضرب مثال للبعث من القبور لان هذا ايضا اماتة وبعث على نحو ما * وقوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده القاهر ان اخذ صفة فعل اي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب فيصح ان تجعل فوق ظرفية للجهة لان هذه الاشياء انما تعاهدها العباد من فوقهم وان اخذ القاهر صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز ان تكون للجهة وانما هي لعلو القدر والشان على حد ما تقول الياقوت فوق الحديد والاحرار فوق العبيد ويرسل عليكم معناه يبثهم فيكم وحفظة جمع حافظ والمراد بذلك الملائكة الموكلون بكتب الاعمال وروي انهم الملائكة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقاله السدي وقتادة وقال بعض المفسرين حفظة يحفظون الانسان من كل شيء حتى ياتي اجله والاول اظهر وقرأ حمزة وحده توفاه

* وقوله تعالى رسلنا يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع اهل التاويل ملائكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له ثم ردوا اي العباد الى الله مولاهم وقوله الحق نعت لمولاهم ومعناه الذى ليس بباطل ولا مجاز الا له الحكم كلام مضمنه التنبيه وهز النفوس وهو اسرع الحاسبين قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد فى يوم واحد قال كما يرزقهم فى الدنيا فى يوم واحد * وقوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية الآية هذا تماد فى توبيخ العادلين بالله الاوثان وتركهم عبادة الرحمن الذى ينجي من الهلكات ويُلجأ اليه فى الشدائد ودفع الملمات وظلمات البر والبحر يريد بها شدائدهما فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدائد بظلمة حقيقية وما كان بغير ظلمة والعرب تقول عام اسود ويوم مظلم ويوم ذو كواكب يريدون به الشدة قال قتادة وغيره المعنى من كرب البر والبحر وتدعونه فى موضع الحال والتضرعُ صفة بادية على الانسان وخفية معناه الاختفاء وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر وخِفية بكسر الخاء وقرأ الاعمش وخيفَة من الخوف * وقوله سبحانه قل الله ينجيكم منها الآية سبق فى المجادلة الى الجواب اذ لا محيد عنه ومن كل كرب لفظ عام ايضا ليتضح العموم الذى فى الظلمات ثم انتم اي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم له انتم تشركون * وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم الآية هذا اخبار يتضمن الوعيد والاظهر من نسق الآيات ان هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال ابي بن كعب وجماعة هو للمومنين وهم المراد وهذا الاختلاف انما هو بحسب ما يظهر من ان الآية تتناول معانيها المشركين والمومنين وفى البخاري وغيره من حديث جابر وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قل

هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذه اهون او ايسر فاحتج بهذا الحديث من قال انها نزلت فى المومنين قال الطبري وغيره ممتنع ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لامته من هذه الاشياء التى توعد بها الكفار وهوّن الثالثة لانها بالمعنى هي التى دعا فيها فمنع حسب حديث الموطإ وغيره ومن فوقكم او من تحت ارجلكم لفظ عام للمنطبقين على الانسان وقال السدي عن ابى مالك من فوقكم الرجم او من تحت ارجلكم الخسف وقاله سعيد بن جبير ومجاهد * وقوله سبحانه او يلبسكم شيعا معناه يخلطكم فرقا والبأس القتل وما اشبهه من المكاره وفى قوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات استرجاع لهم وان كان لفظها لفظ تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم فمضمنها ان هذه الآيات والدلائل انما هي لاستصرافهم عن طريق غيهم والفقه الفهم * وقوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق الضمير فى به عائد على القرءان الذى فيه جاء تصريف الآيات قاله السدي وهذا هو الظاهر ويحتمل ان يعود الضمير على الوعيد الذى تضمنته الآية ونحا اليه الطبري وقوله قل لست عليكم بوكيل معناه لست بمدفوع الى اخذكم بالايمان والهدى وهذا كان قبل نزول ءايات الجهاد والامر بالقتال ثم نسخ * وقوله سبحانه لكل نبإ مستقر اي غاية يعرف عندها صدقه من كذبه وسوف تعلمون تهديد محض ووعيد * وقوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى ءاياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنون داخلون فى الخطاب معه هذا هو الصحيح لان علة النهي وهي سماع الخوض فى ءايات الله تشملهم واياه فامر النبي صلى الله عليه وسلم هو

والمومنون ان ينابذوا الكفار بالقيام عنهم اذا استهزءوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك ويدَعوا الخوض والاستهزاء قلت ويدل على دخول المومنين مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ءايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انتهى والخوض اصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الاشياء التي هي مجاهل تشبيها بغمرات الماء * واما ينسينك اما شرط وتلزمها النون الثقيلة في الاغلب وقرأ ابن عامر وحده ينسينك بتشديد السين وفتح النون والمعنى واحد الا ان التشديد اكثر مبالغة والذكرى والذكر واحد في المعنى ووصْفهم بالظالمين متمكن لانهم وضعوا الشيء في غير موضعه واعرض في هذه الآية بمعنى المفارقة على حقيقة الاعراض واكمل وجوهه ويدل على ذلك فلا تقعد * وقوله سبحانه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء روي انه لما نزلت فلا تقعدوا معهم قال المومنون اذا كنا لا نقرب المشركين ولا نسمع اقوالهم فلا يمكننا طواف ولا قضاء عبادة في الحرم فنزلت لذلك وما على الذين يتقون الآية قال * ع * فالاباحة في هذا هي في القدر الذي يحتاج اليه من التصرف بين المشركين في عبادة ونحوها وقيل ان هذه الآية الاخيرة ليست اباحة بوجه وانما معناها لا تقعدوا معهم ولا تقربوهم حتى تسمعوا استهزاءهم وخوضهم وليس نهيكم عن القعود لان عليكم شيئا من حسابهم وانما هو ذكرى لكم ويحتمل المعنى ولكن ذكرى لعلهم اذا جانبتموهم يتقون بالامساك عن الاستهزاء ويحتمل المعنى ولكن ذكروهم ذكرى وينبغي للمومن ان يمتثل حكم هذه الآية مع الملحدين واهل الجدل والخوض فيه وحكى الطبري عن ابي جعفر انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في ءايات الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انا زعيم ببيت في ربَض

الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت فى اعلى الجنة لمن حسّن خُلقه خرجه ابو داود انتهى من الكوكب الدري وقد ذكرنا هذا الحديث من غير طريق ابى داود بلفظ اوضح من هذا * وقوله سبحانه وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هذا امر بالمتاركة وكان ذلك بحسب قلة المسلمين يومئذ قال قتادة ثم نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال وقال مجاهد الآية انما هي للتهديد والوعيد فهي كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وليس فيها نسخ لانها متضمنة خبرا وهو التهديد وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم من الغرور وهو الاطماع بما لا يتحصل فاغتروا بنعم الله وامهاله وطمعهم ذلك فيما لم يتحصل من رحمته واعلم ان اعقل العقلاء مومن مقبل على اخرته قد جعل الموت نصب عينيه ولم يغتر بزخارف الدنيا كما اغتر بها الحمقى بل جعل همه واحدا هم المعاد وما هو صائر اليه وقد روى البزار فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا هَمّ المعاد كفاه الله هم الدنيا ومن تشعبت به الهموم هموم الدنيا لم يبال الله تعالى فى اي اوديتها هلك انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه وذكر به اي بالقران وقيل الضمير فى به عائد على الدين وان تبسل فى موضع المفعول له اي ليلا تبسل ومعناه تسْلَم قاله الحسن وعكرمة وقال قتادة تحبس وترهن وقال ابن عباس تفضح وقال ابن زيد تجزى وهذه كلها متقاربة المعنى ومنه قول الشَّنْفَرَى

هنالك لا ارجو حياة تسرني * سمير الليالى مبسلا بالجرائر

وباقى الآية بين وان تعدل كل عدل اي وان تعط كل فدية وان عظمت فتجعلها عدلا لها لا يقبل منها وقال ابو عبيدة وان تعدل هو من العدل المضاد للجور ورده

الطبري بالاجماع على ان توبة الكافر مقبولة قال * ع * ولا يلزم هذا الرد لان الامر انما هو يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل قلت واجلى من هذا ان يحمل كلام ابى عبيدة على معنى انه لا يقبل منها عدلها لاختلال شرطه وهو الايمان وابسلوا معناه أُسلِموا بما اجترحوه من الكفر والحميم الماء الحار ومنه الحمّام والحَمّة * وقوله سبحانه قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا المعنى قل فى احتجاجك انطيع رأيكم فى ان ندعو من دون الله والدعاء يعم العبادة وغيرها لان من جعل شيئا موضع دعائه فاياه يعبد وعليه يتوكل وما لا ينفعنا ولا يضرنا يعنى الاصنام ونرد على اعقابنا تشبيه بمشي القهقرى وهي المشية الدنية فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير الى شر * وقوله سبحانه كالذى استهوته الشياطين فى الكلام حذف تقديره رداكرد الذى واستهوته بمعنى استدعت هواه وامالته وهدانا بمعنى ارشدنا فسياق هذا المثل كانه قال ايصلح ان نكون بعد الهدى نعبد الاصنام فيكون ذلك منا ارتدادا على العقب فنكون كرجل على طريق واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه الى دعوتهم فبقي حائرا وقوله له اصحاب يريد له اصحاب على الطريق الذى خرج منه فيشبه بالاصحاب على هذا المومنون الذين يدعون من ارتد الى الرجوع الى الهدى وهذا تاويل مجاهد وابن عباس وايتنا من الاتيان بمعنى المجيء وقول من قال ان المراد بالذى فى هذه الآية عبد الرحمن بن ابى بكر وبالاصحاب ابواه قول ضعيف يرده قول عائشة فى الصحيح ما نزل فينا من القرءان شيء الا براءتى قلت تريد وقصة الغار اذ يقول لصاحبه وقوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم اذ نزلت فى شان ابى بكر وشان مسطح قال * ع * حدثنى ابى رضي الله عنه قال سمعت الفقيه الامام ابا عبد الله المعروف بالنحوي المجاور بمكة يقول من نازع احدا من الملحدين فانما ينبغى

ان يرد عليه بالقرءان والحديث فيكون كمن يدعو الى الهدى بقوله ايتنا ومن ينازعهم بالجدل ويحلق عليهم به فكانه بعد من الطريق الواضح اكثر ليرد هذا الزائغ فهو يخاف عليه ان يضل قال * ع * وهذا انتزاع حسن جدا وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وهو الذى خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقها باطلا لغير معنى بل لمعان مفيدة وحقائق بينة * وقوله سبحانه ويوم يقول يوم نصب على الظرف وتقدير الكلام واذكر الخلق والاعادة يوم وتحتمل الآية مع هذا ان يكون معناها واذكر الاعادة يوم يقول الله للاجساد كونى معادة * وقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور الجمهور ان الصور هو القرن الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث وباقى الآية بين * وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ءازر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك فى ضلال مبين قال الطبري نبه الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بابراهيم فى محاجته قومه اذ كانوا اهل اصنام وكان قوم النبي صلى الله عليه وسلم اهل اصنام وقوله اصناما آلهة مفعولان وذكر ان ءازر ابا ابراهيم عليه السلام كان نجارا محسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق بالهندسة والنجوم فحَظي عنده ءازر لذلك وكان على خطة عمل الاصنام تعمل بامره وتدبيره ويطبع هو فى الصنم بختم معلوم عنده وحينئذ يعبد ذلك الصنم فلما نشأ ابراهيم ابنه على الصفة التى تاتي بعد كان ابوه يكلفه ببيعها فكان ابراهيم ينادى عليها من يشترى ما يضره ولا ينفعه ويستخف بها ويجعلها فى الماء منكوسة ويقول لها اشربى فلما اشتهر امره بذلك واخذ فى الدعاء الى الله عزوجل قال لابيه هذه المقالة واراك فى هذا الموضع يشترك فيها القلب والبصر ومبين بمعنى ظاهر واضح * وقوله سبحانه وكذلك نرى ابراهيم

ملكوت السموات والارض الآية المتقدمة تقضى بهداية ابراهيم عليه السلام والاشارة هنا بذلك هي الى تلك الهداية اي وكما هديناه الى الدعاء الى الله وانكار الكفر اريناه ملكوت ونرى لفظها الاستقبال ومعناها المضي وهذه الرؤية قيل هي رؤية البصر وروي فى ذلك ان الله عزوجل فرج لابراهيم عليه السلام السموات والارض حتى رأى ببصره الملكوت الاعلى والملكوت الاسفل وهذا هو قول مجاهد قال تفرجت له السموات والارضون فرأى مكانه فى الجنة وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر فى ظاهر الملكوت وقع له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لاحد من اهل زمنه الذين بعث اليهم قاله ابن عباس وغيره وقيل هي رؤية قلب رأى بها ملكوت السموات والارض بفكرته ونظره وملكوت بناء مبالغة وهو بمعنى الملك والعرب تقول لفلان ملكوت اليمن اي ملكه واللام فى ليكون متعلقة بفعل مؤخر تقديره وليكون من الموقنين اريناه والموقن العالم بالشيء علما لا يمكن ان يطرأ له فيه شك وروي عن ابن عباس فى تفسير وليكون من الموقنين قال جلى له الامور سرها وعلانيتها فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله له انك لا تستطيع هذا فرده لا يرى اعمالهم * وقوله سبحانه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الآية جن الليل ستر وغطى بظلامه ذهب ابن عباس وناس كثيرون الى ان هذه القصة وقعت فى حال صباه وقبل البلوغ والتكليف ويحتمل ان تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفا وحكى الطبري هذا عن فرقة وقالت انه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ اي هذا ربي وحكي ان النمرود جبار ذلك الزمان رأى له منجموه ان مولودا يولد فى سنة كذا فى عمله يكون خراب الملك على يديه فجعل يتتبع الحبالى

ويوكل بهن حراسا فمن وضعت انثى تركت ومن وضعت ذكرا حمل الى الملك فذبحه وان ام ابراهيم حملت وكانت شابة قوية فسترت حملها فلما قربت ولادتها بعثت ابا ابراهيم الى سفر وتحيلت لمضيه اليه ثم خرجت هي الى غار فولدت فيه ابراهيم وتركته فى الغار وكانت تتفقده فوجدته يتغذى بان يمص اصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذيه ملك وحكي بل كانت امه تاتيه بالبان النساء التى ذبح ابناؤهن والله اعلم اي ذلك كان فشب ابراهيم اضعاف ما يشب غيره والملِك فى خلال ذلك يحس بولادته ويشدد فى طلبه فمكث فى الغار عشرة اعوام وقيل خمس عشرة سنة وانه نظر اول ما عقل من الغار فرأى الكواكب وجرت قصة الآية والله اعلم فان قلنا بانه وقعت له القصة فى الغار فى حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب اليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ فذلك ينقسم علىَ وجهين اما ان يجعل قوله هذا ربى تصميما واعتقادا وهذا باطل لان التصميم على الكفر لم يقع من الانبياء صلوات الله عليهم واما ان نجعله تعريضا للنظر والاستدلال كانه قال اهذا المنير البهي ربى ان عضّدت ذلك الدلائل وان قلنا ان القصة وقعت له فى حال كبره وهو مكلف فلا يجوز ان يقول هذا مصمما ولا معرضا للنظر لانها رتبة جهل او شك وهو عليه السلام منزه معصوم من ذلك كله فلم يبق الا ان يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم واقامة الحجة عليهم فى عبادة الاصنام كانه قال اهذا المنير ربى وهو يريد على زعمكم كما قال تعالى اين شركاءى اي على زعمكم ثم عرض ابراهيم عليهم من حركة الكوكب وافوله أمارة الحدوث وانه لا يصلح ان يكون ربا ثم فى ءاخر اعظم منه واحرى كذلك ثم فى الشمس كذلك فكانه يقول فاذا بان فى هذه المنيرات الرفيعة انها لا تصلح للربوبية فاصنامكم

التـى هي خشب وحجارة احـرى ان يبيـن ذلـك فيها ويـعـضد عندى هذا التاويلَ قولُه انى بـريء مما تشركـون قلت والى ترجيح هذا اشار عياض فى الشفا قـال وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسريـن الى ان ابراهيم انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستـدلا عليهم قـال * ع * ومثّل لهم بهذه الامـور لانهم كانوا اصحاب علم نجوم ونظر فى الافـلاك وهذا الامر كلـه انما وقع فى ليلة واحدة رأى الكوكب وهو الزهرة فى قول قتادة وقـال السدي هو المشترى جانحا الى الغروب فلما افل بزغ القمر وهو اول طلوعـه فسرى الليل اجمع فلما بزغت الشمس زال ضوء القمر قبلها لا نـتشـار الصباح وخفي نـوره ودنـا ايـضا من مغربـه فسمى ذلـك افولا لقربه من الافول التام على تجـوز فى التّسمية وهذا الترتيب يستقيم فى الليلة الخامسة عشر من الشهـر الى ليلة عشريـن وليس يترتب فى ليلة واحدة كما اجمع اهـل التـفسيـر الا فى هذه الليالى وبذلـك يصح التّجـوز فى افول القمر وافل فى كـلام العرب معناه غاب وقيل معناه ذهب وهذا خـلاف فى العبارة فـقـط والبزوغ فى هذه الانوار اول الطلوع وما فى كـون هذا الترتيب فى ليلة من التّجوز فى افول القمـر لان افوله لو قدرنـاه مغيبه لكان ذلـك بعد بـزوغ الشمس وجميع ما قلناه يعطيـه الاعتبـار ويهدنى يرشدنى وهذا اللفظ يـؤيـد قـول من قـال ان القصة فى حال الصغر والقوم الضالون هنا عبدة المخلوقات كالاصنام وغيرها ولما افلت الشمس لم يبـق شيء يمثل لهم به فظهرت حجتـه وقوي بذلـك على منابذتهم والتبرى من اشراكهم وقـولـه انى بـرىء مما تشركـون يـؤيد قـول من قـال ان القصة فى حال الكبـر والتكليف ووجهت وجهـي اي اقبلت بقصدى وعبادتى وتوحيدى وايمانى للذى فطر السموات والارض اي اخترعها وحنيفا اي مستقيما والحنف الميـل فكانـه مـال عن كل جهـة الى القِوام * وقـولـه تعالى وحاجه قومـه قال

اتحاجونى فى الله اي أتراجعونى فى الحجة فى توحيد الله وقد هدان اي قد ارشدنى الى معرفته وتوحيده ولا اخاف ما تشركون به الضمير فى به يعود على الله والمعنى ولا اخاف الاصنام التى تشركونها بالله فى الربوبية ويحتمل ان يعود على ما والتقدير ما تشركون بسببه وقوله الا ان يشاء ربى شيئا استثناء ليس من الاول وشيئا منصوب بيشاء ولما كانت قوة الكلام انه لا يخاف ضررا استثنى مشيئة ربه تعالى فى ان يريده بضر وعلما نصب على التمييز وهو مصدر بمعنى الفاعل كما تقول العرب تصبب زيد عرقا المعنى تصبب عرق زيد فكذلك المعنى هنا وسع علم ربى كل شيء افلا تتذكرون توقيف وتنبيه واظهار لموضع التقصير منهم وقوله وكيف اخاف ما اشركتم الآية الى تعلمون هي كلها من قول ابراهيم عليه السلام لقومه وهي حجته القاطعة لهم والمعنى وكيف اخاف اصناما لا خطب لها اذ نبذتها ولا تخافون انتم الله عزوجل وقد اشركتم به فى الربوبية ما لم ينزل به عليكم سلطانا والسلطان الحجة ثم استفهم على جهة التقرير فاي الفريقين منى ومنكم احق بالامن قال ابو حيان وكيف استفهام معناه التعجب والانكار انتهى * وقوله سبحانه الذين ءامنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الآية قال ابن اسحاق وابن زيد وغيرهما هذا قول من الله عزوجل ابتداء حكم فصل عام لوقت محاجة ابراهيم وغيره ولكل مومن تقدم او تأخر قال * ع * هذا هو البين الفصيح الذى يرتبط به معنى الآية ويحسن رصفها وهو خبر من الله عز وجل ويلبسوا معناه يخلطوا والظلم فى هذا الموضع الشرك تظاهرت بذلك الاحاديث الصحيحة وفى قراءة مجاهد ولم يلبسوا ايمانهم بشرك وهم مهتدون اي راشدون * وقوله تعالى وتلك حجتنا ءاتيناها ابراهيم على قومه تلك اشارة الى هذه الحجة المتقدمة * وقوله سبحانه نرفع درجات

من نشاء الدرجات اصلها فى الاجسام ثم تستعمل فى المراتب والمنازل المعنوية
* وقوله سبحانه ووهبنا له اسحاق ويعقوب الآية ووهبنا عطف على ءاتينا
واسحاق ابنه من سارة ويعقوب هو ابن اسحاق وقوله ومن ذريته المعنى
وهدينا من ذريته والضمير فى ذريته قال الزجاج جائز ان يعود على ابراهيم
ويعترض هذا بذكر لوط عليه السلام اذ ليس هو من ذرية ابراهيم بل هو ابن اخيه
وقيل ابن اخته ويتخرج ذلك عند من يرى الخال ابا وقيل يعود الضمير على
نوح وهذا هو الجيد ونصب داود يحتمل ان يكون بوهبنا ويحتمل ان يكون
بهدينا وكذلك نجزى المحسنين وعد من الله عز وجل لمن احسن فى عبادته
وترغيب فى الاحسان وفى هذه الآية ان عيسى عليه السلام من ذرية نوح او ابراهيم
بحسب الاختلاف فى عود الضمير من ذريته وهو ابن ابنة وبهذا يستدل فى
الاحباس على ان ولد البنت من الذرية ويونس هو ابن متى وكلا فضلنا على
العالمين معناه عالمى زمانهم * وقوله سبحانه ومن آبائهم وذرياتهم المعنى وهدينا
من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات فمن للتبعيض والمراد من آمن منهم نبيئا
كان او غير نبيء واجتبيناهم اي تخيرناهم وهديناهم اي ارشدناهم الى الايمان
والفوز برضى الله عزوجل والذرية الابناء ويطلق على جميع البشر ذرية لانهم
ابناء * وقوله تعالى ذلك هدى الله الآية ذلك اشارة الى النعمة فى قوله
واجتبيناهم واولائك اشارة الى من تقدم ذكره والكتاب يراد به الصحف
والتوراة والانجيل والزبور * وقوله سبحانه فان يكفر بها هؤلاء اشارة الى كفار
قريش والى كل كافر فى ذلك العصر قاله ابن عباس وغيره وقوله فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين هم مومنو اهل المدينة قاله ابن عباس وغيره والآية على
هذا التاويل وان كان القصد بنزولها هذين الصنفين فهي تعم الكفرة والمومنين

الى يوم القيامة وقال الحسن وغيره المراد بالقوم من تقدم ذكره من الانبياء والمومنين وقال ابو رجاء المراد الملائكة قلت ويحتمل ان يكون المراد الجميع * وقوله سبحانه اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الظاهر فى الاشارة باولائك الى المذكورين قبل من الانبياء ومن معهم من المومنين المهديين ومعنى الاقتداء اتباع الاثر فى القول والفعل والسيرة وانما يصح اقتداؤه صلى الله عليه وسلم بجميعهم فى العقود والايمان والتوحيد الذى ليس بينهم فيه اختلاف واما اعمال الشرائع فمختلفة وقد قال عزوجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره مخاطب بشرع من قبله فى العقود والايمان والتوحيد لانا نجد شرعنا ينبئ ان الكفار الذين كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم كابويه وغيرهما فى النار ولا يدخل الله تعالى احدا النار الا بترك ما كلف وذلك فى قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وغير ذلك وقاعدة المتكلمين ان العقل لا يوجب ولا يكلف وانما يوجب الشرع فالوجه فى هذا ان يقال ان ءادم عليه السلام فمن بعده دعا الى توحيد الله عزوجل دعاء عاما واستمر ذلك على العالم فواجب على الآدمي ان يبحث عن الشرع الآمر بتوحيد الله تعالى وينظر فى الادلة المنصوبة على ذلك بحسب ايجاب الشرع النظر فيها ويومن ولا يعبد غير الله فمن فرضناه لم يجد سبيلا الى العلم بشرع آمر بتوحيد الله وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فاولائك اهل الفترات الذين اطلق عليهم اهل العلم انهم فى الجنة وهم بمنزلة الاطفال والمجانين ومن قصر فى النظر والبحث فعبد صنما او غيره وكفر فهو تارك للواجب عليه مستوجب للعقاب بالنار فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ومن كان معه من الناس وقبله مخاطبون على السنة الانبياء قبل بالتوحيد وغير مخاطبين بفروع شرائعهم اذ

هي مختلفة واذ لم يدعهم اليها نبي . قال الفخر واحتج العلماء بهذه الآية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم السلام وتقريره انا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجمع من خصال الطاعة والعبودية والاخلاق الحميدة كل الصفات التى كانت مفرقة فيهم باجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال انه قصر فى تحصيلها فثبت انه حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان فيهم مفرقا باسرهم ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال انه افضلهم بكليتهم والله اعلم انتهى وقرأ حمزة والكساءي فبهداهم اقتد بحذف الهاء فى الوصل واثباتها فى الوقف وهذا هو القياس شبيهة بالف الوصل فى انها تقطع فى الابتداء وتسقط فى الوصل * وقوله سبحانه قل لا اسألكم عليه اجرا اي قل لهؤلاء الكفرة المعاندين لا اسألكم على دعاءي اياكم بالقرآن الى عبادة الله تعالى اجرة ان هو الا موعظة وذكرى ودعاء لجميع العالمين * وقوله سبحانه وما قدروا الله حق قدره الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت فى بنى اسراءيل قال النقاش وهي آية مدنية وقيل المراد رجل مخصوص منهم يقال له مالك بن الضيف قاله ابن جبير وقيل فنحاص قاله السدي وقدَرُوا هو من توفية القدر والمنزلة وتعليله بقولهم ما انزل الله يقضي بانهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته اذ احالوا عليه بعثة الرسل قال الفخر قال ابن عباس ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق تعظيمه وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته وقال ابو العالية ما وصفوه حق قدرته وعظمته وهذه المعانى كلها صحيحة انتهى وروي ان مالك بن الضيف كان سمينا فجاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم انشدك الله الست تقرأ فيما انزل على موسى ان الله يبغض الحبر السمين فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء قال الفخر وهذه الآية تدل على ان النكرة فى سياق النفي تعم ولو لم تفد العموم لما كان قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا ابطالا لقولهم ونقضا عليهم انتهى * وقوله تعالى قل من انزل الكتاب يعنى التوراة وقراطيس جمع قرطاس اي بطائق واوراقا وتوبيخهم بالابداء والاخفاء هو على اخفائهم امر محمد صلى الله عليه وسلم وجميع ما عليهم فيه حجة * وقوله سبحانه وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا ءاباؤكم يحتمل وجهين احدهما ان يقصد به الامتنان عليهم وعلى ءابائهم والوجه الثانى ان يكون المقصود ذمهم اي وعلمتم انتم وءاباؤكم ما لم تعلموه فما انتفعتم به لاعراضكم وضلالكم ثم امره سبحانه بالمبادرة الى موضع الحجة اي قل الله هو الذى انزل الكتاب على موسى ثم امره سبحانه بترك من كفر واعرض وهذه ءاية منسوخة بءاية القتال ان تؤولت موادعة ويحتمل ان لا يدخلها نسخ اذا جعلت تتضمن تهديدا ووعيدا مجردا من موادعة * وقوله سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك هذا اشارة الى القرءان وقوله مصدق الذى بين يديه يعنى التوراة والانجيل لان ما تقدم فهو بين يدي ما تأخر وام القرى مكة ثم ابتدأ تبارك وتعالى بمدح قوم وصفهم واخبر عنهم انهم يومنون بالآخرة والبعث والنشور ويومنون بالقرءان ويصدقون بحقيقته ثم قوى عز وجل مدحهم بانهم يحافظون على صلاتهم التى هي قاعدة العبادات وام الطاعات واذا انضافت الصلاة الى ضمير لم تكتب الا بالالف ولا تكتب فى المصحف بواو الا اذا لم تضف الى ضمير وقد جاءت ءاثار صحيحة فى ثواب من حافظ على صلاته وفى فضل المشي اليها ففى سنن ابى داود عن بريدة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال بشر المشاءين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وروى ابو داود ايضا بسنده عن سعيد بن المسيب قال حضر رجلا من الانصار الموتُ فقال انى محدثكم حديثا ما احدثكموه الا احتسابا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توضأ احدكم فاحسن الوضوء ثم خرج الى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى الاكتب الله له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى الا حط الله عنه سيئة فليقرب او ليبعد فان اتى المسجد فصلى فى جماعة غفر له فان اتى المسجد وقد صلوا بعضا وبقي بعض صلى ما ادرك واتم ما بقي كان كذلك فان اتى المسجد وقد صلوا فاتم الصلاة كان كذلك واخرج ابو داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله عز وجل مثل اجر من صلاها او حضرها لا ينقص ذلك من اجورهم انتهى * وقوله سبحانه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله هذه الفاظ عامة فكل من واقع شيئا مما يدخل تحت هذه الالفاظ فهو داخل فى الظلم الذى قد عظمه الله تعالى وقال قتادة وغيره المراد بهذه الآيات مسيلمة والاسود الغنسي وقال عكرمة اولها فى مسيلمة والآخر فى عبد الله بن ابى سرح وقيل نزلت فى النضر بن الحارث وبالجملة فالآية تتناول من تعرض شيئا من معانيها الى يوم القيامة كطليحة الاسدي والمختار بن ابى عُبيْد وسواهما * وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت الآية جواب لو محذوف تقديره لرأيت عجبا او هولا ونحو هذا وحذف هذا الجواب ابلغ فى نفس السامع والظالمون لفظ عام فى انواع الظلم الذى هو كفر والغمرات جمع غمرة وهي المصيبة المذهلة وهي مشبهة بغمرة الماء والملائكة يريد ملائكة قبض الروح

وباسطوا ايديهم كناية عن مدها بالمكروه وهذا المكروه هو لا محالة اوائل العذاب واماراته قال ابن عباس يضربون وجوههم وادبارهم وقوله اخرجوا انفسكم حكاية لما تقوله الملائكة والتقدير يقولون لهم اخرجوا انفسكم وذلك على جهة الاهانة وادخال الرعب عليهم ويحتمل اخرجوا انفسكم من هذه المصائب والمحن ان كان ما زعمتموه حقا فى الدنيا وفى ذلك توبيخ وتوقيف على سالف فعلهم القبيح قلت والتاويل الاول هو الصحيح وقد اسند ابو عمر فى التمهيد عن ابن وضاح قال حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة ثم ذكر سنده عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالت اخرجى ايتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء يعنى السابعة واذا كان الرجل السوء وحضرته الملائكة عند موته قالت اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وابشرى بحميم وغساق وءاخر من شكله ازواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج وذكر الحديث انتهى والهون الهوان * وقوله تعالى بما كنتم تقولون على الله غير الحق الآية لفظ عام لانواع الكفر ولكنه يظهر منه الانحاء على من قرب ذكره * وقوله سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الآية هذه حكاية عما يقال لهم بعد قبض ارواحهم واعلم ايها الاخ ان هذه الآية الكريمة ونحوها من الآي وان كان مساقها فى الكفار فللمومن الموقن فيها معتبر ومزدجر وقد قيل ان

القبر بحر الندامات وقد روى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم الا يكون نزع انتهى وكما خلقناكم اول مرة تشبيها بالانفراد الاول فى وقت الخلقة وخولناكم معناه اعطيناكم ووراء ظهوركم اشارة الى الدنيا لانهم يتركون ذلك موجودا * وقوله سبحانه وما نرى معكم شفعاءكم توقيف على الخطإ فى عبادة الاصنام واعتقادهم انها تشفع وتقرب الى الله زلفى قال ابو حيان وما نرى لفظه لفظ المستقبل وهو حكاية حال انتهى وقرأ نافع والكسائي بينكم بالنصب على انه ظرف والتقدير لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم ونحو هذا وهذا وجه واضح وعليه فسره الناس مجاهد وغيره وقرأ باقى السبعة بينكم بالرفع وقرأ ابن مسعود وغيره لقد تقطع ما بينكم وصل معناه تلف وذهب وماكنتم تزعمون يريد دعواهم انها تشفع وانها تشارك الله فى الالوهية تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه ان الله فالق الحب والنوى هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر ويتصل المعنى بما قبله لان المقصد ان الله فالق الحب والنوى لا هذه الاصنام قال قتادة وغيره هذه اشارة الى فعل الله سبحانه فى ان يشق جميع الحب عن جميع النبات الذى يكون منه ويشق النوى عن جميع الاشجار الكائنة منه * وقوله يخرج الحي من الميت الآية قال ابن عباس وغيره الاشارة الى اخراج الانسان الحي من النطفة الميتة واخراج النطفة الميتة من الانسان الحي وكذلك سائر الحيوان من الطير وغيره وهذا القول ارجح ما قيل هنا * وقوله سبحانه ذلكم الله ابتداء وخبر متضمن التنبيه فانى توفكون اي تصرفون وتصدون وفالق الاصباح اي شاقه ومظهره والفالق الصبح

وحسبانا جمع حساب اي يجريان بحساب هذا قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد فى صحيح البخاري المراد بحسبان كحسبان الرحى وهو الدولاب والعود الذى عليه دورانه * وقوله سبحانه وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر الآية هذه المخاطبة تعم المومنين والكافرين والحجة بها على الكافرين قائمة والعبرة بها للمومنين متمكنة * وقوله سبحانه وهو الذى انشأكم من نفس واحدة يريد ءادم عليه السلام فمستقر ومستودع اختلف المتأولون فى معنى هذا الاستقرار والاستيداع فقال الجمهور مستقر فى الرحم ومستودع فى ظهور الآباء حتى يقضي الله بخروجهم قال ابن عون مشيت الى منزل ابراهيم النخعي وهو مريض فقالوا قد توفي فاخبرنى بعضهم ان عبد الرحمن ابن الاسود سأله عن مستقر ومستودع فقال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب وقال ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن وقال ابن جبير المستودع فى الصلب والمستقر فى الآخرة قال الفخر والمنقول عن ابن عباس فى اكثر الروايات ان المستقر هو الارحام والمستودع الاصلاب ثم قرأ ونقر فى الارحام ما نشاء ومما يدل على قوة هذا القول ان النطفة لا تبقى فى صلب الاب زمانا طويلا والجنين فى رحم الام يبقى زمانا طويلا ولما كان المكث فى الرحم اكثر مما فى صلب الاب كان حمل الاستقرار على المكث فى الرحم اولى انتهى قال * ع * والذى يقتضيه النظر ان ابن ءادم هو مستودع فى ظهر ابيه وليس بمستقر فيه استقرارا مطلقا لانه ينتقل لا محالة ثم ينتقل الى الرحم ثم ينتقل الى الدنيا ثم ينتقل الى القبر ثم ينتقل الى المحشر ثم ينتقل الى الجنة او النار فيستقر فى احدهما استقرارا مطلقا وليس فيها مستودع لانه لا نقلة له بعد وهو فى كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين مستقر بالاضافة الى

التي قبلها ومستودع بالاضافة الى التي بعدها لان لفظ الوديعة يقتضي فيها نقلة ولا بد * وقوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء السماء في هذا الموضع السحاب وكل ما اظلك فهو سماء وقوله نبات كل شيء قيل معناه مما ينبت وقال الطبري المراد بكل شيء كل ما ينمو من جميع الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك لان ذلك كله يتغذى وينمو بنزول الماء من السماء والضمير في منه يعود على النبات وفي الثاني يعود على الخضر وخضرا بمعنى اخضر ومنه قوله عليه السلام الدنيا خضرة حلوة بمعنى خضراء وكأن خضرا انما ياتي ابدا لمعنى النضارة وليس للون فيه مدخل واخضر انما تمكنه في اللون وهو في النضارة تجوز وحبا متراكبا يعم جميع السنابل وما شاكلها كالصنوبر والرمان وغير ذلك * وقوله ومن النخل تقديره ونخرج من النخل والطلع اول ما يخرج من النخل في اكمامه وقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين وهي الكِباسة والعرجون عوده الذى فيه ينتظم التمر ودانية معناه قريبة من التناول قاله ابن عباس وغيره وقرأ الجمهور وجنات بالنصب عطفا على قوله نبات وروي عن عاصم وجنات بالرفع على تقدير ولكم جنات او نحو هذا والزيتون والرمان بالنصب اجماعا عطفا على قوله حبا ومتشابها وغير متشابه قال قتادة معناه يتشابه في الورق ويتباين في الثمر وقال الطبري جائز ان يتشابه في الثمر ويتباين في الطعم ويحتمل ان يريد يتشابه في الطعم ويتباين في المنظر وهذه الاحوال موجودة بالاعتبار في انواع الثمرات * وقوله سبحانه انظروا هو نظر بصر تتركب عليه فكرة قلب والثمر في اللغة جنى الشجر وما يطلع وان سمي الشجر ثمارا فتجوز وقرأ جهور الناس وينعه بفتح الياء وهو مصدر ينع يينع اذا نضج وبالنضج فسره ابن عباس وقد يستعمل ينع بمعنى استقل واخضر ناضرا

قال الفخر وقدم سبحانه الزرع لانه غذاء والثمار فواكه وانما قدم النخل على الفواكه لان التمر يجرى مجرى الغذاء بالنسبة الى العرب انتهى * وقوله سبحانه وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجن مفعول وشركاء مفعول ثان قال * ص * وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجمهور على نصب الجن فقال ابن عطية وغيره هو مفعول اول لجعلوا وشركاء الثانى وجوزوا فيه ان يكون بدلا من شركاء ولله فى موضع المفعول الثانى وشركاء الاول ورده ابو حيان بان البدل حينئذ لا يصح ان يحل محل المبدل منه اذ لو قلت وجعلوا لله الجن لم يصح وشرط البدل ان يكون على نية تكرار العامل على الاشهر او معمولا للعامل فى المبدل منه على قول وهذا لا يصح كما ذكرنا قلت وفيه نظر انتهى قلت وما قاله الشيخ ابو حيان عندى ظاهر وفى نظر الصفاقسي نظر وهذه الآية مشيرة الى العادلين بالله تعالى والقائلين ان الجن تعلم الغيب العابدين للجن وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجن الوادى فى اسفارها ونحو هذا واما الذين خرقوا البنين فاليهود فى ذكر عزير والنصارى فى ذكر المسيح واما ذاكرو البنات فالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم فكانّ الضمير فى جعلوا وخرقوا لجميع الكفار اذ فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا وبنحو هذا فسر السدي وابن زيد وقرأ الجمهور وخلقهم بفتح اللام على معنى وهو خلقهم وفى مصحف ابن مسعود وهو خلقهم والضمير فى خلقهم يحتمل العودة على الجاعلين ويحتملها على المجعولين وقرأ السبعة سوى نافع وخرقوا بتخفيف الراء بمعنى اختلقوا وافتروا وقرأ نافع وخرقوا بتشديد الراء على المبالغة وقوله بغير علم نص على قبح تقحم المجهلة وافتراء الباطل على عمى وسبحانه معناه تنزه عن وصفهم الفاسد المستحيل عليه تبارك وتعالى وبديع بمعنى مبدع وأنّى بمعنى كيف

واين فهي استفهام فى معنى التوقيف والتقرير وهذه الآية رد على الكفار بقياس
الغائب على الشاهد * وقوله سبحانه وخلق كل شيء لفظ عام لكل ما يجوز
ان يدخل تحته ولايجوز ان تدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه فليس هو
عموما مخصصا على ما ذهب اليه قوم لان العموم المخصص هوان يتناول العموم
شيئا ثم يخرجه التخصيص وهذا لم يتناول قط هذه التى ذكرناها وانما هذا بمنزلة
قول الانسان قتلت كل فارس وافحمت كل خصم فلم يدخل القائل قط فى هذا
العموم الظاهر من لفظه واما قوله وهو بكل شيء عليم فهو عموم على الاطلاق لانه
سبحانه يعلم كل شيء لارب غيره وباقي الآية بين * وقوله سبحانه لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار اجمع اهل السنة على ان الله عز وجل يرى يوم القيامة
يراه المومنون والوجه ان يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند الى ورود السمع
بوقوع ذلك الجائز واختصار تبيين ذلك ان يعتبر بعلمنا بالله عزوجل فمن
حيث جاز ان نعلمه لا فى مكان ولا متحيزا ولا مقابلا ولم يتعلق علمنا باكثر من
الوجود جاز ان نراه غير مقابل ولا محاذى ولا مكيفا ولا محددا وكان الامام ابوعبد
الله النحوي يقول مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك
كقوله عزوجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتعدية النظر بالى انما هو فى كلام
العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهب اليه المعتزلة ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله انكم ترون ربكم يوم القيامة
كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الاحاديث الصحيحة على اختلاف الفاظها
واستحل المعتزلة الرؤية بآراء مجردة وتمسكوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار وانفصال
اهل السنة عن تمسكهم بان الآية مخصوصة فى الدنيا ورؤية الآخرة ثابتة
باخبارها وايضا فانا نفرق بين معنى الادراك ومعنى الرؤية ونقول انه عز

وجل تراه الابصار ولا تدركه ودلك ان الادراك يتضمن الاحاطة بالشيء والوصول
الى اعماقه وحوزه من جميع جهاته وذلك كله محال فى اوصاف الله عز وجل
والرؤية لا تفتقر الى ان يحيط الرائى بالمرئي ويبلغ غايته وعلى هذا التاويل
يترتب العكس فى قوله وهو يدرك الابصار ويحسن معناه ونحو هذا روي عن
ابن عباس وقتادة وعطية العوفي انهم فرقوا بين الرؤية والادراك واللطيف
المتلطف فى خلقه واختراعه والبصائر جمع بصيرة فكانه قال قد جاءكم فى القرءان
والآيات طرائق ابصار الحق والبصيرة للقلب مستعارة من ابصار العين والبصيرة
ايضا هي المعتقد * وقوله سبحانه فمن ابصر ومن عمي عبارة مستعارة فيمن
اهتدى ومن ضل وقوله وما انا عليكم بحفيظ كان فى اول الامر وقبل ظهور الاسلام ثم
بعد ذلك كان صلى الله عليه وسلم حفيظا على العالم اخذا لهم بالاسلام او السيف
* وقوله سبحانه وكذلك نصرف الآيات اي نرددها ونوضحها وقرأ الجمهور
وليقولوا درست بكسر اللام على انها لام كي وهي على هذا لام الصيرورة اي لما
صار امرهم الى ذلك وقرأ نافع وغيره درست اي يا محمد درست فى الكتب القديمة
ما تجيئنا به وقرأ ابن كثير وغيره دارست اي دارست غيرك وناظرته وقرأ ابن
عامر درسْتْ باسناد الفعل الى الآيات كانهم اشاروا الى انها ترددت على اسماعهم
حتى بليت فى نفوسهم وامّحت واللام فى قوله ليقولوا وفى قوله ولنبينه متعلقان
بفعل متأخر تقديره صرفناها وذهب بعض الكوفيين الى ان لا مضمرة بعد ان
المقدرة فى قوله وليقولوا فتقدير الكلام عندهم ولان لا يقولوا درست كما اضمروها
فى قوله يبين الله لكم ان تضلوا قال * ع * وهذا قلق ولا يجيز البصريون
اضمار لا فى موضع من المواضع قلت ولكنه حسن جدا من جهة المعنى اذ لا
يعلمون انه درس اودارس احدا صلى الله عليه وسلم فتأمله * وقوله سبحانه

اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو الآية هذه الآية فيها موادعة وهي منسوخة * وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الآية مخاطبة للمومنين والنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس سببها ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان ينتهي محمد واصحابه عن سب ءالهتنا والغض منها واما ان نسب الهه ونهجوه فنزلت الآية وحكمها على كل حال باق فى الامة فلا يحل لمسلم ان يتعرض الى ما يؤدي الى سب الاسلام او النبي صلى الله عليه وسلم او الله عز وجل وعبر عن الاصنام بالذين وهي لا تعقل وذلك على معتقد الكفرة فيها وفى هذه الآية ضرب من الموادعة وعَدْوا مصدر من الاعتداء وبغير علم بيان لمعنى الاعتداء * وقوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم اشارة الى ما زين لهؤلاء من التمسك باصنامهم وتزيين الله عمل الامم هو ما يخلقه سبحانه فى النفوس من المحبة للخير والشر وتزيين الشيطان هو ما يقذفه فى النفوس من الوسوسة وخطرات السوء وقوله ثم الى ربهم مرجعهم الآية تتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا ثقيلا للمسيئين * وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم ءاية ليومنن بها اللام فى قوله لئن لام توطئة للقسم واما المتلقية للقسم فهي قوله ليومنن بها وءاية يريد علامة وحكي ان الكفار لما نزلت ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اقسموا حينئذ انها ان نزلت ءامنوا فنزلت هذه الآية وحكي انهم اقترحوا ان يعود الصفا ذهبا واقسموا على ذلك فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فى ذلك فجاءه جبريل فقال له ان شئت اصبح ذهبا فان لم يومنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالامم المقترحة وان شئت اخروا حتى يتوب تائبهم فقال عليه الصلاة والسلام بل حتى يتوب تائبهم ونزلت الآية قال ابن العربي قوله جهد ايمانهم يعني غاية

ايمانهم التى بلغها علمهم وانتهت اليها قدرتهم انتهى من الاحكام ثم قال تعالى
قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطئة انما الآيات عند الله وليست عندى
فتقترح علي ثم قال وما يشعركم قال مجاهد وابن زيد المخاطب بهذا الكفار
وقال الفراء وغيره المخاطب بهذا المومنون وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما يدريكم
وقرأ ابن كثير وغيره انها بكسر الالف على القطع واستيناف الاخبار فمن قرأ
تومنون بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبة اولا واخرا
للكفار ومن قرأ بالياء وهي قراءة نافع وغيره فيحتمل ان يخاطب اولا واخرا
المومنين ويحتمل ان يخاطب بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستانف الاخبار
عنهم للمومنين وقرأ نافع وغيره انها بفتح الالف فقيل ان لا زائدة فى قوله لا
يومنون كما زيدت فى قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
ودعا الى التزام هذا حفظ المعنى لانها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذرا للكفار
وفسد المراد بالآية وضعف الزجاج وغيره زيادة لا ومنهم من جعل انها بمعنى
لعلها وحكاه سيبويه عن الخليل وهذا التاويل لا يحتاج معه الى تقدير زيادة
لا وحكى الكساءي انه كذلك فى مصحف ابي وما ادراكم لعلها اذا جاءت
ورجح ابوعلي ان تكون لا زائدة وبسط شواهده فى ذلك * وقوله سبحانه
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون
فالمعنى على ما قالت فرقة ونقلب افئدتهم وابصارهم فى النار وفى لهبها فى
الآخرة لما لم يومنوا فى الدنيا ثم استانف على هذا ونذرهم فى الدنيا فى طغيانهم
يعمهون وقالت فرقة انما المراد بالتقليب التحويل عن الحق والهدى والترك
فى الضلالة والكفر ومعنى الآية ان هؤلاء الذين اقسموا انهم يومنون ان جاءت
ءاية نحن نقلب افئدتهم وابصارهم ان لو جاءت فلا يومنون بها كما لم يومنوا

اول مرة بما دعوا اليه من عبادة الله تعالى فاخبر الله عز وجل على هذا التاويل
بصورة فعله بهم وقالت فرقة قوله كما فى هذه الآية انما هي بمعنى المجازاة
اي لما لم يومنوا اول مرة نجازيهم بان نقلب افئدتهم عن الهدى ونطبع على
قلوبهم فكانه قال ونحن نقلب افئدتهم وابصارهم جزاء لما لم يومنوا اول
مرة بما دعوا اليه من الشرع والضمير فى به يحتمل ان يعود على الله عزوجل
او على القرءان او على النبي صلى الله عليه وسلم ونذرهم معناه نتركهم والطغيان
التخبط فى الشر والافراط فيما يتناوله المرء ويعمهون معناه يترددون فى حيرتهم
* وقوله سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية اخبر سبحانه
انه لو اتى بجميع ما اقترحوه من انزال ملائكة واحياء سلفهم حسبما اقترحه
بعضهم ان يحشر قصي وغيره فيخبر بصدق محمد عليه السلام او يحشر عليهم كل
شيء قبلا ما ءامنوا الا بالمشيئة واللطف الذى يخلقه ويخترعه سبحانه فى
نفس من يشاء لا رب غيره وقرأ نافع وغيره قبلا ومعناه مواجهة ومعاينة قاله ابن
عباس وغيره ونصبه على الحال وقال المبرد معناه ناحية كما تقول لى قبل فلان دين
قال * ع * فنصبه على هذا هو على الظرف وقرأ حمزة وغيره قبلا بضم
القاف والباء واختلف فى معناه فقال بعضهم هو بمعنى قبل بكسر القاف اي
مواجهة كما تقول قبل ودبر وقال الزجاج والفراء هو جمع قبيل وهو الكفيل اي
وحشرنا عليهم كل شيء كفلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد وغيره
هو جمع قبيل اي صنفا صنفا ونوعا نوعا والنصب فى هذا كله على الحال ولكن
اكثرهم يجهلون اي يجهلون فى اعتقادهم ان الآية تقتضي ايمانهم ولا بد
فيقتضي اللفظ ان الاقل لا يجهل فكان فيهم من يعتقد ان الآية لو جاءت لم
يومن الا من شاء الله منه ذلك قلت وقال مكي ولكن اكثرهم يجهلون اي فى

مخالفتك وهم يعلمون انك نبي، صادق فيما جئتهم به وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يداعب ابا سفيان بعد الفتح بمخصرة في يده ويطعن
بها ابا سفيان فاذا احرقته قال نح عني مخصرتك فوالله لو اسلمت اليك
هذا الامر ما اختلف عليك فيه اثنان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اسألك بالذى اسلمت له قتالك اياي عن اي شيء كان فقال له ابو
سفيان تظن انى كنت اقاتلك تكذيبا منى لك والله ما شككت فى صدقك
قط وما كنت اقاتلك الا حسدا منى لك فالحمد لله الذى نزع ذلك من
قلبى فكان النبي صلى الله عليه وسلم يشتهى ذلك منه ويتبسم انتهى من
الهداية * وقوله سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الانس والجن
الآية تتضمن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وعرض القدوة عليه اي هذا
الذى امتحنت به يا محمد من الاعداء قد امتحن به غيرك من الانبياء ليبتلي
الله اولى العزم منهم وشياطين الانس والجن يريد المتمردين من النوعين ويوحى
معناه يلقيه فى اختفاء فهو كالمناجاة والسرار وزخرف القول محسنه ومزينه
بالاباطيل قاله عكرمة ومجاهد والزخرفة اكثر ما تستعمل فى الشروالباطل وغرورا
مصدر ومعناه يغرون به المضللين والضمير فى فعلوه عائد على اعتقادهم العداوة
ويحتمل على الوحي الذى تضمنه يوحى * وقوله سبحانه فذرهم وما يفترون
لفظ يتضمن الامر بالموادعة وهو منسوخ قال قتادة كل ذرّ فى كتاب الله منسوخ
بالقتال * وقوله سبحانه ولتصغى معناه لتميل قال الفخروالضمير فى قوله
ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالآخرة يعود على زخرف القول وكذلك
فى قوله وليرضوه والاقتراف معناه الاكتساب وقال الزجاج وليقترفوا اي يختلقوا
ويكذبوا والاول افصح انتهى والقراء على كسر اللام فى الثلاثة الافعال على انها

لام كي معطوفة على غرورا وحكما ابلغ من حاكم اذ هي صيغة للعدل من الحكام والحاكم جار على الفعل فقد يقال للجائر ومفصلا معناه مزال الاشكال والكتاب اولا هو القرءان وثانيا اسم جنس للتوراة والانجيل والزبور والصحف * وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين تثبيت ومبالغة وطعن على الممترين قلت وقد تقدم التنبيه على انه صلى الله عليه وسلم معصوم وان الخطاب له والمراد غيره ممن يمكن منه الشك * وقوله سبحانه وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا الآية تمت في هذا الموضع بمعنى استمرت وصحت في الازل صدقا وعدلا وليس بتمام من نقص ومثله ما وقع في كتب السيرة من قولهم وتم حمزة على اسلامه في الحديث مع ابي جهل والكلمات ما انزل على عباده ولا مبدل لكلماته معناه في معانيها * وقوله سبحانه وان تطع اكثر من في الارض الآية المعنى فامض يا محمد لما امرت به وبلغ ما ارسلت به فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك قال ابن عباس الارض هنا الدنيا وحكي ان سبب هذه الآية ان المشركين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الذبائح وقالوا اتاكل ما تقتل وتترك ما قتل الله فنزلت الآية ثم وصفهم تعالى بانهم انما يقتدون بظنونهم ويتبعون تخرصهم والخرص الحزر والظن وهذه الآية خبر في ضمنه وعيد للضالين ووعد للمهتدين وقوله سبحانه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مومنين الآية القصد بهذه الآية النهي عما ذبح للنصب وغيرها وعن الميتة وانواعها ولا قصد في الآية الى ما نسي المومن فيه التسمية او تعمدها بالترك * وقوله سبحانه وما لكم الا تاكلوا الآية ما استفهام يتضمن التقرير وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي فصل الحرام من الحلال وانتزعه بالبيان وما في قوله الا ما اضطررتم اليه يريد بها من جميع ما حرم كالميتة وغيرها وهي في موضع نصب بالاستثناء والاستثناء منقطع

* وقوله سبحانه وان كثيرا يريد الكفرة المحادين المجادلين ثم توعدهم سبحانه بقوله ان ربك هو اعلم بالمعتدين وقوله جلت عظمته وذروا ظاهر الاثم و باطنه نهي عام والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاصي وقال قوم الظاهر الاعمال والباطن المعتقد وهذا ايضا حسن لانه عام وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابى امامة قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم ما الاثم قال ما حك في صدرك فدعه وروى ابن المبارك ايضا بسنده ان رجلا قال يا رسول الله ما يحل لى مما يحرم علي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه ثلاث مرات في كل ذلك يسكت رسول الله ثم قال اين السائل فقال انا ذا يا رسول الله قال ما انكر قلبك فدعه انتهى وقد ذكرنا معناه من طرق في غير هذا الموضع فاغنى عن اعادته ثم توعد تعالى كسبة الاثم بالمجازاة على ما اكتسبوه من ذلك والاقتراف الاكتساب * وقوله سبحانه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية مقصد الآية النهي عن الميتة اذ هي جواب لقول المشركين تتركون ما قتل الله ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبائح الاسلام وبهذا العموم تعلق ابن عمر وابن سيرين والشعبي وغيرهم فقالوا ما تركت التسمية عليه لم يوكل عمدا كان او نسيانا وجمهور العلماء على انه يوكل ان كان تركها نسيانا بخلاف العمد وقيل يوكل سواء تركت عمدا او نسيانا الا ان يكون مستخفا * وقوله تعالى وان الشياطين الآية قال عكرمة هم مردة الانس من مجوس فارس وذلك انهم كانوا يوالون قريشا على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليوحون الى اوليائهم من قريش ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله فذلك من مخاطبتهم هو الوحي والاولياء هم قريش وقال ابن زيد وعبد الله بن كثير بل الشياطين الجن واللفظة على وجهها واولياؤهم

كفرة قريش ووحيهم بالوسوسة وعلى السنة الكهان ثم نهى سبحانه عن طاعتهم
بلفظ يتضمن الوعد وعرض اصعب مثال فى ان يشبه المومن بالمشرك قال ابن
العربي قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم سمى الله تعالى ما
يقع فى القلوب من الالهام وحيا وهذا مما يطلقه شيوخ المتصوفة وينكره جهال
المتوسمين بالعلم ولم يعلموا ان الوحي على ثمانية اقسام وان اطلاقه فى جميعها
جائز فى دين الله انتهى من احكام القران * وقوله سبحانه او من كان ميتا
فاحييناه لما تقدم ذكر المومنين وذكر الكافرين مثل سبحانه فى الطائفتين بان
شبه الذين ءامنوا بعد كفرهم باموات احيوا هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم فى ظلمات يترددون فيها ولا يمكنهم
الخروج منها ليبين عزوجل الفرق بين الطائفتين والبون بين المنزلتين
ونورا امكن ما يعنى به الايمان قيل ويحتمل ان يراد به النور الذى يوتاه المومن
يوم القيامة وجعلنا فى هذه الآية بمعنى صيرنا فهي تتعدى الى مفعولين الاول
مجرميها والثانى اكابر وفى الكلام على هذا تقديم وتاخير تقديره وكذلك جعلنا
فى كل قرية مجرميها اكابر وقدم الاهم اذ لعلة كبرهم اجرموا ويصح ان يكون
المفعول الاول اكابر ومجرميها مضاف والمفعول الثانى فى قوله فى كل قرية وليمكروا
نصب بلام الصيرورة والاكابر جمع اكبر كما الافاضل جمع افضل قال الفخر وانما
جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وركوب الباطل
من غيرهم ولان كثرة المال والجاه يحملان الانسان على المبالغة فى حفظهما وذلك
الحفظ لا يتم الا بجميع الاخلاق الذميمة كالغدر والمكر والكذب والغيبة والنميمة
والايمان الكاذبة ولو لم يكن للمال والجاه سوى ان الله تعالى حكم بانه انما
وصف بهذه الاوصاف الذميمة من كان له مال وجاه لكفى ذلك دليلا على

خساسة المال والجاه انتهى وما ذكره فى المال والجاه هو الاغلب وما يشعرون اي ما يعلمون * وقوله سبحانه واذا جاءتهم ءاية اي علامة ودليل على صحة الشرع تشططوا وقالوا لن نومن حتى يفلق لنا البحر ويحي لنا الموتى ونحو ذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فيمن اصطفاه وانتخبه لا فيمن كفر وجعل يتشطط على الله سبحانه قال الفخر قال المفسرون قال الوليد بن المغيرة لوكانت النبوءة حقا لكنت اولى بها قال الضحاك اراد كل واحد من هؤلاء الكفرة ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر عنهم سبحانه بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة انتهى ثم توعد سبحانه بان هؤلاء المجرمين الاكابر فى الدنيا سيصيبهم عند الله صَغار وذلة * وقوله سبحانه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الآية من شرط ويشرح جواب الشرط والآية نص فى ان الله تعالى يريد هدى المومن وضلال الكافر وهذا عند جميع اهل السنة بالارادة القديمة التى هي صفة ذاته تبارك وتعالى والهدى هنا هو خلق الايمان فى القلب وشرح الصدر هو تسهيل الايمان وتحبيبه واعداد القلب لقبوله وتحصيله والصدر عبارة عن القلب وفى يشرح ضمير يعود على اسم الله عز وجل يعضده اللفظ والمعنى ولا يحتمل غيره والقول بانه عائد على المهدى قول يتركب عليه مذهب القدرية فى خلق الاعمال ويجب ان يعتقد ضعفه والحذر منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت والقول فى قوله ومن يرد ان يضله كالقول فى قوله فمن يرد الله ان يهديه وقرأ حمزة وغيره حرجا بفتح الراء وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأها

يوما بفتح الراء فقرأها له بعض الصحابة بكسر الراء فقال ابغونى رجلا من كنانة وليكن راعيا وليكن من بنى مدلج فلما جاء قال له يافتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير * وقوله سبحانه كانما يصعد فى السماء اي كانّ هذا الضيق الصدر متى حاول الايمان او فكر فيه يجد صعوبته عليه والعياذ بالله كصعوبة الصعود فى السماء قاله ابن جريج وغيره وفى السماء يريد من سفل الى علو وتحتمل الآية ان يكون التشبيه بالصاعد فى عقبة كؤود كانه يصعد بها فى الهواء ويصعد معناه يعلو ويصّعّد معناه يتكلف من ذلك ما يشق عليه * وقوله كذلك يجعل الله الرجس اي وكما كان الهدى كله من الله والضلال بارادته تعالى ومشيئته كذلك يجعل الله الرجس قال اهل اللغة الرجس ياتى بمعنى العذاب وياتى بمعنى النجس * وقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما الآية هذا اشارة الى القران والشرع الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وفصلنا معناه بينا واوضحنا * وقوله سبحانه لقوم يذكرون اي للمومنين والضمير فى قوله لهم دار السلام عائد عليهم والسلام يتجه ان يكون اسما من اسماء الله عز وجل ويتجه ان يكون مصدرا بمعنى السلامة * وقوله تعالى عند ربهم يريد فى الآخرة بعد الحشر ووليهم اي ولي الانعام عليهم وبما كانوا يعملون اي بسبب ما كانوا يقدمون من الخير ويفعلون من الطاعة والبر * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس المعنى واذكر يوم وفى الكلام حذف تقديره نقول يا معشر الجن وقوله قد استكثرتم معناه افرطتم من الانس يريد فى اضلالهم واغوائهم قاله ابن عباس وغيره وقال الكفار من الانس وهم اولياء الجن الموبخين على جهة الاعتذار عن الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض

اي انتفع وذلك كاستعاذتهم بالجن اذ كان العربي اذا نزل واديا ينادى يا رب الوادى انى استجير بك فى هذه الليلة ثم يرى سلامته انما هي بحفظ جني ذلك الوادي ونحو ذلك وبلوغ الاجل المؤجل هو الموت وقيل هو الحشر * وقوله تعالى قال النار مثواكم الآية اخبار من الله تعالى عما يقول لهم يوم القيامة اثر كلامهم المتقدم ومثواكم اي موضع ثوابكم كمقامكم الذى هو موضع الاقامة قاله الزجاج والاستثناء فى قوله الا ما شاء الله قالت فرقة ما بمعنى من فالمراد الا من شاء الله ممن آمن فى الدنيا بعد ان كان من هؤلاء الكفرة وقال الطبري ان المستثنى هي المدة التى بين حشرهم الى دخولهم النار وقال الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول فى هذا الاستثناء انه مبلغ حال هؤلاء فى علم الله ثم اسند اليه انه قال ان هذه الآية اية لا ينبغى لاحد ان يحكم على الله فى خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال * ع * والاجماع على التخليد الابدي فى الكفار ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه قال * ص * الا ما شاء الله قيل استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من العذاب الزائد على النار وقيل متصل واختلفوا فى تقديره فقيل هو استثناء من الاشخاص وهم من آمن فى الدنيا ورد بانه يختلف زمان المستثنى والمستثنى منه فيكون منقطعا لا متصلا لان من شرط المتصل اتحاد زماني المخرج والمخرج منه انتهى وقيل غير هذا وقوله سبحانه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا قال قتادة معناه نجعل بعضهم ولي بعض فى الكفر والظلم وقال ايضا المعنى نجعل بعضهم يلى بعضا فى دخول النار وقال ابن زيد معناه نسلط بعض الظالمين على بعض ونجعلهم اولياء النقمة منهم قال * ع * وقد حفظ هذا فى استعمال الصحابة والتابعين كقول ابن الزبير الا ان فم الذبان قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون * وقوله تعالى

يا معشر الجن والانس الم ياتكم الآية هذا الكلام داخل في القول يوم الحشر قال الفخر قال اهل اللغة المعشر كل جماعة امرهم واحد وتحصل بينهم معاشرة ومخالطة فالمعشر المعاشر انتهى ومنكم يعنى من الانس قاله ابن جريج وغيره وقال ابن عباس من الطائفتين ولكن رسل الجن هم رسل رسل الانس وهم النذر ويقصون من القصص وقولهم شهدنا اقرار منهم بالكفر * وقوله سبحانه وغرتهم الحياة الدنيا التفاتة فصيحة تضمنت ان كفرهم كان باذم الوجوه لهم وهو الاغترار الذى لا يواقعه عاقل ويحتمل غرتهم ان يكون بمعنى اشبعتهم واطغتهم بحلواتها كما يقال غر الطائر فرخه * وقوله سبحانه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين الجمع بين هذه الآية وبين الآيى التى تقتضى انكار المشركين الاشراك هو اما بانها طوائف واما بانها طائفة واحدة في مواطن شتى * وقوله ذلك ان لم يكن اي ذلك الامر والقرى المدن والمراد اهل القرى وبظلم يحتمل معنيين احدهما انه لم يكن سبحانه ليهلكهم دون نذارة فيكون ظلما لهم والله تعالى ليس بظلام للعبيد والآخر ان الله عز وجل لم يهلكهم بظلم واقع منهم دون ان ينذرهم وهذا هو البين القوي وذكر الطبري رحمه الله التاويلين * وقوله سبحانه ولكل درجات مما عملوا الآية اخبار من الله سبحانه ان المومنين في الآخرة على درجات من التفاضل بحسب اعمالهم وتفضل المولى سبحانه عليهم ولكن كل راض بما اعطي غاية الرضى والمشركون ايضا على دركات من العذاب قلت وظاهر الآية ان الجن يثابون وينالون الدرجات والدركات وقد ترجم البخاري على ذلك فقال ذكر الجن وثوابهم وعقابهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الآية الى قوله وما ربك بغافل عما يعملون قال الداودي قال الضحاك من الجن من يدخل الجنة وياكل ويشرب انتهى

* وقوله سبحانه وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء الآية متضمنة وعيدا وتحذيرا من بطش الله عزوجل فى التعجيل بذلك واما مع المهلة ومرور الجديدين فذلك عادته سبحانه فى الخلق باذهاب خلق واستخلاف ءاخرين * وقوله سبحانه انما توعدون ءلات هو من الوعيد بقرينة وما انتم بمعجزين اي وما انتم بناجين هربا فتعجزون طالبكم ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يتوعدهم بقوله اعملوا اي فسترون عاقبة عملكم الفاسد وصيغة افعل هنا هي بمعنى الوعيد والتهديد وعلى مكانتكم معناه على حالكم وطريقتكم وعاقبة الدار اي مآل الآخرة ويحتمل مآل الدنيا بالنصر والظهور ففى الآية اعلام بغيب * وقوله وجعلوا لله مما ذرأ يعنى مشركى العرب الذين تقدم الرد عليهم من اول السورة وذرأ معناه خلق وانشأ وبث وسبب نزول هذه الآية ان العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وثمارها وانعامها جزأ تسميه لله وجزأ تسميه لاصنامها وكانت عادتها التحفى والاهتبال بنصيب الاصنام اكثر منها بنصيب الله اذ كانوا يعتقدون ان الاصنام بها فقر وليس ذلك بالله سبحانه فكانوا اذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذى لله الى الذى لشركائهم اقروه واذا حملت من الذى لشركائهم الى الذى لله ردوه واذا لم يصيبوا فى نصيب شركائهم شيأ قالوا لا بد للآلهة من نفقة فيجعلون نصيب الله تعالى فى ذلك قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم انهم كانوا يفعلون هذا ونحوه من الفعل وكذلك فى الانعام كانوا اذا اصابتهم السنة اكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم * وقوله سبحانه وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم الكثير هنا يراد به من كان يئد من مشركى العرب والشركاء هاهنا الشياطين الآمرون بذلك المزينون له والحاملون عليه ايضا من بنى ءادم ومقصد

الآية الذم للوأد والانحناء على فعلته وليردوهم معناه ليهلكوهم من الردى وليلبسوا معناه ليخلطوا * وقوله سبحانه ولو شاء الله ما فعلوه يقتضى ان لا شيء الا بمشيئة الله عز وجل وفيها رد على من قال بان المرء يخلق افعاله وقوله فذرهم وعيد محض * وقوله سبحانه وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الآية تتضمن ما شرعوه لانفسهم والتزموه على جهة القربة كذبا منهم على الله سبحانه وحجر معناه التحجير وهو المنع والتحريم وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال جماعة من المفسرين انهم كانت لهم سنة فى انعام ما ان لا يحج عليها فكانت تركب فى كل وجه الا فى الحج وقالت فرقة بل ذلك فى الذبائح جعلوا لآلهتهم نصيبا منها لا يذكرون الله على ذبحها * وقوله سبحانه وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا الآية كان من مذاهبهم الفاسدة فى بعض الانعام ان يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم فازواجنا يراد به جماعة النساء التى هي معدة ان تكون ازواجا قاله مجاهد وقوله وان يكن ميتة يعنى انه كان من سنتهم ان ما خرج من الاجنة ميتا من تلك الانعام الموقوفة فهو حلال للرجال والنساء جميعا وكذلك ما مات من الانعام الموقوفة نفسها ثم اعقب تعالى بوعيدهم على ما وصفوا انه من القربات * وقوله سبحانه قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الآية تتضمن التشنيع بسوء فعلهم والتعجيب من سوء حالهم فيما ذكر قال عكرمة وكان الوأد فى ربيعة وفى مضر قال * ع * وكان جمهور العرب لا يفعله ثم ان فاعليه كان منهم من يفعله خوف العيلة والافتقار وكان منهم من يفعله غيرة مخافة السباء وقد ضلوا اخبار عنهم بالحيرة وما كانوا يريد فى هذه الفعلة ويحتمل ان يريد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة مهتدين ولكنهم زادوا

بهذه الفعلة ضلالا * وقوله سبحانه وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية تنبيه على مواضع الاعتبار وانشأ معناه خلق واخترع ومعروشات قال ابن عباس ذلك فى ثمر العنب منها ما عرش وسمك ومنها ما لم يعرش ومتشابها يريد فى المنظر وغير متشابه فى الطعم قاله ابن جريج وغيره وقوله كلوا من ثمره نص فى الاباحة وقوله سبحانه وءاتوا حقه يوم حصاده قال ابن عباس وجماعة هي فى الزكاة المفروضة قال * ع * وهذا القول معترض بان السورة مكية وبانه لا زكاة فيما ذكر من الرمان وما فى معناه وحكى الزجاج ان هذه الآية قيل فيها انها نزلت بالمدينة وقال مجاهد وغيره بل قوله وءاتوا حقه يوم حصاده ندب الى اعطاء حقوق من المال غير الزكاة والسنة ان يعطي الرجل من زرعه عند الحصاد وعند الذرو وعند تكديسه فى البيدر فاذا صفّى وكال اخرج من ذلك الزكاة وقالت طائفة هذا حكم صدقات المسلمين حتى نزلت الزكاة المفروضة فنسختها قال * ع * والنسخ غير مترتب فى هذه الآية ولا تعارض بينها وبين ءاية الزكاة بل تنبنى هذه على الندب وتلك على الفرض * وقوله سبحانه ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين النهي عن الاسراف اما للناس عن التمنع عن ادائها لان ذلك اسراف من الفعل واما للولاة عن التشطط على الناس والاذاية لهم وكل قد قيل به فى تاويل الآية * وقوله سبحانه ومن الانعام حمولة وفرشا حمولة عطف على جنات معروشات التقدير وانشأنا من الانعام حمولة والحمولة ما تحمل الاثقال من الابل والبقر عند من عادته ان يحمل عليها والفرش ما لا يحمل ثقلا كالغنم وصغار البقر والابل وهذا هو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وغيرهم ولا مدخل فى الآية لغير الانعام وقوله كلوا مما رزقكم الله نص اباحة وازالة ما سنه الكفرة من البحيرة والسائبة

وغيـر ذلـك ثم تابع النهي عن تلك السنـن الآفكة بقوله سبحانه ولا تـتبعوا خطوات الشيطان وهي جمع خطوة اي لا تمشـوا فى طريقه قلت ولفظ البخاري خطوات من الخطو والمعنى اثاره انتهى * وقوله سبحانه ثمانية ازواج اختلف فى نصبها فقيل على البدل من ما فى قوله كلـوا مما رزقكم الله وقيـل على الحال وقيـل على البدل من قـوله حمولـة وفرشا وهذا اصوب الاقـوال واجراها مع معنى الآية والزوج الذكر والزوج الانثى فكل واحد منهما زوج صاحبه وهي اربعة انواع فتجيء ثمانية ازواج والضأن جمع ضائـنة وضائن * وقوله سبحانه قل آلذكرين حرم ام الانـثييـن هذا تـقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم الذكرين فيلزمكم تحريم جميع الذكور او الانـثييـن فيلزمكم تحريم جميع الانـاث اما اشتملت عليه ارحام الانثييـن فيلزمكم تحريم الجميع وانـتم لم تلتزموا شيأ يوجبه هذا الـتقسيـم وفى هذه السؤالات تـقريـع وتوبيخ ثم اتبع تـقريعهم بقولـه نبـئونى اي اخبرونى بعلم اي من جهة نـبوءة اوكتـاب من كتب الله ان كـنـتم صادقيـن وان شـرط وجوابه فى نبـئونى * وقوله سبحانه ومن الابل اثـنين ومن البقر اثـنين قل آلذكرين حرم الآية القول فى هذه الآية فى المعنى وترتيب الـتقسيم كما تـقدم فكانه قال انـتم الذيـن تدّعون ان الله حرم خصائص من هذه الانعام لا يخـلـو تحريمـه من ان يكون فى الذكريـن او فى الانـثييـن او فيما اشـتملت عليه ارحام الانـثييـن لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا ولا هذا فلم يبـق الا انه لم يقع تحريم قـال الفخر والصحيح عندى ان هذه الآية لم تـرد على سبيـل الاسـتـدلال على بطـلان قولهم بـل هي استـفـهام على سبيـل الانكار وحاصل الكـلام انكم لا تعترفـون بنبوءة احد من الانبيـاء فكيف تـثبـتـون هذه الاحكام المختلفة انـتـهى * وقوله سبحانه ام كـنـتـم شهداء اذ وصاكم الله

بهذا استفهام على سبيل التوبيخ وشهداء جمع شهيد وباقي الآية بين * وقوله تعالى قل لا اجد في ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية هذه الآية نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات كالخمر وكاكل كل ذى ناب من السباع مما وردت به السنة قال * ع * ولفظة التحريم اذا وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحة ان تنتهي بالشيء المذكور غاية المنع والحظر وصالحة بحسب اللغة ان تقف دون الغاية في حيز الكراهية ونحوها فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة المتأولين واجمع عليه الكل منهم ولم تضطرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الناس وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ الحديث واختلف الامة فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام كل ذى ناب من السباع حرام وقد روي عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذى ناب من السباع ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذى هو على الكراهية ونحوها وما اقترنت به قرينة التأويل كتحريمه عليه السلام لحوم الحمر الانسية فتأول بعض الصحابة الحاضرين ذلك لانها لم تخمس وتأول بعضهم ان ذلك ليلا تفنى حمولة الناس وتأول بعضهم التحريم المحض وثبت في الامة الاختلاف في لحمها فجائز لمن ينظر من العلماء ان يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على كراهية او نحوها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية هذا خبر من الله سبحانه يتضمن تكذيب اليهود

فى قولهم ان الله لم يحرم علينا شيأ وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسراءيل على نفسه وكل ذي ظفر يراد به الابل والنعام والاوز ونحوه من الحيوان الذى هو غير منفرج الاصابع وله ظفر واخبرنا سبحانه فى هذه الآية بتحريم الشحوم عليهم وهي الثروب وشحم الكلى وما كان شحما خالصا خارجا عن الاستثناء الذى فى الآية واختلف فى تحريم ذلك على المسلمين من ذبائحهم فعن مالك كراهية شحومهم من غير تحريم * وقوله تعالى الا ما حملت ظهورهما يريد ما اختلط باللحم فى الظهر والاجناب ونحوه قال السدي وابو صالح الاليات مما حملت ظهورهما والحوايا ما تحوّى فى البطن واستدار وهي المصارين والحشوة ونحوها وقال ابن عباس وغيره هي المباعر وقوله او ما اختلط بعظم يريد فى سائر الشخص * وقوله سبحانه ذلك جزيناهم ببغيهم يقتضى ان هذا التحريم انما كان عقوبة لهم على بغيهم واستعصائهم على انبيائهم * وقوله سبحانه وانا لصادقون اخبار يتضمن التعريض بكذبهم فى قولهم ما حرم الله علينا شيأ * وقوله سبحانه فان كذبوك اي فيما اخبرت به ان الله حرمه عليهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي فى امهاله اذ لم يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جُرمكم ولكن لا تغتروا بسعة رحمته فان له بأسا لا يرد عن القوم المجرمين اما فى الدنيا واما فى الآخرة وهذه الآية وما جانسها من آيات مكة مرتفع حكمها بآية القتال ثم اخبر سبحانه نبيه عليه السلام بان المشركين سيحتجون لتصويب ما هم عليه من شركهم وتديّنهم بتحريم تلك الاشياء بامهال الله تعالى لهم وتقريره حالهم وانه لو شاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحال ولا حجة لهم فيما ذكروه لانه سبحانه شاء اشراكهم واقدرهم على الاكتساب ويلزمهم على احتجاجهم ان تكون كل طريقة وكل نحلة صوابا اذ كلها لو شاء الله لم تكن وفى الكلام حذف يدل عليه تناسق الكلام كانه قال سيقول

المشركون كذا وكذا وليس في ذلك حجة لهم ولا شيء يقتضي تكذيبك ولكن كذلك كذب الذين من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم وفي قوله تعالى حتى ذاقوا بأسنا وعيد بين * وقوله سبحانه قل هل عندكم من علم اي من قبل الله قل فلله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد في الامر الذى يحتج له ثم أعلم سبحانه انه لو شاء لهدى العالم باسره وهلم معناها هات وهي حينئذ متعدية وقد تكون بمعنى اقبل فلا تتعدى وبعض العرب يجعلها اسم فعل كرويدك وبعضهم يجعلها فعلا ومعنى الآية قل هاتوا شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعمتم تحريمه فان شهدوا اي فان افترى لهم احد اوزوّر شهادة او خبرا عن نبوءة ونحو ذلك فجنب انت ذلك ولا تشهد معهم قلت وهذه الآية والتى بعدها من نوع ما تقدم من ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يمكن ذلك منه وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له اندادا يسوّونهم به تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيأ هذا امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يدعو جميع الخلق الى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث به الى الاسود والاحمر وما نصبت بقوله اتل وهي بمعنى الذى وان في قوله ان لا تشركوا في موضع رفع التقدير الامر ان او ذاك ان وقال كعب الاحبار هذه الآية هي مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الى ءاخر الآيات وقال ابن عباس هذه الآيات هي المحكمات المذكورة في ءال عمران اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملة وقد قيل انها العشر الكلمات المنزلة على موسى والاملاق الفقر وعدم المال قاله ابن عباس وغيره قال القشيري خوف الفقر قرينة الكفر وحسن الثقة بالرب سبحانه نتيجة

الايمان انتهى من التحبير * وقوله سبحانه ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي احسن قال مجاهد التى هي احسن التجارة فيه والاشد هنا الحزم والنظر فى الامور وحسن التصرف فيها وليس هذا بالاشد المقرون بالاربعين بل هذا يكون مع صغر السن فى ناس كثير * وقوله سبحانه واوفوا الكيل والميزان امر بالاعتدال * وقوله سبحانه لا نكلف نفسا الا وسعها يقتضى ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز * وقوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين الناس وغير ذلك اي ولو كان ميل الحق على قراباتكم * وقوله سبحانه وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الاشارة بهذا هي الى الشرع الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الطبري الاشارة هي الى هذه الوصايا التى تقدمت من قوله قل تعالوا وقال ابن مسعود ان الله سبحانه جعل طريقه صراطا مستقيما طرقه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتتشعب منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وقال ايضا خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية قال * ع * وهذه الآية تعم اهل الاهواء والبدع والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من اهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقَد ولعلكم ترج بحسبنا ومن حيث كانت المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم تعقلون والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى * وقوله سبحانه ثم ءاتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن

ثم فى هذه الآية انما مهلتها فى ترتيب القول الذى امر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ثم مما قصيناه انا ءاتينا موسى الكتاب ويدعو الى ذلك ان موسى عليه السلام متقدم بالزمان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتلاوته ما حرم الله والكتاب التوراة وتماما مصدر وقوله على الذى احسن مختلف فى معناه فقالت فرقة الذى بمعنى الذين واحسن فعل ماض صلة الذين وكأن الكلام وءاتينا موسى الكتاب تفضلا على المحسنين من اهل ملته واتماما للنعمة عليهم وهذا تاويل مجاهد ويؤيده ما فى مصحف ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقالت فرقة المعنى تماما على ما احسن هو من عبادة ربه يعنى موسى عليه السلام وهذا تاويل الربيع وقتادة وقالت فرقة المعنى تماما على الذى احسن الله فيه الى عباده من النبوات وسائر النعم وبلقاء ربهم اي بالبعث * وقوله سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون هذا اشارة الى القرءان ومبارك وصف بما فيه من التوسعات وانواع الخيرات ومعناه منمى خيره مكثر والبركة الزيادة والنمو فاتبعوه دعاء الى الدين واتقوا امر بالتقوى العامة فى جميع الاشياء بقرينة قوله لعلكم ترحمون وان فى قوله ان تقولوا فى موضع نصب والعامل فيه انزلناه والتقدير وهذا كتاب انزلناه كراهية ان تقولوا والطائفتان اليهود والنصارى باجماع المتأولين والدراسة القراءة والتعلم بها ومعنى الآية ازالة الحجة من ايدى قريش وسائر العرب ولما تقرر ان البينة قد جاءتهم والحجة قد قامت عليهم حسن بعد ذلك ان يقع التقرير بقوله سبحانه فمن اظلم ممن كذب بئايات الله وصدف عنها اي حاد عنها وزاغ واعرض وسنجزى الذين وعيد * وقوله سبحانه هل ينظرون اي ينتظرون يعنى العرب المتقدم الآن ذكرهم والملائكة هنا هم ملائكة الموت الذين يصحبون عزراءيل المخصوص بقبض

الارواح قاله مجاهد وقتادة وابن جريج * وقوله تعالى او ياتي ربك قال الطبري لموقف الحساب يوم القيامة واسند ذلك الى قتادة وجماعة من المتأولين وقال الزجاج ان المراد او ياتي عذاب ربك قال * ع * وعلى كل تاويل فانما هو بحذف مضاف تقديره امر ربك او بطش ربك او حساب ربك والا فالاتيان المفهوم من اللغة مستحيل على الله تعالى الا ترى ان الله عز وجل يقول فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فهذا اتيان قد وقع وهو على المجاز وحذف المضاف قال الفخر والجواب المعتمد عليه هنا ان هذا حكاية مذهب الكفار واعتقادهم فلا يفتقر الى تاويله واجمعوا على ان المراد بهذه الآيات علامات القيامة انتهى قلت وما ذكره الفخر من ان هذا حكاية مذهب الكفار هي دعوى تفتقر الى دليل * وقوله سبحانه او ياتي بعض ءايات ربك قال مجاهد وغيره هي اشارة الى طلوع الشمس من مغربها بدليل التى بعدها قال * ع * ويصح ان يريد سبحانه بقوله او ياتي بعض ءايات ربك جميع ما يقطع بوقوعه من اشراط الساعة ثم خصص سبحانه بعد ذلك بقوله يوم ياتى بعض ءايات ربك الآية التى ترتفع التوبة معها وقد بينت الاحاديث الصحاح فى البخاري ومسلم انها طلوع الشمس من مغربها ومقصد الآية تهديد الكفار باحوال لا يخلون منها وقوله او كسبت فى ايمانها خيرا يريد جميع اعمال البر وهذا الفصل هو للعصاة من المومنين كما ان قوله لم تكن آمنت من قبل هو للكافرين فالآية المشار اليها تقطع توبة الصنفين قال الداودي قوله تعالى اوكسبت فى ايمانها خيرا يريد ان النفس المومنة التى ارتكبت الكبائر لا تقبل منها التوبة يومئذ وتكون فى مشيئة الله تعالى كأن لم تتب وعن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت اول الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال انتهى * وقوله سبحانه

قل انتظروا انا منتظرون لفظ يتضمن الوعيد * وقوله سبحانه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء قال ابن عباس وغيره المراد بالذين اليهود والنصارى اي فرقوا دين ابراهيم ووصفهم بالشيع اذ كل طائفة منهم لها فرق واختلافات ففى الآية حض للمومنين على الائتلاف وترك الاختلاف وقال ابو الاحوص وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الآية فى اهل البدع والاهواء والفتن ومن جرى مجراهم من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أي فرقوا دين الاسلام وقرأ حمزة والكسائي فارقوا ومعناه تركوا * وقوله تعالى لست منهم فى شيء اي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق وهذا على الاطلاق فى الكفار وعلى جهة المبالغة فى العصاة * وقوله سبحانه انما امرهم الى الله الآية وعيد محض وقال السدي هذه ءاية لم يومر فيها بقتال فهي منسوخة بالقتال قال * ع * الآية خبر لا يدخله نسخ ولكنها تضمنت بالمعنى امرا بموادعة فيشبه ان يقال ان النسخ وقع فى ذلك المعنى الذي قد تقرر نسخه فى ءايات اخرى * وقوله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الآية قال ابن مسعود وغيره الحسنة هنا لا اله الا الله والسيئة الكفر قال * ع * وهذه هي الغاية من الطرفين وقالت فرقة ذلك لفظ عام فى جميع الحسنات والسيئات وهذا هو الظاهر وتقدير الآية من جاء بالحسنة فله ثواب عشر امثالها وقرأ يعقوب وغيره فله عشر بالتنوين امثالها بالرفع * وقوله تعالى قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم الآية فى غاية الوضوح والبيان وقيما نعت للدين ومعناه مستقيما وملة بدل من الدين * وقوله سبحانه قل ان صلاتي ونسكي الآية امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يعلن بان مقصده فى صلاته وطاعته من ذبيحة وغيرها وتصرفه مدة حياته وحاله من اخلاص وايمان عند مماته انما هو لله عز وجل وارادة

وجهه وطلب رضاه وفى اعلان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم المومنين التأسي به حتى يلتزموا فى جميع اعمالهم قصد وجه الله عز وجل ويحتمل ان يريد بهذه المقالة ان صلاته ونسكه وحياته ومماته بيد الله عز وجل والله يصرفه فى جميع ذلك كيف شاء سبحانه ويكون قوله وبذلك امرت على هذا التاويل راجعا الى قوله لا شريك له فقط او راجعا الى القول وعلى التاويل الاول يرجع الى جميع ما ذكر من صلاة وغيرها وقالت فرقة النسك فى هذه الآية الذبائح قال * ع * ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر فى هذه الآية انها نازلة قد تقدم ذكرها والجدل فيها فى السورة وقالت فرقة النسك فى هذه الآية جميع اعمال الطاعات من قولك نسك فلان فهو ناسك اذا تعبد وقرأ السبعة سوى نافع ومحياي بفتح الياء وقرأ نافع وحده ومحياي بسكون الياء قال ابو حيان وفيه جمع بين ساكنين وسوغ ذلك ما فى الالف من المد القائم مقام الحركة انتهى وقوله وانا اول المسلمين اي من هذه الامة * وقوله سبحانه قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء الآية حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها فى دنياك واخرتك فنزلت هذه الآية وهي استفهام يقتضي التوبيخ لهم وابغي معناه اطلب فكانه قال افيحسن عندكم ان اطلب الها غير الله الذى هو رب كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم باطل ليس الامر كما تظنون فلا تكسب كل نفس من الشر والاثم الا عليها وحدها ولا تزر اي تحمل وازرة اي حاملة حمل اخرى وثقلها والوزر اصله الثقل ثم استعمل فى الاثم تجوزا واستعارة ثم الى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد وقوله فينبئكم بما كنتم فيه

تختلفون اي فى امرى فى قول بعضكم هو ساحر وبعضكم هو شاعر الى غير ذلك
قاله بعض المتأولين وهذا التاويل يحسن فى هذا الموضع وان كان اللفظ يعم جميع
انواع الاختلافات بين الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك وخلائف جمع
خليفة اي يخلف بعضكم بعضا لان من اتى خليفة لمن مضى وهذا يتصور فى جميع
الامم وسائر اصناف الناس ولكنه يحسن فى امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان
يسمى اهلها بجملتهم خلائف للامم وليس لهم من يخلفهم اذ هم ءاخر الامم وعليهم
تقوم الساعة وروى الحسن بن ابى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل ويروى انتم ءاخرها واكرمها
على الله * وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات لفظ عام فى المال والقوة والجاه
وجودة النفوس والاذهان وغير ذلك وكل ذلك انما هو ليختبر الله سبحانه
الخلق فيرى المحسن من المسيء ولما اخبر الله عز وجل بهذا فسح للناس
ميدان العمل وحضهم سبحانه على الاستباق الى الخيرات توعد ووعد تخويفا منه
وترجية فقال ان ربك سريع العقاب اما باخذاته فى الدنيا واما بعقاب الآخرة
وحسن ان يوصف عقاب الآخرة بسريع لما كان متحققا مضمون الاتيان والوقوع
وكل ءات قريب وانه لغفور رحيم ترجية لمن اذنب واراد التوبة وهذا فى كتاب
الله كثير وهو اقتران الوعيد بالوعد لطفا من الله سبحانه بعباده اللهم اجعلنا
ممن شملته رحمتك وغفرانك بجودك واحسانك ومن كلام الشيخ الولي
العارف ابى الحسن الشاذلي رحمه الله قال من اراد ان لا يضره ذنب فليقل
رب اعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك واعوذ بك من عاجل العذاب
ومن سوء الحساب فانك لسريع الحساب وانك لغفور رحيم رب انى ظلمت

نفسي ظلما كثيرا فاغفر لى وتب علي لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين انتهى نسأل الله ان ينفع به ناظره وان يجعله لنا ذخرا ونورا يسعى بين ايدينا يوم لقائه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليمـــــــــــــــــــــا



انتهـــى هذا الجزء الاول مصححا بالمقابلة على خط مؤلفـــه

شكر الله سعيه وقدس ســـــــــــره

فهرس الجزء الاول من الجواهر الحسان

٦ باب فى فضل القرءان

١٠ باب فى فضل تفسير القرءان واعرابه

١١ فصل فيما قيل فى الكلام فى تفسير القرءان والجرأة عليه ومراتب المفسرين

١٦ فصل فى ذكر الالفاظ التى فى القرءان مما للغات العجم بها تعلق

١٧ باب تفسير اسماء القرءان وذكر السورة والآية

١٩ باب فى الاستعاذة

٢٠ باب فى تفسير البسملة

٢١ تفسير فاتحة الكتاب

٢٦ القول فى آمين

٢٨ تفسير سورة البقرة

٢٤٠ — — عال عمران

٣٤٥ — — النساء

٤٣٦ — — المائدة

٥٠٣ — — الانعام